

Ql Verhaf I

﴿الجزء الاول﴾

من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل

للامام جارالله تاج الاسلام فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشرى غفرالله حوبته ورفع فى الجنة درجته آمين

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمرى مثل كشاف
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

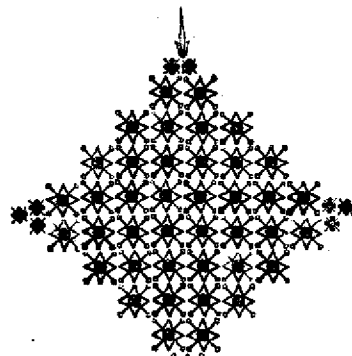
﴿ترجمة مؤلف كتاب الانتصاف المحلى بطرازه حواشى الكشاف﴾

﴿فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للعلامة عبد الحى﴾
﴿الشهير بابن العماد قال فى ترجمة ابن المنير وفى سنة ثلاث﴾
﴿وثمانين وستمائة توفى ابن المنير العلامة ناصر الدين أحمد بن﴾
﴿محمد بن منصور الجذامى الاسكندرى المالكى قاضى﴾
﴿الاسكندرية وفاضلها المشهور ولد سنة عشرين وستمائة وبرع﴾
﴿فى الفقه والاصول والنظر والعربية والبلاغة وصنف التصانيف﴾
﴿وتوفى فى أوّل ربيع الاوّل سنة ٦٨٣ انتهت عبارته﴾
﴿ونص عبارة صاحب كشف الظنون فمن كتب على الكشاف﴾
﴿الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى﴾
﴿كتابه الانتصاف بين فيه ما تضمنه من الاعتزال وناقشه﴾
﴿فى أعاريب وأحسن الجدال وتوفى سنة ٦٨٣ رحمه الله تعالى﴾

﴿تنبيه﴾ قد استحسن ان كل صحيفة يخلو اعلاها من الهامش يحلى صدرها بجملة شريفة من القرآن الكريم على قدر ما يناسبها وما لم يخل اعلاها تجعل الجملة القرآنية الشريفة باحد جانبيها بين جدولين

طبعة اولى بالمطبعة
﴿الشرفيه﴾

Zamakhshari, Abu al-Kasim, Mahmud ibn Umar
Al-Kashshaf



كشاف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هى الا صفات مبتدإ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصا البطحاء وأوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط فى المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم فى كل ما يرومونه الشطط ان أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة أولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحى اليه حبيب الله أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قصى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبى الامى المكتوب فى التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار * اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذى تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى أمد من الوهم متباعد وترقى الى

ان

أن عدّ ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها
مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة الا أوحدهم وأخصهم
والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها بأحداقهم عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجز
نواصيهم واطلاقهم * ثم ان أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت
يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتمّ لتعاطيه واجالة النظر فيه كلّ
ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برّز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام
والمتكلم وان بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرّية احفظ
والواعظ وان كان من الحسن البصريّ أوعظ والنحويّ وان كان أنحى من سيبويه واللغويّ وان علك اللغات
بقوّة لحييه لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق الا رجل قد برع
في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة
وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن
يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد
رجع زمانا ورجع اليه وردّ وردّ عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس درّاكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة
وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرّفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض
بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع
في مداحضه ومزالقه (ولقد رأيت) اخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم
العربية والاصول الدينية كلما رجعوا اليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا
في الاستحسان والتعجب واستطير واشوقا الى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا اليّ مقترحين أن
أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا الا المراجعة
والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا
ما الاجابة اليه عليّ واجبة لانّ الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة
رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان
فأمليت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال
والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا
ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة
وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملي
متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرّك الساكن من نشاطي فلما حططت
الرحل بمكة اذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله أبي
الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم
مناقبهم أعطش الناس كبدا وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن
الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطيّ المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة
هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل وعيت به العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع
الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الاولى مع ضمان
التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة
أفيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال محمود رحمه الله تعالى الباء في البسملة تتعلق بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو) قال أحمد رحمه الله تعالى الذي يقدره النحاة أبتدئ وهو المختار لوجوه الاول ان فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدئ بها فعل مّا من الافعال خلاف فعل القراءة والعام صحة تقديره أولى أن يقدر ألا تراهم يقدّرون متعلق الجار الواقع خبرا أو صفة أو صلة أو حالا بالكون والاستقرار حيث ما وقع و يؤثرونه لعموم صحة تقديره والثاني ان تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة اذ الغرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل وأنت اذا قدرت أقرأ فانما تعني ابتدئ القراءة والواقع في أثناء التلاوة قراءة أيضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء ومنها ظهور فعل الابتداء في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقال عليه السلام كل أمر خطير ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فان ٤ فعل القراءة انما ظهر ثمّ لان الاهم هو القراءة غير منظور الى الابتداء بها ألا ترى الى تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك في البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء اذا على انه الاهم في البسملة فوجب تقديره وسيأتي الكلام على هذه النكتة (قال محمود لم قدرت المحذوف متأخرا الخ) قال أحمد لانك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أوّل نطقك وأما افادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتي ان شاء الله تعالى (قال محمود فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة الخ) قال أحمد وفي قوله ان اسم الله هو الذي صير فعله معتبرا شرعا حيد عن الحق المعتقد لاهل السنة في قاعدتين احداهما أن الاسم هو المسمى والاخرى أن فعل العبد موجود بقدرة الله تعالى لا غير فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد في أول فعله بانه جار على يديه وهو محل له لا غير وأما وجود الفعل فيه فبالله تعالى أي بقدرته تسليما لله في أوّل كل فعل والزمخشري رحمه الله لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى في مخالفة القاعدتين المذكورتين فيعتقد ان اسم الله تعالى الذي هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده اذ وجوده على زعمه بقدرة العبد فعلى ذلك بنى كلامه * أقول دعواه أن عند أهل السنة الاسم غير المسمى ممنوعة وتحقيقه قد ذكر في غير هذا الكتاب علمه

الصراط يسعى بين يديّ ويميني ونعم المسؤل

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أمّ القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا أن منهم ٣ من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس (بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى (فان قلت) بم تعلقت الباء (قلت) بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق تحسد الانس الطعاما (فان قلت) لم قدرت المحذوف متأخرا (قلت) لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها (فان قلت) فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (قلت) هناك تقديم الفعل أوقع لانها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم (فان قلت) ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله

٣ قوله من عد أنعمت عليهم الظاهر أن يقول غير المغضوب عليهم كما هو واضح فليتأمل اهـ مصححه

عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثانى أن يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعى للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن (فان قلت) فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ (قلت) هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه (فان قلت) من حق حروف المعانى التى جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التى هى أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر (قلت) أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر * والاسم أحد الاسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت فى الدرج لم تفتقر الى زيادة شئ ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال * باسم الذى فى كل سورة سمه * وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى (فان قلت) فلم حذفت الالف فى الخط وأثبتت فى قوله باسم ربك (قلت) قد اتبعوا فى حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذى عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طوّلت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طوّل الباء وأظهر السنات ودوّر الميم و (الله) أصله الاله قال * معاذ الاله أن تكون كظبية * ونظيره الناس أصله الاناس قال

ان المنايا يطلعـن على الاناس الآمنينا

فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التعريف ولذلك قيل فى النداء يا ألله بالقطع كما يقال يا اله والاله من أسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر فى الاشتقاق من الناقة والحجر (فان قلت) أاسم هو أم صفة (قلت) بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شئ اله كما لا تقول شئ رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال (فان قلت) هل لهذا الاسم اشتقاق (قلت) معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الاوهام تتحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح (فان قلت) هل تفخم لامه (قلت) نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر (الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة فى البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج فى الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقى فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل فى غير الله عز وجل كما أن الله من الاسماء الغالبة وأما قول بنى حنيفة

(قال محمود وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم الخ) قال أحمد لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الامثلة أقصر من فاعل الذى لا مبالغة فيه البتة وأما قولهم رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه أيضا على مبالغة رحمن بالنسبة الى رحيم فان حاصله ان الرحمة منه بالدلالة على اتمامها ألا ترى ان ضاربا لما كان أعم من ضرّاب كان ضرّاب أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم اذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه

في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم في كفرهم (فان قلت) كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا (قلت) أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه (فان قلت) قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف (قلت) كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره (فان قلت) مامعنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على مافيها (قلت) هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه كما أنه اذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه (فان قلت) فلم قدم ماهو أبلغ من الوصفين على ماهو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض (قلت) لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول مادق منها ولطف * الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من

(قال محمود رحمه الله تعالى فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا الخ) قال أحمد ليت شعري بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذي عين قياسه على عطشان دون ندمان مع أن قياسه على ندمان معتضد بالاصل في الاسماء وهو الصرف أقول الذي عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب ندمان واذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما فحمله على ماهو الاكثر أولى ولان رحمن وعطشان مشتركان في عدم وجود فعلانة بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان أولى ثم قال وقد نقل غيره خلافا في صرف رحمن مجردا من التعريف وبناه على تعيين العلة في منع صرف عطشان هل هي وجود فعلى فيصرف رحمن أو امتناع فعلانة فيمتنع الصرف وهو أيضا نظر قاصر وأتم منهما أن يقال امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بألفي التأنيث والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة فاما أن يجعل الامران وصفي شبه بهما مجموعهما مستقل أو كل واحد منهما مستقلا ببيان الشبه أو أحدهما دون الآخر على البدل فهذه أربع احتمالات فان كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعلى خاصة انصرف رحمن وان كان كل واحد من الامرين مستقلا أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف فلم يبق الا تعيين مابه حصل الشبه في عطشان بين زيادتيه وبين ألفي التأنيث من الاحتمالات الاربعة وعليه يبتنى الصرف وعدمه والتحقيق أن كل واحد من الامرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود احدى العلتين المتعلقتين في الشبه وهي امتناع فعلانة على هذا التقدير وانما قلنا ذلك لان امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادتيه كامتناع ٦ دخولها على ألفي التأنيث فحصل الشبه بهذا الوجه ووجود فعلى يحقق ان مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر فيشبه أفعل وفعلى في اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر فهذا وجه آخر من الشبه ومن تأمل كلام سيبويه فهم منه ماقررته

(الحمد لله)

(فان قيل) حاصل ذلك مناسبة كل واحد من الامرين المذكورين لاقتضاء الشبه فالذي دل على استقلال كل واحد منهما علة في الشبه وهلا كان المجموع علة وحينئذ ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الاربعة المتقدمة (قلت) امتناع صرف عمران العلم يدل على استقلال كل واحد من الامرين بالشبه المانع من الصرف اذ عمران علما لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقا أقول قد عثر ههنا رحمه الله وان الجواد قد يعثر لان اعتبار الاعتقاد وجود فعلى أو انتفاء فعلانة انما كان في الصفة أما في الاسم فشرطه العلمية لا وجود فعلى ولا انتفاء فعلانة (قال محمود رحمه الله فان قلت مامعنى وصف الله بالرحمة الخ) قال أحمد رحمه الله فالرحمة على هذا من صفات الافعال ولك أن تفسرها بارادة الخير فيرجع الى صفات الذات وكلا الامرين قال به الاشعرية في الرحمة وامثالها مما لا يصح اطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى فمنهم من صرفه الى صفة الذات ومنهم من صرفه الى صفة الفعل (قال محمود رحمه الله فان قلت فلم قدم ماهو أبلغ من الوصفين على ماهو دونه الخ) قال أحمد رحمه الله انما كان القياس تقديم أدنى الوصفين لان في تقديم أعلاهما ثم الارداف بأدناهما نوعا من التكرار اذ يلزم من حصول الابلغ حصول الادنى فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس فانه ترق من الادنى الى مزيد بمزية الاعلى لم يتقدم ما يستلزمه ولذلك كان هذا الترتيب خاصا بالاثبات وأما النفي فعلى عكسه تقدم فيه الاعلى تقول مافلان نحريرا ولا عالما ولو عكست لوقعت في التكرار اذ يلزم من نفي الادنى عنه نفي الاعلى وكل ذلك مستمد في عموم الادنى وخصوص الابلغ واثبات الاخص يستلزم ثبوت الاعم ونفي الاعم يستلزم نفي الاخص

(القول فى سورة الفاتحة) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال محمود رحمه الله الاصل فى الحمد النصب الخ) قال أحمد رحمه الله ولان الرفع أثبت اختار سيبويه فى قول القائل رأيت زيدا فاذا له علم الفقهاء الرفع وفى مثل رأيت زيدا فاذا له صوت صوت حمار النصب والسر فى الفرق بين الرفع والنصب أن فى النصب اشعارا بالفعل و صيغة الفعل اشعارا بالتجدد والطروّ ولا كذلك الرفع فانه انما يستدعى أسماء ذلك الاسم صفة ثابتة ألا ترى ان المقدر مع النصب نحمد الله الحمد ومع الرفع الحمد ثابت لله أو مستقر (قال محمود رحمه الله وتعريف الحمد نحو التعريف فى أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ) قال أحمد رحمه الله تعريف التكرار باللام اما عهدى واما جنسى والعهدى اما أن ينصرف العهد فيه الى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار تميزه عن غيره من الافراد كالتعريف فى نحو فعصى فرعون الرسول واما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية باعتبار تميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف فى نحو أكلت الخبز وشربت الماء والجنسى هو الذى ينضم اليه شمول الآحاد نحو الرجل أفضل من المرأة وكلا نوعى العهد لا يوجب استغراقها وانما يوجبه الجنسى خاصة فالزمخشرى جعل تعريف الحمد من النوع الثانى من نوعى العهد وان كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه وغير الزمخشرى جعله للجنس ٧ فقضى بافادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد (قال محمود رحمه الله العالم اسم لذوى العلم من الملائكة الى آخره) قال أحمد رحمه الله تعليله الجمع بافادة استغراقه لكل جنس تحته فيه نظر فان عالما كما قرره اسم جنس

رب العالمين الرحمن الرحيم

عرف باللام الجنسية فصار العالم وهو مفرد أدل على الاستغراق منه جمعا قال امام الحرمين رحمه الله التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور ترده الى تخيل الوجدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب انتهى كلامه والتحقيق فى هذا وفى كل ما يجمع من أسماء الاجناس ثم يعرف تعريف الجنس أنه يفيد أمرين أحدهما ان ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة والآخر انه مستغرق لجميع ما تحته منها لكن المفيد لاختلاف الانواع الجمع والمفيد لاستغراق جميعها التعريف ألا ترى انه اذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الانواع ثم اذا عرف أفاد الاستغراق غير موقوف على الجمعية اذ هذا حكم مفرده اذا عرف فقول الزمخشرى اذا ان فائدة جمع العالمين الاستغراق مردود بثبوت هذه الفائدة وان لم يجمع وقول امام الحرمين ان الجمع يؤيد الاشعار بالاستغراق لما نخيله من الرد الى الوجدان مردود بان فائدة الجمع الاشعار باختلاف الانواع واختلافها لا ينافى استغراقها بصيغة المفرد المقر من تعريف الجنس وان أراد ان الجمع يخيل الاشارة الى أنواع محلها معهودة فهذا الخيال بعينه من المفرد فالعالم اذا جمع لفيد اختلاف الانواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة وعرف لفيد عموم الربوبية لله تعالى فى كل أنواعه وتوضيح هذا التقرير انا لو فرضنا جنسا ليس تحته الا آحاد متساوية وهو الذى يسميه غير النحاة النوع الاسفل لما جاز جمع هذا بحال لا معرفا ولا منكرا وبهذه الفائدة يرد قول امام الحرمين ان التمور جمع من حيث اللفظ لا معنى تحته لجمع الجمع فى نحو

الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما فى عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يفصح عن كل خفىّ ويجلى كل مشتبه *والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم باضمار فعله على أنه من المصادر التى تنصبها العرب بأفعال مضمرة فى معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثانى للدلالة على أن ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد (فان قلت) ما معنى التعريف فيه (قلت) هو نحو التعريف فى أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الافعال والاستغراق الذى يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصرى الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن أبى عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذى جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون فى كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التى هى أقوى بخلاف قراءة الحسن *الرب المالك ومنه قول صفوان لابى سفيان لان يربنى رجل من قريش أحب الىّ من أن يربنى رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نمّ عليه ينم فهو نمّ ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده وهو فى غيره على التقييد بالاضافة كقولهم ربّ الدار وربّ الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربى أحسن مثواى وقرأ زيد بن علىّ رضى الله عنهما ربّ العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين *العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض

(فان قلت) لم جمع (قلت) ليشمل كل جنس مما سمي به (فان قلت) هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الاعلام (قلت) ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم * قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

(فان قلت) ما هذه الاضافة (قلت) هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم (فان قلت) فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (قلت) انما تكون غير حقيقية اذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فأما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة أبي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شئ من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (ايا) ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشئ شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد قل أغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي

فهياك والامر الذي ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره

* والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع (فان قلت) لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة

كليلة ذي العائر الارمد * وذلك من نبإ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة

مالك يوم الدين اياك
نعبد واياك نستعين

وق ونياق وأنيق واما
علل الزمخشري جمعه
بالواو والنون باشعاره
بصفة العلم فيلحق
بصفات من يعقل
فصحيح اذا بني الامر على
انه لا يتناول الا اولي العلم
وأما على القول بانه اسم
لكل موجود سوى الله
فيحتاج الى مزيد نظر
في تغليب العاقل في
الجمع على غير العاقل
(قال محمود رحمه الله وقد
التفت امرؤ القيس
ثلاث التفاتات في ثلاثة
أبيات الخ) قال أحمد
رحمه الله يعني انه ابتدأ
الخطاب ثم التفت الى
الغيبة ثم الى التكلم
وعلى هذا فهما
التفاتان لا غير وانما
أراد الزمخشري والله
أعلم انه أتى بثلاثة
أساليب خطاب لحاضر
وغائب ولنفسه فوهم
بقوله ثلاث التفاتات
أو نجعل الاخير ملتفتا
التفاتين عن الثاني
وعن الاول فيكون
ثلاثا والامر فيه سهل

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة الخ) قال أحمد رحمه الله معتقد أهل السنة ان العبد لا يستوجب على ربه جز
تعالى الله عن ذلك والثواب عندنا من الاعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة ليس بواجب على الله تعالى بل فضل من
واحسان في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لا يدخل أحدمنكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله
برحمته مضافا الى دليل العقل المحيل ان يجب على الله تعالى شيء لكن كما قام الدليل عقلا وشرعا على انه تعالى لا يجب
عليه شيء فقد قام عقلا وشرعا على ان خبره تعالى صدق ووعده حق أي يجب عقلا أن يقع فاما أن يكون الزمخشري تسامح في اطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر واما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

الله تعالى وان لم يكن وعد (قال محمود رحمه الله واطلق الانعام ليشمل كل انعام) قال أحمد رحمه الله ان اطلاق الانعام يفيد الشمول كقوله ان اطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه وليس بمسلم فان الفعل لا عموم لمصدره والتحقيق ان الاطلاق انما يقتضي ابهاما وشيوعا والنفس الى المبهم أشوق منها الى المقيد لتعلق الامل مع الابهام لكل نعمة تخطر بالبال

له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به (فان قلت) لم قرنت الاستعانة بالعبادة (قلت) ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته (فان قلت) فلم قدمت العبادة على الاستعانة (قلت) لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها (فان قلت) لم أطلقت الاستعانة (قلت) ليتناول كل مستعان فيه والاحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون * هدى أصله أن يتعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا (السراط) الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال الذين استضعفوا لمن آمن منهم (فان قلت) ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (قلت) فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم (غير المغضوب عليهم) بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال (فان قلت) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (قلت) الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل (فان قلت) ما معنى غضب الله (قلت) هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم

(قال محمود رحمه الله ومعنى الغضب من الله تعالى ارادة الانتقام الخ) قال أحمد رحمه الله أدرج في هذا ما يقتضي عنده وجوب وعيد العصاة وليس مذهب أهل السنة بل الأمر عندهم في المؤمن العاصي موكول الى المشيئة فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة ومنهم من أراد العفو عنه واثابته فضلا منه تعالى على ان المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار ووعيدهم واقع لا محالة ومراده والله الموفق * أقول قول الزمخشري رحمه الله الغضب

ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته (فان قلت) أى فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية (قلت) الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية (فان قلت) لم دخلت لا فى ولا الضالين (قلت) لما فى غير من معنى النفى كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة (آمين) صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الافعال التى هى أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل عليه السلام آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعى وعن أبى حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعى يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابى بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿سورة البقرة مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) اعلم أن الالفاظ التى يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية لطيفة وهى أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهى حروف وحدان والاسامى عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى أن يدلوا فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها فى ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كأسماء الاعداد فيقال ألف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل أدركها الاعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت الى ألف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شئ من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى انك اذا أردت أن تلقى على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا (فان قلت) لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين (قلت) قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الاسماء التى لا يقدح اشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف فى معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى فى غيره وهذا كما ترى دال على معنى فى نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع

بسم الله الرحمن الرحيم الم

من الله تعالى ارادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على ما فسره من وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة عبارة عما ذكره الزمخشرى رحمه الله الا ان عند أهل السنة ان الله تعالى ان شاء عذب صاحب الكبيرة وان شاء غفر له وعند المعتزلة وجوب عذابه فعند المعتزلة ظاهر أن الغضب عبارة عن ارادة الانتقام وعند أهل السنة ان غفر له فلا غضب وان لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره

﴿القول فى سورة البقرة﴾

*بسم الله الرحمن الرحيم

الم (قال محمود رحمه الله وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف الخ) قال أحمد رحمه الله وسألهم أيضا كيف ينطقون بالقاف من يقيل فقالوا قاف كقولهم الاول فأجابهم كجوابه الاول وقال أما أنا فأقول اقه فالحق رضى الله عنه أولا هاء السكت لان الحرف المنطوق به متحرك وثانيا همزة الوصل لانه ساكن (قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى كلامه على الوجه الاول يوجب كونها معربة وعلى الوجه الثانى يحتمل أن يكون أراد أن الفتحة لالتقاء

ما للاسماء المتصرفة ثم انى عثرت من جانب الخليل على نص فى ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التى فى لك والباء التى فى ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو على فى كتاب الحجة فى يس وامالة يا أنهم قالوا يا زيد فى النداء فأمالوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذى هو يس أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها (فان قلت) من أى قبيل هى من الاسماء أمعربة أم مبنية (قلت) بل هى أسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذى بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين (فان قلت) فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء (قلت) هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب فى أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب أن حال التهجى خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه أكثر (فان قلت) قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور (قلت) فيه أوجه * أحدها وعليه اطباق الاكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذى كسره على ذكرها فى حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهى فى ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثانى ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما أن يكون اسما فردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكى ليس الا وأما النوع الثانى فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العنسى

يذكرنى حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببى منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجىء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعنى من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال وجدنا فى كتاب بنى تميم * أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا * وفى ترحالهم نفسى

وروى منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز فى استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ ص وق ون مفتوحات (قلت) الاوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك فى حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافى أن بعضهم قرأ يس ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين (فان قلت) هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها

الساكنين نشأت عن سكون الحكاية فانها انما تحكى ساكنة مجردة من سمة الاعراب فلا تكون الحركة اذا اعرابا اذ لا مقتضى له مع الحكاية ولا بناء اذ هى معربة عنده على هذا التقدير ويحتمل أن يكون أراد أنها مبنية فتكون الحركة مثلها فى أين وكيف حركة بناء والاول هو الظاهر من مراده اذ حتم قبل أنها معربة على أن سيبويه نص فى كتابه على ما أورده بلفظه قال وأما ص فلا يحتاج الى أن يجعل اسما أعجميا لان وزنه فى كلامهم ولكنه يجوز أن يكون اسما للسورة فلا يصرف ويجوز أن يكون أيضا يس وص اسمين غير متمكنين فلزمان الفتح كما ألزمت الاسماء غير المتمكنة للحركات نحو كيف وأين وحيث وأمس اه كلام سيبويه وفيه رد على الزمخشرى رحمه الله فى حتمه أن تكون معربة وان فتحتها نصب أولا لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من مقوله آنفا وسيأتى له أيضا ما يدل على انه لا يجوز بناؤها البتة * أقول بعد تسليم أن الاول هو الظاهر من مراده فما ذكره حكاية عن سيبويه غير وارد عليه لانه اختار احد الوجهين (قال محمود رحمه الله هلا زعمت أنها مقسم بها الخ) قال أحمد رحمه الله وله البقاء على انها منصوبة على القسم وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه فى امثاله ويسلك حينئذ فى العطف سبيل * ولا سائق شيأ اذا كان جائيا * فان المقسم به وان كان منصوبا لانه محل

يعهد وفيه الخبر فعطف بالجر رعاية لذلك العهد وههنا أولى بالصحة منه فى بيت زهير المذكور لان انتصاب المقسم به انما نشأ عن حذف حرف
الجر الذى هو أصل فى القسم وانتصاب خبر ليس أصل فى نفسه ليس ناشئا عن حذف غايته أن حرف الجر قد يصحب خبرها دخلا فمراعاة
الاصل أجدر من مراعاة العارض فقد تحرر فى فتح ص وجهان أحدهما أن يكون اعرابا وهو واما جر على الوجه الذى ابداه الزمخشرى
أو نصب على الوجه الذى نقلته عن سيبويه ثانيهما أنه لا اعراب ولا بناء وهو عروضه على الوقف فى الحكاية (قال محمود رحمه الله فان قلت فما
وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من انها غير متمكنة ويدلك على ان
فتحها التى قال قبل انها لالتقاء الساكنين فتحة بناء أنه انما أراد السكون العارض فى الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه
أيضا (قال محمود رحمه الله هل تسوغ لى ١٢ فى المحكية ارادة القسم كما سوغت لى فى المعربة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد منع الزمخشرى أن يكون
ص منصوبا على القسم
لما تقدم وأجاز أن يكون
حم فى الحديث المذكور
منصوبة على القسم
بخلاف حم فى القرآن
فتلك يتعين أن يكون
نصبها على اضمار
الفعل أو مجرورة على
القسم وأما النصب مع
القسم فلا يجيزه الا فى
الحديث والفرق عنده
ان المانع من اجازته
فى القرآن مجىء
المعطوف بعده مخالفا
له فى الاعراب اذ
المعطوفات كلها مجرورة
ويتعذر عنده القسم
فى الثوانى خوفا من
جمع قسمين على مقسم
واحد ولا كذلك
الحديث فانه لم يأت
بعده ما يأباه فلذلك
خص جواز هذا الوجه
بالحديث وأما على
الوجه الذى أوضحته فيعم
جواز ذلك القرآن
والحديث جميعا (قال محمود رحمه الله فان قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على صورة الحروف الخ) قال أحمد رحمه الله على هذا المعنى علم
من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضى رضى الله عنه فى كتاب الانتصار فى الجواب عما نقل عن عثمان رضى الله عنه أن
عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفا من اللحن فقال لا يغيروها فان العرب ستقيمها بألسنتها فلو كان الكاتب من ثقيف والمملل
من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف قال القاضى وانما قال عثمان رضى الله عنه ذلك لان ثقيفا كانت أبصر بالهجاء وهذيلا كانت تظهر
الهمز والهمزة اذا ظهرت فى لفظ المملل كتبها الكاتب على صورتها فما أراد عثمان رضى الله عنه الا ان تلك الحروف كتبت على خلاف
قياس الخط مثل كتابة الصلوة والزكوة بالواو لا بالالف قال القاضى وانما أخذ الله على الحفظة ان لا يغيروا التلاوة واما الخط فلم يأخذ عليهم
رسما بعينه حتى لا يسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم الخط اه كلامه

نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن وآى الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة
* ألا رب من قلبى له الله ناصح * وقال آخر * فذاك أمانة الله الثريد * (قلت) ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح
محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل فى قوله عز وجل
والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء فى قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت
للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما أقسم بهذه الاشياء على شئ ولو كان انقضى قسمه بالاول
على شئ لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك
وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم
ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب
(فان قلت) فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه
أبوك غير أنها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو
ما أشرت اليه (قلت) هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال أقسم الله
بهذه الحروف (فان قلت) فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر (قلت) وجهها ما ذكرت من
التحريك لالتقاء الساكنين والذى يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الاسامى شاكلت لذلك
ما اجتمع فى آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء (فان قلت) هل تسوغ
لى فى المحكية مثل ما سوغت لى فى المعربة من ارادة معنى القسم (قلت) لا عليك فى ذلك وأن تقدر حرف القسم
مضمرا فى نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه وأما
قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره
(فان قلت) فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة (قلت) كأن المعنى فى ذلك الاشعار بأن الفرقان ليس
الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا (فان قلت) فما بالها
مكتوبة فى المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها (قلت) لان الكلم لما كانت مركبة من
ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالاسماء وتقع
فى الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح وأيضا فان شهرة أمرها واقامة
ألسن الاسود والاحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفردا لا يخطر ببال غير ما هو
عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها

علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه فى كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم فى الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه * الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء الا لأنه ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول أن يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا فى أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بانها أسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس فى لغة العرب ويؤدى أيضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا * فان اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل الى رده * أجابك بأن له محملا سوى ما يذهب اليه وأنه نظير قول الناس فلان يروى قفانبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله فى أولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد وهذه السور والآى وانما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التى تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمى بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا * الوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيأ من أهله حكم الاقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن دان بدينها فى شئ من الاحاطة بها فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد * واعلم أنك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر

(قال محمود رحمه الله الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد الخ) قال أحمد رحمه الله انما أردت هذا الفصل فى كلام الزمخشرى لانه غاية الصناعة ونهاية البراعة لولا الاخلال بلطيفة لو سلكها التمت فصاحته وهى انه بنى أول الكلام على النفى وطول فيه حتى انتهى الى الاثبات فكان أول الكلام ههنا لآخره يفهم على الضد حتى ينقضى على العد فهو كما انتقد على أبى الطيب قوله فى الخيل

ولا ركبت بها الا الى ظفر
ولا حصلت بها الا على أمل

فانه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب فى العرض مستدركا بعد وانما يؤاخذ بهذا مثل أبى الطيب والزمخشرى لان لهما فى مراتب الفصاحة علوا يفطن السامع لمثل هذا النقد (قال محمود رحمه الله واعلم انك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم الخ) قال أحمد رحمه الله بقى عليه من الاصناف الحروف الشديدة وقد ذكر تعالى نصفها الهمزة المعبر عنها بالالف والكاف والقاف والطاء والمطبقة وقد ذكر تعالى نصفها الصاد والطاء والمنفتحة وقد ذكر نصفها الالف والحاء والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وحروف الصفير لما كانت ثلاثا السين والصاد والزاى لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين السين والصاد وتلك العادة المأنوسة فيما يقصد الى تنصفه فلا يمكن فيتم الكسر ألا ترى طلاق العبد وعدة الامة ونحو ذلك والحروف اللينة وهى ثلاثة الالف والياء والواو وذكر منها اثنين الالف والياء كحروف الصفير

والمكرر وهو الراء والهاوي وهو الالف والمنحرف وهو اللام وقد ذكرها ولم يبق من أصناف الحروف خارجا عن هذا النمط الا ما بين الشدة والرخوة فانه لم يقتصر منها على النصف لان ما ذكر منها زائدا على النصف اندرج في غيرها من الاصناف فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية وأما الحروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين ولمن عدهما صنفين مميزين خبط طويل في جهة تميزهما حتى أبعد الزمخشري في مفصله في تميزهما فقال حروف الذلاقة التي يعتمد الناطق فيها على ذلق اللسان أي طرفه وهو تميز مردود جدا لان من جملتها الميم والباء والفاء ولا مدخل لطرف اللسان فيها ثم لا يتم على هذا التميز مطابقتها للمصمتة اذ المصمتة مفسرة عنده بأنها حروف

سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أنّ فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شئ حكمته وقد علمت أن معظم الشئ وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم * ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكرّرتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر (فان قلت) فهلا عددت بأجمعها في أوّل القرآن وما لها جاءت مفرّقة على السور (قلت) لان اعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل الى الغرض وأقرّ له في الاسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره (فان قلت) فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (قلت) هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرّفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوّعة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك (فان قلت) فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها (قلت) اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود (فان قلت) ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض (قلت) هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم

تكون عن تركيب كلمة رباعية فما زاد منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت فالحق انهما صنفان ضعيف تميزهما فلم يعتبر جريانهما على النمط المستمر في غيرهما من الاصناف البين امتيازها وعد الزمخشري في هذا النمط حروف القلقلة وذكر أن المذكور منها النصف القاف والطاء ووهم فانها خمسة أحرف لم يذكر منها في الفواتح سوى الحرفين المذكورين وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الاصناف على وجه يمكن الاستئناس اليه (قال محمود رحمه الله ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام الخ) قال أحمد رحمه الله الالف المذكورة في الفواتح يحتمل ان يكون المراد بها الهمزة اللينة وقد اضطرب فيها كلام الزمخشري في هذا الفصل فعند ما عدّ الحروف أربعة عشر حرفا في الفواتح قال انها نصف حروف العربية فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفا فلا بد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد اما اللينة او الهمزة والا كانت تسعة وعشرين والظاهر ان الساقط الهمزة وعند ما قال في تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الالفين في العدد والظاهر من كلامه ان الالف عنده هي اللينة فلذلك علل تسميتها بالالف بأن النطق لما تعذر بها اوّلا استقرت الهمزة مكانها وفاء برعاية تلك اللطيفة التي قدمها من جعل مسمى الحرف اول اسمه واما عند النحاة فالالف المعدودة في حروف المعجم مفردة هي الهمزة واما اللينة فهي المعدودة مع اللام حيث يقولون لام ألف ويكتبونها على صورة لا فآية

فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحمعسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية (فان قلت) فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية (قلت) كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف (فان قلت) ما حكمها في باب الوقف (قلت) يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله أى هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو (فان قلت) هل لهذه الفواتح محل من الاعراب (قلت) نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام (فان قلت) ما محلها (قلت) يحتمل الاوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة * (فان قلت) لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد (قلت) وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به (فان قلت) لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة (قلت) لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وان جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

(فان قلت) أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم (قلت) ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال * هم القوم كل القوم يا أم خالد * وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف أى هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر * والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يربه أحد بشئ (فان قلت) كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (قلت) ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما محل هذه الفواتح من الاعراب الخ) قال أحمد رحمه الله وانما اجاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور فاما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فانه لا يجيز فيه النصب مع القسم البتة ويحمله على اضمار فعل أو على أن الفتح في موضع الجر واما على وجه بدئه فيما تقدم فيجوز النصب مع القسم في جميعها فخذ به عهدا وعلى النصب باضمار فعل أعربها سيبويه في كتابه * قوله تعالى ذلك الكتاب (قال محمود رحمه الله ان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد الخ) قال أحمد رحمه الله ولان البعد هنا باعتبار علو المنزلة وبعد مرتبة المشار اليه من مرتبة كل كتاب سواه كما

ذلك الكتاب لا ريب فيه

يقطعون بثم للاشعار بتراخي المراتب وقد يكون المعطوف سابقا في الوجود على المعطوف عليه وسيأتي أمثاله (قال محمود رحمه الله فان قلت لم ذكر اسم الاشارة الخ) قال أحمد رحمه الله ولو مثل ذلك بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أقوم واسلم من الفرق بما في لفظ من من الابهام الصالح للمذكر والمؤنث ومثل هذا قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فمن وصل الكلام فجعل هم العدو جملة في موضع المفعول الثاني ليحسبان وعدل عن ان يقول هي العدو ونظر الى المفعول الثاني الذي هو في المعنى خبر عن الصيحة فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر في المعنى وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشري وتسمى الجملة بالتاء والياء عقيب قوله والكلام هو المركب من كلمتين بهذا التوجيه * قوله تعالى هدى للمتقين

(قال محمود رحمه الله ان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون الخ) قال أحمد رحمه الله الهدى يطلق في القرآن على معنيين احدهما الارشاد وايضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار انه رشد الى الحق سواء حصل له الاهتداء أولا والآخر خلق الله تعالى الاهتداء في قلب العبد ومنه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فاذا ثبت وروده على المعنيين فهو في هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا وأما قول الزمخشري ان القرآن لا يكون هدى للمعلوم بقاؤهم على الضلالة فانما يستقيم اذا أريد بالهدى خلق الاهتداء في قلوبهم وأما اذا أريد معناه الاول فلا يمتنع ان الله تعالى أرشد الخلق أجمعين وبين للناس ما نزل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا مذهب اهل السنة (قال محمود رحمه الله واختلف في الصغائر الخ) قال أحمد رحمه الله ومن تمنى القدرية على الله تعالى اعتقادهم

الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة (فان قلت) فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول (قلت) لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك (فان قلت) فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون (قلت) هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكتنف الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أي صائرا الى الفجور والكفر (فان قلت) فهلا قيل هدى للضالين (قلت) لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده * والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا أصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شئ يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك * واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ

فيه هدى للمتقين

أن الصغائر ممحوة عنهم ما اجتنبوا الكبائر وانه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر كما يجب عندهم أن لا يعفو عن مرتكب الكبائر وهذا هو الخطأ الصراح والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح والحق ان غفران الصغائر وان اجتنبت الكبائر موكول الى المشيئة كما ان غفران الكبائر موكول اليها أيضا ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون الى الوقوف عند قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فانه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر ويتحيرون عند قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فانه مصرح بمغفرة الكبائر أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان التقييد بالمشيئة في هذه يقضي على الآيتين المطلقتين

محذوف

محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جىء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السرى من نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد وايراده منكرا والايجاز فى ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه

الذين يؤمنون بالغيب

* قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب

(الذين يؤمنون) اما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعنى الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما (فان قلت) ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا (قلت) يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيآت أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذى هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذى اذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصى ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات * والايمان افعال من الامن يقال أمنته وآمنته غيرى ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أى ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أى ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب أى يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للايمان وأن يكون فى موضع الحال أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ويعضده ما روى أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان أمر محمد كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن مؤمن أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية (فان قلت) فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا (قلت) ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشىء غيبا كما سمى

(قال محمود رحمه الله تعالى ان قلت ما معنى الايمان الصحيح الخ) قال أحمد رحمه الله يعنى بالفاسق غير مؤمن ولا كافر وهذا من الاسماء التى سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل السنة ان الموحد لله الذى لا خلل فى عقيدته مؤمن وان ارتكب الكبائر وهذا الصحيح لغة وشرعا أما لغة فان الايمان هو التصديق وهو مصدق وأما شرعا فاقرب شاهد عليه هذه الآية فانه لما عطف فيها العمل الصالح على الايمان دل على ان الايمان معقول بدونه ولو كان العمل الصالح من الايمان لكان العطف تكرارا وانظر حيلة الزمخشرى على تقريب معتقده من اللغة بقوله المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من حظ العمل حتى يتم له ان من لم يعمل فقد فوت التصديق الذى هو الايمان لغة ولقد أوضحنا ان التصديق انما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح فانما يحقق معتقد أهل السنة ان من آمن 18 بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وان لم يعمل وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى اذا لم يبق بينه وبينها الا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فكتب من أهل الجنة وانما مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لانه الغاية فى القصر

ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون

ومثل هذا الزمان انما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة وانما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين والادلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شططا * أقول تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشئ الذى هو لم يصرح به لا يجب علينا تصريحه وتعريفه فان عندنا الضال من أخل بالعمل فهو فاسق * قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون (قال محمود رحمه الله أضاف الرزق الى نفسه للاعلام بانهم انما ينفقون من الحلال المطلق الخ) قال أحمد رحمه الله فهذه بدعة قدرية فانهم يرون ان الله تعالى لا يرزق الا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الارزاق قسمين هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه واذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن اثبات رازق غيره أما أهل السنة فلا خالق ولا رازق فى عقدهم الا الله سبحانه تصديقا بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون أيها القدرية

الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التى تكون فى موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت وانما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفى الذى لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (فان قلت) ما الايمان الصحيح (قلت) أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق * ومعنى اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود اذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت وأقامها قال

أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا

لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت وأضيعت كانت كالشئ الكاسد الذى لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وأن لا يكون فى مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفى ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين * والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودى اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثنى على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعى مصل تشبيها فى تخشعه بالراكع والساجد * واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذى يستأهل أن يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهى الصلاة وأن تراد هى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشئ وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشئ ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت * (فان قلت) والذين يؤمنون أهم غير الاولين أم هم الاولون وانما وسط العاطف كما وسط بين

الصفات

بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

الصفات فى قولك هو الشجاع والجواد وفى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله

يالهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

(قلت) يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحى أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح فى الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجرى حالهم فى التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك انما احتيج اليه فى هذه الدار من أجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم فى الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (فان قلت) فان أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون فى جملة المتقين أم لا (قلت) ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمنى أهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك * (فان قلت) قوله بما أنزل اليك ان عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضى وان أريد المقدار الذى سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب (قلت) المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشئ الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضى منه فحسب دون الآتى لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمى فاعله * وفى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذى هو نقيض الاول وهى صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ أبو حية النميرى يؤقنون بالهمز جعل الضمة فى جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذ أضاءهما الوقود

(أولئك على هدى) الجملة فى محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجئ بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التى استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أى الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك

الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا * واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه (فان قلت) هل يجوز أن يجري الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره (قلت) نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو أولئك ايذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي

فلا وأبي الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

* والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان * وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها (فان قلت) لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (قلت) قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل * وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك * ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك أن انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي * لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته (فان قلت) لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة (قلت) ليس وزان هاتين

القصتين

القصتين وزان ماذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين فى الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف (فان قلت) هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فأما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر فى صفة أضدادهم كان مثل تلك الآى المتلوّة (قلت) قد مرّ لى أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبنى على تقدير سؤال فذلك ادراج له فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى وان كان مبتدأ فى اللفظ فهو فى الحقيقة كالجارى عليه * والتعريف فى (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم و (سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فى أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان (فان قلت) الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه فى هذا الكلام (قلت) هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون فى مواضع من كلامهم مع المعانى ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجرّدتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما فى علم المستفهم عنهما لانه قد علم أن أحد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين * وقرئ (أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسط ألف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح (فان قلت) ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا (قلت) هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الاول حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثانى اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى * (فان قلت) ما موقع (لا يؤمنون) (قلت) اما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لان والجملة قبلها اعتراض * الختم والكتم أخوان لان فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه * والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة (فان قلت) ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار (قلت) لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لانها لا تجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك وأما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها فى الاغراض الدينية التى كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة فى اللسان والعى ختما عليه فقال

ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

*قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (قال محمود رحمه الله والهمزة وأم مجرّدتان لمعنى الاستواء الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا النقل استعمال الحرف فى أعم معناه فالهمزة المعادلة لأم موضوعة فى الاصل للاستفهام عن أحد متعادلين فى عدم علم التعين فنقلت الى مطلق المعادلة وان لم يكن استفهاما واستعملت فى الجزء الحقيقى وكذلك حرف النداء موضوع فى الاصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل الى مطلق التخصيص ولا نداء كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الاربع وان كانت فى الاصل لكل مادب فقد يكون بالتعميم والتعدى مثل تسمية الرجل الشجاع أسدا نقلا لهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف الى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الاصلى *قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف أسند الختم الى الله تعالى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا أوّل عشواء خبطها في مهواة من الاهواء هبطها حيث نزل من منصة النص الى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها * الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه انه لا حادث الا بقدرة الله تعالى لا شريك له والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات * الثانية مخالفة دليل النقل المضاهي لدليل العقل كامثال قوله تعالى الله خالق كل شئ هل من خالق غير الله وهذه الآية أيضا فان الختم فيها مسند الى الله تعالى نصا والزمخشري رحمه الله لا يأبى ذلك ولكنه يدعي الالتجاء الى تأويلها الدليل قام عنده علة فاذا ثبت ان الدليل العقلي على وفق مادلت عليه وجب عليه ابقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهر الوجب تأويلها بالدليل جمعا بين العقل والنقل * الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبحا الى الله تعالى تنزيها على زعمه ان الاشراك به في اعتقاد ان الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حميم البدعة موارد العذاب * الرابعة الغلط باعتقاد ان ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا في الشاهد وجب على زعمه ان يكون قبيحا من الغائب وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها في فنها * الخامسة اعتقاده ان ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه عن الظلم بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد ومن الظلم المبين جهل حقيقة الظلم فانه التصرف في ملك الغير بغير اذنه فكيف يتصوّر ثبوت حقيقته لله تعالى وكل مفروض محصور بسور ملكه عز وجل الملك لله الواحد القهار * السادسة انه فر من اعتقاد نسبة الظلم الى الله تعالى فتورط فيه الى عنقه لانه قد جزم بان المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما فيقال له وقد قام البرهان على انه من فعل الله تعالى فيلزمك أن يكون ظلما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والخيال الذي يدندن حوله هؤلاء أن افعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذا الشبه قد أجراها في ادراج كلامه المتقدم فيقال لهم لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده فان أسندوا هذه الملازمة وكذلك يفعلون الى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما اذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائبا قيل لهم ويقبح في الشاهد أيضا أن يمكن الانسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه ورده من الاول عنها وأنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عز وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك فهو بمثابة اعطاء سيف بتار لفاجر يعلم انه يقطع به السبيل ويسبي به الحريم وذلك في الشاهد قبيح جزما فسيقولون أجل انه لقبيح في الشاهد ولكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شئ ولم يحسن ذلك في الشاهد وفي هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتتنكس أعلامهم اذا لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين فيقال لهم ما المانع أن تكون تلك الافعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء فلم لا يسلك أحدكم الطريق الاعدل وينظر عاقبة هذا الامر فيصيرآخرا أوّل وليفوض من الابتداء الى خالقه ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم ويسلك مهتديا بنور العقل ومقتديا بدليل الشرع الصراط المستقيم فان نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التميز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريبا فاذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به الى أن انحرف عن مضايق الجبر فاز أن يلوح به شيطان الضلال الى مهامه الاعتزال فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على ان لا فاعل ولا خالق الا الله تعالى فاذا وقف لم يقف الا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى ما راعليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف فليتأمل الناظر هذا الفصل ويتخذه وزره في قاعدة الافعال يقف على الحق ان شاء الله تعالى

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر
واذا أراد النطق خلت لسانه * لجما يحركه لصقر ناقر

(فان قلت) فلم أسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل (قلت) القصد الى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشئ الخلقي غير العرضي ألا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه

هلاكه ولا فى طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله فى هلاكه بحال من سال به الوادى وفى طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافى عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التى هى فى خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعى شيأ ولا تفقه وليس له عز وجل فعل فى تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الاسناد فى نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الاسد فى جراءته فيستعار له اسمه فيقال فى المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفى عكسه سيل مفعم وفى المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفى الزمان نهاره صائم وليله قائم وفى المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفى المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال * اذا ردّ عافى القدر من يستعيرها * فالشيطان هو الخاتم فى الحقيقة أو الكافر الا أن الله سبحانه لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق الى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض فى التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم فى التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهى الغاية القصوى فى وصف لجاجهم فى الغىّ واستشرائهم فى الضلال والبغى ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره فى الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (فان قلت) اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية فعلى أيهما يعوّل (قلت) على دخولها فى حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم (فان قلت) أىّ فائدة فى تكرير الجارّ فى قوله وعلى سمعهم (قلت) لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع فى تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم فى الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن فى قوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا أمن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر فى أصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن فى قوله وفى آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أى وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبى عبلة وعلى أسماعهم (فان قلت) هلا منع أبا عمرو والكسائىّ من امالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد (قلت) لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فكان فيها كسرتين وذلك أعون شئ على الامالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائى ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ (غشاوة) بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا * والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش أى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا أى عقابا يرتدع به الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم

غشاوة ولهم عذاب عظيم

(قال محمود رحمه الله اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم الغشاوة الخ) قال أحمد رحمه الله وكان جدى رحمه الله يذكر هذا ويزيد عليه ان الاسماع والقلوب لما كانت محوية كان استعمال الختم لها أولى والابصار لما كانت بارزة وادراكها متعلق بظاهرها كان الغشاء لها أليق

فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة * افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرّهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم اليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة * وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لأصله انسان وأناس وأناسيّ وانس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول ألا تراك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المارّ ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام * ومن في (من يقول) موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبيّ (فان قلت) كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم (قلت) الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية * (فان قلت) لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر (قلت) اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الايمان الحقيقيّ كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوّله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادّعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام * (فان قلت) كيف طابق قوله وماهم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأوّل في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل (قلت) القصد الى انكار ما ادّعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدّى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين

يخرجون منها (فان قلت) فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول (قلت) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالاطلاق أنهم ليسوا من الايمان في شئ قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما (فان قلت) ما المراد باليوم الآخر (قلت) يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده * والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فان قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى الى قوله * واستمطروا من قريش كل منخدع * وقول ذي الرمة * ان الحليم وذا الاسلام يختلب * فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع (قلت) فيه وجوه * أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم * والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم * والثالث أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله * والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا والغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله (فان قلت) هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح (قلت) وجهه أن يقال عني به فعلت الا أنه أخرج في زنة فاعلت لان الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الغث والسمين ونحن ننبه على ما فيه من الزبد ليتم للناظر أخذ ما فيه من السنة آمنا من التورط في وضر البدعة مستعينين بالله وهو خير معين فما خالف فيه السنة قوله ان الله تعالى عالم بذاته بلا علم وهذا مما وسمت به المعتزلة في المقدمة من أنهم يجحدون صفات الكمال الالهي يبغون بذلك زعمهم التوحيد والتنزيه ومعتقد أهل السنة أن الله تعالى عالم بعلم قديم أزلي متعلق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم تعلقه بالكليات والجزئيات الى ما وراءها من البراهين ٢٥ الكلامية على ذلك ولسنا بصدد ذكرها في هذا الكتاب * ومما خالف فيه السنة اعتقاده ان في الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى لانه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع في هذه الآية وما جره الى هاتين النزغتين الا اعتقاده أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا الا بانه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا يخدع اذ نسبة الذات الى الكائنات نسبة واحدة ولا يتم استحالة كونه تعالى خادعا الا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لانه قبيح على زعمهم ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه فنحن معاشر أهل السنة نعتقد ان الله تعالى عالم بعلم ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعا لان علمه عندنا عام التعلق كما وصفنا ونعتقد انه لا يصدر كائن في الوجود الا عن قدرته لا غير ومع ذلك نمنع أن ينسب الخداع الى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه انما يكون عن عجز عن المكافحة واظهار المكتوم هذا هو الموهوم منه في الاطلاق ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا ان المراد منه انه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة والا فهو قادر على هتك سترهم وانزال العذاب بهم رأي العين فهذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وأمثالها الا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق وكذلك الخداع المنسوب اليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم افعال المخادع على ظنهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفسه تعقيب اثباته في قوله وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ففي هذه التتمة نفي احتمال الحقيقة حتى يتعين جهة المجاز صدق نفيه فتأمل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل

فاعله جاء أبلغ وأحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من
قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة و (يخادعون) بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه
قيل ولم يدّعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون (فان قلت) عمّ كانوا يخادعون
(قلت) كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا
يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان
اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي
كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم (فان قلت) فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم
عنها (قلت) لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس
وذرّيته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه
تعالى من المصلحة * (فان قلت) ما المراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) (قلت) يجوز أن يراد وما
يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان
يضارّ فلانا وما يضارّ الا نفسه أي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم
في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم
بالاماني وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع
ويخدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسمّ فاعله * والنفس ذات الشئ
وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به ألا ترى الى قولهم المرء بأصغريه وكذلك
بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ
حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في
الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرّج كأنهم أرادوا داعي النفس وهاجسي النفس
فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما
بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم
لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم * والشعور علم
الشئ علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي
غفلتهم كالذي لا حس له * واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما
تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغلّ والحسد والميل الى
المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما
استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغلّ
والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم
البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم
حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبيّ وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن
يعصبوه بالعصابة فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الاسلام تهب حينا ثم
تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين
الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم
الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب
مسيرة شهر * ومعنى زيادة الله اياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى

كفرهم

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

* قوله تعالى وما يشعرون الآية (قال محمود رحمه الله تعالى والشعور علم الشئ علم حس الخ) قال أحمد رحمه الله اتضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشئ من ناحية الحس الخ انه لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق عودا بينا جليا محسوسا نعى عليهم جهلهم بالمحسوس فنفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتمييزه عن الباطل فانه أمر عقلي نظري

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا

كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناداً للفعل الى المسبب له كما أسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجساً الى رجسهم لكونها سبباً أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطاً في البلاد ونقصاً من أطراف الارض ازدادوا حسداً وغلاً وبغضاً وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبناً وخوراً ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضاً بسكون الراء * يقال ألم فهو (أليم) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد * والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الاليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما روي عن ابراهيم عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعاً اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشئ وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الابل أو من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحاً والاول أوجه * والفساد خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساداً ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدياً الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا أقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شئ كقولك انما ينطلق زيد أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى (انما نحن مصلحون) أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد و (ألا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها * أما والذي لا يعلم الغيب غيره * أما والذي أبكى وأضحك * ردّ الله ما ادّعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الاولين من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله (لا يشعرون) أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجرّه الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسدّ من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة (فان قلت) كيف صح أن يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح (قلت) الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب * وما في (كما) يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت * واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه أو هم ناس معهودون

كعبدالله بن سلام وأشياعه لانهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أى كما آمن أصحابكم واخوانكم أوللجنس أى كما آمن الكاملون فى الانسانية أوجعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم فى فقد التمييز بين الحق والباطل * والاستفهام فى (أنؤمن) فى معنى الانكار واللام فى (السفهاء) مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم أعرق الناس فى السفه (فان قلت) لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح (قلت) لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف أنفسهم اعتقدوا أن ماهم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا فى رياسة وسطة فى قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبدالله ابن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت فى أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (فان قلت) فلم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون (قلت) لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له * مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك فى بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما فى قلوبهم وروى أن عبدالله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت * ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جارى ملاقى ومراوقى وقرأ أبو حنيفة واذا لاقوا * وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا وأذمه اليك * وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان فى موضع من كتابه أصلية وفى آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل (انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم (فان قلت) لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان (قلت) ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لانهم فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين مثلهم فى التوراة والانجيل ألا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا وأما مخاطبة اخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (فان قلت) أنى تعلق قوله (انما نحن مستهزؤن) بقوله انا معكم (قلت) هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه

أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن

* قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية الخ) قال أحمد رحمه الله وبنى هذا التقرير على ان الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصا مؤكدة بان مردفة باغا على انه قد حكى ايمان المؤمنين المخلصين بالجملة الفعلية أيضا فى قوله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشرى رحمه الله فى تقريره ما شاء وأجمل ما أراد

الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن ردّ للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدّا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح أنكم معنا توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن * والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكانى وناقته تهزأ به أى تسرع وتخف * (فان قلت) لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم (قلت) معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذى يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم فى كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر فى يخادعون من أنه يجرى عليهم أحكام المسلمين فى الظاهر وهو مبطن بادّخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (فان قلت) كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله (قلت) هو استئناف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له فى مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله (فان قلت) فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (قلت) لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون فى أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول فى شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون (ويمدهم فى طغيانهم) من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وأمده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه (فان قلت) لم زعمت أنه من المدد دون المد فى العمر والاملاء والامهال (قلت) كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على أن الذى بمعنى أمهله انما هو مد له مع اللام كأملى له (فان قلت) فكيف جاز أن يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى الى قوله تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغىّ (قلت) اما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا وأسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على أن يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده (فان قلت) فما حملهم على تفسير المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه (قلت) استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على أن يسندوا الى الله ما أسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع * والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرأ زيد بن علىّ رضى الله عنه فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان

* قوله تعالى انما نحن مستهزؤن الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يجعله معطوفا الخ) قال أحمد رحمه الله فان قال قائل أفلا يستفاد هذا المعنى من العطف قيل له لو عطف لاشعر بان الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين واعراض عن هذا المعنى الذى ينفرد به الاستئناف (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم الخ) قال أحمد رحمه الله ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشىّ والاشراق والطير محشورة لما كان التسبيح من الطوائف متكررا متجددا شيأ فشيأ وحشر الطير معه أمر دائم ذكر التسبيح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم وسيأتى ان شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه *قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا من الطغيان الخ) قال أحمد رحمه الله ما عنعنه أن يقره على ظاهره ويبقيه فى نصابه الا انه توحيد محض وحق صرف والقدرية من التوحيد على مراحل

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما النكتة فى اضافة الطغيان اليهم الخ) قال أحمد رحمه الله كل فعل صدر من العبد اختيارا فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصص فانسب ذلك الى قدرة الله وحده وارادته لا شريك له وان نظرت الى تميزه عن القسر الضرورى فانسبه فى هذه الجهة الى العبد وهى النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب فى أمثال قوله تعالى بما كسبت أيديكم وهى المتحققة أيضا اذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الدغشية مثلا والاختيارية فانك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة فاذا تقرر تعدد الاعتبار فهم فى الطغيان مخلوق لله تعالى فأضافه اليه ومن حيث كونه واقعا منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

اليهم ففرع على أصول السنة بحسن ثمار فروعك فى الجنة لا كما تفرع القدرية فانهم يجبون ولكن على أنفسهم ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق * قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (قال محمود رحمه الله الشراء يستدعى بذل العوض الخ) قال أحمد رحمه الله ومن هذا القبيل منع مالك رضى الله عنه أن يشترى احدى أوزتين مذبوحتين يختارها المشترى منهما لانه يعد مختار الكل واحدة منهما ثم بائعا لها بالاخرى فيدخله الربا وهو الذى يعبر عنه متأخروا أصحابه بان من ملك أن يملك هل يعد مالكا أولا وربما قالوا فكذلك من خير بين شيئين عد منتقلا على أحد القولين (قال محمود رحمه الله فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا النوع قريب من التتميم الذى عثله أهل صناعة البديع بقول الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار لما شبهته فى الاهتداء به بالعلم المرتفع اتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت الى ذلك ظهورا آخر باشتعال النار فى رأسه

وغنيان وغنيان (فان قلت) أى نكتة فى اضافته اليهم (قلت) فيها أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد اليه على الطريق الذى ذكر أضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد الى الشياطين أطلق الغى ولم يقيده بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى * والعمه مثل العمى الا أن العمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها * ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا حيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة (فان قلت) كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت) جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه فى أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين * والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف * والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبى عبلة تجاراتهم (فان قلت) كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها (قلت) هو من الاسناد المجازى وهو أن يسند الفعل الى شىء يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين (فان قلت) هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى (قلت) نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح (فان قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها وأخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كأن أذنى قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا للقلب أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى أمه

فما أم الردين وان أدلت * بعالمة بأخلاق الكرام

اذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التوام

أى اذا دخل الشيطان فى قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا فى ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما شاكله وواخاه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته (فان قلت) فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (قلت) معناه أن الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيآن سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق فى أيديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر * لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابى ولامر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير (فان قلت) ما معنى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه (قلت) قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن (فان قلت) كيف مثلت الجماعة بالواحد (قلت) وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى أسماء الفاعلين والمفعولين والثانى أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت * ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل فى الجبل اذا صعد وعلا * والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق * والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها * والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبى عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر فى الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة فى معنى الامكنة * وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور (فان قلت) أين جواب لما (قلت) فيه وجهان أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم) والثانى أنه محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد

بما هو أبلغ من اللفظ فى أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح فى احياء النار (فان قلت) فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم (قلت) يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذى طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (فان قلت) قد رجع الضمير فى هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه فى الوجه الثانى (قلت) مرجعه الذى استوقد لانه فى معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده فى حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى فى قوله (ذهب الله بنورهم) (قلت) اذا طفئت النار بسبب سماوى ريح أو مطر فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد فى هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى الى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم (فان قلت) كيف صح فى النار المجازية أن توصف باضاءة ما حول المستوقد (قلت) هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره (فان قلت) هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت (قلت) ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم فى ظلمات) والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) (فان قلت) فلم وصفت بالاضاءة (قلت) هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به اذا الذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الاذهاب وقرأ اليمانى أذهب الله نورهم * وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبى ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ومنه قوله وتركهم فى ظلمات أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليمانى فى ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون (فان قلت) فيم شبهت حالهم بحال المستوقد (قلت) فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا فى حيرة (فان قلت) وأين الاضاءة فى حال المنافق وهل هو أبدا الا حائر خابط فى ظلماء الكفر (قلت) المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه أن يراد الطبع لقوله (صم بكم عمى) وفى الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم * كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله

وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم

صمٌ اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

* أصمّ عما ساءه سميع *

أصم عن الشئ الذى لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد

فأصممت عمرا وأعميته * عن الجود والفخر يوم الفخار

(فان قلت) كيف طريقته عند علماء البيان (قلت) طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء وقد جاءت الاستعارة فى الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام وأضاء الحق (فان قلت) هل يسمى ما فى الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء

ولبعضهم لا تحسبوا أن فى سربالهم رجلا * ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فأتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

ومعنى (لا يرجعون) أنهم لا يعودون الى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه * ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

ترمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات وألا ترى الى ذى الرمة كيف صنع فى قصيدته

أذاك أم نمش بالوشى أكرعه * أذاك أم خاضب بالسى مرتعه

(فان قلت) قد شبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق (قلت) لقائل أن يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا (فان قلت) هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ وفى قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(قلت) كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف

لا يرجعون أو كصيب

لواحد واحد شئ يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق (فان قلت) الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوى صيب هل تقدر مثله فى المركب منه (قلت) لولا طلب الراجع فى قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لانى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى الى قوله انما مثل الحياة الدنيا الآية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قول لبيد

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية (فان قلت) أى التمثيلين أبلغ (قلت) الثانى لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخروهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ (فان قلت) لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (قلت) أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ * وأسحم دان صادق الرعد صيب * وتنكير صيب لانه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول * وقرئ كصائب والصيب أبلغ * والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف (فان قلت) قوله (من السماء) ما الفائدة فى ذكره والصيب لا يكون الا من السماء (قلت) الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء فى قوله وأوحى فى كل سماء أمرها والدليل عليه قوله * ومن بعد أرض بيننا وسماء * والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد (فان قلت) بم ارتفع (ظلمات) (قلت) بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف * والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد * والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اذا لمع (فان قلت) قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته (قلت) أما ظلمات السحاب فاذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل (فان قلت)

كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب (قلت) اذا كانا فى أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به فهما فيه ألاترى تقول فلان فى البلد وما هو منه الافى حيز يشغله جرمه (فان قلت) هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالابلغ كقول البحترى ياعارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين فى الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وان أريد معنى الجمع والثانى أن يراد الحدثان كأنه قيل وارعادوابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف * وجاز رجوع الضمير فى يجعلون الى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أوهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ألاترى الى حسان كيف عوّل على بقاء معناه فى قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولامحل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) * ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (فان قلت) رأس الاصبع هو الذى يجعل فى الاذن فهلا قيل أناملهم (قلت) هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذى هو الى المرفق والذى الى الرسغ وأيضا فى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل (فان قلت) فالاصبع التى تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألاترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة (فان قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هى ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد وانما أحدثوها بعد وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لاتمر بشئ الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أى مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق ومنه قوله تعالى وخرّ موسى صعقا * وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء فى التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألاترى تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف وبناؤها اما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما فى الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية * وقرأ ابن أبى ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله * وأغفر عوراء الكريم ادّخاره * والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة * واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لامحل لها * والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء وعن زيد بن على يخطف من خطف وعن أبى يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فأصمهم أو فى ضوء البرق فأعماهم وأضاء اما متعد بمعنى كلما نوّر لهم ممشى ومسلكا أخذوه

يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم

* قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم الآية (قال محمود رحمه الله فان قلت المجعول من الاصابع فى الآذان رؤسها الخ) قال أحمد رحمه الله لان فيه اشعارا بانهم يبالغون فى ادخال أصابعهم فى آذانهم فوق العادة المعتادة فى ذلك فرارا من شدة الصوت (قال محمود رحمه الله فان قلت فالاصبع التى تسد بها الاذن الخ) قال أحمد رحمه الله لاورود لهذين السؤالين * أما الاول فلانه غير لازم ان يسدوا فى تلك الحالة بالسبابة ولابد فانها حالة حيرة ودهش فأى اصبع اتفق أن يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد فى ذلك فذكر مطلق الاصابع أدل على الدهش والحيرة أو فلعلهم يؤثرون فى هذه الحال سد آذانهم بالوسطى لانها أصم للاذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة وأما السؤال الثانى فمفرع على الاول وقد ظهر بطلانه وأيضا ففيه مزيد ركاكة اذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال أمثالهم من ذوى الحيرة فكيف يليق أن يكنى عن أصابعهم بالمسبحات ولعل ألسنتهم ما سبحت الله قط ثم اذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعانى فى الاذهان تصوّر المحسوسات فذلك خليق بذكر الصرائح واجتناب الكنايات والرموز

* قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير (قال محمود رحمه الله وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الذي أورده خطأ على الاصل والفرع أما على الاصل فلان الشيء لا يتناول الا الموجود عند أهل السنة وأما على الفرع فلانا وان فرعنا على معتقد القدرية والشيء عندهم انما يتناول الموجود والمعدوم الذي يصح وجوده فلا يتناول المستحيل اذا على هذا التفريع فايراده اياه نقضا غير مستقيم على المذهبين وأما المقدور بين قادرين فانها ورطة انما يشتاق اليها القدرية الذين يعتقدون أن ما تعلقت به قدرة العبد استحال أن يتعلق به قدرة الرب اذ قدرة العبد خالقة فيستغني الفعل بها عن قدرة خالق آخر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا وأما أهل السنة فالقادر الخالق عندهم واحد وهو الله الواحد الاحد فتتعلق قدرته تعالى بالفعل فيخلقه ويتعلق به قدرة العبد تعلق اقتران لا تأثير فلذلك لم يخلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير وقد حشي الزمخشري في أدراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها وجعل الله تعالى قادرا بالذات لا بالقدرة دس ذلك تحت قوله وفي الاشياء ما لا تعلق به لذات القادر ولم يقل لقدرة القادر فليتفطن لدفائنه وكم من ضلالة استدسها في هذه المقالة والله الموفق * فان قيل أيها الاشعرية اذا كان الشيء عندكم هو الموجود فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ان الله على كل شيء قدير * قلنا القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذ شيئا فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة الى الشيء حتما صح اطلاق الشيء عليه وهو من وادي من قتل قتيلا فله سلبه واذا سموا الشيء باسم ما يؤول اليه غالبا فما يؤول اليه حتما أجدر

مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم

والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم (مشوا) في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو (فان قلت) كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا (قلت) لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس * وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس

هما أظلما حالي ثمت أجليا * ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى (قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد * ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله * فلو شئت أن أبكي دما لبكيته * وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق * وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم * والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال (فان قلت) كيف قيل (على كل شيء قدير) وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر (قلت) مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه (فان قلت) مم اشتقاق القدير (قلت) من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز * لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول * وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة

من

من سهاوغفل وان قرب تنزيلاله منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا (فان قلت) فما بال الداعي يقول فى جؤاره يارب و ياالله وهو أقرب اليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر (قلت) هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله * وأىّ وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما أن ذو والذى وصلتان الى الوصف بأسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو أىّ والاسم التابع له صفته كقولك يازيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدرّج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أىّ من الاضافة (فان قلت) لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره (قلت) لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لانّ كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (فان قلت) لا يخلو الامر بالعبادة من أن يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا أو الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل

فلو انى فعلت كنت كمن تسـ * ـأله وهو قائم أن يقوما

وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرّون به فكيف يعبدونه (قلت) المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها

الذى خلقكم والذين من قبلكم

واقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فشروط فيها ما لا بدّ لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بدّ للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على أن مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله (فان قلت) فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها (قلت) الازدياد من العبادة عبادة وليس شيأ آخر (فان قلت) ربكم ما المراد به (قلت) كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها أربابا وكان قوله (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا أن الاوّل أوضح وأصح والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدّرها وسوّاها بالمقياس وقرأ أبو عمرو وخلقكم بالادغام * وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن علىّ والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها أن يقال أقحم الموصول الثانى بين الاوّل وصلته تأكيدا كما أقحم جرير فى قوله * ياتيم تيم عدىّ لا أبا لكم * تيما الثانى بين الاوّل وما أضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه فى لا أبا لك * ولعل للترجى أو الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمنى ولعله يهيننى وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعلّ الساعة قريب ألا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولعل لا تكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون أنفسهم على انجازها على أن يقولوا عسى ولعلّ ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا اخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فاذا عثر على شئ من ذلك منهم لم

لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات

يبق للطالب ماعندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذى العز والكبرياء
أو يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم (فان قلت) فلعل التى فى الآية مامعناها وماموقعها (قلت)
ليست مماذكرناه فى شئ لان قوله (خلقكم * لعلكم تتقون) لايجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء
لايجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة
فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول
والشهوات وأزاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم
الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت
حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وانما يبلو ويختبر
من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار (فان قلت) كما خلق المخاطبين لعلهم
يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم (قلت) لم يقصره عليهم ولكن
غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا (فان قلت) فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا
أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم (قلت) ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدى ذلك الى تنافر
النظم وانما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى
غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد الزاما لها وأثبت لها فى النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل
خريطة الكتب فما ملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع
* قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لانه سابقة أصول النعم
ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى
لابد لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة
على هذا القرار ثم ماسواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به
من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبنى آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى
النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق أنفسهم
وخلق مافوقهم وتحتهم وأن شيأ من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شئ منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد
لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ماهو عليه قادر
والموصول مع صلته اما أن يكون فى محل النصب وصفا كالذى خلقكم أو على المدح والتعظيم واما أن يكون
رفعا على الابتداء وفيه مافى النصب من المدح * وقرأ يزيد الشامى بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا
وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده
(فان قلت) هل فيه دليل على أن الارض مسطحة وليست بكرية (قلت) ليس فيه الا أن الناس يفترشونها كما
يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم
حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها واذا كان متسهلا فى الجبل وهو وتد من أوتاد الارض فهو فى الارض
ذات الطول والعرض أسهل * والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب
أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا * (فان قلت) * مامعنى
اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته (قلت) المعنى أنه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة
لها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الاجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس
الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعى
يجدد فيها الملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى
عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك فى انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب * ومن فى (من الثمرات)

قوله تعالى لعلكم تتقون (قال محمود رحمه الله لعل واقعة فى الآية موقع المجاز الخ) قال أحمد رحمه الله كلام سديد الا قوله وأراد منهم التقوى والخير فانه كلام أبرزه على قاعدة القدرية والصحيح والسنة ان الله تعالى أراد من كل أحد ماوقع منه من خير وغيره ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين والطلب والامر عند أهل السنة مباين للارادة ألهمنا الله صواب القول وسداده (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل تعبدون الخ) قال أحمد رحمه الله كلام حسن الا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة فانه مفرع على تلك النزغة المتقدمة آنفا والعبارة المحررة فى ذلك على قاعدة السنة أن يقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم على حالة من حقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهى التقوى لما ركب فيكم من العقول وبينه

للتبعيض

للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولان المنكرين أعنى ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله فى الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا (فان قلت) فبم انتصب (رزقا) (قلت) ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج (فان قلت) فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هى مدر متلاحق والثانى أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد و (لكم) صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم (فان قلت) بم تعلق (فلا تجعلوا) (قلت) فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له (أندادا) لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع فى قوله عز وجل لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى فى رواية حفص عن عاصم أى خلقكم لكى تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء أى هو الذى خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى قال جرير

أتيما تجعلون الىّ ندا * وما تيم لذى حسب نديد

ونادّدت الرجل خالفته ونافرته من ندّ ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ندّ ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (فان قلت) كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه (قلت) لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفى ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا (فان قلت) ما معنى (وأنتم تعلمون) (قلت) معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة فى التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أى أنتم العرّافون المميزون ثم ان ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعى أم هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته (فان قلت) لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الانزال (قلت) لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة

رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

لكم من البواعث على تقواه فكان جديرا بكم أن لا تدعوا من جهدكم فى التقوى شيأ

وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ماترى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيأ فشيأ حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لايلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل * وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته * والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما أن تسمى بسورة المدينة وهى حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما أن تسمى بالسورة التى هى الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشئ والفضلة منه (فان قلت) ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا (قلت) ليست الفائدة فى ذلك واحدة ولامر ما أنزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحدا ومنها أن القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ اذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثمة كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعانى ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد (فان قلت) وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل (قلت) معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير الى غيره ألا ترى أن المعنى وان ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم فى أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله (وادعوا شهداءكم)

من مثله وادعوا شهداءكم

* قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية (قال محمود رحمه الله الضمير يحتمل عوده لما نزلنا الخ) قال أحمد رحمه الله ومعنى هذا الترجيح ان التحدى عليهم فى التفسير الاوجه جملة المخاطبين أى انهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عجزة عن الاتيان بطائفة منه وأما على التفسير المرجوح فهم مخاطبون بان يعينوا واحدا منهم يكون معارضا للمتحدى بأنه يأتى بمثل ما أتى به أو بعضه ولاشك ان عجز الخلائق اجمعين ابهى من عجز واحد منهم ويشهد لرجحان الاول قوله تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة * ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الدنئ الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راآه بالثناء عليه أنا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال أمية * يا نفس مالك دون الله من واقى * أى اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره و (من دون الله) متعلق بادعوا أو بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى

* تريك القذى من دونها وهى دونه * أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى لرقتها وصفائها وفى أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بأن شهداءهم وهم مداره القوم الذى هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلى فى عقولهم احالته وتعلقه بالدعاء فى هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد أنا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهى العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى أن الله شاهدكم لانه أقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على أن يأتى بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو فى معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية * لما أرشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله (فان قلت) انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جىء باذا الذى للوجوب دون ان الذى للشك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لا تكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثانى أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به (فان قلت) لم عبر عن الاتيان بالفعل وأى فائدة فى تركه اليه (قلت) لانه فعل من الافعال تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا فى موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله (فان قلت) (ولن تفعلوا) ما محلها (قلت) لا محل لها لانها جملة اعتراضية (فان قلت) ما حقيقة لن فى باب النفى (قلت) لا ولن أختان فى نفى المستقبل الا أن فى لن توكيدا وتشديدا

من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا

تقول لصاحبك لا أقيم غدا فان أنكر عليك قلت لن أقيم غدا كما تفعل فى أنا مقيم وانى مقيم وهى عند الخليل فى احدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفى المستقبل (فان قلت) من أين لك أنه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة (قلت) لانهم لو عارضوه بشئ لم يمتنع أن يتواصفه الناس و يتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لاسيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة * (فان قلت) ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله (قلت) انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه ان أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فأطيعونى واتبعوا أمرى وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه فى صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها * والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمدانى بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أى ليست حياته الا به فكأن نفس السليط حياته (فان قلت) صلة الذى والتى يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة (قلت) لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة (فان قلت) فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة فى سورة التحريم وههنا معرفة (قلت) تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) (قلت) معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبأن غيرها ان أريد احراق الناس بها أو احماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه أو احماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها (فان قلت) أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة (قلت) بل هى نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (فان قلت) لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا (قلت) لانهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله فى معنى الناس والحجارة وحصب جهنم فى معنى وقودها ولما اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم و يستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم واغراقا فى تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هى حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعانى التنزيل (أعدت) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة * من عادته عز وجل فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب و يشفع البشارة بالانذار ارادة

فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين

قوله تعالى فاتقوا النار التى وقودها الناس الآية (قال محمود رحمه الله هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة الخ) قال أحمد رحمه الله يعنى بالآية قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة لكنى لم أقف على خلاف بين المفسرين ان سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك فالظاهر ان الزمخشرى وهم فى نقله أنها مكية

التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب (فان قلت) من المأمور بقوله تعالى (وبشر) (قلت) يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لانه يؤذن بأن الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به (فان قلت) علام عطف هذا الامر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه (قلت) ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا أخبروه

و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار

ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم * والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس (فان قلت) أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع (قلت) اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى أن يحاط به وأن يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه (فان قلت) فما المراد بهذا المجموع مع اللام (قلت) الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف * والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (فان قلت) الجنة مخلوقة أم لا (قلت) قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها (فان قلت) ما معنى جمع الجنة وتنكيرها (قلت) الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (فان قلت) أما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك (قلت) لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا وأعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال تعالى للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر * (فان قلت) كيف صورة جري الانهار من تحتها (قلت) كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين

وأكرمها منظراما كانت أشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وان كانت آنق شئ وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور والاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لابد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها * والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان (فان قلت) لم نكرت الجنات وعرفت الانهار (قلت) أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الانهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوّض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية * وقوله (كلما رزقوا) لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدا محذوف أو جملة مستأنفة لانه لما قيل أن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (فان قلت) ما موقع (من ثمرة) (قلت) هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيأ حمدتك فوقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من رمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة (فان قلت) كيف قيل (هذا الذى رزقنا من قبل) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا (قلت) معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأنّ ذاته ذاته (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (وأتوا به) (قلت) الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أى بجنسى الغنىّ والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد * (فان قلت) لاى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر (قلت) لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشئ من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بلغ أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصر والرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حدّ البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا فى حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد فى التعجب من أن يفاجؤا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون

* قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الآية (قال محمود رحمه الله معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من التشبيه بغير الاداة وهو أبلغ مراتب التشبيه كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة

وتريدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في أتوا به الى الرزق كما أن هذا اشارة اليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو (فان قلت) كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام (قلت) هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير * والمراد بتطهير الازواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن (فان قلت) فهلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف (قلت) هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة

وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما أحوجني الى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة (فان قلت) هلا قيل طاهرة (قلت) في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم * والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي * وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

* سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق الا أن حب الرياسة وهوى الالف

* قوله تعالى ان الله لايستحي الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحيائية الخ) قال أحمد رحمه الله ولقائل أن يقول ما الذى دعاه الى تأويل الآية مع ان الحياء الذى يخشى نسبة ظاهره الى الله تعالى مسلوب فى الآية كقولنا الله ليس بجسم ولا بجوهر فى معرض التنزيه والتقديس ٤٦ واما تأويل الحديث فمستقيم لان الحياء فيه ثبت لله تعالى وللزمخشرى ان يجيب بأن السلب فى مثل هذا انما يطرأ على ما يمكن نسبته الى المسلوب عنه اذ مفهوم نفى الاستحياء عنه فى شئ خاص ثبوت الاستحياء فى غيره فالحاجة داعية الى تأويله لما أفضى اليه مفهومه وانما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فان ذلك لا يثبت ومحال بل يقال هو مقدس منزه مطلقا (قال محمود رحمه الله وما هذه ابهامية الخ) قال أحمد رحمه الله

ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة

وفيها وهم امام الحرمين فى تقرير نصوصية العموم فى قوله عليه الصلاة والسلام أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها الحديث فانه قرر العموم والابهام فى أى ثم قال فاذا انضافت اليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ فى اقتضاء العموم فاعتقد ان المؤكدة هى الشرطية وانما هى حرف مزيد لهذا الغرض واما ما الشرطية فاسم كمن

والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين فى غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وأحناش الارض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الاشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا فى البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذى لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية * والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيى الرجل كما يقال نسى وحشى وشظى الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيى لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك فى وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد فى مكانه خجلا (فان قلت) كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك فى حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيى كريم يستحي اذا رفع اليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا (قلت) هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله (ان الله لا يستحي) أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبى تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها * أنى بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عنى فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت فى اناء من الورد

وقرأ ابن كثير فى رواية شبل يستحى بياء واحدة وفيه لغتان التعدى بالجار والتعدى بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا * وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفى الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب و(ما) هذه ابهامية وهى التى اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا اذا نصبت (بعوضة) فان رفعتها

والله الموفق (قال محمود هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهى اذا موصولة الى قوله ووجه آخر جميل وهو ان تكون الخ) قال أحمد فهى حملها على الاستفهامية بالمعنى الذى قرره فيه نظر لان قوله تعالى فما فوقها فى الحقارة فيكون معناه فما دونها واما أن يراد به فما هو أكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتعذر الاستفهام لانه انما يستعمل فى مثل ما دينار ودينار ان أى اذا جاد بالكثير فما القليل واذا ذهبت فى الآية هذا

المذهب لم تجد لصحته مجالا اذ يكون المراد ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالمحقرات فما البعوضة وما هو أحقر منها وقد فرضنا أنها في أحد
الوجهين نهاية في المحقرات وفي الوجه الآخر ليست نهاية بل النهاية في قوله فما فوقها أي دونها فاذا حمل ما بعد الاستفهام على النهاية في
الوجهين جميعا لم ينتظم التنبيه المذكور بل ينعكس الغرض فيه اذ المقصود في مثل قولنا فلان لا يبالي بعطاء الالوف فما الدينار الواحد
التنبيه على ان عطاء القليل منه محقق بعطائه الكثير بطريق الاولى ولا يتحقق في الآية على هذا التقدير انه لا يستحيي من ضرب المثل
بالمحقرات التي لا تبلغ النهاية فكيف يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية في الحقارة كالبعوضة هذا عكس لنظم الاولوية

ولو كانت الآية مثلا واردة على غير هذا التكلم كقول القائل ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالبعوضة التي هي نهاية في الحقارة فما الانعام التي هي ابهى من البعوضة أو أبعد منها عن الحقارة بما لا يخفى لكان تقرير الزمخشري متوجها وما

فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم

أراه والله أعلم الا واهما في هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت العبارة في الاعتراض عليه الا انه محل ضيق ومعنى متعاص لا يخلص الى الفهم الا بهذا المزيد من البسط وناهيك بوضع العكس على فهم الزمخشري بل مع تعود فهمه واصابة نبعه خصوصا في تنسيق المعاني وتفصيلها والله الموفق وما تحجه بالعثور على الوجه

فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي أن يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله أن يتمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد

لنعم البيت بيت أبي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش (فما فوقها) فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط (فان قلت) كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر (قلت) ليس كذلك فان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا اسكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر

الذي ظن أن رؤبة العجاج رعاه في قراءته فكلام ركيك توهم ان القراءة موكولة الى رأي القارئ وتوجيهه لها ونصرته بالعربية وفصاحته في اللغة وليس الامر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها وبعد حروفها سنة تتبع وسماع يقضي بنقله الفصيح وغيره على حد سواء لا حيلة للفصيح في تعسر شيء منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته في القرآن الذي بذ كل فصاحة وعزل كل بلاغة فالصحيح والمعتقد ان كل قارئ معزول الا عما سمعه فوعاه وتلقفه من الافواه فأداه الى أن ينتهي ذلك الى استماع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فتأمل هذا الفصل فان فاهمه قليل

منها وأصغر سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

و (أما) حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل لفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه فى معنى الشرط ففى ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء و (الحق) الثابت الذى لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج و (ماذا) فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثانى منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والاصوب فى جوابه أن يجئ على الاول مرفوعا وعلى الثانى منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول فى جواب من قال ما رأيت خير أى المرئى خير وفى جواب ما الذى رأيت خيرا أى رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين * والارادة نقيض الكراهة وهى مصدر أردت الشئ اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفى حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحى حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا فى ارادة الله فبعضهم على أن للبارى مثل صفة المريد منا التى هى القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى ارادته لافعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره أنه أمر بها والضمير فى أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاصى يا عجبا لابن عمرو هذا (مثلا) نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية * وقوله (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى زادت الجهلة خبطا فى ظلمائهم (فان قلت) لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله (قلت) أهل الهدى كثير فى أنفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

* واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب اضلالهم

*قوله تعالى يضل به كثيرا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف وصف المهديون بالكثرة الخ) قال أحمد رحمه الله جوابه صحيح وتنظيره بالبيت وهم لان الشاعر انما ذهب الى أن عدد الكرام وان كان قليلا فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا وعدد اللئام وان كثروا فالاكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لغل أيديهم وانقباضها عن الجود وعدم تعدى نفع منهم الى غيرهم كقول ابن دريد

الناس ألف منهم كواحد * وواحد كالف ان أمر عرا

وأما الآية فمضمونها ان عدد المهديين كثير فى نفسه ومضمون الآيات الاخر أن عددهم قليل بالنسبة الى كثرة عدد الضالين فعبر عنه تارة بالكثرة نظرا الى ذاته وتارة بالقلة نظرا الى غيره فليس معنى البيت من الآية فى شئ

وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

(قال محمود رحمه الله ونسبة الاضلال الى الله تعالى من اسناد الفعل الى السبب الخ) قال أحمد رحمه الله جرى على سنة السيئة فى اعتقاد أن الاشراك بالله وان الاضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى ضيق الخناق فعليه الحكايات لا لاطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد وهذا من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة وما أشنع تصريحه بان الله سبب الاضلال لا خالقه كما ان السلة سبب فى وضع القيود فى رجلى المحبوس واسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة كما أن اسناد الفعل الى البلد كذلك باله فى تمثيل ضاربه مثله وتنظير ضاربه حائدا عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة وهو ولى التوفيق

ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله

لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لى فأمر بها تنزل فاذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك * وقرأ زيد بن على يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون * والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق فى الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان أول من حدّ له هذا الحدّ أبو حذيفة واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن فى أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون * النقض الفسخ وفك التركيب (فان قلت) من أين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد (قلت) من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع الى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشئ المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شئ من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش * والعهد الموثق وعهد اليه فى كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا (فان قلت) فما المراد بعهد الله (قلت) ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وقوله فى الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بنى اسرائيل وما أريتهم اياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذى واثقوا به وما ضيعوا من عهدى اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير فى ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير الى الله تعالى أى من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله * ومعنى قطعهم (ما أمر الله به أن يوصل) قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض (فان قلت) ما الامر (قلت) طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور لان الداعى الذى يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده (هم الخاسرون) لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها * معنى الهمزة التى فى (كيف) مثله فى قولك أتكفرون بالله

وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الارض

ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح (فان قلت) قولك أتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء (قلت) قد أخرج فى صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعى الى الايمان (فان قلت) فقد تبين أمر الهمزة وأنها لانكار الفعل والايذان باستحالته فى نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول فى كيف حيث كان انكارا للحال التى يقع عليها كفرهم (قلت) حال الشئ تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لانكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه اذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهانى * والواو فى قوله (وكنتم أمواتا) للحال (فان قلت) فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا أن يضمر قد (قلت) لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا الى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا فى أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم (فان قلت) بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضى والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذى وقع حالا (قلت) هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها (فان قلت) فقد آل المعنى الى قولك على أى حال تكفرون فى حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته (قلت) قد ذكرنا أن معنى الاستفهام فى كيف الانكار وأن انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قلت) ان اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثانى والرجوع (قلت) قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا * والاموات جمع ميت كالاقوال فى جمع قيل (فان قلت) كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى (قلت) بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة أموات غير احياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى أن لا روح ولا احساس (فان قلت) ما المراد بالاحياء الثانى (قلت) يجوز أن يراد به الاحياء فى القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء (فان قلت) لم كان العطف الاول بالفاء والأعقاب بثم (قلت) لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثانى كذلك متراخ عن الموت ان أريد به النشور تراخيا ظاهرا وان أريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور (فان قلت) من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها الله ألأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (قلت) يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهى مع كونها آيات من أعظم النعم (لكم) لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوى فظاهر وأما الانتفاع الدينى فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الاشياء التى يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات فى العقل خلقت فى الاصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها (فان قلت) هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة (قلت) ان أراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء

* قوله تعالى هو الذى خلق لكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها الخ) قال أحمد رحمه الله هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت الى ان حكم الله تعالى الاباحة فى ذوات المنافع التى لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا انها اشتملت على منافع وحاجة الخلق داعية اليها فخلقها مع خطرها على العباد خلاف مقتضى الحكمة فوجب عندهم بمقتضى العقل أن يعتقدوا اباحتها فى حكم الله عز وجل وهذا زلل ناشئ عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة وأما استدلال الزمخشرى لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم فان دعواهم ان العقل كاف فى اباحة هذه الاشياء فان دلت الآية على الاباحة فنحن نقول بموجبها ويكون اذا اباحة شرعية سمعية وان لم تدل على الاباحة لم يبق فى الاستدلال بها مطمع

وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة فى الجهات السفلية * و (جميعا) نصب على الحال من الموصول الثانى * والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر * والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق * والضمير فى (فسوّاهن) ضمير مبهم * و (سبع سموات) تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربى هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن (وهو بكل شئ عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم (فان قلت) ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخى والمهلة (قلت) ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخى فى الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخى فى الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى أنه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر (فان قلت) أما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها (قلت) لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق (واذ) نصب باضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا * والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل فى جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع * و (جاعل) من جعل الذى له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله فى الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير (فى الارض خليفة) والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذرّيته (فان قلت) فهلا قيل خلائف أو خلفاء (قلت) أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى انا جعلناك خليفة فى الارض (فان قلت) لأىّ غرض أخبرهم بذلك (قلت) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة فى وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (أتجعل فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير (فان قلت) من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب (قلت) عرفوه باخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت فى علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الارض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة * وقرئ (يسفك) بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك * والواو فى (ونحن) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان * والتسبيح تبعيد الله من السوء * وكذلك تقديسه من سبح فى الارض والماء وقدّس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد * و (بحمدك) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (أعلم ما لا تعلمون) أى أعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفىّ عليكم (فان قلت) هلا بين لهم تلك المصالح (قلت) كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) واشتقاقهم آدم من الادمة ومن أديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم أعجمى

جميعا ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

* قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية

(قال محمود رحمه الله أى أسماء المسميات الخ) قال أحمد رحمه الله وهو يفر من اعتقاد ان الاسم هو المسمى لان ذلك معتقد أهل السنة فيعمل الحيلة فى ابعاده عن مقتضى الآية بقوله أنبئهم بأسمائهم و يتغافل عن قوله ثم عرضهم على الملائكة فان الضمير فيه عائد الى المسميات اتفاقا ولم يجر الا ذكر الاسماء فدل على انها المسميات ويعرض أيضا عن حكمة التعليم وان تعليقه بنفس الالفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات واطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضا فان طريق التعليم تمييز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين

ان المراد بالاسماء المسميات وأما استدلاله بقوله أنبؤنى بأسماء هؤلاء فغايته اضافة الاسماء الى الذوات فلهم أن يقولوا لو كانت الاسماء هى الذوات لزمت اضافة الشئ الى نفسه وهذا مالا مطمع فيه فان هذه الاضافة مثلها فى قولك نفس زيد وحقيقته فالمراد اذا أنبؤنى بحقائق هؤلاء ولا نكير فى هذه الاضافة فان الاسماء بمعنى المسميات والحقائق أعم من هؤلاء المشار اليهم والمضاف اليهم فصحت الاضافة لما بين الاعم والاخص من التغاير وهذا هو الصحيح للاضافة فى مثل نفس زيد وأشباهه فهذه نبذة من مسئلة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية وفيها ان شاء الله كفاية على انها وان عدها المتكلمون من فن الكلام فالغالب عليها انها مسئلة لفظية لا يرجع اختلاف الاشعرية والمعتزلة فيها الى كثير من حيث الحقيقة * قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها (قال محمود رحمه الله وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل الخ) قال أحمد رحمه الله و يشهد له قوله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما

وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك * الاسماء كلها أى أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس (فان قلت) هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم اليه مقامه وأن الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء (قلت) لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله أنبئونى بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئونى بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها (فان قلت) فما معنى تعليمه أسماء المسميات (قلت) أراه الاجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية (ثم عرضهم) أى عرض المسميات وانما ذكر لان فى المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (ان كنتم صادقين) يعنى فى زعمكم أنى أستخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح فى استخلافهم فى قوله انى أعلم ما لا تعلمون * وقوله (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) استحضار لقوله لهم انى أعلم ما لا تعلمون الا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبى عرضها والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لان العرض لا يصح فى الاسماء * وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما * السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف واخوته له ويجوز أن تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا فى لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله (الا ابليس) استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين أظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعا (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) عنه (وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه * السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار * و(أنت) تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه و(رغدا) وصف للمصدر أى أكلا رغدا واسعا رافها و(حيث) للمكان المبهم أى أى مكان من الجنة (شئتما) أطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر * وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة * وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذى الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبى عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله * فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهى * الضمير فى (عنها) للشجرة أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها فى قوله تعالى وما فعلته عن أمرى وقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته

وزل

مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الارض مستقرّ ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

وزلّ عني ذاك اذا ذهب عنك وزلّ من الشهر كذا * وقرئ فأزالهما (مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها (فان قلت) كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم (قلت) يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحوّاء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون * قيل (اهبطوا) خطاب لآدم وحوّاء وابليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحوّاء والمراد هما وذرّيتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعمّ الناس كلهم * ومعنى (بعضكم لبعض عدوّ) ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض (مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت * معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به (فان قلت) ما هن (قلت) قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم * واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حوّاء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول * (فان قلت) لم كرّر (قلنا اهبطوا) (قلت) للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم مني هدى) (فان قلت) ما جواب الشرط الاول (قلت) الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت أحسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) في مقابلة قوله فمن تبع هداى (فان قلت) فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه (قلت) للايذان بأن الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وأنه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال (فان قلت) الخطيئة التي أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغيّ

* قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن الخ) قال أحمد رحمه الله هاتان زلتان زلهما فلزهما في قرن الاولى ايراد السؤال بناء على ان الهدى على الله تعالى واجب والثانية بناء الجواب على أن الوجوب الشرعي يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق ان الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى عن الايجاب رب الارباب وانما يدخل تحت ربقة التكاليف المربوب لا الرب وأما وجوب النظر في أدلة التوحيد فانما يثبت بالسمع لا بالعقل وان كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه باتفاق (قال محمود رحمه الله فان قلت الخطيئة التي ٥٣ أهبط بها آدم من الجنة الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى مقتضاه تأويل الآي المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الانبياء تنزيها لهم عنها على أن تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنة وفي طي وقوعها ألطاف وزيادة في الالتجاء الى الله تعالى والتواضع له والاشفاق على الخاطئين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة كما نقل عن داود انه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخاطئين كثيرا وعلى الجملة فالقدري يجوّز الصغائر على الانبياء ويقول ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر في حق آحاد الناس فلا جرم التزم الزمخشري ورود السؤال لان آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيأ مما وقع وهذا الاجواب للزمخشري عنه الا الانصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب الماحلة ولقد شنع السؤال بقوله ان الذي جرى على آدم عليه السلام كالذي جرى على ابليس عليه اللعنة ومعاذ الله ان يكون الحالان سواء والعاقبتان كما تعلم أن آدم عليه السلام خالد في النعيم المقيم وان ابليس خالد في العذاب الاليم

والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة (قلت) ما كانت الاصغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التى هى أجل الاعمال وأعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفاله ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة * وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح (اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به فى التوراة والانجيل * والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدى أى بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أى بما عاهدتك عليه * ومعنى (وأوفوا بعهدى) وأوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (واياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ أوف بالتشديد أى أبالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدى ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أى كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعنى من أشرك به من أهل مكة أى ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا فى التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به *والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله * كما اشترى المسلم اذ تنصرا * وقوله *فانى شريت الحلم بعدك بالجهل* يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا والا فالثمن هو المشترى به * والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا أو يحرفوا * الباء التى فى (بالباطل) ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه (وتكتموا) جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن (فان قلت) لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق (قلت) بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم فى التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه

يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق

*قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال غير موجه لانه ادعى فيه عدم التمييز بين الفعلين وغاية ما قدره تلازمهما والمتلازمان متغايران متميزان الا ان يعنى بعدم التمييز عدم الانفكاك فلا نسلم له تعذر جمعهما فى النهى اذا بل النهى عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم للنهى عن الآخر وان لم يصرح به

وفى مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين (وأنتم تعلمون) فى حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه (وأقيموا الصلاة) يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن تصلى مع المصلين يعنى فى الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم *والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغنى أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعنى تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعى اليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى فى دفعه (وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الامور التى أمر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتى الى واستعينوا (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (فان قلت) مالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع فى نفسه مما يثقل (قلت) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفى مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا *والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة (يوما) يريد يوم القيامة (لا تجزى) لا تقضى عنها شيأ من الحقوق ومنه الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك و(شيأ) مفعول به ويجوز أن يكون فى موضع مصدر أى قليلا من الجزاء كقوله تعالى ولا يظلمون شيأ ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى عنه فلا يكون فى قراءته الا بمعنى شيأ من الاجزاء وقرأ أبو السرار

وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ

* قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس الآية

(قال محمود رحمه الله هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة الخ) قال أحمد رحمه الله أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ومعتقدهم انها تنال العصاة من المؤمنين وانما ادخرت لهم وليس فى الآية دليل لمنكريها لان قوله يوما أخرجه منكرا ولا شك ان فى القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين ألف سنة فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد وردت آى كثيرة ترشد الى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها منها قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين

ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون

أحدهما محل للتناول والآخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا فى زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (قال محمود رحمه الله يحتمل انهم كانوا يسلكون الخ)

الغنوى لا تجزى نسمة عن نسمة شيأ وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما (فان قلت) فأين العائد منها الى الموصوف (قلت) هو محذوف تقديره لا تجزى فيه ونحوه ما أنشده أبو على * تروّحى أجدر أن تقيلى * أى مأ أجدر بأن تقيلى فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيأ من الاشياء وهو الاقناط الكلى القطاع للمطامع وكذلك قوله (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أى توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا (فان قلت) هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة (قلت) نعم لانه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة (فان قلت) الضمير فى ولا يقبل منها الى أى النفسين يرجع (قلت) الى الثانية العاصية غير المجزى عنها وهى التى لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع الى النفس الاولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيأ ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها (ولا هم ينصرون) يعنى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسى كما تقول ثلاثة أنفس * أصل (آل) أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولى الخطر والشان كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام و (فرعون) علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفى ملح بعضهم

قد جاءه الموسى الكلوم فزاد فى * أقصى تفرعنه وفرط عرامه

* وقرئ أنجيناكم ونجيتكم (يسومونكم) من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ أشده وأفظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره * و (يذبحون) بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهرى يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ما شاء الله * والبلاء المحنة ان أشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء (فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط (فان قلت) ما معنى (بكم) (قلت) فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وأن يكون فى موضع الحال بمعنى فرقناه

قال أحمد رحمه الله فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلها كتبت بالقلم (قال محمود رحمه الله ويحتمل ان يكون المراد فرقناه ملتبسا بسببكم قال أحمد رحمه الله وهى على هذا الوجه سببية كما تقول أكرمتك باحسانك الى (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون فى موضع الحال الخ) قال أحمد رحمه الله وهى على هذا الوجه للمصاحبة مثالها فى أسندت ظهرى بالحائط والوجه الاول ضعيف من حيث ان مقتضاه ان تفريق البحر وقع ببنى اسرائيل والمنقول بل المنصوص عليه فى الكتاب العزيز ان البحر انما انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فآلة التفريق العصا لا بنو اسرائيل

ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * أي تدوسها ونحن راكبوها وروى أن بني اسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه * لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة * وقيل (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور (من بعده) من بعد مضيه الى الطور (وأنتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم (من بعد ذلك) من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا النعمة في العفو عنكم (الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر * حمل قوله (فاقتلوا أنفسكم) على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا (فان قلت) ما الفرق بين الفاآت (قلت) الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم * (فان قلت) من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ (قلت) البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شئ منها * قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم (جهرة) عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة و بالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز

ما يقع ومنه ما يتعذر تعالى الله عن ذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والتفسير الصحيح في لعل هو الذي حرره سيبويه رحمه الله في قوله لعله يتذكر أو يخشى قال سيبويه الرجاء مصروف

وأنتم تنظرون واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الى المخاطب كأنه قال كونا على رجائكما في تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه فينصرف الرجاء اليهم وينزه الله تعالى * قوله

تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية (قال محمود رحمه الله فيه دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية من لا يجوز عليه الخ) قال أحمد رحمه الله لقد انتهز الزمخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية

التي لا مطمع له عند التحقيق في التشبث بها فبنى الامر على ان العقوبة سببها طلب ما لا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وانى له ذلك
وثم سبب ظاهر في العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب وذلك ان موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها في آية الاعراف في دار
الدنيا فاخبره الله تعالى انه لا يراه في الدنيا ٥٨ وصار ذلك عنده وعند بني اسرائيل أصلا مقررا كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة ان الله
تعالى لا يرى في دار الدنيا لانه أخبر انه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى في دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل

الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام أو الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة و (الصاعقة) ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون اليه لقوله (وأنتم تنظرون) وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة (لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت (وظللنا) وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم (المن) وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم (السلوى) وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه (كلوا) على ارادة القول (وما ظلمونا) يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه (القرية) بيت المقدس وقيل أريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه (الباب) باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام * أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم (حطة) فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف أي مسئلتنا حطة أو أمرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله * صبر جميل فكلانا مبتلى * والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها (فان قلت) هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة (قلت) لا يبعد والاجود أن تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا * وقرئ (يغفر لكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا) أي وضعوا مكان حطة (قولا) غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا * وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم وايذان بأن انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فأرسلنا عليهم على الاضمار * والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا * عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له (اضرب بعصاك الحجر) واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى أنه حجر

برؤيته في الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو اسرائيل الرؤية في الدنيا تعنتا أو شكا في الخبر فانزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف تخيل الزمخشري وشيعته ان موسى عليه السلام طلب من الله ما لا يجوز عليه وهل هو لو كان الامر على ما تخيله الا كبني اسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها وأما الادلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها في الدار الآخرة فأكثر من أن تحصى وهي مستقصاة في فن الكلام وانما غرضنا في هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه والله الموفق * قوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية (قال محمود رحمه الله وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر وهو مفيد لذلك

طوري

طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذى أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لى فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس أى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروى أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت أو فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ * وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان (كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها (كلوا) على ارادة القول (من رزق الله) مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب * والعثى أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه * كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء (على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى (فان قلت) هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد (قلت) أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك * ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد * والبقل ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها * وقرئ وقثائها بالضم * والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق (الذى هو أدنى) الذى هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبى أدنأ بالهمزة من الدناءة (اهبطوا مصرا) وقرئ اهبطوا بالضم أى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل أن يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان أريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وأن يريد مصرا من الامصار وفى مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أى صاروا أحقاء بغضبه (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم * (فان قلت) * قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره (قلت) معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد (ذلك)

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك

اذ هو من قبيل الاشهار لهذا المعين مع امكان الاختصار بالاضمار

تكرار للاشارة (بما عصوا) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ماعصوا (ان الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) والذين تهوّدوا يقال هاد يهود وتهوّد اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصرانى للمبالغة كالتى في أحمرى سموا لانهم نصروا المسيح (والصابئين) وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة (من آمن) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا أصيلا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) الذى يستوجبونه بايمانهم وعملهم (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبران في الوجه الاول الجملة كما هى وفي الثانى فلهم أجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بالعمل على ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أنّ موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدّ وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا ارادة أن تتقوا (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (فلولا فضل الله عليكم) بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا و(السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه أى جازوا ما حدّ لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم (قردة خاسئين) خبران أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل القيد (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاوّلين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها * كان في بنى اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان هزو أو أهل هزو أو مهزوّا بنا أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) لان الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزأ بسكون الزاى نحو كفؤا وكفأ وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا * والعياذ واللياذ من واد واحد * في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هى سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر * والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهى فارض قال خفاف بن ندبة

لعمرى لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ما تقوم على رجل

وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها * والبكر الفتية * والعوان النصف قال

بما عصوا وكانوا يعتدون ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان

* نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت (فان قلت) (بين) يقتضى شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على (ذلك) (قلت) لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ماذكر من الفارض والبكر (فان قلت) كيف جاز أن يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر (قلت) جاز ذلك على تأويل ماذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا افعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم مافعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذى حسن منه أن أسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ماتؤمرون) أى ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخبر أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير * الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانى وذريحى وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطبانى وأرمك رانى (فان قلت) فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء (قلت) لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيدا لصفراء الا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها (فان قلت) فهلا قيل صفراء فاقعة وأى فائدة فى ذكر اللون (قلت) الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها * والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر أولادها كالزبيب

(ماهى) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب الى عامله بأن يذهب الى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بأيهما أبدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتنى بأى نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضائن أم ماعز فان بينت لك قلت أذكر أم أنثى فان أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فاذا أمرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسئلته (ان البقرة تشابه علينا) أى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد * جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد أى لو لم يقولوا ان شاء الله * والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها أو الى ماخفى علينا من أمر القاتل (لاذلول) صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تثير وتسقى على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى لاذلول بمعنى لاذلول هناك أى حيث هى وهو نفى لذلها ولان توصف به فيقال هى ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لابخيل ولا جبان أى فيهم أو حيث هم * وقرئ تسقى بضم التاء من أسقى (مسلمة) سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله

أو معبر الظهر ينبى عن وليته * ماحج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا

أو مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان (لاشية فيها) لا لمعة فى نقبتها من

بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن

قوله تعالى عوان بين ذلك (قال محمود رحمه الله فان قلت بين يقتضى شيئين الخ) قال أحمد رحمه الله وقد مر نظير هذا عند قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فجدد به عهدا

لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر ووشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم (جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال فى أمرها (فذبحوها) أى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها * وقوله (وما كادوا يفعلون) استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهى سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وروى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة (فان قلت) كانت البقرة التى تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول (قلت) رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أى يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لان الطرح فى نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما (فان قلت) كيف أعمل مخرج وهو فى معنى المضى (قلت) وقد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ كما حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا * والضمير فى (اضربوه) اما أن يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة واختلف فى البعض الذى ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو أصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين * والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى روى انهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك (كذلك يحيى الله الموتى) اما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله على أنه قادر على كل شئ (لعلكم تعقلون) تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما أن يكون خطابا للمنكرين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا أحياه ابتداء ولم شرط فى احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها (قلت) فى الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما فى ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما فى التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين فى ترك التشديد والمسارعة الى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب الى ربه أن يتنوق فى اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتى السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وأن يغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة فى الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين فى الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة (فان قلت) فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وأن

جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

يقال

يقال واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها (قلت) كل ماقص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة * معنى (ثم قست) استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها و (ذلك) اشارة الى احياء القتيل أو الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهي كالحجارة) فهي في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف اما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة (فان قلت) لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب (قلت) لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم * وقوله (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع * والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون (يشقق) يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا (يهبط) يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء * والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به * وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود (وقد كان فريق) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرّفونه) كما حرّفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك (واذا لقوا) يعني اليهود (قالوا) قال منافقوهم (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيأ في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وانّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وانّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وانّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أنّ الله

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل أشدّ قسوة الخ) قال احمد رحمه الله ولان سياق هذه الاقاصيص قصد فيه الاسهاب لزيادة التقريع حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن ولا شك أن قوله أو أشد قسوة أدخل في الاسهاب من قول القائل أو اقسى * قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله أى قال منافقوهم الخ) قال احمد رحمه الله وصح عود الضمير في اللفظ الى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع اليه لانهما صنفان مندرجان في الاول ونظيره قوله تعالى اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن فالضمير الاول للازواج والثاني للاولياء وهو راجع الى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعا والله أعلم

قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم (قال محمود ان قلت مافائدة قوله بايديهم الخ) قال احمد رحمه الله وربما قال الزمخشرى فى مثل هذا ان فائدته تصويرا لحالة فى النفس كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك ان يكون مشاهدا للهيئة * قوله تعالى واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الآية (قال محمود رحمه الله تعالى لاتعبدون أخبار فى معنى النهى الخ) قال احمد رحمه الله وجه الدليل منه ان الاول لولم يكن فى معنى النهى لما حسن عطف الامر ٦٤ عليه لما بين الامر والخبر المحض من التنافر ولا كذلك الامر والنهى لالتقائهما فى معنى الطلب

يعلم مايسرون وما يعلنون ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا

محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد (يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم أميون) لايحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا مافيها (لايعلمون الكتاب) التوراة (الا أمانى) الا ماهم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابى لابن دأب فى شئ حدث به أهذا شئ رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل الا مايقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمنى يقدر فى نفسه ويحزر مايتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا والا أمانى من الاستثناء المنقطع وقرئ أمانى بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم فى الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامى أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم (يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا كتبته بيمينك هذه (مما يكسبون) من الرشا (الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (فلن يخلف الله) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده و (أم) اما أن تكون معادلة بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة (بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيآت يعنى كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيآته وقيل فى الاحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وماتدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهى الخطيئة المحيطة (لاتعبدون) اخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهى لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبى لاتعبدوا ولا بد من ارادة القول يدل عليه أيضا قوله وقولوا * وقوله (وبالوالدين احسانا) اما أن يقدر وتحسنون بالوالدين احسانا أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل واذ أقسمنا عليهم لاتعبدون وقيل معناه أن لاتعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ويدل عليه قراءة عبد الله أن لاتعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب (حسنا) قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات أى توليتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية (لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم) لايفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به

ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم

اصلا

(قال محمود رحمه الله وقيل هو جواب قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الخ) قال احمد رحمه الله لو قدر القسم مضافا الى المذكورين لكان أوجه فيقول واذ أقسمتم لاتعبدون الا الله الخ * قوله تعالى وقولوا للناس الآية (قال محمود أى قولا هو حسن فى نفسه الخ) قال احمد وفيه من التأكيد والتخصيص على احسان مقاولة الناس انه وضع المصدر فيه موضع الاسم وهذا انما يستعمل للمبالغة فى تأكيد الوصف كرجل عدل وصوم

وفطر وقرئ حسنا فهو على هذا من الصفات المشبهة قوله تعالى ثم أنتم هؤلاء (قال محمود رحمه الله أدخل ثم استبعادا الخ) قال احمد رحمه الله وهذا نظير ما تقدم آنفا في قوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية (قال محمود رحمه الله والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير أولئك الخ) قال احمد رحمه الله هو بيان لتغير الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين لهم بالذات *قوله تعالى ففريقا كذبتم الآية (قال محمود رحمه الله

ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم

أصلا أودينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به *وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم أنتم هؤلاء) وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي *وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم *وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى (وهو) ضمير الشان ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) أي بالفداء (وتكفرون ببعض) أي بالقتال والاجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا *والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى أشد العذاب لان عصيانه أشد *وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة (الكتاب) التوراة آتاها اياه جملة واحدة *ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه اياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم *وقيل (عيسى) بالسريانية ايشوع *و(مريم) بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة *قلت لزير لم تصله مريمه *ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب (البينات) المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات *وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قوّاه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن وروحا من أمرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم) عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر (فان قلت) هلا قيل وفريقا قتلتم (قلت) هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند موته مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري (غلف) جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن

ان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم الخ) قال احمد رحمه الله والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فعبر بالماضي ثم قال فتصبح الارض مخضرة فعدل عنه الى المضارع ارادة لتصوير اخضرارها في النفس وعليه قول ابن معد يكرب يصور شجاعته وجرأته فاني قد لقيت الغول تهوي *بسهب كالصحيفة صحصحان* فآخذه فأضربه فيهوي *صريعا لليدين وللجران

قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف الآية (قال محمود رحمه الله ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من توا ثب الزمخشري على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ألا تراه كيف أخذ من رد الله على هذه الطائفة ان تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر أن الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لانفسهم تمهيد القاعدته الفاسدة في خلق الاعمال وسبيل الرد عليه ان الله تعالى انما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للايمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بان قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله في أنه انما خلقهم على الفطرة والتمكن من الايمان والتأتي والتيسر له وانما هم اختاروا الكفر على الايمان فوقع اختيارهم الكفر مقارنا لخلق الله تعالى اياه في قلوبهم بعد ما انشأهم على الفطرة فقيام حجة الله تعالى عليهم بانه خلقهم متمكنين من الايمان غير مقسورين على الكفر وذلك لا ينافي توجيه اهل السنة في اعتقاد ان الله تعالى خالق ذلك في قلوبهم على وفق اختيارهم هذا هو الحق الابلج والصراط

كقولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين * (فقليلا ما يؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروى عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال (فان قلت) كيف جاز نصبها عن النكرة (قلت) اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (على الكافرين) أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيأ (اشتروا به أنفسهم) والمخصوص بالذم (أن يكفروا) واشتروا بمعنى باعوا (بغيا) حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل) لأن ينزل أو على أن ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء) وتقتضي حكمته ارساله (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم (بما أنزل الله) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) مقيد بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها * ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء (وأنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضا بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم * وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد

فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة (واسمعوا)

الابهج والله الموفق وقول الزمخشري ان كفرهم انما خلقوه لانفسهم بسبب منع ألطاف الله تعالى التي تسبب المؤمنون في حصولها لهم وكانت سببا في خلقهم الايمان في قلوبهم كل هذا تستر من الاشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لنفسها ما شاءت من ايمان وكفر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا * قوله تعالى ويكفرون بما وراءه وهو الحق الآية (قال محمود رحمه الله لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه النكتة بعينها هي الموجب لكفر القدرية على احد قولي مالك والشافعي والقاضي رضي الله عنهم فان العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضا فجحد احدها كفر به ثم كفر بالجميع نسأل الله تعالى العصمة

(واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (فان قلت) كيف طابق قوله جوابهم (قلت) طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم (بئس ما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم * وقوله (ان كنتم مؤمنين) تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له (خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا و (الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان * وقوله (ولن يتمنوه أبدا) من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا (فان قلت) ما أدراك أنهم لم يتمنوا (قلت) لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن في الاسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك (فان قلت) التمني من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا (قلت) ليس التمني من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فان قلت) لم يقولوه لانهم علموا أنهم لا يصدقون (قلت) كم حكي عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا ان التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لانه أمر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم) هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم (أحرص) (فان قلت) لم قال (على حيوة) بالتنكير (قلت) لانه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة * (ومن الذين أشركوا) محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس (فان قلت) ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس (قلت) بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ (فان قلت) لم زاد حرصهم على حرص المشركين (قلت) لانهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس (يود أحدهم) على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين

واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة

* قوله تعالى قل من كان عدوّا لجبريل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبي الخ) قال احمد رحمه الله الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ فلعل الامر في هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكي معنى قول الله تعالى له من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك بلفظ المتكلم ونظير هذا قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا الى قوله والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا فانظر ماوقع بعد القول المنسوب اليهم مما يفهم انه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم اذهم لا يقولون فأنشرنا وانما يقولون فأنشر على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى لان معنى قولهم فانشر الله هو معنى قول الله عن ذاته فأنشرنا ولا يستتب لك ان يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة الى التكلم الذي يسمى التفاتا فان في هذا نزر بدا ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض الى قوله فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاول الكلام له يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى والطريق الجامع في ذلك ماقررته والله أعلم (قال محمود رحمه الله فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط الخ) قال احمد رحمه الله ويكون دخول الفاء في الجزاء على هذا الوجه مستحقا لسببين احدهما أنه جملة اسمية والآخر انه ماض صحيح

وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله

أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله * والضمير في (وماهو) لاحدهم و (أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دلّ عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء (فان قلت) يود أحدهم ماموقعه (قلت) هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (فان قلت) كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم (قلت) هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر الا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن * روى أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدوّنا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا ياعمر قد أحببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدوّنا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدوّ لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فاهما بعدوّين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدوّا لاحدهما كان عدوّا للآخر ومن كان عدوّا لهما كان عدوّا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرالّ بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله * الضمير في (نزله) للقرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار مالم يسبق ذكره فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه اياك وفهمكه (باذن الله) بتيسيره وتسهيله (فان قلت) كان حق الكلام أن يقال على قلبي (قلت) جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك (فان قلت) كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما ان عادى جبريل احد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ماينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا

عدوّ للكافرين ولقد
انزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون
أوكلما عاهدوا عهدا
نبذه فريق منهم بل
أكثرهم لا يؤمنون
ولما جاءهم رسول من
عند الله مصدق لما
معهم نبذ فريق من
الذين أوتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم
كأنهم لا يعلمون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على
ملك سليمان وما كفر
سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس
السحر وما أنزل على
الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان
من أحد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء
وزوجه وما هم
بضارين به من أحد
الا باذن الله ويتعلمون
ما يضرهم

له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد أذيته وأسأت اليه * أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه (عدو للكافرين) أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله انما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب (الا الفاسقون) الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب (أوكلما) الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة * وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة * والنبذ الرمي بالذمام ورفضه * وقرأ عبد الله نقضه (فريق منهم) وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (كتاب الله) يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه (واتبعوا) أي نبذوا كتاب الله واتبعوا (ما تتلوا الشياطين) يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بأمره (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وما أنزل على الملكين) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو أي واتبعوا ما أنزل (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل * وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر (فيتعلمون) الضمير لما دل عليه من أحد * أي فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) لانه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث (ويتعلمون ما يضرهم

ولا ينفعهم) لانهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن أن تجر الى الغواية *ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أى استبدل ماتتلوا الشياطين من كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ماشروا به أنفسهم) أى باعوها* وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهرى هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة ومايعلمان من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وماهم بضارى بطرح النون والاضافة الى أحد والفصل بينهما بالظرف (فان قلت) كيف يضاف الى أحد وهو مجرور بمن (قلت) جعل الجار جزأ من المجرور (فان قلت) كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يعلمون (قلت) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن* (واتقوا) الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير) وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم (فان قلت) كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو (قلت) لما فى ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع فى سلام عليكم لذلك (فان قلت) فهلا قيل لمثوبة الله خير (قلت) لان المعنى لشئ من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير * كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يارسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو (انظرنا) من نظره اذا انتظره وقرأ أبى أنظرنا من النظرة أى أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج أى لاتقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا فى السب اتصف بالرعن (واسمعوا) وأحسنوا سماع مايكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لاتحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا اسماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لاترجعوا الى مانهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروى أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت (وللكافرين) ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) * من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية * والخير الوحى وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون أنفسهم أحق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحى (والله يختص) بالنبوة (من يشاء) ولا يشاء الا ماتقتضيه الحكمة (والله ذو الفضل العظيم) اشعار بأن ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا* روى أنهم طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت* وقرئ ماننسخ من آية وماننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله ماننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال

ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل ماننسخ من آية أو ننسها

قوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا الآية (قال محمود رحمه الله ويجوز أن يكون قوله تعالى آمنوا تمنيا الخ) قال أحمد رحمه الله التمنى مجاز عن ارادة الله تعالى لايمانهم وتقواهم من طراز تفسيره للعل بالارادة والرد عليه على سبيله ثم

*قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم (قال محمود رحمه الله ان قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم الخ) قال أحمد رحمه الله يعد الوجه الثاني دخول عند وقرب الاول قوله تعالى تلك أمانيهم (قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة الخ) قال أحمد رحمه الله يعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان البرهان المطلوب منهم ههنا انما هو على صحة دعواهم ان الجنة لا يدخلها غيرهم ويحقق هذا قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فانما يعني الجنة ونعيمها رداً عليهم في نفي غيرهم عن دخولها ففي 71 هذا دليل بين على ان الاماني المشار اليها ليس الا ما طولبوا باقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة

أخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معاً أو من ازالة أحدهما الى بدل أو غير بدل (نأت) بآية خير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب (أو مثلها) في ذلك (على كل شيء قدير) فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير (له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ * لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم اجعل لنا الها أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) * روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخواناً ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيراً وأفلحتما فنزلت (فان قلت) بم تعلق قوله (من عند أنفسهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بودّ على معنى انهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودّوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما أن يتعلق بحسداً أي حسداً متبالغاً منبعثاً من أصل أنفسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عند الله (ان الله بما تعملون بصير) عالم لا يضيع عنده عمل عامل * الضمير في (وقالوا) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يردّ الى كل فريق قوله وأمناً من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا * والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل (فان قلت) كيف قيل كان هوداً على توحيد الاسم وجمع الخبر (قلت) حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالو الجحيم وقوله فانّ له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبيّ بن كعب الا من كان يهودياً أو نصرانياً (فان قلت) لم قيل (تلك أمانيهم) وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة (قلت) أشير بها الى الاماني المذكورة وهو أمنيتهم

تأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم

والله أعلم والجواب القريب انهم لشدة تمنيهم لهذه الامنية ومعاودتهم لها وتأكدها في نفوسهم جمعت ليفيد جمعها انها متأكدة في قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ والجمع يفيد ذلك وان كان مؤداه واحداً ونظيره قولهم معاً جياع فجمعوا الصفة ومؤداها واحد لان موصوفها واحد تأكيداً لثبوتها وتمكنها وهذا المعنى أحد ما روي في قوله تعالى انّ هؤلاء لشرذمة قليلون فانه جمع قليلاً وقد كان الاصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى كم من فئة قليلة لولا ما قصد اليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ووجه افادة الجمع في مثل هذا التأكيد ان الجمع يفيد بوضعه الزيادة في الآحاد فنقل الى تأكيد الواحد وابانة زيادته على نظرائه نقلاً مجازياً بديعاً فتدبر هذا الفصل فانه من نفائس صناعة البيان والله الموفق

أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردّوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانىّ الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الامنية أمانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا فى البطلان مثل أمنيتهم هذه والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة والاعجوبة (هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهذا أهدم شئ لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضر (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) فى عمله (فله أجره) الذى يستوجبه (فان قلت) من أسلم وجهه كيف موقعه (قلت) يجوز أن يكون بلى ردّا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أى بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم (على شئ) أى على شئ يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشئ فاذا نفى اطلاق اسم الشئ عليه فقد بولغ فى ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقلّ من لا شئ (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الانجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدّق للثانى شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به على ذلك المنهاج (قال) الجهلة (الذين) لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم وروى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة (فالله يحكم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة) بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار (أن يذكر) ثانى مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجرّ مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (فان قلت) فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام (قلت) لا بأس أن يجئ الحكم عامّا وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريف (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغى أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوّهم وقيل ما كان لهم فى حكم الله يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصرانىّ فى بيت المقدس الا أنهك ضربا وأبلغ اليه فى العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجنّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء فى دخول الكافر المسجد فجوّزه أبو حنيفة رحمه الله ولم يجوّزه مالك وفرق الشافعىّ بين المسجد

الحرام

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا

* قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ الآية (قال محمود رحمه الله هذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشئ الخ) قال أحمد رحمه الله وتفسيره الشئ مخالف لفريقى اهل السنة والبدعة فانه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذى يصح وجوده فليس متناولا للمحال بحال عندهما وقد تقدم له مثله

الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (خزي) قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها (فأينما تولوا) ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (فثم وجه الله) أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان (ان الله واسع) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم (عليم) بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة (وقالوا) وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه أي كل ما في السموات والارض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم (فان قلت) كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون (قلت) هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا * يقال بدع الشئ فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع * و(بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع في قول عمرو

* أمن ريحانة الداعي السميع * بمعنى المسمع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة أي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * وانما المعنى أن ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء أكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على أنه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك) لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر * ولا نسألك (عن أصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة أبي وما تسئل

* كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه

خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم

وسلم عن دخولهم فى الاسلام فحكى الله عزوجل كلامهم ولذلك قال (قل ان هدى الله هوالهدى) على طريقة اجابتهم عن قولهم يعنى ان هـدى الله الذى هوالاسـلام هوالهدى بالحق والذى يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وماتدعون الى اتباعه ماهو بهـدى انما هوهوى ألاترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة (الذين آتيناهم الـكتاب) هم مؤمنو أهل الـكتاب (يتلونه حق تلاوته) لايحرّفونه ولا يغيرون مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون) بكتابهم دون المحرّفين (ومن يكفر به) من المحرّفين (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضـلالة بالهدى (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختـبره بأوامر ونواه واختبار الله عبـده مجاز عن تمكينه عن اختيار أحد الامرين مايريد الله ومايشتهيه العبد كأنه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبوحنيفة رضى الله عنه وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهـما ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختـبر هـل يجيبه اليهن أم لا (فان قلت) الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل فى التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر (قلت) الاضمار قبـل الذكر أن يقال ابتلى ربه ابراهيم فأما ابتلى ابراهيم ربه أو ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر أما الاوّل فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبـل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثانى فابراهيم فيـه مقدّم فى المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدّم لفظا ومعنى فلاسبيل الى صحته * والمستكن فى (فأتمهن) فى احـدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأدّاهن أحسن التأدية من غـير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى وفى الاخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شـيأ ويعضده ماروى عن مقاتل أنه فسر الـكلمات بما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هـذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهـم ربنا تقبل منا * (فان قلت) ما العامل فى اذ (قلت) اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى أو واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما (قال انى جاعلك فان قلت) فما موقع قال (قلت) هو على الاوّل استـئناف كأنه قيـل فماذا قال له ربه حين أتم الـكلمات فقيـل قال انى جاعلك للناس اماما وعلى الثـانى جمـلة معطوفة على ماقبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالـكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسـلام قبـل ذلك فى قوله اذ قال له ربه أسـلم وقيـل فى الـكلمات هن خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الابط وقيـل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشر فى براءة التائبون العابدون وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف وغـيرهن وقيل ابتـلاه بالـكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنـه والنار والهجرة * والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به أى يأتمون بك فى دينهم (ومن ذرّيتى) عطف على الـكاف كأنه قال وجاعـل بعض ذرّيتى كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا (لاينال عهـدى الظالمين) وقرئ الظالمون أى من كان ظالما من ذرّيتك لايناله استخلافى وعهـدى اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا فى هذا دليل على أن الفاسق لايصلح للامامة وكيف يصلح لها من لايجوز حكمه وشهادته ولاتجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدّم للصلاة وكان أبوحنيفة رحمه الله يفتى سرّا بوجوب نصرة زيد بن على رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانيق وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابنى عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتنى مكان ابنك وكان يقول فى المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادونى على عدّ آجرّه لما فعلت وعن ابن عيينة لايكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم * و(البيت) اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرّقون عنه ثم يثوبون اليه أى يثوب اليه أعيان

قل انّ هـدى الله هو الهـدى ولئن اتبعت أهواءهـم بعـد الذى جاءك من العـلم مالك من الله من ولىّ ولا نصـير الذين آتيناهـم الـكتاب يتـلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هـم الخـاسرون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعـمت عليكم وأنى فضلتكم عـلى العالمين واتقـوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولاتنفعها شـفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتـلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذرّيتى قال لاينال عهدى الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس

الذين يزورونه أو أمثالهم (وأمنا) وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد (واتخذوا) على ارادة القول أى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذى يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل المطلب بن أبى وداعة هل تدرى أين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعى الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (عهدنا) أمرناهما (أن طهرا بيتى) بأن طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلى أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقوله ليل نائم و(من آمن منهم) بدل من أهله يعنى وارزق المؤمنين من أهله خاصة (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتى على الكاف فى جاعلك (فان قلت) لم خص ابراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه (قلت) قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للرعى وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وأرزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أى ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فألزه الى عذاب النار لز المضطر الذى لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ أبى فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك (فان قلت) فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة (قلت) فى قال ضمير ابراهيم أى قال ابراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره وقرأ ابن محيصن فأطره بادغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهى لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى حروف ضم شفر (يرفع) حكاية حال ماضية * و(القواعد) جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أى أسأل الله أن يقعدك أى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز أن يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت أى استوطأ يعنى جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروى أنه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروى أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم عليه السلام اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من أرض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أن رفعه الله أيام

وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل

الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسودّ وقيل كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محلّ النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا (فان قلت) هلا قيل قواعد البيت وأيّ فرق بين العبارتين (قلت) في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا أو اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم (فان قلت) لم خصا ذريتهما بالدعاء (قلت) لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج أو وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ أبو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم (وتب علينا) ما فرط منا من الصغائر أو استتبنا بالذريتهما (وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم وروي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورؤيا أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الاحكام (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (ومن يرغب) انكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم * و (من سفه) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا * أجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه أي اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله * ومعنى قال (له أسلم) أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام (قال أسلمت) أي فنظر وعرف وقيل أسلم أي أذعن وأطع وروي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت * وقرئ وأوصى وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام * والضمير في (بها) لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه

و يعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ و يعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يابنى) على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه فى معنى القول ونحوه قول القائل

رجلان من ضبة أخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفى قراءة أبى وابن مسعود أن يابنى (اصطفى لكم الدين) أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن) معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى حال صلاته (فان قلت) فأى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلاة وليس بمنهى عنها (قلت) النكتة فيه اظهار أن الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية اظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول فى الامر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها (أم كنتم شهداء) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية الا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه اظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعنى ان أوائلكم من بنى اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ أراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهى لغة (ما تعبدون) أى شئ تعبدون وما عام فى كل شئ فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا أولى العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات * و (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم أب والخالة أم لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة وقال عليه الصلاة والسلام فى العباس هذا بقية آبائى وقال ردوا على أبى فانى أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبى واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفدينا بالابينا (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أى نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء اليه فى له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة أى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم و يعقوب و بنوهما

* قوله تعالى أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم الخ) قال أحمد رحمه الله وانما اختار
على هذا التفسير أن تكون متصلة لانه لو جعلها منقطعة كالاول لكان مضمون الكلام نفى شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا
التفسير الثانى لوفاة يعقوب والوصية بالاسلام وحينئذ يكون ذلك كاقامة حجتهم على جحد الاسلام وانكار أن يكون الانبياء مسلمين والغرض ضد ذلك وانما كان الكلام يقتضى النفى حينئذ لان الاستفهام من الله تعالى لا يحمل على ظاهره فتعين صرفه الى الانكار لان السياق يقتضيه ولهذا كان نفيا لشهود المسلمين وفاة يعقوب و وصيته على التفسير الاول لا سيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبى عليه الصلاة والسلام بما يخاطب به أوائلهم وتنزيلا لعلمهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاطيهم كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا واذ قلتم ياموسى الى اشباه ذلك فاذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الامر فى خطابهم على المعتاد واذا كانت منقطعة انعكس الامر

ولاتسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا فى الله

الموحدون * والمعنى ان أحدا لاينفعه كسب غيره متقدما كان أومتأخرا فكما أن أولئك لاينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لاينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى هاشم لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم كما لاتنفعكم حسناتهم (بل ملة ابراهيم) بل نكون ملة ابراهيم أى أهل ملته كقول عدىّ بن حاتم انى من دين يريد من أهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع أى ملته ملتنا أو أمرنا ملته أونحن ملته بمعنى أهل ملته و(حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال وأنشد

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فأنتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته * والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والاسباط) حفدة يعقوب ذرارىّ أبنائه الاثنى عشر (لانفرق بين أحد منهم) لانؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (بمثل ما آمنتم به) من باب التبكيت لان دين الحق واحد لامثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أنّ دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على انّ ما رأيت لارأى وراءه ويجوز أن لاتكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبىّ بالذى آمنتم به (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا (فى شقاق) أى فى مناواة ومعاندة لاغير وليسوا من طلب الحق فى شئ أووان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لامحالة وان تأخر الى حين (وهو السميع العليم) وعيد لهم أى يسمع ماينطقون به ويعلم مايضمرون من الحسد والغلّ وهو معاقبهم عليه أووعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ماتدعو به ويعلم نيتك وماتريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لامثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لامثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جىء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (ومن أحسن من الله صبغة) يعنى انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته * وقوله (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يردّ قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ماقالت

* قوله تعالى لانفرق بين أحد منهم (قال محمود رحمه الله وأحد فى معنى الجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه دليل على ان النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع فى تناوله الآحاد مطابقة لا كما ظنه بعض الاصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة فى النفى كمدلولها فى الاثبات وذلك الدلالة على الماهية وانما لزم فيها العموم من حيث ان سلب الماهية يستوجب سلب الافراد لما بين الاعم والاخص من التلازم فى جانب النفى

اذسلب الاعم أخص من سلب الاخص فيستلزمه فلو كان لفظا ما الاشعار له بالتعدد والعموم وضعا لما جاز دخول بين عليها * قوله تعالى سيقول السفهاء (قال محمود رحمه الله تعالى أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى ولهذه

النكتة أجرى من حذق النظار فى ادراج مناظرتهم العمل بمقتضى الذى هو كذا السالم عن معارضة كذا فسيقول درء

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

حذام * قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون والمعنى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى اذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى أن العمل هو أساس الامر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله فى اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك * ثم قال (ونحن له مخلصون) فجاء بما هو سبب الكرامة أى ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لانا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان (أم تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله (سيقول السفهاء) الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم (فان قلت) أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه (قلت) فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة اليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمى يراش السهم (ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم) وهى بيت المقدس (لله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدى من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس وأخرى الى الكعبة (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم (أمة وسطا) خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشئ ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام وأنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابى للحج فقال أعطى من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أو عدلا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض (لتكونوا شهداء على الناس) روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * (فان قلت) فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم (قلت) لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جئ بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى

فانها من الملح * قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا (قال محمود رحمه الله وقيل للخيار وسط الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا مما اقتضى المجاز فيه التعميم * قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم الخ) قال

للمعارض قبل ذكر الخصم له وهى نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية فتفطن لها

أحمد رحمه الله ٣وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى في أولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولا ثم التعميم ثانيا وانما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد اذ الآية في مثل قول القائل لمن شكره كنت محسنا الي وأنت بكل أحد محسن وكأنه لما قال كنت أنت الرقيب عليهم وكان ذلك مخصصا لرقيبه تعالى على بني اسرائيل أراد أن يصفه بما هو أهله حتى ينفي وهم الخصوصية فقال في التقدير وأنت على كل شيء كذلك فوضع شهيدا موضع كذلك المشار به الى رقيبه فلا يتم الاستدلال بها الا على هذا الوجه وفيه غموض على كثير من الافهام والله الموفق (قال محمود رحمه الله فان قلت لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا الخ) قال أحمد رحمه الله لان المنة عليهم في الطرفين ففي الاول بثبوت كونهم و يكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى

شهداء وفي الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية خصوصا من هذا الرسول المعظم ولو قدم شهيد الانتقل الغرض الى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه وانما أخذ الزمخشري الاختصاص من التقديم لان فيه اشعارا بالاهمية والعناية وكثيرا ما يجري أي ذلك في أثناء كلامه وفيه نظر * قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء (قال محمود رحمه الله معناه كثرة الرؤية الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بضد عبارته ومنه ربما يود الذين كفروا والمراد كثرة مودتهم للاسلام في القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه وكذلك وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ومراده اظهار عنادهم بأن علمهم برسالته يقيني مؤكد ومع ذلك يكفرون به (تقلب

والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار (و يكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم و يعلم بعدالتكم (فان قلت) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا (قلت) لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (التي كنت عليها) ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء (لنعلم) الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا أنه كان يجعل الكعبة بينه و بينه (فان قلت) كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك (قلت) معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به (وان كانت لكبيرة) هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة (الا على الذين هدى الله) الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت (لرؤف رحيم) لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس اليه وأحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت أزيد في الدار أم عمرو وقرأ ابن أبي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة كما في قوله

* وجيران لنا كانوا كرام *

والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد (قد نرى) ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله *

٣ (قول المحشي وجه الاستدلال بالآية انه وصف الخ) فيه انتقال نظر لا يخفى فليحرر اه مصححه

تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

(تقلب وجهك) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وأدعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس (ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (شطر المسجد الحرام) نحوه قال *وأطعن بالقوم شطر الملوك *وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين (ليعلمون أنه الحق) أن التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلي الى القبلتين (يعملون) قرئ بالياء والتاء (ما تبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط *بكل آية بكل برهان قاطع أن التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا (قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده *وقوله (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر (انك اذا لمن الظالمين) المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق (فان قلت) كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة (قلت) كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون أبناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم

قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (قال محمود رحمه الله الشطر النحو والسمت الخ) قال أحمد رحمه الله وقد نقل أصحابنا المالكية خلافا عن المذهب في الواجب فقيل الجهة وقيل العين هذا مع البعد وأما حيث تشاهد الكعبة في المسجد الحرام فمن خرج عن السمت ثم لم يصح صلاته قولا واحدا ثم لهم على كل واحد من القولين اشكال أما على قول العين فيلزم ان لا تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامة الكعبة شرفها الله تعالى لانا نعلم بالضرورة وان لم نشاهد أن بعضهم يصلي الى عينها اذ لا يبقى سمتها اذ ذاك على هذا التقدير لكن الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن في الشمال مثلا الى الجهات الثلاث لانها كلها جهات الكعبة والسمت غير مراعى على هذا المذهب وانما جاء هذا الخبط من عدم التميز بين مراعاة الجهة والسمت ولقد ميزهما أبو حامد بمثال هندسي في كتاب الاحياء فلا

نطول بذكره والتحقيق عند الفتوى ان المعتبر مع البعد الجهة لا السمت *قوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى لن نصبر على طعام واحد مع انه متعدد وهو المن والسلوى فقيل انهم أرادوا انهما من طعام الترفه وآثروا طعام الفلاحة والاجلاف فلما اتحد الطعامان المذكوران في الرفاهية جعلوهما طعاما واحدا وهذا المعنى في انكار الطعام أبلغ لانهم لم يكتفوا في انكاره بقولهم لن نصبر على طعام حتى أكدوه بقولهم واحد وللزمخشري عنه جواب آخر سلف بمكانه

به منى يا بنى قال ولم قال لانى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام (فان قلت) لم اختص الابناء (قلت) لان الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال (فريق منهم) استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قالوا يقال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (الحق من ربك) يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدا محذوف أى هو الحق أو مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق أى هذا الذى يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما ثبت أنه من الله كالذى أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل (فان قلت) اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك (قلت) يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول أى يكتمون الحق الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى كتمانهم الحق مع علمهم أو فى أنه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) قبلة وفى قراءة أبى ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أى الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (ومن حيث خرجت) أى ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به وقرئ (يعملون) بالتاء والياء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (الا الذين ظلموا) استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء (فان قلت) أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (قلت) كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة أبيه ابراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة (فان قلت) كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين (قلت) لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم * ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشونى لاوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما أرسلنا) اما أن يتعلق بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم

وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم خص الابناء ولم يقل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله بنى كلامه هذا على ان الاناث لا يدخلون فى لفظ الابناء كما يدخلون فى لفظ الاولاد وليس الامر كذلك بل اللفظان سواء من شمول الاناث ولذلك يدخلان فى لفظ الواقف اذا وقف على بنيه وبنى بنيه كما يدخلان فى لفظ الاولاد وهذا مذهب الامام مالك

بارسال

رضى الله عنه * قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع (قال محمود رحمه الله وعن الشافعي رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد) قال أحمد

بارسال الرسول (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائى (أموات بل أحياء) هم أموات بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه أم لا (بشئ) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (وبشر الصابرين) المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى أنه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قال فى قوله بشئ ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم * ونقص عطف على شئ أو على الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والخطاب فى وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد * والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أى رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله * والصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم * والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة أى من أعلام مناسكه ومتعبداته * والحج القصد * والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان * وأصل (يطوف) يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف (فان قلت) كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما (قلت) كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف فى السعى فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله (ومن تطوع خيرا) كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شئ عليه وعند مالك والشافعى هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفى قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير (ان الذين يكتمون) من

وفى تفسيره هذا نظر لان هذا الابتلاء موعود به فى المستقبل مذكور قبل وقوعه توطينا عليه عند الوقوع ولعله

فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون

ما من بلية ذكرها الا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية اذ الخوف من الله تعالى لم يزل مشحونا فى قلوب المؤمنين وبعدا ان يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التى هى النمو ضد النقص وورد ما نقص مال من صدقة ويمكن ان يقال هى نقص حسا وانما سميت زكاة باعتبار ما يؤول اليه حال القيام بها من النمو فالعوض المرجو من كرم الله خلف فلما ذكرها الله تعالى فى سياق الابتلاء الموعود بها عبر عنها بالزكوة تسهيلا لاخراجها على المكلف لانه اذا استشعر العوض

أحبار اليهود (ما أنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به (من بعد ما بيناه) ولخصناه (للناس فى الكتاب) فى التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس (أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (و بينوا) ما بينه الله فى كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم و يعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به و يقتدى بهم غيرهم من المفسدين (ان الذين كفروا) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا *وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة (فان قلت) ما معنى قوله والناس أجمعين وفى الناس المسلم والكافر (قلت) أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) فى اللعنة وقيل فى النار الا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (ولا هم ينظرون) من الانظار أى لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر اليهم نظر رحمة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره الها و (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته (الرحمن الرحيم) المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه * وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة (بما ينفع الناس) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس * (فان قلت) قوله (وبث فيها) عطف على أنزل أم أحيا (قلت) الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فأحيا به الارض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكأنه قيل وما أنزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد (أندادا) أمثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم و ينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا * ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم و يخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أى كما يحب الله تعالى على أنه مصدر من المبنى للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله أى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله و يتقربون اليه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (أشد حبا لله) لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه و يخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم و بينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة (الذين ظلموا) اشارة الى متخذى الانداد أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شئ من العقاب والثواب دون أندادهم و يعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما فى قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط

ما أنزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه
للناس فى الكتاب أولئك
يلعنهم الله و يلعنهم
اللاعنون الا الذين
تابوا وأصلحوا و بينوا
فأولئك أتوب عليهم
وأنا التواب الرحيم ان
الذين كفروا وماتوا
وهم كفار أولئك عليهم
لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون
والهكم اله واحد لا اله الا
هو الرحمن الرحيم
ان فى خلق السموات
والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك
التى تجرى فى البحر بما
ينفع الناس وما أنزل
الله من السماء من ماء
فأحيى به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل
دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات
لقوم يعقلون ومن
الناس من يتخذ من
دون الله أندادا يحبونهم
كحب الله والذين آمنوا
أشد حبا لله ولو يرى
الذين ظلموا اذ يرون
العذاب أن القوة لله
جميعا وأن الله شديد
العذاب

(قال محمود رحمه الله يحبونهم كحب الله يعظمونهم كما يعظم الله الخ) قال أحمد فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول كالاول ولكن هذا الفاعل مسمى وفعله مبنى للفاعل عنده فكه من السبك

*قوله تعالى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم الآية (قال محمود رحمه الله هم ههنا بمنزلتها في قوله هم يفرشون الخ) قال أحمد رحمه الله أشد ما أخفى في هذه الكلمات معتقد أورب صدره كلمات فهو يتنفس عن نفسه خناق الكتمان بما ينفثه منه في بعض الاحيان وكشف ذلك أن يقال لما استشعر دلالة الآية لاهل السنة على أنه لا يخلد في النار الا الكافر وأما العاصي وان أصر على الكبائر فتوحيده يخرجه منها ولا بد وفاء بالوعد ووجه الدلالة منها على ذلك انه صدر الجملة بضمير مبتدا ومثل هذا النظم يقتضي الاختصاص والحصر لغة وستمر للزمخشري مواضع يستدل فيها على الحصر بذلك فقد قال في قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ان معناه لا ينشر الا هم وان المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الالوهية فيهم وكذلك يقول في أمثال قوله وهم بالآخرة هم يوقنون ان معناه الحصر أنه لا يوقن بالآخرة الا هم فاذا ابتنى الامر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار في هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين لكن الزمخشري يأبى ذلك فيعمل الحيل من معارضة هذه الفائدة بفائدة تتم له على القاعدة فيجعل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود اليهم لاختصاصه بهم وهم عنده بهذه المثابة لان العصاة وان خلدوا على زعمه الا أن الكفار أحق بالخلود وأدخل في استحقاقه منهم فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذقه وفطنته والله ولي التوفيق

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء

والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما *وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة (اذ تبرأ) بدل من اذ يرون العذاب أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع *وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول أي تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) الواو للحال أي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ و(الاسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم (لو) في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات) أي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين) هم بمنزلته في قوله *هم يفرشون اللبد كل طمرة *في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند اليهم لا على الاختصاص (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما في الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول * وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته (مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (فان قلت) كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان (قلت) شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت (لهم) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب *لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء

صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيأ آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا أن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيأ * والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة (صم) هم صم وهو رفع على الذم (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا (واشكروا لله) الذي رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري * قرئ حرّم على البناء للفاعل وحرّم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم (أهل به لغير الله) أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (غير باغ) على مضطر آخر بالاستيثار عليه (ولا عاد) سد الجوعة (فان قلت) في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان (قلت) قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل اذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وان أكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا (فان قلت) فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه (قلت) لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال * أكلت دما ان لم أرعك بضرّة * وقال * يأكلن كل ليلة اكافا * أراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شئ صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روى عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله (ذلك بأن الله نزل) أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب (لفي شقاق) لفي خلاف (بعيد) عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا (البرّ) اسم للخير ولكل فعل مرضيّ (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم

قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم الآية (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه لليهود والنصارى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا منقول عن المبرد مصمي بسهام الرد فان فيه ايهاما بأن اختلاف وجوه القراءة موكول الى الاجتهاد وانه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن يعد أهلا للاجتهاد في العربية واللغة وهذا خطأ محض فالقراآت سنة متبعة لا مجال فيها للدراية على أن ما قاله وقدر أنه الاوجه ليس بالغ ذروة فصاحة الآية الا على القراآت المستفيضة لان الكلام مصدر بذكر البر الذي هو المصدر قولا واحدا فلو عدل الى ذكر البرّ الذي هو الوصف لا يفك المطابقة ويعني النظام ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تأويل لا برّ من آمن أوجه وأحسن وأبقى على السياق اكثروا ومن ظن أنه يشق غبارا أو يتعلق باذيال فصاحة المعجز للفصحاء فقد سوّلت له نفسه محالا ومنته ضلالا

*قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى الآية (قال محمود رحمه الله مذهب مالك والشافعى رضى الله عنهما ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من الزمخشرى وهم على الامامين فانهما يقتصان من الذكر للانثى بلا خلاف عنهما وأما الحر والعبد عندهما هو الذى وهم الزمخشرى عنهما *قوله تعالى فمن عفى له من أخيه شئ (قال محمود رحمه الله معنى الآية فمن عفى له من جهة أخيه الخ) قال أحمد رحمه الله ويقوى هذا التأويل القول بان موجب العمد أحد الامرين من القصاص أو الدية والخيار الى الولى وهو أحد القولين فى مذهب مالك رضى الله عنه ومشهورهما اذ لو جعلنا موجب العمد القود على القول الآخر لكان فى ذلك تضيق على الولى والآية مشعرة بالتخفيف والسعة وتحمل الآية وجها آخر وهو عود الضميرين جميعا الى الولى وقالوا على هذا الوجه يكون العفو اعطاء البدل كأنه قال فمن أعطى شيأ من أخيه أى بدلا من أخيه ويكون من مثلها فى قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون ونظيره فى استعمال العفو فى العطاء عندى قوله تعالى الا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح اذا حمل الذى بيده العقدة على الزوج وهو مذهب الشافعى

أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ وليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا على ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد (ولكن البر من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف أى بر من آمن أو يتأول البر بمعنى ذى البر أو كما قالت *فانما هى اقبال وادبار* وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف (والكتاب) جنس كتب الله أو القرآن (على حبه) مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس باعطائه* وقدم ذوى القربى لانهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح وأطلق (ذوى القربى واليتامى) والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس * والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى *(فان قلت) قد ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن فى المال حقا سوى الزكاة (قلت) يحتمل ذلك وعن الشعبى أن فى المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفى الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعنى وجوبها وروى ليس فى المال حق سوى الزكاة (والموفون) عطف على من آمن *وأخرج (الصابرين) منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين و(البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادين فى الدين * عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصرى وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعى رحمة الله عليهم أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى أخذا بهذه الآية ويقولون هى مفسرة لما أبهم فى قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب فى التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبى والنخعى وقتادة والثورى وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا (فمن عفى له من أخيه شئ) معناه فمن عفى له من جهة أخيه شئ

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شئ

رضي الله عنه ويقول أصحابه عفوه على أحد وجهين اما من استرجاع النصف الواجب ان كان قد سلم جميع المهر واما على دفع النصف الآخر
الذي سقط عنه ان كان لم يسلمه فيكون العفو على هذا مستعملا في الاعطاء ويقوى هذا الوجه في أنه لا قصاص قوله فاتباع بالمعروف

من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة * وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لانه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام (فان قلت) ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له (قلت) يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب والجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (فان قلت) هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به (قلت) لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى (فان قلت) فقد ثبت قولهم عفا أثره اذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء (قلت) عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها (فان قلت) لم قيل شيء من العفو (قلت) للاشعار بأنه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع أو فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم أداء باحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لان أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية (ولكم في القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي ولكم في القرآن حياة للقلوب كقوله تعالى روحا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة (لعلكم تتقون) أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة

لان المخاطب بالاتباع بالمعروف انما هو الولي فاذا جعلنا الضميرين له اتساق الكلام سياقة واحدة الى جهة واحدة وصار المعنى فمن أعطى من الاولياء بدلا من أخيه فليتبع بالمعروف في طلب ما أعطى ولما خالفه الولي عن التقاضي خاطب القاتل بحسن

فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حيوة ياأولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم

الاداء فلينتظم الكلام موجها الى وجه واحد وأما على الوجه الذي قرره الزمخشري فالضميران جميعا راجعان الى القاتل وتقدير الكلام فمن عفي له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولي هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف فيكون المخاطب أول الآية القاتل وآخرها الولي بخلاف الوجه الذي قررته والله أعلم وكلا الوجهين حسن جيد * قوله تعالى ولكم في القصاص (اذا
حياة (قال محمود رحمه الله كلام فصيح لما فيه من الغرابة الخ) قال أحمد رحمه الله قوله جعل أحد الضدين محلا للآخر كلام اما وهم فيه أو تسامح لان شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديرا ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص والبلاغة التي أوضحها في الآية بينة بدون هذا الاطلاق

(اذاحضر أحدكم الموت) اذادنامنه وظهرت أماراته (خيرا) مالا كثيرا عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن على رضى الله عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى أن يوصى ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت فى بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لاوصية لوارث وبتلقى الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذى صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ماهى بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ماأوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصى للوالدين والاقربين بتوفير ماأوصى به الله لهم عليهم وأن لاينقص من أنصبائهم (بالمعروف) بالعدل وهو أن لايوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعدما سمعه) وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم الايصاء المغير أو التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانهما بريان من الحيف (ان الله سميع عليم) وعيد للمبدل (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا فى كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم (جنفا) ميلا عن الحق بالخطا فى الوصية (أو اثما) أو تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لايؤثم (كما كتب على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال على رضى الله عنه أولهم آدم يعنى أن الصوم عبادة قديمة أصلية ماأخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم (لعلكم تتقون) بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها أولعلكم تتقون المعاصى لان الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء أولعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم فى عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان فزدوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه فى البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فى أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته* وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية* ومعنى (معدودات) موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة (أو على سفر) أوراكب سفر (فعدة) فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة (من أيام أخر) واختلف فى المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه فى رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع أصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه فى سعة من الافطار وقائل هو المرض الذى يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعى لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضا فى القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ان الله لم يرخص لكم فى فطره وهو يريد أن يشق عليكم فى قضائه ان شئت

اذاحضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية والدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

فواتر وان شئت ففرق وعن على وابن عمر والشعبى وغيرهم أنه يقضى كما فات متتابعا وفى قراءة أبى فعدة من أيام أخر متتابعات (فان قلت) فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها أى فعدة الايام المعدودات (قلت) لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف بالاضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة أو القلادة أى يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء فى الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المطوقون وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم فى الخطاب المريض والمسافر أيضا وفى قراءة أبى والصيام خير لكم * الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت (فان قلت) لم سمى (شهر رمضان) (قلت) الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم أى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر (فان قلت) فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء فى الاحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من قال صام رمضان ايمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له (قلت) هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما أعيا النطاسى حذيما أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره (الذى أنزل فيه القرآن) أو على أنه بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الابدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل أنزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل فى عمر كذا وفى على كذا وعن النبى عليه السلام نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين مضين (هدى للناس وبينات) نصب على الحال أى أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل (فان قلت) ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (قلت) ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (يريد الله) أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الاعادة * وقرئ اليسر

والعسر بضمتين * الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدّة ما أفطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدّث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ماهداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة أن تشكروا * وقرئ ولتكملوا بالتشديد (فان قلت) هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا (قلت) لا يبعد ذلك والاوّل أوجه (فان قلت) ما المراد بالتكبير (قلت) تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال (فانى قريب) تمثيل لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعى أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروى أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أنى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم * وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انى أعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت * وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أى أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أنشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شئ من ذلك (فان قلت) لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن (قلت) استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم (فان قلت) لم عدى الرفث بالى (قلت) لتضمينه معنى الافضاء * لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

(فان قلت) ما موقع قوله (هن لباس لكم) (قلت) هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو أنه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن (تختانون أنفسكم) تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدّة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة أى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهى عن العزل لانه فى الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

قوله تعالى ولتكملوا العدة الآية (قال محمود رحمه الله الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك الخ) قال أحمد رحمه الله ولقبه الخاص به فى صناعة البديع رد أعجاز الكلام الى صدوره ولقد أحسن الزمخشرى فى التنقيب عنه فهو منظوم فى سلك حسناته *قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم (قال محمود رحمه الله كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل الخ)

قال أحمد رحمه الله ويشهد لصحة هذا الجواب انه لما استقرت الاباحة فيه قال فالآن باشروهن فكنى عنه الكناية المألوفة فى الكتاب العزيز ويشكل بقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فان هذه العبارة استعملت ولم ينقل فى الحج ما نقل فى الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه ويمكن أن يجاب عنه لما وقع فى آية الحج منهيا عنه أريد للشعبة عندهم كيلا يقعوا فيه فعبر عنه بما هجنه ليكون ذلك منفرا لهم عن التورط

* قوله تعالى كلوا واشربوا الآية (قال محمود رحمه الله قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار الخ) قال أحمد وجه استدلالهم من الآية على الحكم الأول متعذر لان اقتران النية بأول الصوم وجودا غير معتبر باتفاق وتقدمها من الليل وتستصحب معتبر باتفاق فاذن لا تنافي بين الاكل والشرب الى الفجر وبين نية الصوم المستقبل ٩٢ من الليل ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل دل عليه وانما لم يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية في النهار لو كان الاكل والشرب ليلا الى الفجر منافيا في صحة استصحاب النية وكان اقتضاء الآية لجواز الاكل والشرب الى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل الى الفجر لوجود المنافي لها ولا بد منها فيتعين ان يوقع بعد الفجر على هذا التقدير وذلك التقدير كما علمت متفق على بطلانه وأما الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستقيم والله أعلم ولتفطن الزمخشري لبطلان الاستدلال بالآية على الحكم المذكور سلك سبيل النقل عنهم فقال قالوا لا يقولها الا في مثل هذا المعنى ولم ينبهه التنبيه على بطلان الاستدلال لانه على وفق مذهبه * قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها الآية (قال محمود رحمه ان الله تعالى ان قلت كيف قال فلا تقربوها الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لا يدافع عنه

الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم

الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير (الخيط الابيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود و (الخيط الاسود) ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو داود

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

وقوله (من الفجر) بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله (فان قلت) أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه (قلت) قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها (فان قلت) فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة (قلت) لان من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة (فان قلت) فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما أصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل (قلت) غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتني بعض البدويات لبدوي

عريض القفا ميزانه في شماله * قد انحص من حسب القراريط شاربه

(فان قلت) فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة (قلت) أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد منه (ثم أتموا الصيام الى الليل) قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال (عاكفون في المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه * والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد (تلك) الاحكام التي ذكرت (حدود الله فلا تقربوها) فلا تغشوها (فان قلت) كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله (قلت) من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي

بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم

أن يقرب الحدّ الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل وأن يكون فى الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهى حدود لا تقرب *ولا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه *ولا (تدلوا بها) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين انما أنا بشر وأنتم تختصمون الىّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيأ فانما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل فى حكم النهى أو منصوب باضمار أن كقوله وتكتموا الحق (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ *وروى أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصارىّ قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحالّ ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته* كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فاذا كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البرّ) بر (من اتقى) ما حرم الله (فان قلت) ما وجه اتصاله بما قبله (قلت) كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجلّ لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البرّ فى شئ وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجرى ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لانه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البرّ وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكنّ البرّ برّ من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أى وباشروا الامور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون *المقاتلة فى سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع ابن أنس رضى الله عنه هى أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادّون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم فى حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صدّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا يفى لهم قريش ويصدّوهم ويقاتلوهم فى الحرم وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم فى الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح فى ذلك (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة (حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم فى حلّ أو حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا من الاستطراد فى كتاب الله تعالى قوله وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا الى آخر الآية فانه تعالى بين عدم الاستواء بينهما الى قوله أجاج وبذلك تم القصد فى تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ثم قوله ومن كل تأكلون لا يتقرر به عدم الاستواء بل المفاد به استواؤهما فيما ذكر فهو من اجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور وانما مثلت هذا النوع الذى نبه عليه الزمخشرى لانه مفرد عن الاستطراد الذى بوّب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوّبوا عليه سواء قوله تعالى لا تتولوا

من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله

فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن أثقف فليس الى خلود

(من حيث أخرجوكم) أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشدّ من القتل) أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به أشدّ عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل

لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم اياهم في الحرم أو من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم * وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم (فان انتهوا) عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم * قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أيّ حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحلّ لكم * الباء في (بأيديكم) مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروى أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب الانصاريّ نحن أعلم بهذه الآية وانما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الاسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو عليّ في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرّة والتسرّة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار (وأتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روى ذلك عن عليّ وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة

قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فانه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفي البديع التمثيل بقوله اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وان كان من جرم وسيأتي فيه مزيد تقرير ان شاء الله

فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج

ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية (فان قلت) هل فيه دليل على وجوب العمرة (قلت) ما هو الا أمر باتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا أن تقول الامر باتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب فى أصله الا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب وهو ما روى أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع (فان قلت) فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضى الله عنه أن رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج (قلت) كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينة له فى الوجوب وأما حديث عمر رضى الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما واذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذى ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ على وابن مسعود والشعبى رضى الله عنهم والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب (فان أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت * عليك ولا أن أحصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضى أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شئ مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيبانى وعليه قول أبى حنيفة رحمهم الله تعالى كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر فى اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة (فان قلت) أين ومتى ينحر هدى المحصر (قلت) ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار وعندهما فى أيام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء أى فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم) الخطاب للمحصرين أى لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ (محله) أى مكانه الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبى حنيفة رحمه الله (فان قلت) ان النبى صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر (قلت) كان محصره طرف الحديبية الذى الى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة (فمن كان منكم مريضا) فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة فعليه اذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك أذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة وكان كعب يقول فى نزلت هذه الآية وروى أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف (فاذا أمنتم) الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال أمن وسعة (فمن تمتع) أى استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى

وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا أحرم بحجته (فمن لم يجد) الهدى (فـ)عليه (صيام ثلاثة أيام في الحج) أي في وقته وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله والافضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله (في الحج وسبعة اذا رجعتم) يعني اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما *(فان قلت) فما فائدة الفذلكة (قلت) الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به (٣) ومن جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك (كاملة) تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدى وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات (ذلك) اشارة الى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيأ وحاضرو المسجد الحرام وأهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند أبي حنيفة وعند الشافعي أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خاف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى *أي وقت الحج (أشهر) كقولك البرد شهران *والاشهر المعلومات شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله (فان قلت) ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر (قلت) فائدته أن شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد الا أنه مكروه (فان قلت) فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهرا (قلت) اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وانما رآه في ساعة منها (فان قلت) ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير (قلت) قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لرجل ان أطعتني انتظرت حتى اذا أهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر (معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له (فمن فرض فيهن الحج) فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدى وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية (فلا رفث) فلا جماع لانه يفسده أو فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب

فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق

*قوله تعالى الحج أشهر معلومات (قال محمود رحمه الله هي شوّال وذو القعدة الخ) قال أحمد الذي نقله عن مالك أحد قوليه وليس بالمشهور عنه وأما استدلاله لهذا القول بكراهية عمر الاعتمار الى ان يهل المحرم فلا ينهض دليلا لمالك لانه يقول لا تنعقد العمرة في أيام منى خاصة لمن حج مالم يتم الرمي ويحل بالافاضة فتنعقد وجميع السنة ماعدا ماذكر ميقات للعمرة ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك الا في اسقاط الدم عن مؤخر طواف الافاضة الى آخر ذي الحجة لا غير وهي الفائدة التي نقلها الزمخشري عن عروة ولعمري ان هذا القول حسن دليلا فلا يحتاج الى مزيد ولكن ظاهر الآية ومقتضاها ان جملة الاشهر هي زمان الحج ألا ترى ان من قال وعشر من ذي الحجة يحتاج في تنزيل الآية على مذهبه الى تقرير ان بعض الشهر يتنزل منزلة جمعه ويستشهد على ذلك بقوله * ثلاثون شهرا في ثلاثة أحوال * وانما أحوجه الى الاستشهاد خروج مقالته عن ظاهر الآية فالمتمسك بها على ظاهرها في كمال الاشهر الثلاثة واقف مع اقتضائها غير مضطر الى مزيد عليه (ولا

(٣) لعل الصواب حذف الواو اذ لا موقع لها كما لا يخفى اه

*قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية (قال محمود رحمه الله انما أمر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان وهي أن تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بأنها في غير الحج وان كانت منهياً عنها وقبيحة الا ان ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة الى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم على ان الرفث ان كان التحدث في أمر الجماع خاصة فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي وقد نبه مالك رضي الله عنه على أنه لا بأس للحاج بالسعي في أمور النساء الا أن ذلك قد يوقع في الوهم انه يؤدي الى ترك المحظور وهذا يدل على شديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على أسحق في قوله من التنبيه وتحريم الغيبة على الصائم فيقولون وعلى المفطر فلا فائدة في تخصيص الصائم ويعدون ذلك وهماً منه وهم بمعزل عن هذه الآية وأمثالها فقد أوسعته عذراً في عبارته تلك اذ الكتاب العزيز به تمتحن الفصاحة وصحة العبارات *قوله تعالى فاذا أفضتم من عرفات (قال محمود رحمه الله فان قلت هلا منعت عرفات الصرف الخ) قال أحمد رحمه الله يلزمه اذا سمي امرأة بمسلمات ان لا يصرفه فيقول هذا مسلمات بغير تنوين وهو قول ردي بل الافصح الصحيح في مسلمات اذا سمي به ان ينون وانما بنى الزمخشري كلامه هذا على أن تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التي عدها في مفصله على انه راجع الى تنوين التمكين

ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات

(ولا جدال) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون * وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) أي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى (واتقون) وخافوا عقابي (يا أولي الالباب) يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكأنه لا لب له (فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج * أن تبتغوا في أن تبتغوا (أفضتم) دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب ٣ في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه * و(عرفات) علم للموقف سمي بجمع كأذرعات (فان قلت) هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث (قلت) لا يخلو التأنيث اما أن يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها

٣ (قوله في دقران) كذا في نسخة بالدال المهملة والقاف وفي نسخة ذفران وكتب عليها بالهامش بالذال المعجمة والفاء المكسورة على فعلان من نهاية ابن الاثير اه وفي القاموس في فصل الدال المهملة مع القاف ودقران كسلمان واد قرب وادي الصفراء وقال في فصل الذال المعجمة مع الفاء وذفران بكسر الفاء واد قرب وادي الصفراء أو تصحيف لدقران اه مصححه

*قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (قال محمود رحمه الله وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع فى الجاهلية الخ) قال أحمد رحمه الله وقد اشتملت الآية على نكتتين احداهما عطف الافاضتين احداهما على الاخرى ومرجعهما واحد وهو الافاضة المأمور بها فربما يتوهم متوهم انه من باب عطف الشئ على نفسه فيزال هذا الوهم بان بينهما من التغاير ما بين العام والخاص والمخبر عنه أولا الافاضة من حيث هى غير مقيدة والمأمور به ثانيا الافاضة مخصوصة بمساواة الناس والثانية بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهلة وذلك يستدعى التراخى مضافا الى التغاير وليس بين الافاضة المطلقة والمقيدة تراخ فالجواب غير ذلك ان التراخى كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها فى العلو بالنسبة الى غيرها وهو الذى أجاب به بعد مزيد نشيط وايضاح *قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا (قال محمود رحمه الله أشد معطوف على ما أضيف اليه الذكر الخ) قال أحمد رحمه الله فعلى الاول يكون أشد واقعا على المذكور المفعول فى ومثاله على الاول ان يضرب اثنان زيدا مثلا فيقول أيهما أشد ضربا لزيد فيوقعه على الضارب ومثال الثانى ان يضرب زيد اثنين مثلا فتقول أيهما أشد ضربا فتوقعه على المضروب وعلى الوجه الاول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس وعلى الثانى يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس وقد ذكر الزمخشرى فى مفصله انه شاذ بقولهم أتسبل مرآة التحسين وأنا أسر منك هذا فى أمثلة عددها فليت شعرى كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلا وفى الوجهين جميعا يفر من عطف أشد على الذكر الاول لئلا يكون واقعا على

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا

ليست للتأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث فى بنت لان التاء التى هى بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به فى المشاعر أراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهى من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف فى أسماء الاجناس الا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء *و(المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلى المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها فى حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أى دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لانهم يزدلفون الى الله أى يتقربون بالوقوف فيها (كما هداكم) ما مصدرية أو كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (ثم أفيضوا) ثم لتكن افاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالى عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم فى الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات (فان قلت) فكيف موقع ثم (قلت) نحو موقعها فى قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتى بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وأن احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أى من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين أى الناسى وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يعنى أن الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه (واستغفروا الله) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم (فاذا قضيتم مناسككم) أى فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) فى موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر

الذ كروقدا نتصب الذ كر تمييزاعنـه فيكون الذ كرذا كراوهومحال لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه بباب قولهم شعرشاعروجن جنونه ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفـة صفة مثلها تمكينا لثبوتها ووضح ذلك ان انتصاب الذ كر تمييزا يوجب ان لا يقع أشد عليه ويعين خروجه منه اما أن يقع على الجثة الذا كرة بتأويل جعله ذا كراعلى ماصار اليـه أبو الفتح انك لوقلت زيدأ كرم أبا لكان زيد من الابناء ولوقلت زيد أكرم أب لكان من الآباء ويحتمل عطفه على الذ كرأعنى وجها آخر سوى ماذهب اليه أبو الفتح وهو ان يكون من باب ماذ كره سيبويه قال ويقولون هو أشجع الناس رجلا وهما خير الناس اثنين فالمجرورهنا بمنزلة التنوين وانتصب الرجـل والاثنين كما انتصب الوجـه فى قولك هو أحسن منه وجها ولا يكون الا نكرة كما لا تكون الحال الا نكرة والرجل هو الاسم المبتدأ فانما أراد بذلك ان هـذا ليس بمثابة هو أشجع الناس غلاما فان هذا يجوزان يكون غـلاما هو الاسم المبتـدأ كما فى المثال الاول ويجوزان يكون غـيره فالآية على هذا الوجـه الذى أوضحتـه منزلة على المثال الاول فيكون ذكرا المنصوب واقعا على أشد كما كان الرجل المنصوب واقعا على أشجع فكانه قال أوأشد الاذ كار ذ كرا فهذه وجوه أربعة كلها مطروقة الا هذا الوجه الذى زدته فان خاطرى ابو عذرته كخشية الله أوأشد خشـية ولم أقف على كلام الزمخشرى فيما بعـد * قوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليـه الآية (قال محمود انما نفى الاثم فى الطرفين جميعا ليدل على التخيير بين الامرين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والفطروان كان الصوم أفضل) قال أحمد رحمـه الله قوله ان التخيير يقع بين الفاضل والافضل غير مستقيم فان التخيير يوجب التساوى فى غرض المخير وينافى طلب أحد الطرفين والأمر به وكيف يستقيم اجتماع مايوجب الطلب والترجيح ومايوجب التساوى والتخيـير وقد وقع لامام الحرمين قريب من هـذا فانه مـيز الوجوب من النـدب بان الندب يشتمل على اقتران الامر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب ولم يرضه محققو الفن وانما أخل الزمخشرى فى تفسيره الآية فلزمـه ذلك السؤال الوارد عليـه وبيان عدم التطابق بين تفسـيره والآية ان مضمونها نفى الاثم عن الطرفين جميعا وهـذا القدر مشترك

فمـن الناس من يقـول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهـم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريـع الحساب واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجـل فى يومين فلا اثم عليـه ومن تأخر فلا اثم عليـه

فى قوله كذكركم كما تقـول كذكر قريش آباءهـم أوقوم أشـدّ منهـم ذكرا أوفى موضـع نصب عطف عـلى آباءكم بمعـنى أوأشـد ذكرا من آبائكم على أنّ ذكرا من فعـل المذكور (فمن الناس من يقول) معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقـل لايطلب بذكر الله الا أعـراض الدنيا ومكثر يطلب خـير الدارين فكونوا من المكثرين (آتنا فى الدنيا) اجعل ايتاءنا أى اعطاءنا فى الدنيا خاصة (وماله فى الآخرة من خلاق) أى من طلب خـلاق وهو النصيب أوماله ـذا الداعى فى الآخرة من نصيب لانّ همه مقصور على الدنيا * والحسـنتان ماهو طلبـة الصالحين فى الدنيـا من الصحة والكفاف والتوفيق فى الخير وطلبتهم فى الآخرة من الثواب وعن علىّ رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) أى نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسـنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أومن أجل ما كسبوا كقوله مما خطيآتهم أغرقوا أولهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منـه مايستوجبونه بحسب مصالحهم فى الدنيا واستحقاقهم فى الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفـة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوزأن يكون أولئك للفريقين جميعا وأنّ لكل فريق نصيبا من جنس ما كسـبوا (والله سريع الحساب) يوشـك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أووصف نفسـه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عـددهم وكثرة أعمالهم ليدل عـلى كمال قدرته ووجوب الحذر منـه روى أنه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار فواق ناقة وروى فى مقدار لمحة * الايام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكبر فى فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس فى الطريق وفى الطواف (فمن تعجل) فمن عجل فى النفر أواستعجل النفر وتعجل واسـتعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ومتعديين يقـال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هى كذلك فى قوله

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

لاجل المتأنى (فى يومين) بعد يوم النحر يوم القرّ وهو اليوم الذى يسميه أهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعىّ ويروى عن قتادة وعنـد أبى حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر (ومن تأخر) حتى رمى فى اليوم الثالث والرمى فى اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبى حنيفة وعنـد الشافعىّ لايجوز * (فان قلت) كيف قال (فلا اثم عليه) عنـد التعجل والتأخر جميعا (قلت) دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أوتأخروا (فان قلت) أليس التأخر بأفضل (قلت) بلى ويجوزأن يقع التخيير بين الفاضل والافضـل كما خير المسافر بين الصوم والافطاروان كان الصوم

أفضل وقيل ان أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا (لمن اتقى) أي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال (واتقوا الله) ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره * لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله (من يعجبك قوله) أي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر * (فان قلت) بم يتعلق قوله (في الحياة الدنيا) (قلت) بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة أو لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف أبي ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق (سعى في الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول (أخذته العزة بالاثم) من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه وألزمته اياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ (يشري نفسه) يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء (السلم) بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الاسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (فان زللتم) عن الدخول في السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بحق وروى أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت

وظللت

لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم هل ينظرون الا أن يأتيهم الله

بين الندب والكراهة والاباحة لكن يتميز الندب بترجيح الفعل على الترك وتميز الكراهة والاباحة بالتخيير بينهما فلا تنافي اذا بين الندب الى التأخير وانه أفضل وبين نفي الاثم عن تاركه الى التعجيل وحينئذ لا يرد السؤال الذي لزمه فاجاب عنه

* قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا (قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان الخ) قال أحمد رحمه الله وردت اضافة التزيين الى الله تعالى واضافته الى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين لكن الاضافة الى قدرة الله تعالى حقيقة والاضافة الى غيره مجاز على قواعد السنة والزمخشري يعمل على عكس هذا فان أضاف الله فعلا من أفعاله الى قدرته جعله مجازا وان أضافه الى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا التعكيس اتباع الهوى في القواعد الفاسدة * قوله تعالى ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا الآية (قال محمود رحمه الله لانهم في عليين من السماء وهم في سجين الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ومثله في كتاب الله كثير قال الله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وكان الاصل الا انهم الآية فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى وضمنه ذكر صفة الظلم متلو صفة الخسران وفي كلام الزمخشري طماح الى قاعدته في وجوب وعيد العصاة ألا تراه كربك بقوله انه لا يسعد عنده الا المؤمن التقي اشارة الى أن غير المتقي وهو المصر على الكبائر شقي حتما كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ومنهم من يتمحل فيقول لانه جعل المؤمن عين المتقي ومقتضى قاعدته الفاسدة أن الايمان يستلزم التقوى حتى لا يفرض مؤمن الا متقيا اذ الايمان فيما فسره هو في تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته في كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به بالعمل الصالح والمخل عندهم بالعمل اما بالاصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر فمقتضى هذا التقرير على ما ترى ان كل مؤمن متق وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه

في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب

وظلات * اتيان الله اتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز (في ظلل) جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل * وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطف على ظلل أو على الغمام (فان قلت) لم يأتيهم العذاب في الغمام (قلت) لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (وقضي الامر) وأتم أمر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ ابن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة * وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما (سل) أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسئل الكفرة يوم القيامة (كم آتيناهم من آية بينة) على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام * و (نعمة الله) آياته وهي أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) كم استفهامية أم خبرية (قلت) تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير (فان قلت) ما معنى (من بعد ما جاءته) (قلت) معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف * المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل امهال المزين له تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض أو حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير بمعنى أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم * (فان قلت) لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا (قلت) ليريك أنه لا يسعد عنده الا المؤمن

المتقى وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام (فبعث الله النبيين) يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفى قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه (فان قلت) متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق (قلت) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه فى السفينة (وأنزل معهم الكتاب) يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق ودين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) فى الحق (الا الذين أوتوه) الا الذين أوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا فى شدة الاختلاف واستحكامه (بغيا بينهم) حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم و(من الحق) بيان لما اختلفوا فيه أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التى هى أبلغ أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع وهى فى النفى نظيرة قد فى الاثبات والمعنى أن اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التى هى مثل فى الشدة و(مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء (وزلزلوا) وأزعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الاهوال والافزاع (حتى يقول الرسول) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهى الامر فى الشدة وتماديه فى العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها (ألا ان نصر الله قريب) على ارادة القول يعنى فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له وبالرفع على أنه فى معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجىء البعير يجر بطنه الا أنها حال ماضية محكية * (فان قلت) كيف طابق الجواب السؤال فى قوله (قل ما أنفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف (قلت) قد تضمن قوله ما أنفقتم (من خير) بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدى هى منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هى فى التطوع (وهو كره لكم) من الكراهة بدليل قوله (وعسى أن تكرهوا شيأ) ثم اما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها * فانما هى اقبال وادبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم وقرأ السلمى بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها * وعلى قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيأ) جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) ما يصلحكم وما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل

* قوله تعالى يسألونك عن الخمر الآية (قال محمود رحمه الله نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة الخ) قال أحمد ويظهر لي سر واقع مما ذكره في هذا الغرض وذلك ان السؤال الاول من الاسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الاول من الاسئلة المجردة عن الواو ولكن وقع جوابه أولا بالمصرف لانه الاهم وان كان المسؤل عنه انما هو المنفق لا وجه مصرفه ثم لما لم يكن في الجواب الاول تصريح بالمسؤل عنه أعيد السؤال ليجابوا عن المسؤل عنه صريحا فقيل العفو أي الفاضل من النفقة الواجبة على العيال أو نحو ذلك حيثما ورد في تفسيره فتعين اذا اقران هذا السؤال بالواو ليرتبط بالاول ويحتمل انهم لما أجيبوا أولا ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ما هو أعادوا السؤال لكى يتلقوا جوابه صريحا فتعين دخول الواو وأما السؤال الثاني من الاسئلة المقرونة بالواو فقد وقع عن أحوالهم مع اليتامى وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك في الجاهلية فلما كان مناسبا للسؤال عن الانفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية في النفقة وآدابها الدينية ١٠٣ بيانا شافيا لانه قد اجتمع في علمهم ما ينفقون وفيم ينفقون وعلى أي حالة ينفقون

قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر قل

وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و(قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي اثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الاقاويل على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك * والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به (ولا يزالون يقاتلونكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم و(ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم) ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه (فيمت) على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وان رجع مسلما (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) روى أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم أجر فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب * نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن

من مخالطة اليتيم وانفراد عنه وأما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض فقد ورد انهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المؤاكلة والمساكنة يقتدون في ذلك باليهود فسألوا السؤال المذكور كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمؤاكلة تحرجا جاهليا وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى فحسن أن يعطف الآخر على ما قبله تنبيها على ما بينهما من المشاكلة والله أعلم واذا اعتبرت الاسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينهما مداناة ولا مناسبة البتة اذ الاول منها عن النفقة والثاني عن القتال في الشهر الحرام والثالث عن الخمر والميسر فبين هذه الاسئلة من التباين والتقاطع ما لا يخفى فذكرت كذلك مرسلة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض فتنبه لهذا السر فانه بديع لا تجده يراعى الا في الكتاب العزيز لاستيلائه على أسرار البلاغة ونكت الفصاحة ولا تستفاد منه الا بالتنقب في صناعة البيان وعلم اللسان وقد اشتمل جواب الزمخشري المقدم على وهم أنبه عليه وذلك أنه قال الاسئلة الثلاثة الاخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد فربط بعضها ببعض بالواو وهذا يقتضي كما ترى أن يقترن السؤال الثاني والثالث بالواو خاصة دون الاول اذ الواو انما يربط ما بعدها بما قبلها فاقترانها بالاول لا يربطه بالثاني وانما يربطه بما قبله وعلى هذا تكون الاسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة أسئلة لا ثلاثة خاصة وقد قال ان الاسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الاخيرة فهو واهم بلا شك وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم

ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت (فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لان أقول مرارا هو حلال أحب الي من أن أقول مرة هو حرام ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب الي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما أي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة * والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال

* أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور (فان قلت) كيف صفة الميسر (قلت) كانت لهم عشرة أقداح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح * وأساميهن وغد * وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله تعالى قل فيهما اثم كبير (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي واثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (العفو) نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال * خذي العفو مني تستديمي مودتي * ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من الجانب الايمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الايسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

نخذفه بها خذفالو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى (في الدنيا والآخرة) اما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون اشارة الى قوله واثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختار والنفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل (اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (ف)هم (اخوانكم) في الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) أي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه (حكيم) لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم (ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء أي لا تتزوجوهن أولا تزوجوهن و(المشركات) الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة خير) ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو أعجبتكم) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك (أولئك) اشارة الى المشركات والمشركين * أي يدعون الى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال (والله يدعوا الى الجنة) يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (والمغفرة) وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم (باذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع أي والمغفرة حاصلة بتيسيره (المحيض) مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا (قل هو أذى) أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء) فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روى أن أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن

في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن

من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

أسلم أن رجلا سأل النبىّ صلى الله عليه وسلم ما يحلّ لى من امرأتى وهى حائض قال لتشدّ عليها ازارها ثم شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول أبى حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك * وقرئ يطهرن بالتشديد أى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة الى أنّ له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى أقلّ الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة وذهب الشافعىّ الى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن (من حيث أمركم الله) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (انّ الله يحبّ التوابين) مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك (ويحبّ المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش أو انّ الله يحبّ التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحبّ المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك (حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى أنّ اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترؤا على المناهى (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات (فان قلت) ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله (قلت) موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعنى أنّ المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على أنّ الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض (فان قلت) ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا (قلت) كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لانّ كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا * العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم ما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرّض للامر قال * فلا تجعلونى عرضة للوائم * ومعنى الآية على الاولى أنّ الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البرّ ارادة البرّ فى يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك أى على شئ مما يحلف عليه وقوله (أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا) عطف بيان لايمانكم أى للامور المحلوف عليها التى هى البرّ والتقوى والاصلاح بين الناس (فان قلت) بم تعلقت اللام فى لايمانكم (قلت) بالفعل أى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيأ يعترض البرّ من اعترضنى كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبرّوا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله

*قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم الآية (قال محمود رحمه الله وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا التفسير منزل على مذهب أبي حنيفة لانه لا يرى الفيئة بعد انقضاء الاربعة الاشهر مقيدة اذ اوقع الطلاق بنفس مضيها فلا تكون الفيئة معتبرة عنده الا في أربعة الاشهر خاصة (قال محمود رحمه الله فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص الخ) قال أحمد رحمه الله هذا جواب عن سؤال موجه على أبي حنيفة رضي الله عنه لانه اذا رأى الفيئة في الاشهر الاربعة خاصة لا فيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ما عطفه بعد ما عطفه عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الاشهر الاربعة وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزمخشري بجوابه المتقدم والسؤال عندي يندفع بطريق آخر وهو ان المعطوف عليه التربص وهو حاصل من أول المدة فوقوع الفيئة في المدة بعد التربص فلا يحتاج الى الجواب بالمثال المذكور وانما أوقع الزمخشري في التزام السؤال تسليمه لتقدم الفيئة في الاربعة الاشهر على تربصها بناء منه على أنه لا يصدق قول القائل قد تربصت بفلان أربعة أشهر الا اذا انقضت المدة وليس الامر كذلك فانه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولى قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفيء أم لا ويصدق رب الدين في أن يقول للمدين بانه حالة القرض قد أجلتك بهذا الدين سنة وان كان المتقضي منها حينئذ دقيقة واحدة فلذلك التربص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الاجل المذكور فالفيئة الواقعة في الاجل انما يقع بعده فالفاء على بابها المعروف (قال محمود رحمه الله فان قلت ما القول في قوله فان الله سميع عليم الخ) قال أحمد رحمه الله في هذا الجواب اسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبي حنيفة رضي الله عنه فيقال له اذا كان مضي الاربعة الاشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على ايقاع من أحد فما الذي يسمع اذا وهو أمكن من السؤال الذي قدره الزمخشري فان لقائل أن يقول عبر بالعزم عن الايقاع لانه يستلزمه غالبا وفي اثناء كلامه نكتة تحتاج الى التنبيه عند قوله والعزم مما يعلم ولا يسمع والذي نبه عليه ان قاعدة أهل السنة ان كل موجود يجوز أن يسمع حتى الجواهر والالوان والمعاني بجملتها وكذلك يعتقدان موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس

والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم

معرّضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبرّوا علة للنهي أي ارادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برّا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم * اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من أولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم * قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم (فان قلت) كيف عدّي بمن وهو معدّى بعلى (قلت) قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم (من نسائهم تربص أربعة أشهر) كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر أو لا أقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك أنه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان أمكنه أو بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فاما أن يفيء واما أن يطلق وان أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله (فان فاؤا) فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز أن يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة (وان عزموا الطلاق) فتربصوا الى مضي المدة (فان الله سميع عليم) وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة (فان قلت) كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص (قلت) موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فان أحمدتكم أقمت عندكم الى آخره والا لم أقم الا ريثما أتحوّل (فان قلت) ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما

بحرف ولاصوت فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتا ولا نطقا غير أن المعتاد انقسام الموجودات الى مسموع ومرئى وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس والى معلوم بغير ذلك وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده

يعلم ولا يسمع (قلت) الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء (فان قلت) كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضى العموم (قلت) بل اللفظ مطلق فى تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء فى أحد ما يصلح له كالاسم المشترك (فان قلت) فما معنى الاخبار عنهن بالتربص (قلت) هو خبر فى معنى الامر وأصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة (فان قلت) هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الانفس (قلت) فى ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص * والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل فى العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها أى تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء (فان قلت) فما تقول فى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعى انما هو فى الطهر (قلت) معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث (فان قلت) فما تقول فى قول الاعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * (قلت) أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم فى الاعتداد بهن أى من مدة طويلة كالمدة التى تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه فى الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها أو أراد من أوقات نسائك فان القرء والقارئ جاآ فى معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا (فان قلت) فعلام انتصب ثلاثة قروء (قلت) على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أى يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء (فان قلت) لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء (قلت) يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما فى الجمعية ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هى الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهرى ثلاثة قرو بغير همزة (ما خلق الله فى أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض وذلك اذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد اللاتى يبغين اسقاط ما فى بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما فى أرحامهن كناية عن اسقاطه (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم * والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعنى وأهل بعولتهن (أحق بردهن) برجعتهن وفى قراءة أبى بردتهن (فى ذلك) فى

وان كان الزمخشرى ثابتا فيما قاله على الامر العرفى معتقدا ما ذكرناه من حيث المعروف وما أراه كذلك فالامر سهل وان كان اخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال وهو الظاهر من حاله فى اعتقاد أن ما عدا الاصوات لا يجوز أن يسمع عقلا فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك

ثم لا بد لنا فى مسئلة الايلاء من البصر لما يعتقده من مذهب مالك رضى الله عنه ومذهب مالك رضى الله عنه هو الذى اقتفاه الشافعى رضى الله عنه فى المسئلة فنقول مضى أربعة الاشهر بمجرده لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج لان الاصل بقاء العصمة وقد جعل الله له الفيئة بعد تربص الاجل المذكور ونحن وان بينا أولا ان الآية لا تأبى وقوع الفيئة فى الاجل وهى أيضا تأبى وقوعها بعد الاجل فينتظم من أصليه أعنى بقاء العصمة والسلامة من معارضة الآية وقوع الفيئة المعتبرة بعد الاجل وبقاء العصمة بعد الاجل استصحابا للاصل غير معارض بالآية وهو المطلوب

مدة

مدة التربص (فان قلت) كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها (قلت) المعنى أن الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا فى الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذى يجب لهم عليهن (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة فى الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه فى مصالحها (الطلاق) بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك * وقوله تعالى (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف أى برجعة أو تسريح باحسان أى بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث وروى أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح باحسان وعند أبى حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى فى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه * روى أن جميلة بنت عبد الله بن أبى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شئ والله ما أعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الاسلام ما أطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدة فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الاسلام (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا) ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن (قلت) يجوز الامران جميعا أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (مما آتيتموهن) مما أعطيتموهن من الصدقات (الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) الا أن يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضى الله عنه فأباتها فى بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده أقر لعينى منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له أن يأخذ منها شيأ * وقرئ الا أن يخافا على البناء للمفعول وابدال أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا أن تخافوا وفى قراءة أبى الا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريدون أظن (فان

ان أرادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان

طلقها) الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله تعالى الطلاق مرّتان واستوفى نصابه أوفان طلقها مرّة ثالثة بعد المرّتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك التطليق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوّج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوّج و يقال فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور أنه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها أنّ امرأة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت انّ رفاعة طلقنى فبتّ طلاقى وانّ عبد الرحمن بن الزبير تزوّجنى وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقنى قبل أن يمسنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته و يذوق عسيلتك و روى أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسنى فقال لها كذبت فى قولك الاوّل فلن أصدّقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضى الله عنه فقالت أأرجع الى زوجى الاوّل فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض أبو بكر رضى الله عنه قالت مثله لعمر رضى الله عنه فقال ان أتيتنى بعد مرّتك هذه لارجمنك فمنعها (فان قلت) فما تقول فى النكاح المعقود بشرط التحليل (قلت) ذهب سفيان والاوزاعى وأبو عبيد ومالك وغيرهم الى أنه غير جائز وهو جائز عند أبى حنيفة مع الكراهة وعنه أنهما ان أضمرا التحليل ولم يصرّحا به فلا كراهة وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضى الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضى الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة (فان طلقها) الزوج الثانى (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا) ان كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنه ما لا يعلمه الا الله عز وجل ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولانّ الانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال

كل حىّ مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده

و يتسع فى البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه و يقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم أنّ الامساك بعد تقضى الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها (فأمسكوهن بمعروف) فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة (أو سرّحوهن بمعروف) واما أن يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطوّل العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا و يقال لمن لم يجد فى الامر انما أنت لاعب وهازئ و يقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق و يتزوّج و يقول كنت لاعبا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام و بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم (فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن) اما أن يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوّجن من شئن من الازواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم و يصلحون لهن واما أن يخاطب به الاولياء فى عضلهن أن يرجعن الى أزواجهن روى أنها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الاوّل وقيل فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين

والـ

طلقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أنّ الله بكل شئ عليم واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن

اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده

والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة

وانّ قصائدى لك فاصطنعنى * عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعى رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (اذا تراضوا) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروأة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبى حنيفة رحمه الله أنها اذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللاولياء أن يعترضوا (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ذلك يوعظ به) (قلت) يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر (أزكى لكم وأطهر) من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ه أو والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وأنتم تجهلونه (يرضعن) مثل يتربصن فى أنه خبر فى معنى الامر المؤكد (كاملين) توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما * وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما فى التأويل (فان قلت) كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله (قلت) هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أى هذا الحكم لمن أراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون فى الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أى يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه أن يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند أبى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعى يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق (فان قلت) فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن (قلت) اما أن يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (وعلى المولود له) وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم (فان قلت) لم قيل المولود له دون الوالد (قلت) ليعلم أن الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وأنشد للمأمون بن الرشيد

فانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا * وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون * وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهى وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضارّ بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهى تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق

الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أى لا تضر والدة بولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد (فان قلت) كيف قيل بولدها وبولده (قلت) لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبى منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أى ان مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه فى أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو مات الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه وعند أبى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبى نفسه وأنه ان مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه فى ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال أجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا (فان أرادا فصالا) صادرا (عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) فى ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو فى غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما فى الفصال وتشاورهما أما الاب فلا كلام فيه وأما الام فلانها أحق بالتربية وهى أعلم بحال الصبى وقرئ فان أراد *استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى فتعديه الى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الاول (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا أى مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز أن يكون بعثا على أن يكون الشئ الذى تعطاه المرضع من أهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبى واحتياطا فى أمره فأمرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل اذا أديتم اليهن يدا بيد ما أعطيتموهن (بالمعروف) متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (والذين يتوفون منكم) على تقدير حذف المضاف أراد وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى أن أبا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان أحد الاسباب الباعثة لعلى رضى الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعتددن هذه المدة وهى أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة وجماعة المسلمين (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة أن يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح (فيما عرضتم به) هو أن يقول لها انك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضى أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن

وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

* قوله تعالى والذين يتوفون منكم الآية (قال محمود رحمه الله قرأها على رضى الله عنه بفتح الياء الخ) قال أحمد رحمه الله ولعل السائل لابى الاسود كان ممن يفهم عنه انه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر وعلى ذلك أجابه أبو الاسود فلا تناقض حينئذ (قال محمود رضى الله عنه تقول صمت عشرا الخ) قال أحمد رحمه الله ومنه من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر فغلب الليالى اون كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا ان شرطة النية وزمانها الليل فلهذا جعل لها حظا فى الصوم وغلبها

سليمان

*قوله تعالى علم الله أنكم ستذكرونهن الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت أين المستدرك بقوله ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله وقويت دلالة
هذا المذكور على ما حذف لان المعتاد فى مثل هذه الصيغة ورود الاباحة عقيبها ونظيرها هذا النظم قوله تعالى علم الله أنكم كنتم
تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن الآية ولهذا الحذف سر والله أعلم وهو أنه اجتنب لان الاباحة لم تنصب على الذكر مطلقا بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح عسر التميز عما لم يبح فذكرت مستثناة

أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

سليمان عن خالته قالت دخل على أبو جعفر محمد بن على وأنا فى عدتى فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقلت غفر الله لك أتخطبنى فى عدتى وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (فان قلت) أى فرق بين الكناية والتعريض (قلت) الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض أن تذكر شيأ تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده (أو أكننتم فى أنفسكم) أو سترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم (فان قلت) أين المستدرك بقوله (ولكن لا تواعدوهن) (قلت) هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا (فان قلت) بم يتعلق حرف الاستثناء (قلت) بلا تواعدوهن أى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن الا بأن تقولوا أى لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لأدائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف الا أن تقولوا قولا معروفا يعنى من غير رفث ولا افحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أى فى السر على أن المواعدة فى السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن فى الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح فى العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لم يبيت الصيام (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعنى ما كتب وفرض من العدة (يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن (أو تفرضوا لهن فريضة) الا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبى حنيفة الا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها و (الموسع) الذى له سعة و (المقتر) الضيق الحال و (قدره) مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن

بقوله الا أن تقولوا قولا معروفا تنبيها على ان المحل ضيق والامر فيه عسر والاصل فيه الحظر ولا كذلك الوطء فى زمن ليل الصوم فانه أبيح مطلقا غير مقيد فلذلك صدر الكلام بالاباحة والتوسعة وجاء النهى عن مباشرة المعتكفة فى المسجد تلوا للاباحة وتبعا فى الذكر لانها حالة فاذة والمنع فيهما لم يكن لاجل الصوم ولكن الامر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف فتفطن لهذا السر فانه من غرائب النكت

* قوله تعالى الا أن يعفون الآية (قال محمود رحمه الله والذي بيده عقدة النكاح الولي الخ) قال أحمد رحمه الله هذا النقل وهم فيه الزمخشري عن الشافعي رضي الله عنه فان مذهبه موافق لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في ان المراد به الزوج وانما ذهب الى أن المراد الولي الامام مالك رضي الله عنه وصدق الزمخشري انه قول ظاهر الصحة عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه * الاول ان الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولي وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة ثم هو بعد الطلاق والكلام حينئذ ليس من عقدة النكاح في شئ البتة فان قيل أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل كان مقدرة فلا يخفى على المصنف ما في ذلك من البعد والخروج عن حد اطلاق الكلام وأصله * الثاني ان الخطاب الاول للزوجات اتفاقا بقوله الا أن يعفون وفيهن من لا تعفو لها البتة كالامة والبكر فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني الى الولي على ابنته البكر أو أمته والا لزم الخروج عن ظاهر عموم الاول وحيث حمل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى الا أن يعفون ان كن أهلا للعفو أو يعفو لهن ان لم يكن أهلا ولهذا كان الولي الذي يعفو ويعتبر عفوه عند مالك هو الاب في ابنته البكر والسيد في امته خاصة * الثالث ان الكتاب العزيز جدير بتناسب الاقسام وانتظام اطراف الكلام والامر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة فان الآية حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الاولياء ثم الازواج بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم فتكون على هذا الوجه مملية بالفوائد جامعة للمقاصد * الرابع ان المضاف الى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف الى الزوجات

متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شئ قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب (متاعا) تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه (الا أن يعفون) يريد المطلقات (فان قلت) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (قلت) الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب * ويعفو عطف على محله و (الذي بيده عقدة النكاح) الولي يعني الا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيأ أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل * و (الفضل) التفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمرءوا ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما

والعفو الاسقاط لغة وهو المراد في الاول اتفاقا اذا المضاف الى الزوجات هو الاسقاط بلا ريب ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل اختاها المهر واعطائه ما لا يستحق عليه وهذا انما يطابقه من الاسماء التفضل ومن ثم قال في خطاب الازواج ولا تنسوا الفضل بينكم لان المبذول من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو * ولا يقال لعل الزوج تعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويعفو عنه وحينئذ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته * لانا نقول حسبنا في رد هذا الوجه ما فيه من الكلفة وتقدير ما الاصل خلافه * الخامس أن صدر الآية خطاب للازواج في قوله وان طلقتموهن الى قوله فرضتم فلو جاء قوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح مرادا به الزوج لكان عدولا والتفاتا من الخطاب الى الغيبة وليس هذا من مواضعه ولاجل هذا جاء قوله ولا تنسوا الفضل بينكم على صيغة الخطاب لان المراد به الازواج لخطابهم أولا * السادس ان قوله الا أن يعفون وما عطف عليه استثناء من قوله فنصف ما فرضتم وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم الا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم اذا فاذا حمل الكلام على الولي استقام أوهم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء فلا يجري الاستثناء على حقيقته في المخالفة بين الاول والثاني الا أن يقال مقتضى قوله فنصف ما فرضتم واجب عليكم ان النصف الآخر غير مؤدى اليهن لانه ساقط عن الزوج فاذا عفا بمعنى كمل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى اليهن ففي هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده

أختناها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو (الصلاة الوسطى) أى الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروى عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احداهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضى الله عنه ماهى صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هى الفجر لانها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هى المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من الثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة رضى الله عنها والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين لله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدى والبصر وروى أنهم كانوا اذا قام أحدهم الى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصا أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا (فان خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أو رجل يقال رجل رجل أى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند أبى حنيفة رحمه الله لا يصلون فى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف وعند الشافعى رحمه الله يصلون فى كل حال والراكب يومى ويسقط عنه التوجه الى القبلة (فاذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) من صلاة الامن أو فاذا أمنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما أحسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الامن * تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون أو وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم أو والذين يتوفون أهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما أنت سير البريد باضمار تسير أو وألزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول) وقرأ أبى متاع لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا أضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة أبى متاعا نصب بمتاع لانه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبنى ضرب لك زيدا ضربا شديدا او (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا أو حال من الازواج أى غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى أول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذى هو الربع والثمن واختلف فى السكنى فعند أبى حنيفة وأصحابه لا سكنى لهن (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (فان قلت) كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة (قلت) قد تكون الآية متقدمة فى التلاوة وهى متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء (وللمطلقات متاع) عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما أوجبها الواحدة ممن وهى المطلقة غير المدخول بها وقال (حقا على المتقين) كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبى العالية والزهرى أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع

والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم انّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أنّ الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ألم ترالى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم انّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال

الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لانّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب * وروى أنّ أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفرّ من حكم الله وقضائه وقيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرّقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحى اليه ناد فيهم أن قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهمّ وبحمدك لا اله الا أنت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متألفون جمع آلف كقاعد وقعود * (فان قلت) ما معنى قوله (فقال لهم الله موتوا) (قلت) معناه فأماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشئ فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرّض للشهادة وأنّ الموت اذا لم يكن منه بدّ ولم ينفع منه مفرّ فأولى أن يكون في سبيل الله (لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله (واعلموا أنّ الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء * اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن امّا المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله (أضعافا كثيرة) قيل الواحد بسبعمائة وعن السدّي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله (والله يقبض ويبسط) يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدّمتم (لنبيّ لهم) هو يوشع أو شمعون أو اشمويل (ابعث لنا ملكا) انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروى أنه أمر الناس اذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم (نقاتل) قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال أي ابعثه لنا مقدّرين القتال أو استئناف كأنه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا * وخبر عسيتم (ألا تقاتلوا) والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تعالى هل أتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة (ومالنا ألا نقاتل) وأيّ داع لنا الى ترك القتال وأيّ غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وذلك أنّ قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين (الا قليلا منهم) قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد (طالوت) اسم أعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت الا أنّ امتناع صرفه يدفع أن يكون منه الا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا (أنى) كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له * (فان

قلت)

قلت) ما الفرق بين الواوين في ونحن أحق ولم يؤت (قلت) الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولانه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) يريد أن الله هو الذى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله * ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحى اليه ونبئ وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب * والبسطة السعة والامتداد وروى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه (يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك (والله واسع) الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك (التابوت) صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون * والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هى صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة (وبقية) هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بنى اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان فى أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين وقرأ أبى وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهى لغة الانصار (فان قلت) ما وزن التابوت (قلت) لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما فى الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء (فان قلت) من (آل موسى وآل هرون) (قلت) الانبياء من بنى يعقوب لان عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما ترك موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما * فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده (بالجنود) روى أنه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس منى) فليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتى وأشياعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ومنه طعم الشئ لمذاقه قال * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا * ألا ترى كيف عطف

قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى

---

* قوله تعالى قالوا أنى يكون له الملك علينا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت ما الفرق بين الواوين الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا ان الواو الاولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضا لكن بواسطة الواو العاطفة وهذا النظر من السهل الممتنع (قال محمود رحمه الله وزن التابوت فعلوت الخ) قال أحمد رحمه الله يريد لان الفاء تاء واللام كذلك والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لانه توأم التكرار

قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني الآية (قال محمود مستثنى من قوله فمن شرب منه فليس مني الخ) تقوية لمن ذهب الى ان الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده الى الاخيرة لاحتمال عوده الى ماقبلها ورد على من منع ذلك محتجا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه باجنبي من الاستثناء ولذلك حقق عوده الى الاخيرة ١١٨ وتوقف في انعطافه على ما تقدمها فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الاخيرة وأما عوده على ماقبل الاخيرة دونها

الامن اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس

عليه البرد وهو النوم و يقال ماذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي * وقرئ بنهر بالسكون (فان قلت) مم استثنى قوله (الامن اغترف) (قلت) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله (فشربوا منه) أي فكرعوا فيه (الا قليلا منهم) * وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع * من المال الا مسحت أو مجلف * كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والذين آمنوا) يعني القليل (قال الذين يظنون) يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة * وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش * وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل (وثبت أقدامنا) وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب * كان ايشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الى اشمويل أن داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وآتاه الله الملك) في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الارض (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي (بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم

فتعذر عند هذا القائل فلم يصف في العود الى الاخيرة لهذه الشبهة وقد بين القاضي أبو بكر صلاحية عوده الى ماقبل الاخيرة دونها رادا على هذا القائل واستشهد بقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ووجه استشهاده ان المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء الى الجملة الاخيرة ويعين عوده الى ماقبلها وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية

بدرجات

*قوله تعالى تلك الرسل فضلنا الآية (قال محمود رحمه الله والظاهر انه أراد محمدا عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد وانما أوردت هذا الفصل من كلامه استحسانا له لفظا ومعنى وتبركا باعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه وأصاب الزمخشري في قوله حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنبوع على سائر ما أوتيه الانبياء على الجميع الصلاة والسلام وليس كما نقل عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الانبياء وينبغي الوقوف عن نسبته له فانه من العلماء الاعلام وعمدة بن الاسلام والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه *قوله تعالى ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية (قال محمود رحمه الله كرر ولوشاء الله للتأكيد) قال أحمد رحمه الله وو راء التأكيد سر أخص منه وهو ان العرب متى ثبت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع الى الاول قصدت ذكره اما بتلك العبارة أو بقريب منها وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معتمد وكان جدي لأمي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير يعد في كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى منها 119 قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ومنها قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم وهذه الآية من هذا النمط لما صدر الكلام بان اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم طال الكلام وأريد بيان ان مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الامر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع وهو المعنى المعبر عنه في قوله ولكن الله يفعل ما يريد طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب الكلام ويعرف كل بشكله فهذا سر ينشرح لبيانه الصدور ويرتاح السر والله الموفق وأي قدم يثبت للاعتزال قبالة هذه الآية انها الدائرة القاطعة الكافلة بالرد على منتحله وناصره ولذلك حوزها الزمخشري لاغتناصها على تأويله واعتصامها بالنصوصية من حيله ونحله *قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع الآية (قال محمود رحمه الله ومعناه ان أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم الخ) قال أحمد رحمه الله اما القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموها وأدلة أهل السنة على اثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى وما أنكرها القدرية الا لايجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية ايجابا عقليا على زعمهم فهذه الحالة في انكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة وقد تقدم جواب عن التمسك باطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة وزيد هنا فنقول أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة فكل ما ورد مفهما النفي حمل على الأيام الخالية منها جمعا بين الادلة كما ورد قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وورد وأقبل بعضهم

ولوشاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم تريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم مره ويجوز أن يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من أولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل عليه السلام فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها (فان قلت) فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر (قلت) لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين (ولوشاء الله) مشيئة الجاء وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الانبياء (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه (ولوشاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من الخذلان والعصمة (أنفقوا مما رزقناكم) أراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به (من قبل أن يأتي يوم) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به وان أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة

على بعض يتساءلون وورد فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وورد وقفوهم انهم مسؤلون ولا تخاص فى أمثال هذه الآى باتفاق الا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها وكذلك أمر الشفاعة سواء رزقنا الله الشفاعة وحشرنا فى زمرة السنة والجماعة (قال محمود رحمه الله وفى قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض أربعة أوجه الخ) قال أحمد رحمه الله قوله فى الوجه الاول ان ذلك تخييل للعظمة سوء أدب فى الاطلاق وبعد فى الاضرار فان التخييل انما يستعمل فى الاباطيل وما ليست له حقيقة صدق فان يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ فى التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها فى الادب الشرعى وسيأتى له أمثالها مما يوجب الادب ان يجتنب عادكلامه قال فان قلت كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى وما بالها لم تعطف بالواو قلت لانها كلها فى حكم البيان والبيان متحد بالمبين فدخول الواو بينهما كما تقول العرب دخول بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لتدبيره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وقد وردت آثار فى تفضيلها منها قوله عليه السلام ماقرئت هذه الآية فى دار الا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ١٢٠ مافى القرآن فقال على أين أنتم من آية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى الا وانما فضلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى * قال أحمد وكان جدى رحمه الله عليه يقول اشتملت آية الكرسى على مالم يشتمل عليه آية من أسماء الله عز وجل وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض ويظهر لكثير من العادين منها ستة عشر الا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجه الاول الله الثانى هو الثالث الحى الرابع القيوم الخامس ضمير لا تأخذه السادس ضمير له السابع ضمير عنده الثامن ضمير الا باذنه التاسع ضمير يعلم العاشر ضمير علمه الحادى عشر ضمير شاء الثانى عشر ضمير كرسيه الثالث عشر ضمير ولا يؤده الرابع عشر وهو الخامس عشر العلى السادس عشر العظيم فهذه عدة الاسماء البينة وأما الخفى فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر فى قوله حفظهما فانه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولابد له من فاعل وهو الله ويظهر عند فك المصدر فيقول ولا يؤده أن يحفظهما هو وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته به عن الجد رحمه الله فقال يمكن ان يعد ما فى الآية من الاسماء المشتقة كل واحد منها بآيتين لان كل واحد يتحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا وذلك الضمير انما يعود الى الله تعالى وهى باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر فيكون جملة العدد على هذا النظر أحدا وعشرين اسما وكنت قد أجريت معه فى تعدد الزيادة المذكورة وجها لطيفا وهو ان الاسم المشتق له يتحمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الاصح وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل

والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات ومافى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مافى أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض

الفضل لا غير (والكافرون هم الظالمون) أرادوا التاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار فى قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع (الحى) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح أن يعلم ويقدر (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم * والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملى

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

أى لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوأتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم أوحى اليه قل لهؤلاء انى أمسك السموات والارض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا (من ذا الذى يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة الا اذا أذن له فى الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء (من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) الا بما علم * الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى قوله (وسع كرسيه) أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو

الاتصور لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كأصغر شئ وعن الحسن الكرسي هو العرش (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلي) الشأن (العظيم) الملك والقدرة (فان قلت) كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف (قلت) ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره (فان قلت) لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (قلت) لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه

فان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

(لا اكراه في الدين) أي لم يجر الله أمر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) فمن اختار الكفر بالشيطان أو الاصنام والايمان بالله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما (الله ولي الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان (والذين كفروا) أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التي

ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

التنزيل فالمشتق انما يقع على موصوفه باعتبار ضميره ألا تراك اذا قلت زيد كريم وجدت كريما انما يقع على زيد لان فيه ضميره حتى لو جردت النظر اليه لم تجده مختصا بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ولا تجده مختصا بزيد الا باعتبار اشتماله على ضميره فليس المشتق اذا مستقلا بوقوعه على موصوفه الا بضميمة الضمير اليه فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه الى معين ألبتة فرضي الشيخ المذكور عن هذا البحث وصوبه والله الموفق للصواب

قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم الآية (قال محمود أن آتاه متعلق بحاج على وجهين الخ) قال أحمد عفا الله عنه والوجهان قريبان من حيث المعنى الا أن بينهما في الصناعة فرقا وهو انما استعمل المصدر في الاول مفعولا من أجله وفي الثاني ظرفا وقد وقعت المصادر ظروفا في مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وأمثال ذلك وانما وقعت محاجته بهذا الظرف لاشتماله على ايتاءه الملك الحامل له على البطر أو على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها وهذان المعنيان هما المذكوران في الوجه الاول بعينهما فلهذا نبهت على ان الفرق بين الوجهين صناعي لا معنوي والله الموفق لمعاني كلامه (قال محمود فان قلت كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت ذلك على وجهين أحدهما آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع فاما التغليب والتسليط فلا الثاني ان يكون ملكه امتحانا لعباده) قال أحمد السؤال مبني وروده على قاعدة فاسدة وهي اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحا أو أصلح على الله تعالى في افعاله وكل ذلك من أصول القدرية التي اجتثها البرهان القاطع فما لها من قرار وأما ايراد السؤال على صيغة لم آتاه الله الملك وهو كافر او لم فعل كذا وكذا فالجواب رده على الاطلاق في قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لو سمع الصم البكم والله ولي التوفيق (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أعفو عن القتل وأقتل وكان للاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه فيه ولكنه انتقل الى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة قال أحمد وقد التزم غير واحد من العلماء ان هذا الذي صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة ولكن من المثال وأما الحجة فهي استدلاله على ألوهية الله تعالى بتعلق قدرته بما لا يجوز تعلق قدرة الحادث به ثم لهذا الاله امثلة منها ١٢٢ الاحياء والاماتة ومنها الاتيان بالشمس من المشرق والعدول بعد قيام الحجة وتمهيد القاعدة من مثال الى مثال ليس ببدع عند أهل الجدل والله أعلم* قوله تعالى أو كالذي مر الآية (قال محمود معناه أو أرأيت مثل الذي مر الخ) قال أحمد ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيرا كقوله قال لها كلابها أسرعي * كاليوم مطلوبا ولا طالبا يريد لم أر كاليوم فحذف الفعل وحرف النفي والظاهر حمل الآية على الوجه الاول لوجود نظيره والله أعلم (عاد كلامه) قال والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك واحد وقيل كان مؤمنا وهو عزير او الخضر واراد أن يعاين الاحياء كما طلبه ابراهيم وقوله يوما بناه على الظن روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم انتهى كلامه (قال أحمد) أما استدلال الزمخشري على ان المار كان كافرا بانتظامه مع نمروذ في سلك واحد فمعارض بانه نظمت قصته مع قصة ابراهيم عليه السلام في نسق واحد فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ أولى من الاستدلال على ايمانه بانتظامها بانضمامها قصة ابراهيم الا أن يقول ان قصة هذا المار معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك في الفعل منطوقا به في الاولى ومحذوفا من الثانية مدلولا عليه بذكره أولا ولا كذلك عطف قصة ابراهيم فانها مصدرة بالواو التي لا تدخل في كثير من أحوالها للتشريك ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التي يعلم تعاطفها لذلك الغرض ولا كذلك عطفها في قصة نمروذ فانه بأو والتي لا تستعمل الا مشركة اذ عطف التحسين اللفظي خاص بالواو فيقول اذا انتهى الترجيح الى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة ابراهيم من التناسب المعنوي لان طلبتهما واحدة اذ المار سأل معاينة الاحياء وكذلك طلبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم التناسب المعنوي أرجح من التعلق بامور لفظية ترد الى انحاء مختلفة ويؤيد القول بأن المار كان مؤمنا تحريه في قوله تعالى يوما أو بعض يوم فان ظاهره الاحتراز من التحريف في القول حتى لا يعبر عن

ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها

تظاهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (ألم تر) تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به (أن آتاه الله الملك) متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك (فان قلت) كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر (قلت) فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده و (اذ قال) نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (أنا أحيي وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت (أو كالذي) معناه أو أرأيت مثل الذي

جل اليوم باليوم حذرا من ابهام طلبته لجلة اليوم ومثل هذا التحري لا يصدر عن معطل والله أعلم* ولا يقال انما صدر منه هذا التحري بعد ان حيي وآمن* لانا نقول انما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات يدل عليه قوله تعالى فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير وأما التحري المذكور فكان أول القصة قبل الايمان وما قدرت هذا السؤال الا لنكتة يذكرها الزمخشري الآن تشعر بارادة على الترجيح المذكور* ثم هذه القراءة التي نقلها الزمخشري في خلال كلامه من انه انما قال أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الامر فيها نظر دقيق لم أقف عليه لاحد ممن أورد الحكاية في تفسيره وذلك ان الامر اذا كان على ما تضمنته وكلام المار المذكور بني أولا على الجزم بأنه لبث يوما ثم جزم آخرا أن لبثه انما كان بعض يوم ١٢٣ لرؤية بقية من الشمس وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول بل بعض يوم مضربا عن جزمه الاول الى جزمه الثاني لان أو انما تدخل في الخبر اذا انبنى أوله على الجزم ثم عرض في آخره شك ولا جزم بالنقيض فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع لبل لا لأو واذ موضع بل جزم بنقيض الاول فاذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار انه كان أولا جازما ثم شك لا غير اتباعا لمقتضى الآية وعدولا عن الحكاية التي لا تثبت الا باسناد قاطع فيضطر الى تأويل فتأمل هذا النظر فانه من لطف النكت والله الموفق (عاد كلامه) قال فان قلت اذا كان المار كافرا الخ* قال أحمد وهذا سؤال عجيب والجواب عنه أعجب منه ومن سلم لهذا السائل ان الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر وهل هذا الا خطب بلا أصل أليس ان أبليس رأس الكفر ومعدنه ومع هذا قال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم الى آخر الآية ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباقها يعذبون اخسؤا فيها ولا تكلمون ولان هذا الامر متيقن وقوعه فضلا عن جوازه أول العلماء قوله تعالى ولا يكلمهم الله بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم هذا وجه تعجبي من السؤال وأما الجواب فقد أسلفت آنفا رده بان أعمان هذا المار على القول بأنه كان كافرا انما حصل في آخر القصة بعد ان تبينت له الآيات وأما كلام الله تعالى فمن أول القصة * قلت الزمخشري كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالا وجوابا والله

قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى

مر فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك والكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله (أنى يحيي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي * والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) تفسيره فيما بعد (يوما أو بعض يوم) بناء على الظن روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروى أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كجنيهما والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء أو واو وذلك أن الشئ يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضى البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بادغام التاء في السين (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشرها) كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل (تبين) مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر احياء الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم (فان قلت) فان كان المار كافرا فكيف يسوغ أن يكلمه الله (قلت) كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا (أرني) بصرني (فان قلت)

المستعان * قوله تعالى وإذ قال ابراهيم رب أرني الى قوله ولكن ليطمئن قلبي (قال محمود ان قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم الخ) قال احمد الاولى في هذه الآية أن يذكر فيها المختار في تفسيرها من المباحث الممتحنة بالفكر المحرر والنكت المفصحة بالرأي المخمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق فنقول أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تحيي الموتى فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله عن الاحياء ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ولا يشترط في الايمان الاحاطة بصورتها فانما هو طلب علم ما لا يتوقف الايمان على علمه ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال ان يقول القائل كيف يحكم زيد في الناس فهو لا يشك انه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق الى ابراهيم شكا من هذه الآية وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله نحن أحق بالشك من ابراهيم أي ونحن لم نشك فلأن لا يشك ابراهيم أحرى وأولى (فان قلت) اذا كان السؤال مصروفا الى الكيفية التي لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالايمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى أولم تؤمن (قلت) قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي ان هذه الصيغة تستعمل ظاهرا في السؤال عن الكيفية كما مر وقد تستعمل في الاستعجاز مثاله ان يدعي مدع انه يحمل ثقلا من الاثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله فتقول له أرني كيف تحمل هذا فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بان ابراهيم مبرأ منه أراد بقوله أولم تؤمن أن ينطق ابراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الاولى ليكون ايمانه مخلصا نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم

كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس ايمانا (قلت) ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و(بلى) ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك (فان قلت) بم تعلقت اللام في ليطمئن (قلت) بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن اليك قال * ولكن أطراف الرماح تصورها * وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فصرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّه يصرّه ويصرّه اذا جمعه نحو ضرّه ويضرّه ويضرّه وعنه فصرّهن من التصرية وهي الجمع أيضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) يريد ثم جزئهن وفرّق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة (ثم ادعهن) وقل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن (فان قلت) ما معنى أمره بضمها الى نفسه بعد أن يأخذها (قلت) ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرّق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة

الى

(فان قلت) قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي وذلك يشعر ظاهرا بأنه كان عند السؤال فاقدا للطمأنينة (قلت) معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة لاني اذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لانه شاهد صورة حياة الموتى تقديره الذي يحيي ويميت فهذا أحسن ما يجري لي في تفسير هذه الآية نور بك الفتاح العليم * وأما قول الزمخشري ان علم الاستدلال يتطرق اليه التشكيك بخلاف العلم الضروري فكلام لم يصدر عن رأي منور ولا فكر محرر وذلك ان العلم الموقوف على سبب لا يتصور فيه تشكيك ما دام سببه مذكورا في نفس العالم وانما الذي يقبل التشكيك قبولا مطلقا هو الاعتقاد وان كان صحيحا وسببه باق في الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل في تمييز العلم عن الاعتقاد حتى غالى أبو هاشم فقال العلم بالشيء والجهل به مثلان وهذا على الحقيقة جهل حتى لحقيقة الجهل والزمخشري في قواعد العقائد يقفو آثار هذا القائل أية سلك فلعله من ثم طرق الى العلم النظري الشك حسب تطرقه الى الاعتقاد الذي يكون مرة جهلا ومرة مطابقا والله الموفق * قوله تعالى فصرهن اليك (قال محمود ان قلت ما معنى أمره بضمها

الخ) قال احمد يريد ولم يقل طيرانا لانه اذا كانت ساعية كان اثبت لنظره عليها من أن تكون طائرة والله أعلم *قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى (قال محمود وفي نوابغ الكلم صنوان الخ) قال احمد ثم في أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان و بعد ما بينهما والزمخشري يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية وحاصله انها استعيرت من تباعد الازمنة لتباعد المرتبة وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وارخاء الطول في استصحابه فهي على هذا لم تخرج عن الاشعار ببعد الزمن ولكن معناها الاصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه وعليه حمل قوله تعالى ثم استقاموا أي داموا على الاستقامة دواما متراخيا ممتد الامد وتلك الاستقامة هي المعتبرة لا ما هو منقطع الى ضده من الحيد الى الهوى والشهوات وكذلك قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى أي يدومون على تناسي الاحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان ليسوا بتاركيه في أزمنة الى الاذاية وتقلد المنن بسببه ثم يتوبون والله أعلم وقريب من هذا أو مثله ان السين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ثم ورد *قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين وقد حكى الله تعالى في مثل هذه الآية الذي خلقني فهو يهدين فليس الى حمل السين على تراخي زمان وقوع الهداية له من سبيل فيتعين المصير الى حملها على الدلالة على تنفيس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمادي أمدها ولعل الزمخشري أشار الى هذا المعنى في آية ابراهيم عليه السلام فتأمل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشري عليه آية البقرة وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب الى الوضع على أحسن طريقه والله الموفق

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا

الى رأسها وقرئ جزأ بضمتين و جزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف (مثل الذين ينفقون) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة *والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر (فان قلت) كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود (قلت) بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير (فان قلت) هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قيل وسبع سنبلات خضر (قلت) هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك *المن أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم

وان امرأ أسدى الي صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن *والاذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وأن تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (فان قلت) أي فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم (قلت) الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له *ثم بالغ في ذلك بما أتبعه (كالذي ينفق ماله) أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله (رئاء الناس) لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة (فمثله كمثل صفوان) مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا)

٣ قوله بسبب ما أزال اليه كذا في نسخ وفي أخرى أسدى اليه اه مصححه

لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه

أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز أن تكون الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق (فان قلت) كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق (قلت) أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق (وتثبيتا من أنفسهم) وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح وبذله أشق شئ على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها فى اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز أن يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم أن تصديقه وايمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثانى لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم (فان قلت) فما معنى التبعيض (قلت) معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله (كمثل جنة) وهى البستان (بربوة) بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت أكلها) ثمرتها (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين *الهمزة فى (أيود) للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التى تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغى بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنه فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك قال ضربت مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن رضى الله عنه هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا (فان قلت) كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات (قلت) النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل (فان قلت) علام عطف قوله وأصابه الكبر (قلت) الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها (فان قلت) فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض (قلت) معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردىء (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء فى معنى قصده (ولستم بآخذيه)

*قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة الى آخر الآية (قال محمود ان قلت لم ذكر النخيل والاعناب أولا الخ) قال أحمد وهذا من باب تنبيه ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله فيهما فاكهة ونخل ورمان الا انه فى تلك الآية بدأ بالتعميم وفى هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نبهنا

وحالكم

عليه والله أعلم * قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (قال محمود لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الخ) قال أحمد المعتقد الصحيح ان الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هدايته وذلك هو اللطف لا كما يزعم الزمخشري أن الهدى ليس خلق الله وانما العبد يخلقه لنفسه وان أطلق الله تعالى اضافة الهدى اليه كما في هذه الآية فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على أن يخلق هداه ان هذا الا اختلاق وهذه النزغة من توابع معتقدهم السيئ في خلق الافعال وليس علينا هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو المسؤول أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا

الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء

وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ * ـم رجال يرضون بالاغماض

وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا أن تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن رضي الله عنه لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه * أي يعدكم في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة (يؤتي الحكمة) يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل * وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش و(خيرا كثيرا) تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه * ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى (فنعما هي) فنعم شيأ ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد أن يقتدى به كان اظهاره أفضل (ونكفر) قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدا محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب باضمار أن ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن انفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض

*قوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس (قال محمود يعني اذا بعثوا من قبورهم الخ) قال أحمد قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب أي كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع فقد ورد ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا وفي بعض الطرق الا طعن الشيطان في خاصرته ومن ذلك يستهل صارخا الا مريم وابنها لقول أمها اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقوله عليه السلام التقطوا صبيانكم أول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين وفي حديث مكحول انه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال لقد دفع عنك الشياطين أو لقد عوفيت انها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبتة قال شمر كان في لسان مكحول لكنة وانما أراد الخبطة من الشيطان أي اصابة مس أو جنون وقد ورد في حديث المفقود الذي اختطفته الشياطين وردته في زمنه عليه الصلاة والسلام انه حدث عن شأنه معهم قال فجاءني طائر كأنه جمل فتعثرني فاحتملني على خافية من خوافيه الى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره واعتقاد السلف وأهل السنة ان هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشرع عنها وانما القدرية خصماء العلانية فلا جرم انهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن وان اعترفوا بشئ من ذلك فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع في خبط طويل لهم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وأباه غيره *الجار متعلق بمحذوف والمعنى أعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي صدقاتكم للفقراء و(الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجه ورثاثة الحال *والالحاف الالحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق الا بشئ يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه أنهم اذا سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله *على لا حب لا يهتدى بمناره* يريد نفي المنار والاهتداء به (بالليل والنهار سرا وعلانية) يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية (الربوا) كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون * والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات (فان قلت) بم يتعلق قوله (من المس) (قلت) بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله

* قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا (قال محمود ان قلت لم لم يقولوا انما الربا مثل البيع الخ) قال أحمد وعندي وجه في الجواب عن السؤال الذي أورده غير ما ذكر وهو انه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين في ثبوت الحكم فللقائل أن يسوي بينهما طردا فيقول مثلا الربا مثل البيع وغرضه من ذلك أن يقول والبيع حلال فالربا حلال وله أن يسوي بينهما في العكس فيقول البيع مثل الربا فلو كان الربا حراما كان البيع حراما ضرورة المماثلة ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها أن يقول ولما كان البيع حلالا اتفاقا فالربا غير حرام وجب أن يكون الربا مثله والاول على طريقة قياس الطرد والثاني على طريقة قياس العكس وما لهما الى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير الى خروج عن الظاهر لعذر المبالغة أو غيره وليس الغرض من هذا كله الا بيان هذا الذي تخيلوه على أنموذج النظم الصحيح وان كان قياسا فاسد الوضع لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضا في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ولكن اذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالا صحيحا فقل في الاولى النبيذ مثل الخمر في علة التحريم وهو الاسكار والخمر حرام فالنبيذ حرام وقل في الثانية انما الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ حلالا لكان الخمر حلالا ١٢٩ وليست حلالا ٣ اتفاقا فالنبيذ كذلك

ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله

في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) (فان قلت) هلا قيل انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال انهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا ولو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين (قلت) جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) فتبع النهي وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وان كثر الى قل (ويربي الصدقات) ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (كل كفار أثيم) تغليظ في أمر الربا وايذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين * أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن رضي الله عنه ما بقا بقلب الياء ألفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكمو * ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

(ان كنتم مؤمنين) ان صح ايمانكم يعني أن دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك (فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة (فان قلت) هلا قيل بحرب الله ورسوله (قلت)

ضرورة المماثلة المذكورة فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه والله أعلم * قوله تعالى ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال محمود رحمه الله في هذه الآية دليل على تخليد الفساق الخ) قال أحمد هو يبني على أن المتوعد عليه بالخلود العود الى فعل الربا خاصة ولا يساعده على ذلك الظاهر الذي استدل به فان الذي وقع العود اليه مسكوت عنه في الآية الا تراه قال ومن عاد فلم يذكر المعود اليه فيحمل على ما تقدم كأنه قال ومن عاد الى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذي سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع ولا شك عندنا أهل السنة والجماعة أن من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا في تحريمها مستندا في استحلالها الى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفرا واذ ذاك يكون الموعود بالخلود في الآية من يقال انه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا اختلاف فيه فلا دليل للزمخشري اذا على اعتزاله في هذه الآية والله الموفق وانما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

٣ (قول المحشي وليست حلالا الخ) لعل الصواب أن يقول وليس النبيذ حلالا اتفاقا فالخمر كذلك كما هو مقتضى المقابلة اهـ مصححه

كان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (فان قلت) هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا (قلت) قالوا يكون مالهم فيأ للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو اعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة (فنظرة) أي فالحكم أو فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل أي ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها (الى ميسرة) الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وقوله تعالى وأقام الصلاة (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء (ترجعون) قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (اذا تداينتم) اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته (بدين) معطيا أو آخذا كما تقول بايعته اذا بعته أو باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه (فان قلت) هلا قيل اذا تداينتم الى أجل مسمى وأى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين (قلت) ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال (فان قلت) ما فائدة قوله (مسمى) (قلت) ليعلم أن من حق الاجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما أمر بكتبة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون الى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية (بالعدل) متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها دينا (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب (فان قلت) أي فرق بين الوجهين (قلت) ان علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم أمر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه (ولا يبخس منه) من الحق (شيأ) والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد (سفيها) محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا أو شيخا

وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا

* قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه (قال محمود ان قلت هلا قيل اذا تداينتم الخ) قال أحمد الاجل المسمى هو المعلوم انتهاؤه والعلم بالانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر ومنها التحديد بما يعتاد وقوعه في زمن مخصوص مضبوط بالعرف كالحصاد ومقدم الحاج وكيف ما علم الاجل صح ضربه فمن ثم أجاز مالك البيع الى الحصاد لانه معلوم عندهم ثم المعتبر زمان وقوع هذه المسميات لا نفس وقوعها

مختلا (أولا يستطيع أن يمل هو) أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به أو خرس (فليملل وليه) الذي يلي أمره من وصي ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله تعالى أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون) ممن تعرفون عدالتهم (أن تضل احداهما) أن لا تهتدي احداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي ارادة أن تضل (فان قلت) كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى (قلت) لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه * وقرئ (فتذكر) بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني أنهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر (اذا ما دعوا) ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت * كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب * والضمير في (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلوا بكتابته (الى أجله) الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى أن تكتبوه لانه في معنى المصدر أي ذلكم الكتب (أقسط) أعدل من القسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة (وأدنى ألا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب (فان قلت) مم بني أفعلا التفضيل أعني أقسط وأقوم (قلت) يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما (فان قلت) ما معنى (تجارة حاضرة) وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم (قلت) أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بني أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أي اذا كان اليوم يوما (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل (ولا يضار) يحتمل البناء للفاعل وللمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما

أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد

حتى لو حل زمن قدوم الحاج فمنعه مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول أجل الدين والله أعلم

* قوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة (قال محمود ان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر الخ) قال أحمد فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله عنه في اقامة الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتهن الى تمام قيمته حتى لو تنازعا فقال الراهن رهنتكه بمائة وقال المرتهن بل الرهن بمائتين لكان الرهن شاهدا بقيمته خلافا للشافعي رضي الله عنه فانه يرى القول قول الراهن مطلقا لانه غارم ووجه الدليل لمالك رضي الله عنه من الآية ان الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضا من الاشهاد والكتابة وخصه بالسفر لاعوازهما حينئذ ولو كان القول قول الراهن شرعا لم يكن قائما مقام الاشهاد ولا مفيدا فائدته بوجه اذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يزد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار نيابته عن الاشهاد ولا يقال ان فائدته الامتياز به على الغرماء لان تلك فائدة الاشهاد حتى يكون نائبا عنه عند تعذره ولا فائدة اذذاك الا جعل القول قول المرتهن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المقدم ذكره ومن ثم لم يجعله شاهدا الا في قيمته لا فيما زاد عليها معتضدا بالعادة في ان رب الدين لا يقبل في دينه الا الموفى بقيمته فدعواه ان الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة والمديان أيضا لا يسمح بتسليم ما قيمته أكثر فيما هو اقل فدعواه ان الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة ولا يبقى الا النظر في أمر واحد وهو ان المعتبر عند مالك في القيمة يوم الحكم حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت الى ذلك زادت أو نقصت وانما يعتبر يوم القضاء ولقائل أن يقول اذا جعلتم الرهن مقام الشاهد عند عدمه لان العادة تقتضي ان الناس انما يرهنون في الديون المساوي قيمته لها فينبغي أن تعتبروا القيمة يوم الرهن غير معرجين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام في ان المقتضي لاقامته مقام الشاهد هو المعنى المتقدم أو غيره وليس غرضنا الا ان الآية ترشد الى اقامته مقام الشهادة في الجملة وأما تفاصيل المسئلة فذلك من حظ الفقه ١٣٢ (قال محمود وأما القبض فلا بد من اعتباره الخ) قال أحمد ليس بين مالك والشافعي خلاف في صحة الارتهان بالايجاب والقبول

وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا

بأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) وقيل وان تفعلوا شيأ مما نهيتم عنه (على سفر) مسافرين * وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب (فرهن) فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان (فان قلت) لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر (قلت) ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه الا في حال السفر أخذا بظاهر الآية * وأما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين

دون القبض ولكنه عند مالك رضي الله عنه يصح بذلك ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتهن وعند الشافعي لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك اعتبار في الابتداء والدوام ولا يشترط الشافعي كثيرا من أحكامه عند مالك وذلك أنهما لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن عند الشافعي وامتاز به ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه حتى ينضاف الى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك لانه يتهمهما بالتواطؤ على اسقاط حق الغرماء فلا يعتبر اقرارهما الا بانضمام المعاينة فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأي مالك منه على رأي الشافعي هذا في الابتداء وأما في الدوام فمالك رضي الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد الى يد الراهن بأن أودعه المرتهن اياه أو أجره منه أو أعاره اياه اعارة مطلقة فقد خرج من الرهن ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان أسوة الغرماء فيه والشافعي رضي الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه بل للراهن عند الشافعي ان ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن اذا لم يكن الانتفاع مضرا بالرهن كسكنى الدار واستخدام العبد وله ان يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في الام ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلانا ولا خللا فقد علمت ان القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواما والآية تعضده فان الرهن في اللغة هو الدوام أنشد أبو علي

فالخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب

ولعل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن تمسك بما في لفظ الرهن من اقتضاء الدوام وله في ذلك متمسك وما طولت في حكاية مذهب مالك في القبض الا لان المفهوم من كلام الزمخشري اطراح القبض عند مالك لانه فهم من قول أصحابه ان القبض لا يشترط في صحة الرهن ولا في لزومه انه غير معتبر عنده بالكلية والله أعلم

فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها

المديونين لحسن ظنه به وقرأ أبى فان أومن أى آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته) حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه وأن يؤدّى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء فتقول الذى اؤتمن أو الذى تمن وعن عاصم أنه قرأ الذى اتمن بادغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر وليس بصحيح لانّ الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا (آثم) خبر ان و (قلبه) رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان (فان قلت) هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده (قلت) كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب أسند اليه لانّ اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول اذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولانّ القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أنّ كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أنّ القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولانّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها ألا ترى أنّ أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبى عبلة أثم قلبه أى جعله آثما (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لانّ ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابى عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزوما عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب (فان قلت) كيف يقرأ الجازم (قلت) يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا أهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لانّ التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه وأحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع فى الافعال وقوعه فى الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان (والمؤمنون) ان عطف على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى كل راجعا الى الرسول والمؤمنين أى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين *وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب (فان قلت) كيف يكون الواحد أكثر من الجمع (قلت) لانه اذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شئ فأما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع (لا نفرق) يقولون لا نفرق وعن أبى عمرو يفرق بالياء على أنّ الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون و (أحد) فى معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين (سمعنا) أجبنا (غفرانك) منصوب باضمار فعله يقال

*قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قال محمود نقل عن ابن عباس انه قرأ وكتابه الخ) قال أحمد وقد قال مالك ان التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور رده الى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب وهذا الكلام من الامام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا الاشهر الفرضية فى الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعده

*قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا (قال محمود فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما الخ) قال أحمد ولا ورود لهذا السؤال على قواعد أهل السنة لانا نقول انما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان واذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان اجابة لهذه الدعوة فقد نقل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها قد فعلت وانما التزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين الى استحالة المؤاخذة بالخطا والنسيان عقلا لانه من تكليف مالا يطيق وهو مستحيل عندهم تفريعا على قاعدة التحسين والتقبيح وكلها قواعد باطلة ومذاهب ماحلة فالله تعالى يجعل لنا من اجابة هذه الدعوات أوفر نصيب ويلهمنا المعتقد الحق والقول المصيب انه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون *الواسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها (فان قلت) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب (قلت) في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال * أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطا ان فرط منا (فان قلت) النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (قلت) ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال ألا ترى الى قوله وما أنسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل ان كان النسيان والخطا مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطا أو النسيان ويجوز أن يدعو الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه *والاصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد * (فان قلت) أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا (قلت) هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا (مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا) فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فان ذلك عادتك أو فان ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل (فان قلت) هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة (قلت) لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

﴿سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية﴾

﴿القول في سورة آل عمران﴾

﴿بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (قال محمود فان قلت لما قيل في القرآن نزل على صيغة فعل الخ) قال أحمد يريد لان فعل صيغة مبالغة وتكثير فلما كان نزول القرآن منجما كان أكثر تنزيلا من غيره لتفرقه في مرار عديدة فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم (عاد كلامه) قال والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لانها تفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما أفرده وأخذ كره في قوله وآتينا داود زبورا أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه ١٣٥ واظهار الفضله والله أعلم* قال أحمد وقد جعل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة فعل تفريقه في التنزيل كما تقدم آنفا ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره فان يكن هذا والله أعلم فالوجه أنه لما عبر أولا عن نزوله الخاص به أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية فلما جرى ذكره ثانيا للنعت بصفة زائدة على اسم الجنس عبر عن نزوله من حيث الاطلاق اكتفاء بتميزه أولا واجمالا لذلك في غير مقصوده ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى الكلام يجمل في غير مقصوده ويفصل في مقصوده* قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام (قال محمود معناه له انتقام شديد الخ) قال أحمد وانما يلفى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله في قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف (فان قلت) كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان اثبات حركتها كاثباتها (قلت) هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال (فان قلت) هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين (قلت) لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر (فان قلت) انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا (قلت) الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين (فان قلت) فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر (قلت) هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة *و(التوراة والانجيل) اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب (فان قلت) لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل (قلت) لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة *وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم * (فان قلت) ما المراد بالفرقان (قلت) جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (ذو انتقام) له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم (لا يخفى عليه شئ) في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة* وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا اذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته اذا

قوله تعالى منه آيات محكمات الآية (قال محمود المحكمات التي أحكمت عبارتها الخ) قال أحمد هذا كما قدمته عند من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعا للرأى وذلك ان معتقده احالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من ان الرؤية تستلزم الجسمية والجهة فاذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله الى ربها ناظرة مالوا الى جعله من المتشابه حتى يردوه بزعمهم الى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم والآية قوله تعالى لا تدركه الابصار وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق فنقول نحمل قوله لا تدركه الابصار في دار الدنيا ونحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الادلة أو نقول الابصار وان كانت ظاهرة العموم الا ان المراد بها الخصوص أى لا تدركه أبصار الكفار كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ونقول لا تعارض بين الآيتين فتقر كل واحدة منهما في نصابها وبيان ذلك ان الابصار عام بالالف واللام الجنسيتين ولا يتم غرض القدرية على زعمهم الا بالموافقة على عمومها وحينئذ يكون في العموم مرادفة لدخول كل لان كليهما أعنى المعرف والجنسى وكلا يفيد الشمول والاحاطة واذا ثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية والقواعد مستقرة على ان سلب الكلية جزئى لغة وعقلا ألا ترى ان القائل اذا قال لا تنفق كل الدراهم كان المفهوم من ذلك الاذن في انفاق البعض ومن حيث المعقول ان الكلية تسلب بسلب بعض الافراد ولو واحدا وحينئذ يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الابصار وثبوتها البعض الابصار وهذا عين مذهب أهل السنة لانهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنه أعنه قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد ثبت ان هذه الآية اما محمولة على اثبات الرؤية واما باقية على ظاهرها دليلا على ثبوتها على وفق السنة * ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها ألا ترى انهم يقولون ان قولنا الانسان كاتب ونحوه مهمل في قوة الجزئية وان قولنا كل انسان حيوان كلى لا جزئى * لانا نقول انما جارينا القدرية على ما يلزمهم الموافقة فيه وهم قد وافقوا على تناول الابصار الكل واحدا واحدا من افراد الجنس ولولا ذلك لما تم لهم مرام واكفونا مؤنة البحث في ذلك وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لا ينسب لما سماه أهل ذلك الفن مهملا بل هذا هو الكلى عندهم والله الموفق واما الآيتان الاخيرتان اللتان احداهما قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء والاخرى التي هي قوله تعالى أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا ينازع الزمخشرى في تمثيل المحكم والمتشابه بهما * قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم (قال محمود معناه لا يهتدى الى تأويله الخ) قال أحمد قوله لا يهتدى اليه الا الله عبارة قلقة ولم يرد اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى مع ان في هذه اللفظة ايهاما اذ الاهتداء لا يكون في الاطلاق الا عن جهل وضلال جل الله وعز حتى ان الكافر اذا أسلم أطلق أهل العرف عليه فلان المهتدى ذلك مقتضى اللغة فيه فانه مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى والاجماع منعقد على ان ما لم يرد اطلاقه وكان موهما لا يجوز اطلاقه على الله عز وجل ولذا أنكر على القاضى اطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه فلأن ينكر على الزمخشرى اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى اجدر وما أراها صدرت منه الا وهما حيث اضاف العلم الى الله تعالى في الفعل المذكور والله أعلم

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم

أنلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله (محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه * متشابهات مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) أى أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها (فان قلت) فهلا كان القرآن كله محكما (قلت) لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه (الذين في قلوبهم زيغ) هم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه منه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يأولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) أى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أى يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية

* قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا (قال محمود معناه ربنا لا تبلنا ببلايا الخ) قال أحمد أما أهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة لانهم يوحدون حق التوحيد فيعتقدون ان كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى واما القدرية فعندهم ان الزيغ لا يخلقه الله تعالى وانما يخلقه العبد لنفسه فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة الا محرفة الى غير المراد بها كما أولها المصنف به وان كنا ندعو الله تعالى مضافا الى هذه الدعوة بان لا يبتلينا ولا يمنعنا لطفه آمين لان الكل فعله وخلقه ولا موجود الا هو وأفعاله التي نحن وأفعالنا منها

ونحوه والاول هو الوجه * ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه (كل من عند ربنا) أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه (وما يذكر الا أولو الالباب) مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين * وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله * وقرأ أبي ويقول الراسخون (لا تزغ قلوبنا) لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد اذ لطفت بنا (من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب (جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع * وقرئ جامع الناس على الاصل (ان الله لا يخلف الميعاد) معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله * والميعاد الموعد * قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين * من في قوله (من الله) مثله في قوله وان الظن لا يغني من الحق شيأ والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله (شيأ) أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى * وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها * والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير * الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون (فان قلت) أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى (قلت) معنى القراءة بالتاء الامر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر (يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله اياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم (فان قلت) فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم (قلت) قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم

(قال محمود معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين الخ) قال أحمد وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأي أهل السنة * قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين

(عاد كلامه) قال وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين الخ* قال احمد انما قال ذلك لان الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين أى ترونهم يامسلمون ويكون ضمير المثلين أيضا للمسلمين وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور الى الغيبة والالتفات وان كان سائغا فصيحا الا أنه انما يأتى فى الاغلب فى جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لان مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذلك فهذا هو الوجه الذى باعد الزمخشرى به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل الا انه يلزم مثله على أحد وجهيها المتقدمين آنفا لانه قال معناه على قراءة نافع ترون يامشركون المسلمين مثلى عددهم أو مثلى فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثانى يلزم الخروج من الخطاب الى الغيبة فى الجملة بعينها كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم* قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية (قال محمود المزين هو الله تعالى الخ) قال أحمد التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها فى القلوب وهو بهذا المعنى مضاف الى الله تعالى حقيقة لانه لا خالق الا هو خالق كل شئ من جوهر ومن عرض قائم بالجوهر حب أو غيره محمود فى الشرع أولا ويطلق التزيين

رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم

غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة فى قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير فى التقتا (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد بنصره) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو (زين للناس) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها (حب الشهوات) جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا فى النفوس أن المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله *والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا و (المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة و (المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها و (الانعام) الازواج الثمانية (ذلك) المذكور (متاع الحيوة)* (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به* وترتفع (جنات) على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (والله بصير بالعباد) يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد* والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها

ويراد به الحض على تعاطى الشهوات والامر بها فهو بهذا الاعتبار لا يضاف الى الله تعالى منه الا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعا كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجرى مجراه واما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثانى مضاف الى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الامر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضى الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول فانه يحاشا ان ينسب خلق الله الى غير الله وانما الزمخشرى كثيرا ما يورد امثال هذه العبارة المتدنسة تنزيلا لها على قواعد القدرية الفاسدة فتفطن لها وبرئ قائلها من السلف الصالح مما يزعم الزمخشرى النقل عنه والله الموفق (عاد كلامه) قال جعل الاعيان التى ذكرها شهوات الخ* قال أحمد يريد الحاقها بباب رجل صوم وفطر مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة وقد

وقد مرّ الكلام في ذلك * وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم * شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا (فان قلت) لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز (قلت) انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح (فان قلت) أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب (قلت) قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي

ويأوي الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى

(فان قلت) هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو (قلت) لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف (فان قلت) قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو (قلت) نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح (فان قلت) هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم كما دخلت الوحدانية (قلت) نعم اذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولوا العلم أنه لا اله الا هو وأنه قائم بالقسط * وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط (العزيز الحكيم) صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله (فان قلت) ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله (قلت) هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد * وقرئ أنه بالفتح وانّ الدين بالكسر على أنّ الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله (انّ الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى (فان قلت) ما فائدة هذا التوكيد (قلت) فائدته أن قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا أردفه قوله انّ الدين عند الله الاسلام فقد آذن أنّ الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شئ من الدين (٣) وفيه أنّ من ذهب الى تشبيه أو ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية أو ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على أنّ الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله أنّ الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لانّ دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أنّ وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا اله الا هو وقرأ أبيّ انّ الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله (فان قلت) فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولوا العلم (قلت) على الضمير في شهداء وجاز لوقوع

قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف

قوله وفيه ان من ذهب الى تشبيه الخ كتب عليه العلامة المحشي ما يشفي الغليل ولكن لعدم امكان وضع ما كتبه بهذه الصحيفة نقلت الى ما بعدها وجعل لها علامة تعلم بها اه

*قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام (قال محمود ان قلت ما فائدة تكرار لا اله الا هو الخ) قال أحمد وهذا التكرار لما قدمته فى نظيره مما صدر الكلام به اذا طال عهده وذلك ان الكلام مصدر بالتوحيد ثم اعقب التوحيد تعداد الشاهدين به ثم قوله قائما بالقسط وهو التنزيه فطال الكلام بذلك فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلى قوله ان الدين عند الله الاسلام ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع فى الفهم مما اريد ايصاله به والله أعلم (٣) قال وفيه أن من ذهب الى تشبيه الخ) *قال أحمد هذا تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الاسلام بل تصريح وما ينتقم منهم الا ان صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم بانهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ولانهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا ان لا اله الا هو ولا خالق لهم ولا فعالهم الا هو واقتصروا على أن نسبوا لانفسهم قدرة تقارن فعلهم لا خالق لها ولا تأثير غير التمييز بين افعالهم الاختيارية والاضطرارية وتلك المعبر عنها شرعا بالكسب فى مثل قوله تعالى بما كسبت أيديكم هذا ايمان القوم الرسالة وتوحيدهم لا كقوم يغبرون فى وجه النصوص فيجحدون الرؤية التى يظهر أن جحدهم لها سبب فى حرمانهم اياها ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله فى مخلوقاته فيزعمون انهم يخلقون لانفسهم ما شاؤا من الافعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله فى ملكه ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد والله أعلم بمن اتقى ولجبر خير من اشراك ان كان أهل السنة مجبرة فانا أول المجبرين ولو نظرت أيها الزمخشري بعين الانصاف الى جهالة القدرية وضلالها لانبعثت الى حدائق السنة وظلالها ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها ولكن كره الله انبعاثهم ولعلمت أى الفريقين أحق بالامن وأولى بالدخول فى اولى العلم المقرونين فى التوحيد بالملائكة

الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم

الفاصل بينهما * (فان قلت) لم كرر قوله لا اله الا هو (قلت) ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل (الذين أوتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى *واختلافهم أنهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذى لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن أعقابهم لا شبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم فى الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بنى اسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (فان حاجوك) فان جادلوك فى الدين (فقل أسلمت وجهى لله) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه الها معه يعنى أن دينى دين التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضى حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفى هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلى الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك فى هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفى فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور (وان تولوا) لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ

المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل اللهم الهمنا على اقتفاء السنة شكرك ولا تؤمنا مكرك انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فليس ينجي من الخوف الا الخوف والله ولي التوفيق * قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (قال محمود ذلك التولي والاعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) قال أحمد رحمه الله هذا أيضا تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد الى مشيئة الله تعالى وان مات مصرا عليها ايمانا بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتصديقا بالشفاعة لاهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلا يقيس عليهم اليهود القائلين لن تمسنا النار الا أياما معدودات فانظر اليه كيف أشحن قلبه بغضا لاهل السنة وشقاقا وكيف ملأ الارض من هذه النزغات نفاقا فالحمد لله الذي أهل عبيده الفقير الى التورك عليه لان آخذ من أهل البدعة بثار السنة فأحمي أفيدتهم من قواطع البراهين بقومات الاسنة

الرسالة وتنبه على طريق الهدى * قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح قلت يارسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قاتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (في الدنيا والآخرة) لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة * (فان قلت) لم دخلت الفاء في خبر ان (قلت) لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء (أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم (يدعون الى كتاب الله) وهو التوراة (ليحكم بينهم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم ابن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك) التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم (فكيف اذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى أن أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي * الميم في (اللهم) عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا ألله وبغير ذلك (مالك الملك) أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروى أن رسول الله صلى الله

في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت * (فان قلت) كيف قال (بيدك الخير) فذكر الخير دون الشر (قلت) لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولان كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه * ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم * نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك فى القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان (من دون المؤمنين) يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شئ يقع عليه اسم الولاية يعنى أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه * وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم فى موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه) ولم يخف عليه وهو الذى (يعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا تختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ فى أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك (يوم تجد) منصوب بتود * والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين

بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة

تجد

تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تودّ (فان قلت) فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودّت (قلت) لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تودّ حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه * والامد المسافة كقوله تعالى ياليت بيني وبينك بعد المشرقين * وكرّر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) يعني أنّ تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجوّ لسعة رحمته كقوله تعالى انّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة (فاتبعوني) حتى يصح ما تدّعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادّعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله * وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا ثروان من حب تمره * وأعلم أن الرفق بالجار أرفق

ووالله لولا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

(فان تولوا) يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم (آل ابراهيم) اسمعيل واسحق وأولادهما و(آل عمران) موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة و(ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعني أنّ الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أنّ بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و(اذ) منصوب به وقيل باضمار اذكر * وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهي حنة بنت فاقوذ وقوله (اذ قالت امرأت عمران) على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أنّ عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه انّ موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر (فان قلت) كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أنّ عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون (قلت) كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لانّ زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بابنتها ايشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة * روى أنها كانت عاقرا لم تلد الى أن عجزت فبينما

ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني

---

* قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (قال محمود آل عمران موسى وهارون الخ) قال أحمد ومما يرجح هذا القول الثاني أن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما في هذه السورة فدل ذلك على أن عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم

*قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران الى قوله فلما وضعتها (قال محمود الضمير عائد الى ما في بطني الخ) قال أحمد الضمير في قوله وضعتها تناول اذا ما نسب اليها الوضع والانوثة فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيأ أوضع لا لخصوص نسبة الانوثة اليها وقد مره ذا البحث بعينه عند قوله تعالى فان لم يكونا رجلين (عاد كلامه) قال وانما أرادت بقولها وضعتها أنثى التحسر والتأسف الخ *قال أحمد هذا التأويل على انه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها وقد ذكر أهل التفسير تأويلا آخر وهو ان يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها أعني قوله وليس الذكر ١٤٤ كالانثى ويرشد اليه عطف كلامها عليه وهو قوله وانى سميتها مريم الخ ويوردون على هذا الوجه ان قياس كونه من قولها ان يكون وليست الانثى كالذكر فان مقصودها تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والعادة في مثله ان ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس وقد وجد الامر في ذلك

محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل (محررا) معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشئ وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا (فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وانما أنث على المعنى لان ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل الجبلة أو النفس أو النسمة * (فان قلت) كيف جاز انتصاب (أنثى) حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى أنثى (قلت) الاصل وضعته أنثى وانما أنث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشئ واحد كما أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين وأما على تأويل الجبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل انى وضعت الجبلة أو النسمة أنثى (فان قلت) فلم قالت انى وضعتها أنثى وما أرادت الى هذا القول (قلت) قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة * ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عظائم الامور وأن يجعله وولدته آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيأ فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها أى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها * (فان قلت) فما معنى قوله (وليس الذكر كالانثى) (قلت) هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد * (فان قلت) علام عطف قوله (وانى سميتها مريم) (قلت) هو عطف على انى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم (فان قلت) فلم ذكرت تسميتها مريم لربها (قلت) لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فان صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومى

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

مختلفا فلم يثبت لي عين ما قالوه الا ترى الى قوله تعالى لستن كأحد من النساء فنفي عن الكامل شبه الناقص مع أن الكمال لازواج النبى عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة الى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم ومنه أيضا أفمن يخلق كمن لا يخلق (عاد كلامه) قال وفائدة قولها وانى سميتها مريم ان مريم في لغتهم العابدة الخ (قال أحمد) اما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته فلا محيص له اذا عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحا الى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في الحاد ظلمات بعضها فوق بعض وقد قدمت عند قوله تعالى لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ما فيه كفاية وما أرى الشيطان الا طعن في خواصر القدرية حتى بقرها وذكر في قلوبهم حتى حمل الزمخشرى وامثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل كما قال في هذا الحديث ثم نظره بتخييل ابن الرومى في شعره جراءة وسوء أدب ولو كان معنى ما قاله صحيحا لكانت هذه العبارة واجبا أن تجتنب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لامكن على بعد ان يكون تمثيلا ولا ما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل الا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الوبيل

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة * وروى أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي

وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الامر بقوابله أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها * وقرئ وكفلها زكريا بوزن عملها (وكفلها زكرياء) بتشديد الفاء ونصب زكرياء الفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله تعالى فقال أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها * قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد أي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروى أنه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها (ان الله يرزق) من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عز من قائل (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق (هنالك) في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع (سميع الدعاء) مجيبه * قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل (أن الله يبشرك) بالفتح على بأن الله وبالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وأبشره ويبشرك بفتح الياء من بشره * ويحيى ان كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى

قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه (قال محمود فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان الخ) قال أحمد لا يليق بالنبي أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله فان العقل يقضي بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وان لم يقع نظيره وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتد أمله الى حادث يناسبه كرامة له والله أعلم

فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا بكلمة من الله) مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته * والسيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط و يا لها من سيادة * والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل

وشارب مربح بالكاس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسآر

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين (أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثر في الكبر فأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك) أي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر (قال آيتك) أن لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) وانما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة (فان قلت) لم حبس لسانه عن كلام الناس (قلت) ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه (الا رمزا) الا اشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

يعني الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم * والعشي من حين نزول الشمس الى أن تغيب و (الابكار) من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال أتيته بكرا بفتحتين (فان قلت) الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه (قلت) لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا (يا مريم) روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا أو ارهاصا لنبوة عيسى (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء * أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيهم من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي * (فان قلت) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم (قلت) كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له

مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون

* قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم (قال محمود ان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم الخ) قال أحمد ويحقق هذا الجواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر فانه لم يتقدم فى وعد الله لها بالولد ما يدل على انه من غير أب الا انه لما نسبه اليها دل على انها فهمت من ذلك كونه من غير أب والله أعلم (عاد كلامه) قال فان قلت

أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة

ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم (أقلامهم) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (اذ يختصمون) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها * (فان قلت) أيهم يكفل بم يتعلق (قلت) بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك (عيسى) معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم فى الماء * (فان قلت) اذ قالت بم يتعلق (قلت) هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من اذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا * (فان قلت) لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم (قلت) لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فأعلمت بنسبته اليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قلت) لم ذكر ضمير الكلمة (قلت) لان المسمى بها مذكر (فان قلت) لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (قلت) الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيها) حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة * والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة * وكونه (من المقربين) رفعه الى السماء وصحبته للملائكة * والمهد ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر و(فى المهد) فى محل النصب على الحال (وكهلا) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء * ومن بدع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى ياسيدى (ونعلمه) عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء * (فان قلت) علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أنى قد جئتكم ولما بين يدى يأبى حمله عليها (قلت) هو من المضائق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثانى أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأنى قد جئتكم وناطقا بأنى أصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفا على كلمة (أنى قد جئتكم) أصله أرسلت بأنى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و(أنى أخلق) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستئناف أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال * كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما * وقيل لم يخلق غير الخفاش (الاكمه) الذى ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده * وكرر (باذن الله) دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية * وروى أنه

(قال أحمد) وفى هذا التقرير خلاص من اشكال يوردونه فيقولون المسيح فى الآية ان أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى بن مريم والتسمية لا توصف بالنبوة وان أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه ويجاب عن الاشكال بان المسيح خبر عن قوله اسمه والمراد التسمية وأما عيسى بن مريم فخبر مبتدا محذوف تقديره هو عيسى بن مريم ويكون الضمير عائدا الى المسمى بالتسمية المذكورة منقطعا عن قوله المسيح والذى قرره الزمخشرى لا يرد عليه هذا الاشكال وهو حسن جدا والله أعلم

أحيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا
* وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف (ولأحل) ردّ على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل
لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا * وما حرم الله عليهم
في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل
لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى عليه السلام لأنّ ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان
معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله (انّ الله
ربي وربكم) لأنّ جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله
فاتقوا الله وأطيعون اعتراض (فان قلت) كيف جعل هذا القول آية من ربه (قلت) لأنّ الله تعالى جعله
له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون
تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء
والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله
وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعوني فيما أدعوكم اليه ثم ابتدأ فقال
انّ الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأنّ الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز
أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أنّ الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض (فلما أحس) فلما علم منهم (الكفر)
علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس و (الى الله) من صلة أنصاري مضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من
الذين يضيفون أنفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا
الى الله ملتجئا اليه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله * وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل
للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة * وانما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لأنّ الرسل يشهدون يوم
القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية
وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بني اسرائيل الذين أحس
منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد
اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر
المعاقب (اذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (اني متوفيك) أي مستوفي أجلك ومعناه اني عاصمك
من أن يقتلك الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك اليّ) الى
سمائي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك
الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف
وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال
بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فأحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فأعذبهم * فنوفيهم أجورهم)
وقرئ فيوفيهم بالياء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و (من الآيات)
خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز
أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه ينطق
بالحكمة لكثرة حكمه (انّ مثل عيسى) انّ شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب)

ولأحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وجئتكم بآية
من ربكم فاتقوا الله
وأطيعون انّ الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فلما
أحس عيسى منهم
الكفر قال من أنصاري
الى الله قال الحواريون
نحن أنصار الله آمنا بالله
واشهد بأنا مسلمون ربنا
آمنا بما أنزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين
اذ قال الله يا عيسى اني
متوفيك ورافعك الي
ومطهرك من الذين
كفروا وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين
كفروا الى يوم القيامة
ثم الي مرجعكم فأحكم
بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون فأما الذين
كفروا فأعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا
والآخرة وما لهم من
ناصرين وأما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
فيوفيهم أجورهم
والله لا يحب الظالمين
ذلك نتلوه عليك من
الآيات والذكر
الحكيم انّ مثل عيسى
عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب

جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان
قلت) كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم (قلت) هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع
اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في أنه وجد
وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من
الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب
مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه
لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف
فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما * خلقه من تراب قدره
جسدا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر (فيكون) حكاية حال ماضية
(الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس * ونهيه عن الامتراء وجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا
لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البينات الموجبة للعلم
(تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع
كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا
ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله اذا أهمله وناقة باهل لا صرار
عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا * وروي أنهم لما دعاهم الى
المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش
كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا
الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى
يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا أبيتم المباهلة
فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فاني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن
نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر
وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى
على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله
حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين
فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (فان قلت) ما كان دعاؤه
الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء
(قلت) ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده
وأحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته
وأعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلوب وربما
فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم
وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب

ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار

الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبىّ صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا الى ذلك (انّ هذا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) قرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لانّ اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم انّ وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر انّ (فان قلت) لم جاز دخول اللام على الفصل (قلت) اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدا منه وأصلها أن تدخل على المبتدا ومن فى قوله (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الردّ على النصارى فى تثليثهم (فانّ الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدىّ بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة * وقرئ كلمة بسكون اللام * وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأنى أنا الغالب وسلم لى الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره * زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره و(حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتكم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه و(أنتم) جاهلون به * ثم أعلمهم بأنه برىء من دينكم وما كان الا (حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح (انّ أولى الناس بابراهيم) انّ أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصا (والذين آمنوا) من أمته وقرئ وهذا النبىّ بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه أى اتبعوه واتبعوا هذا النبىّ وبالجرّ عطفا على ابراهيم (ودّت طائفة) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لانّ العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم أو وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم (بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول (وأنتم تشهدون) نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق * قرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أى تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبى زور وقوله * اذا هو بالمجداف ارتدى وتأزرا * (وجه النهار) أوله قال

من

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

والمعنى أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا) به فى آخره لعلهم يشكون فى دينهم و يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم الالامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أوّل النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه و بطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها فى أول النهار ثم اكفروا به فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أى ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق و يغالبونكم عند الله تعالى بالحجة (فان قلت) فما معنى الاعتراض (قلت) معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الالمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الالمن تبع دينكم الالمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد (فان قلت) فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا (قلت) معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم و يجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر ان على معنى قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم و يدحضوا حجتكم * وقرئ ان يؤتى أحد على ان النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أى ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم و يجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم انكار لان يؤتى أحد مثل ما أوتوا * عن ابن عباس (من ان تأمنه بقنطار) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه اليه و (من ان تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا ما دمت عليه قائما) الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه * وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل و بكسرها بغير وصل و بسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لم يؤده أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) أى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار

واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل

(قال محمود أو يحاجوكم معطوف على ان يؤتى الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه من الاعراب اشكال وهو وقوع أحد

فى الواجب لان الاستفهام هنا انكار واستفهام الانكار فى مثله اثبات اذ حاصله انه أنكر عليهم ووبخهم على ما وقع منهم وهو اخفاء الايمان بأن النبوة لا تخص بنى اسرائيل لاجل العلتين المذكورتين فهو اثبات محقق و يمكن أن يقال روعيت صيغة

الاستفهام وان لم يكن المراد حقيقة فحسن لذلك دخول أحد فى سياقه والله أعلم (قال محمود والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع الخ) قال أحمد أى حيث كان نكرة فى سياق النفى كما وصفه بالجمع فى قوله فما منكم من أحد عنه حاجزين

بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم و يقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمىّ الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدّوا الجزية لم يحل لكم أكل أموالهم الا بطيبة أنفسهم (ويقولون على الله الكذب) بادّعائهم أن ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه (فان قلت) فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله (قلت) أجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا أول شئ بالعهد الاعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير الى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء (فان قلت) فأين الضمير الراجع من الجزاء الى من (قلت) عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب (يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدّق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمننّ به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيىّ بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب ابن الاشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فىّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه والوجه أن نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوّى رجوع الضمير في بعهده الى الله (ولا ينظر اليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (فان قلت) أيّ فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه (قلت) أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لانّ من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيىّ بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرّف وقرأ أهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (فان قلت) الام يرجع الضمير في (لتحسبوه) (قلت) الى ما دلّ عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرّف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرّضون ولا يورّون وانما يصرحون بأنه في التوراة هكذا

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فانّ الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم

وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهي السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم (بما كنتم) بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها * وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم (تدرسون) تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزل وتدرّسون من التدرّس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرّسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شئ وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته * قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم لبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للانكار (بعد اذ أنتم مسلمون) دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (ميثاق النبيين) فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبيّ وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب * واللام في (لما آتيتكم) لام التوطئة لان أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمننّ لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن سادّ مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمننّ به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة (فان قلت) كيف

*قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله لتؤمنن به (قال محمود اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان أخذ الميثاق في معنى القسم الخ) قال أحمد يدل على ان قوله رسول فاعل جاء لانه لا يخلو من الضمير والا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمرا ورسول خبر الموصول ولم يرد الزمخشري الا الاول وهو ظاهر الآية عاد كلامه قال مجيبا عن السؤال قلت بلى الخ) قال أحمد يريد ان الكلام وان خلا من العائد الا انه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة والله أعلم

اصرى قالوا أقررنا قال
فاشهدوا وأنا معكم من
الشاهدين فمن تولى بعد
ذلك فأولئك هم الفاسقون
أفغير دين الله يبغون
وله أسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها
واليه يرجعون قل آمنا
بالله وما أنزل علينا وما
أنزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط
وما أوتي موسى وعيسى
والنبيون من
ربهم لا نفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون
ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخاسرين
كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا أن الرسول
حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم
الظالمين أولئك جزاؤهم
أن عليهم لعنة الله
والملائكة والناس
أجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا فان الله غفور
رحيم ان الذين كفروا
بعد ايمانهم

يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو وقوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم (قلت) بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى (اصرى) عهدي وقرئ أصرى بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وأن يكون جمع اصار (فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا على ذلكم) من اقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد (فأولئك هم الفاسقون) أي المتمردون من الكفار * دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره (أ) يتولون (فغير دين الله يبغون) وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروى أن أهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا (طوعا) بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين * أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في (قل) وجمع في (آمنا) ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه * (فان قلت) لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء (قلت) لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال (ومن يبتغ غير الاسلام) يعني التوحيد واسلام الوجه لله تعالى (دينا فلن يقبل منه * من الخاسرين) من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام (كيف يهدي الله قوما) كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد بن الصامت * (فان قلت) علام عطف قوله (وشهدوا) (قلت) فيه وجهان أن يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز أن تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق (والله لا يهدي) لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحرث

*قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به (قال محمود ان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به الخ) قال أحمد لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذى ذهب اليه بوجه ونحن نبين السبب الباعث له على اخراج الكلام عن ظاهره ثم نقرر وجها يطابق الآية وذلك ان هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعى شرطا آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة فى مثل ذلك أن يكون المنطوق به منها على المسكوت عنه بطريق الاولى مثاله قولك أكرم زيدا ولو أساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء الا انك نبهت بايجاب اكرامه وان أساء على ان اكرامه ان أحسن بطريق الاولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم معناه والله أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ماهو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على ماهو أسهل وأولى بالوجوب فاذا تبين مقتضى الواو فى مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهرا الان قوله ولو افتدى به يقتضى شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الاولى وهذه الحال المذكورة وهى حالة افتدائهم بملء الارض ذهبا هى حالة أجدر الحالات بقبول الفدية ١٥٥ وليس وراءها حالة أخرى يكون أولى بالقبول منها فلذلك قدر الكلام بمعنى لن يقبل من أحد منهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء الارض ذهبا هو أولى بالقبول منها فاذا انتفى حيث كان أولى ماسبق فلأن ينتفى فيما عدا هذه الحالة أولى فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور وأما تنزيل الآية عليه فعسر جدا فالاولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ ان شاء الله فنقول قبول الفدية التى هى ملء الارض ذهبا يكون على أحوال منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهرا من مال القاتل على قول ومنها أن يقول المفتدى فى التقدير أفدى نفسى بكذا وقد لا يفعل ومنها ان يقول هذا القول وينجز المقدار الذى يفدى به نفسه ويجعله حاضرا عتيدا وقد يسلمه مثلا لمن يأمل منه قبول فديته واذا تعددت الاحوال فالمراد فى الآية أبلغ الاحوال وأجدرها بالقبول وهو ان يفتدى بملء الارض ذهبا افتداء محققا بان يقدر على هذا الامر العظيم ويسلمه وينجزه اختيارا ومع ذلك لا يقبل منه فمجرد قوله ابذل المال وأقدر عليه أو ما يجرى هذا المجرى بطريق الاولى فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيها على ان ثم أحوالا أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الاولى بالنسبة الى الحالة المذكورة وقد ورد هذا المعنى مكشوفا فى قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والله أعلم وهذا كله تسجيل بانه لا محيص ولا مخلص لهم من الوعيد والا فمن المعلوم انهم أعجز عن الفلس فى ذلك اليوم ونظير هذا التقدير من الامثلة أن يقول القائل لا أبيعك هذا الثوب بالف دينار ولو سلمتها الى فى يدى هذه فتأمل هذا النظر فانه من السهل الممتنع والله ولى التوفيق

ابن سويد حين ندم على ردته وأرسل الى قومه أن سلوا هل لى من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته (ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان أردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة (فان قلت) قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى (لن تقبل توبتهم) (قلت) جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذى لا تقبل توبته من الكفار هو الذى يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون فى جملة من لا تقبل توبتهم (فان قلت) فلم قيل فى احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفى الاخرى فلن يقبل (قلت) قد أوذن بالفاء أن الكلام بنى على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذى جاءنى له درهم لم تجعل المجىء سببا فى استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم (فان قلت) فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما فى ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر (قلت) لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر (فان قلت) فأى فائدة فى هذه الكناية أعنى أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة (قلت) الفائدة فيها جليلة وهى التغليظ فى شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة التى هى أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف من أجل اليأس من الرحمة (ذهبا) نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندى عشرون نفسا رجال * (فان قلت) كيف موقع قوله (ولو افتدى به) (قلت) هو كلام محمول على

ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين

المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب
زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد
ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد
أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا كان قد
تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل
وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا
أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما
نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله ان أحب أموالي الي بيرحا فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رائح واني أرى أن تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل
يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له
جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال
وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله
حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال * ومن في
(من شيء) لتبيين ما تنفقوا أي من أي شيء كان طيبا تحبونه أو خبيثا تكرهونه (فان الله) عليم بكل شيء
تنفقونه فمجازيكم بحسبه (كل الطعام) كل المطعومات أو كل أنواع الطعام * والحل مصدر يقال حل الشيء
حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك
استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم * والذي حرم اسرائيل
وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي
أن يحرم على نفسه أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه فحرمه وقيل أشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل
ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال
التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم
اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعي
عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الى قوله تعالى عذابا أليما وفي قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم
وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا
لسنا بأول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل
وهلم جرا الى أن انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما
ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) أمر بأن يحاجهم
بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما
يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أن ذلك كان

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك

(عاد كلامه) قال ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدى بمثله الخ * قال أحمد وعلى هذا النمط يجري الكلام على التأويل المتقدم لانه نبه بعدم قبول مثلي ملء الارض ذهبا على عدم قبول ملئها مرة واحدة بطريق الاولى

* قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا (قال محمود ان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد الخ) قال أحمد
ونظير هذا التأويل ما تقدم لي عند قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قال محمود فيما

محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (وضع للناس) صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع الناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علي رضي الله عنه أن رجلا قال له أهو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو أول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات (للذي ببكة) البيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة قال

اذا الشريب أخذته الاكه * فخله حتى يبك بكه

وقيل تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات (فان قلت) كيف صح بيان الجماعة بالواحد (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة والثاني اشتماله على آيات لان أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام ابراهيم واقع

تقدم والذي صدر منهم أمنية واحدة فأوجه جمعها وبينت فيها هذا بعينه وهو ان الشئ الواحد متى اريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع أفاد الجمع فيه ذلك وقد لاح لي الآن في جمع الاماني ثم وجه آخر وذلك ان كل واحد منهم صدرت منه هذه الامنية فجمعها بهذا الاعتبار تنبيها على تعددها

فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت

بتعددهم والعجب ان الجمع في مثل هذا هو الاصل وان الافراد انما يقع فيه على نوع ما من الاختصار ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا (عاد كلامه) قال الوجه الثاني اشتماله على آيات لان أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يريد مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثيرا سواهما والله أعلم

وحده عطف بيان (فان قلت) كيف أجزت أن يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية (قلت) أجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دلّ على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله ألا ترى أنك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله (فان قلت) كيف كان سبب هذا الاثر (قلت) فيه قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشأم الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه *ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جرّ كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردّة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرّض له الا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (من استطاع) بدل من الناس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوّة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوّته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج *والضمير في (اليه) للبيت أو للحج وكل ما أتى الى الشئ فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدلّ على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله (عن العالمين) وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر (والله شهيد) الواو للحال

والمعنى

من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون

* قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (قال محمود وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد منها قوله ولله على الناس أي في رقابهم لا ينفكون عنه الخ) قال أحمد قوله ان المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه فيه نظر فان قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحدا فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحد الوجوب وحينئذ يكون الكفر راجعا الى الاعتقاد لا الى مجرد الترك وأما الزمخشري فيسهل ذلك لان تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الايمان ومن اسمه ومن حكمه لانه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار وعلى قاعدة السنة يتعين المصير الى ما ذكرناه هذا ان كان المراد بمن كفر من ترك الحج ويحتمل ان يكون استئناف وعيد للكافر فيبقى على ظاهره والله أعلم

والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته * قرأ الحسن تصدون من أصده (عن سبيل الله) عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها عوجا وميلا عن القصد والاستقامة (فان قلت) كيف تبغونها عوجا وهو محال (قلت) فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم وهم الاحبار (وما الله بغافل) وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال * قيل مر شاش بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز (تتلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدي) فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده (حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن) معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان * قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون

عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

*قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية (قال محمود أي تطلبون لها عوجا الخ) قال أحمد وفي تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال تطلبون لها عوجا تنقيص من المعنى وإتمام من اعرابه معنى أن تجعل الهاء هي المفعول به وعوجا حال وقع فيها المصدر الذي هو عوجا موقع الاسم وفي هذا الاعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم ويكون

ذلك أبلغ فى ذمهم وتوبيخهم والله أعلم *قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (قال محمود الضمير للشفا وهو مذكر وانما أنثه للاضافة الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير الى الحفرة فلا يحتاج الى تأويله المذكور كما تقول أكرمت غلام هند وأحسنت اليها والمعنى على عوده الى الحفرة أتم لانها التى يمتن بالانقاذ منها حقيقة وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالبا من الهوى الى الحفرة فيكون الانقاذ من الشفا انقاذا من الحفرة التى يتوقع الهوى فيها فاضافة المنة الى الانقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع مع ان اكتساب التأنيث من المضاف اليه قد عده أبو على فى التعاليق من ضرورة الشعر خلاف رأيه فى الايضاح نقله ابن يسعون وما حمل الزمخشرى على اعادة الضمير الى الشفا الا انه هو الذى كانوا عليه ولم يكونوا فى الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها وقد ينافى أدراج هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة لانهم كانوا صائرين اليها غالبا لولا الانقاذ الربانى ألا ترى الى قوله عليه السلام المرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه والى قوله تعالى أمن ١٦٠ أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا اسبابا مؤديا الى انهياره فى نار جهنم مع تأكيد ذلك بقوله هار والله أعلم *قوله تعالى ولتكن منكم امة الآية (قال محمود

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا

عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا (اخوانا) متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الاخوة فى الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وانما أنث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم *وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو والالف فى المذكر مقلوبة وفى المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة (فان قلت) كيف جعلوا على حرف حفرة من النار (قلت) لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا فى النار فمثلت حياتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ارادة أن تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فى اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا أو على من الانكار عليه عبث كالانكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون (وأولئك هم المفلحون) هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتى على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محببا فى جيرانه محمودا

من للتبعيض الخ) قال أحمد وفى هذا التبعيض وتنكير امة تنبيه على قلة العاملين بذلك وانه لا يخاطب به الخواص ومن هذا الاسلوب قوله تعالى اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فانما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر فى معاده وكذلك قوله وتعيها أذن واعية حتى ورد فى التفسير ان المراد أذن واحدة مخصوصة وهى اذن على بن أبى طالب رضى الله عنه (عاد كلامه) قال وقوله يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام بالدعاء الخ قال أحمد عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة اذا اقتصر على بعض متناولات العام كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وكقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وشبه ذلك لان الاقتصار على تخصيص ما يفرد بالذكر يفيده تميزا عن غيره من بقية المتناولات وأما هذه الآية فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناوله اذ الخير المدعو اليه أما فعل مأمور أو ترك منهى لا يعدو واحدا من هذين حتى يكون تخصيصها تميزها عن بقية المتناولات فالاولى فى ذلك ان يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء الى الخير عاما ثم مفصلا وفى تنبيه أن الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله أعلم الا ان يثبت عرف يخص الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ببعض أنواع الخير فاذ ذاك يتم مراد الزمخشرى وما أرى هذا العرف ثابتا والله أعلم

محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن من الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لانّ جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح (فان قلت) ما طريق الوجوب (قلت) قد اختلف فيه الشيخان فعند أبي عليّ السمع والعقل وعند أبي هاشم السمع وحده (فان قلت) ما شرائط النهي (قلت) أن يعلم الناهي أنّ ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لانّ الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أنّ المنهيّ يزيد في منكراته وأن لا يغلب على ظنه أنّ نهيه لا يؤثر لانه عبث (فان قلت) فما شروط الوجوب (قلت) أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه أنه ان أنكر لحقته مضرّة عظيمة (فان قلت) كيف يباشر الانكار (قلت) يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لانّ الغرض كفّ المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا (فان قلت) فمن يباشره (قلت) كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل أحد وأما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى لانهم أعلم بالسياسة ومعهم عدّتها (فان قلت) فمن يؤمر وينهى (قلت) كل مكلف وغير المكلف اذا همّ بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها (فان قلت) هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه (قلت) نعم يجب عليه لانّ ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر (فان قلت) كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف (قلت) الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى (كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم أو باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسودّ بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله (أكفرتم) فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والاهواء وعن أبي أمامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال انّ بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما أوجبه الاقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي الثواب المخلد (فان قلت) كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله ففي رحمة الله (قلت) موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلما) فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال (للعالمين) على معنى يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه فسبحان

كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور

من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها * كان عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم فى الامم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) أظهرت وقوله (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم (وتؤمنون بالله) جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) مع ايمانهم بالله (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا تؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فان قلت) هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون (قلت) عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فان قلت) فأى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى (قلت) لو جزم لكان نفى النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (فان قلت) فما الذى عطف عليه هذا الخبر (قلت) جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فان قلت) فما معنى التراخى فى ثم (قلت) التراخى فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (فان قلت) ما موقع الجملتين أعنى منهم المؤمنون ولن يضروكم (قلت) هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف (بحبل من الله) فى محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال (ذلك بما عصوا) أى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصى كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل * الضمير فى (ليسوا) لاهل الكتاب أى ليس أهل الكتاب مستوين * وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة * أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم * وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود لانه

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة

* قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون (قال محمود ان قلت هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون الخ) قال أحمد وهذا من الترقى فى الوعد عما هو أدنى الى ما هو أعلى لانهم وعدوا بتولية عدوهم الادبار عند المقابلة ثم ترقى الوعد الى ما هو أتم فى النجاح من ان هؤلاء لا ينصرون مطلقا ويزيد هذا الترقى بدخول ثم دون الواو فانها تستعار ههنا للتراخى فى الرتبة لا فى الوجود كأنه قال ثم ههنا ما هو أعلى فى الامتنان وأسمح فى رتب

الاحسان وهوان هؤلاء قوم لا ينصرون البتة والله أعلم * قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (قال أبو القاسم محمود الصر الريح الباردة الخ) قال أحمد كلها أوجه وجيهة وهذا الاخير أحسنها وأوجهها لكن لم يبين الزمخشري وجه الظرفية في الامثلة المذكورة ونحن نبينها فنقول اذا قلت مثلا ان ضيعني زيد ففي عمرو بعدالله كاف فقولك كاف أثبت به منكرا مجردا من القيود المشخصة المخصصة ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلا له فشخت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين فهي ظرفية صحيحة اذ كل مقيد ظرف لمطلقه اذ المطلق بعض المقيد فتنبه لهذه النكتة فانها لطيفة والله الموفق (قال محمود فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه الخ) قال أحمد أما ايراد السؤال فلا ترتضى صيغته لما فيها من حيف بالادب اذ جزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لمراده واللائق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى ١٦٣ ان يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الصحيحة ان يقال فما وجه مطابقة الكلام للغرض ولا ينبغي التساهل في ذلك فان أحدنا لو أورد سؤالا على كلام امام معتبر بمرأى منه ومسمع تحيل في أنواع التلطف في ايراده وبعد عن أمثال هذه العبارة ولعل الاعتراض على ذلك الامام يكون واردا لا يمكن عنه جواب فكيف يليق التسامح في ايراد الاسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات وانما يسئل عن كلام الله تعالى بمرأى منه ومسمع على علم بأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فما أجدره أن يتوفر في الاسترشاد وان يتأدب

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته

أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عني صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية * وقوله (يتلون) و(يؤمنون) في محل الرفع صفتان لامة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها * والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من) جملة (الصالحين) الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين (فلن تكفروه) لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفي عنه نقيض ذلك (فان قلت) لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها (قلت) ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه * وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده الا أهل التقوى * الصرّ الريح الباردة نحو الصرصر قال

لاتعدلن أتاويين تضربهم * نكباء صرّ بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية

ولم تغلب الخصم الالدّ وتملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

(فان قلت) فما معنى قوله (كمثل ريح فيها صر) (قلت) فيه أوجه أحدها أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صرّ كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال * وفي الرحمن للضعفاء كافي * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما أنفقوه لاجله وشبه بحرث (قوم ظلموا أنفسهم) فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ (٣) (فان قلت) الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه

(٣) (فان قلت) فلم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت الحرث أو أصابت حرث قوم (قلت) لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شئ وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا أنه لا يذهب معنى لما فيه من حصول أغراض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب اه من هامش قال فيه حاشية كتبته باملاء المصنف

في الايراد ثم نعود الى جواب الزمخشري الثاني وهو قوله ان المراد مثل اهلاك ماينفقون فنقول لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسؤل عنها والسؤال باق وذلك ان الريح المشبه بها ليست الاهلاك وانما هي المهلكة ولا مطابقة بين المصدر والاسم الا بتأويل آخر وحينئذ يبعد هذا الوجه وأقرب منه أن ١٦٤ يقول أصل الكلام والله أعلم مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم لان الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على أن الافهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام الى أصله على أيسر وجه ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما الآية ومثله أيضا أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه والاصل أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وأن أدعم بها الحائط اذا مال وأمثال ذلك كثيرة والله الموفق

وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها

وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ماينفقون ممثلا بالريح (قلت) هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل اهلاك ماينفقون كمثل اهلاك الريح أو مثل ماينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء (وماظلمهم الله) الضمير للمنفقين على معنى وماظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لاصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وماظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر * بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد (ودوا ماعنتم) ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فعملتم به (فان قلت) كيف موقع هذه الجمل (قلت) يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير ما لكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبيه و (أنتم) مبتدأ و (أولاء) خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته * والواو في (وتؤمنون) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون * ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري

فأقتل أقواما لئاما أذلة * يعضون من غيظ رؤس الاباهم

(قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها (فان قلت) فكيف معناه على الوجهين (قلت) اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيأ من أسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من

اطلاعي

اطلاعي اياك على ما يسرون فاني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك * الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع * والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة (فان قلت) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (قلت) المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم * وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه * (و) اذكر (اذ غدوت من أهلك) بالمدينة وهو غدوه الى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وقرئ تبوئ للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم وضمائركم (اذ همت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم * والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا

* قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم ان تصبكم سيئة يفرحوا بها (قال محمود ان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة الخ) قال أحمد يمكن أن يقال المس أقل تمكنا من الاصابة وكأنه أقل درجاتها فكأن الكلام والله أعلم ان تصبكم الحسنة أدنى اصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها وان تمكنت الاصابة منكم وانتهى الامر فيها الى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكم ولا ينفكون عن حسدهم ولا في هذا الحال بل يفرحون ويسرون والله أعلم

ابن الاطنابة أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلى فى الركاب يوم صفين فما ثبت منى الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول (والله وليهما) ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولى أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (فان قلت) فما معنى ما روى من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا (قلت) معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها * والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه * ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة * والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة * وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له (اذ تقول) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من اذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد (فان قلت) كيف يصح أن يقوله لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة (قلت) قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى (ألن يكفيكم) انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر و(بلى) ايجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا وتتقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبى حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخى وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التى لا ريث فيها ولا تعريج على شىء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم) بالملائكة فى حال اتيانهم لا يتأخر ولهم عن اتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم * وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاى بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت (وما جعله الله) الهاء لأن يمدكم أى وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه (الحكيم) الذى يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم (أو يكبتهم)

والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب *لأكبت حاسدا وأرى عدوّا* هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله (أو يتوب) عطف على ما قبله *وليس لك من الامر شئ اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فاما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شئ انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أو على شئ أى ليس لك من امرهم شئ أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن * وعن الحسن (يغفر لمن يشاء) بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين (و يعذب من يشاء) ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه و يعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الاهواء والبدع يتصامون و يتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء و يطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء و يعذب من يشاء على الذنب الصغير * (لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) نهى عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشئ الطفيف مال المديون (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه * وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله تعالى * وفي ذكره تعالى لعلّ وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه *في مصاحف أهل المدينة والشأم سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبيّ وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به (عرضها السموات والارض) أى عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (في السرّاء والضرّاء) في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرّة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شئ على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدوّ ومواساة فقراء المسلمين * كظم القربة اذا ملأها وشدّ فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه

فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ

الكفار ومعتقد أهل السنة ان المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع الى الايمان وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم ان المؤمن التائب من كفره هو المعنى في قولهم يغفر لمن يشاء كما قاله الزمخشري وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته الى الموحدين فمن التعامي والتصام حقيقة والا فهو أحذق من ذلك وأما نسبته الى أهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء فالله حسيبه في ذلك والسلام

والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون

ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء (والعافين عن الناس) اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في أمتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك اشارة الى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أو ظلموا أنفسهم) أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصروا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه * قال (أجر العاملين) بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى الى موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية رضي الله عنها أنها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل (هذا بيان للناس) ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى وموعظة للمتقين) يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأنتم الاعلون) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون

شأنا الان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار أوهى بشارة لهم بالعلو والغلبة أى وأنتم الاعلون فى العاقبة وان جندنا لهم الغالبون (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى بمعنى ولاتهنوا ان صح ايمانكم على أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالاعلون أى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة *قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لاتضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف قيل (قرح مثله) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين (قلت) بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألاترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون (وتلك الايام) تلك مبتدأ والايام صفته و(نداولها) خبره ويجوز أن يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هى الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

ومن أمثال العرب الحرب سجال وعن أبى سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضى الله عنه لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وقال

يرد المياه فلا يزال مداولا * فى الناس بين تمثل وسماع

يقال داولت بينهم الشئ فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والافالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثانى أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه مايجرى عليه من المصائب ولايشعر أن لله فى ذلك من المصالح ماهو غافل عنه (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (والله لايحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لايحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين فى سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتميز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ماعلم الله فى فلان خيرا يريد مافيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الاأن فيها ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدنى أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

*قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية (قال محمود ولما تجاهدوا والان العلم متعلق بالمعلوم الخ) قال أحمد التعبير عن نفى المعلوم بنفى العلم خاص بعلم الله تعالى لانه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شئ ماعدم ذلك الشئ ضرورة انه لايعزب عن علمه شئ لعموم تعلقه فاستقام التعبير عن نفى الشئ بنفى تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة ولا كذلك علم آحاد المخلوقين فانه لايعبر عن نفى شئ بنفى تعلق علم الخلق به لجواز وجود ذلك الشئ غير معلوم للخلق والزمخشرى يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقا ويعتقد الملازمة المذكورة عامة فلذلك قال فى قول فرعون ماعلمت لكم من اله غيرى انه عبر عن نفى المعلوم بنفى العلم لانه من لوازمه وسيأتى بيان ان الزمخشرى وهم فى هذا الموضع والافهو يحاشى عن الوقوع فى مثله اعتقادا والله أعلم وانما عبر فرعون بذلك تلبيسا على ملئه وتتميما لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لايعزب عن علمه شئ فلو كان اله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة والله الموفق

ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده (فان قلت) كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم (قلت) قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موته وقيل له ردكم الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * أرشده الله من غاز وقد رشدا

* لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه (أفان مات) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (فان قلت) لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل (قلت) لكونه مجوزا عند المخاطبين (فان قلت) أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس (قلت) هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم * والانقلاب على الأعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف

*قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا (قال محمود ان قلت أكان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك الخ) قال أحمد انما يرد هذا السؤال لو افهم ظاهر اللفظ ان ثم حجة وليس في ظاهره ما يفهم ذلك ولو كانت الآية كقول القائل بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانه باضافة السلطان الى ما أشركوا به لكان للسائل مقال ولكان كقول القائل *على لاحب لا يهتدى بمناره* فانه باضافة المنار اليه يوهم ان فيه منارا فيحتاج الناظر الى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدى به ولو أطلق الشاعر فقال على لاحب لا يهتدى فيه بمنار مثلا لاستغنى عن تأويل الكلام وكذلك الآية غنية عن التأويل والله أعلم

فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه (فلن يضر الله شيئا) فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا * المعنى أن موت الانفس محال أن يكون الا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد أن يقدم عليه الا أن يأذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة لمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) أي من ثوابها (وسنجزي) الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما * قرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي و (معه ربيون) حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب * وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى (فما وهنوا) عند قتل النبي (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (وما كان قولهم الا) هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب الى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر * وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (ان تطيعوا الذين كفروا) قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن رضي الله عنه ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم (يردوكم) الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شئ ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم (بل الله مولاكم) أي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم (سنلقي) قرئ بالنون والياء * والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا (بما أشركوا) بسبب اشراكهم أي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة (فان قلت) كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك (قلت) لم يعن أن هناك حجة الا أنها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم

وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (ولقد صدقكم الله وعده) وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى فى قوله تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم * يحسونهم أى يقتلونهم قتلا ذريعا * حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأى وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة * (فان قلت) أين متعلق حتى اذا (قلت) محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (اذ تصعدون) نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب فى الارض والابعاد فيه يقال صعد فى الجبل وأصعد فى الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن رضى الله عنه تصعدون يعنى فى الجبل وتعضد الاولى قراءة أبى اذ تصعدون فى الوادى وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد فى السلم * وقرأ الحسن رضى الله عنه تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة * (فى أخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (ب) سبب (غم) أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا) لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير فى فأثابكم للرسول أى فآساكم فى الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو * وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبى طلحة رضى الله عنه غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا * والامنة الامن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن و (نعاسا) بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الامنة (طائفة منكم)

وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا

هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث (غير الحق) في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و(ظن الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن الا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه (هل لنا من الامر من شئ) معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو (قل ان الامر كله لله) ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شئ سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شئ) أي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة (قل لو كنتم في بيوتكم) يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين) علم الله أنهم يقتلون (الى مضاجعهم) وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الاسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شئ يعنون لم نملك شيأ من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيأ لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد أن الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء (وليبتلي الله) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (فان قلت) كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة (قلت) قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون (فان قلت) كيف صح أن يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن (قلت) كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود أن يكون استئنافا (استزلهم) طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي واعادهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما أن الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رضي الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية (فان قلت) لم قيل ببعض ما كسبوا (قلت) هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل

*قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله الآية (قال محمود) ان قلت كيف صح ان يقع ماهو مسئلة عن الامر الخ) قال أحمد ولاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فان هذا السؤال استفهام والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يعني في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الاخبار بأن هذا النوع الانساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء الا من عصمه الله تعالى منهم والله أعلم

وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أوكانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أوقتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده

بالعقوبة (وقالوا لاخوانهم) أى لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس أو النسب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أوغيرها (أوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة (فان قلت) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (قلت) هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون فى الارض * (فان قلت) مامتعلق ليجعل (قلت) قالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون (حسرة فى قلوبهم) على أن اللام مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا أولا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم (فان قلت) مامعنى اسناد الفعل الى الله تعالى (قلت) معناه أن الله عزوجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة فى قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم ومايكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عزوجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مادل عليه النهى أى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم أى الامر بيده قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال عند موته مافى موضع شبر الا وفيه ضربة أوطعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعنى الذين كفروا (لمغفرة) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم أن من سافر من اخوانهم أوغزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ماتخافونه من الهلاك بالموت والقتل فى سبيل الله فان ماتنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله (خير مما تجمعون) من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أى يجمع الكفار (لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفى *قرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات *مامزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ماخالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لايبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) يعنى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رضى الله عنه قد علم الله أنه مابه اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ماتشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه مارأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا فى الامر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأى دونهم وقرئ وشاورهم فى بعض الامر (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأى على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) فى امضاء أمرك على الارشد الاصلح فان ماهو أصلح لك لا يعلمه الا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شئ وأرشدتك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحدا (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم) فهذا تنبيه على أن الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده (من بعده) من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من أخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب فى الطاعة

وفيما

*قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (قال محمود فيه توجيهان ١٧٥ أحدهما أن يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد رحمه الله حمل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيرا في النهي في أمثال قوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم

وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان (وعلى الله) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه * يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال أغله اذا وجده غالا كقولك أبخلته وأفحمته ومعنى (وما كان لنبي أن يغل) وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيأ منه وأن لا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز (يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه * (فان قلت) هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به (قلت) جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لانه اذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزي فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه (هم درجات) أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

أنصب للمنية تعتريهم * رجالي أم هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه (من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده (فان قلت) فما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم (قلت) اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم أي من أشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع

وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الى غير ذلك على ان الزمخشري حاف في العبارة اذ يقول عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقبيحا وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة فان عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم في التأديب أن يكون ممزوجا بغاية التخفيف والتعطف ألا ترى الى قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال بعض العلماء بدأه بالعفو قبل العتب ولو لم يبدأه بالعفو لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم

اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة أو يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك أخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه (يتلوا عليهم آياته) بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحي (ويزكيهم) ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول (لفي ضلال) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال (مبين) ظاهر لا شبهة فيه (أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين * ولما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم و (أنى هذا) نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع (فان قلت) علام عطفت الواو هذه الجملة (قلت) على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى أنى لك هذا لقوله (من عند أنفسكم) وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم (ان الله على كل شئ قدير) فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم) يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين (ف) هو كائن (باذن الله) أي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده (وليعلم) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ * قسم الامر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ماروي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل (أو ادفعوا) العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم (لو نعلم قتالا) لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا (لاتبعناكم) يعنون أن ما أنتم فيه لخطار أيكم وزللكم عن الصواب ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم) لا يتجاوز ايمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيأ وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن ايمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وأنا أعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته (الذين قالوا) في اعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم

يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا

*قوله تعالى قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين (قال محمود ان قلت فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا الخ) قال احمد السؤال المذكور انما يرد على معتزلى من مثله فانهم يعتقدون ان الموت قد يكون بحلول الاجل وقد يكون قبله وان المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك فلاجرم ان الانسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الاجل بتوقى ١٧٧ الاسباب الموجبة لذلك فعلى ذلك ورد السؤال المذكور وأما أهل السنة فعتقدهم ان كل ميت بأجله يموت ويقولون ان الخارجين الى القتال فى المعركة لم يكن بد من موتهم فى ذلك الوقت وان ذلك الحين هو وقت حينهم فى علم الله عزوجل ايمانا بقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وخلافا للمنافقين وللموافقين لهم من المعتزلة فى قولهم لوأطاعونا ما ماتوا ولعمرى انهم فى هذا المعتقد مقلدون لنمروذ فى قوله أنا أحيى وأميت فان الاحمق ظن انه يقتل ان شاء فيكون ذلك اماتة و يعفو عن القتل فيكون ذلك احياء وغاب عنه ان الذى عفا عن قتله انما حيى لاستيفاء الاجل الذى كتبه الله له وان الذى قتله انما مات لانه استوفى تلك الساعة أجله والله الموفق

لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح

أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى بأفواههم أو قلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم * (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار (وقعدوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا اخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) معناه قل ان كنتم صادقين فى أنكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعنى أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذى هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولابد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا (فان قلت) فقد كانوا صادقين فى أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين (قلت) معناه ان النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لان أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون فى مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين فى قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أى ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع أسبابه حتى لا تموتوا (ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أى ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا (فان قلت) كيف جاز حذف المفعول الاول (قلت) هو فى الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ فى قوله (أحياء) والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش (ويستبشرون) باخوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوا بهم) أى لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه فى خير فيتمنى مثله لاخوانه فى الله وبشرى للمؤمنين بالفوز فى المآب وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على ايمانهم يجب فى عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع * وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهى قراءة الكسائى وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع (الذين استجابوا) مبتدأ

خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت * ومن فى (للذين أحسنوا منهم) للتبيين مثلها فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لى عائشة رضى الله عنها ان أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعنى أبا بكر والزبير (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد الا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هى الكلمة التى قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه (فان قلت) كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده (قلت) قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد أو لانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه (فان قلت) الام يرجع المستكن فى (فزادهم) (قلت) الى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا أو الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو الى الناس اذا أريد به نعيم وحده (فان قلت) كيف زادهم نعيم أو مقوله ايمانا (قلت) لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على أثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضى الله عنه انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الامة لرجح به (حسبنا الله) محسبنا أى كافينا يقال أحسبه الشئ اذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه فى معنى اسم الفاعل غير حقيقية (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) هو الربح فى التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفى ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطار أيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم

للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم

(الشيطان)

(الشيطان) خبرذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوّف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوّف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان أى قول ابليس لعنه الله (يخوّف أولياءه) يخوّفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوّفكم أولياءه فلا تخافوهم وقيل يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فالام رجع الضمير فى (فلا تخافوهم) على هذا التفسير (قلت) الى الناس فى قوله انّ الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يأمركم به (ان كنتم مؤمنين) يعنى أن الايمان يقتضى أن تؤثر واخوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا الا الله (يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام * (فان قلت) فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد (قلت) معناه لا يحزنوك لخوف أن يضرّوك ويعينوا عليك ألا ترى الى قوله (انهم لن يضرّوا الله شيأ) يعنى أنهم لا يضرّون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم * ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ما ضرّ به الانسان نفسه (فان قلت) هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا فى الآخرة وأى فائدة فى ذكر الارادة (قلت) فائدته الاشعار بأنّ الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى انّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم (انّ الذين اشتروا الكفر بالايمان) اما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف اليهم واما أن يكون عاما للكفار والاوّل خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الاسلام أو على العكس و (شيأ) نصب على المصدر لان المعنى شيأ من الضرر وبعض الضرر (الذين كفروا) فيمن قرأ بالتاء نصب و (أنما نملى لهم خير لانفسهم) بدل منه أى ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم وأنّ مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن املاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (فان قلت) كيف صح مجىء البدل ولم يذكر الا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد (قلت) صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما فى حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الاملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم (انما نملى لهم) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملى لهم ليزدادوا اثما (فان قلت) كيف جاز أن يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى فى املائه لهم (قلت) هو علة للاملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شئ منها بغرض لك وانما هى علل وأسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه (فان قلت) كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب (قلت) لما كان فى علم الله المحيط بكل شئ أنهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز * وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا فى الايمان وقوله انما نملى لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله

الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيأ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما

*قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (قال محمود ان قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى فى املائه لهم الخ) قال أحمد بنى الزمخشرى هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار لان معتقده ان الاثم الواقع منهم ليس مرادا لله تعالى بل هو واقع على خلاف الارادة الربانية فلما وردت الآية مشعرة بأن ازدياد الاثم مراد لله تعالى اشعارا لا يقبل التأويل أخذ يعمل الحيلة فى وجه من التعطيل التزاما لاتمام الفاسد وضربا فى حديد بارد فجعل ازدياد الاثم سببا وليس بغرض

عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة * (فان قلت) فما معنى قوله (ولهم عذاب مهين) على هذه القراءة (قلت) معناه ولا تحسبوا أن املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين * اللام لتأكيد النفي (على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز (فان قلت) لمن الخطاب في أنتم (قلت) للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره بأحوالكم ثم قال (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل واخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله) يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله (يجتبي من رسله من يشاء) فيخبره ببعض المغيبات (فآمنوا بالله ورسله) بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شئ وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت (ولا تحسبن) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم (هو خيرا لهم) والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو (سيطوقون) تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروي بشجاع أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار (ولله ميراث السموات والارض) أي وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه * وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر * قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب (فان قلت) كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا (قلت) ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا

ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة (ونقول) لهم (ذوقوا) وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا (عذاب الحريق) كما أذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق * وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء * وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل * وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم * وذكر الايدي لان أكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب * (فان قلت) فلم عطف قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيآت في استحقاق التعذيب (قلت) معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن (عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات * وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين أن الايمان يلزمهم باتيانها * وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان (فان قلت) ما معنى قوله (وبالذي قلتم) (قلت) معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أي لمعنى ما قالوا * في مصاحف أهل الشأم وبالزبر وهي الصحف (والكتاب المنير) التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود * وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * (فان قلت) كيف اتصل به قوله (وانما توفون أجوركم) (قلت) اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور (فان قلت) فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قلت) كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى أن توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور * الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (فقد فاز) فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد * شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ * خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه * والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب * وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات * وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أي مما يجب العزم عليه من الامور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات

ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

---

*قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية (قال محمود لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون الخ) قال أحمد هذا كما ترى صريح في اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة وهو المراد بما يكون في القبر من نعيم وعذاب ولقد أحسن الزمخشري في مخالفة أصحابه في هذه العقيدة فانهم يجحدون عذاب القبر وها هو قد اعترف به والله الموفق

الله لابد لكم أن تصبروا وتتقوا (واذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه) الضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلنّ (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعنى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجرّ منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب اليه غيرهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب انى أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أنّ الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحلّ لاحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحلّ لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علىّ رضى الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا * وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدنّ (لا تحسبنّ) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين * وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على أنّ الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى (بما أتوا) بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا ويدل عليه قراءة أبىّ يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علىّ رضى الله عنه بما أوتوا ومعنى (بمفازة من العذاب) بنجاة منه وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبنّ اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادّعوا أن ابراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بأنهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتى بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهم * وهو على كل شئ قدير فهو يقدر على عقابهم (لآيات) لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لاولى الالباب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفى النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلها فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضى الله عنهما قلت لعائشة رضى الله عنها أخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لاحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن فجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى

واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان

عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقد أنزل الله علىّ فى هذه الليلة انّ فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن على رضى الله عنه أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر الى السماء ثم يقول انّ فى خلق السموات والارض وحكى أنّ الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدّتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرّة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذاك (الذين يذكرون الله) ذكرا دائبا على أىّ حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر فى أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعى رحمه الله فى اضجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند أبى حنيفة رحمه الله أنه يستلقى حتى اذا وجد خفة قعد * ومحل (على جنوبهم) نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثورى أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد انّ لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الارض (ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله (فقنا عذاب النار) لانه جزاء من عصى ولم يطع * (فان قلت) هذا اشارة الى ماذا (قلت) الى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض أى فيما خلق منها ويجوز أن يكون اشارة الى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كأنه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفى هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويجوز أن يكون باطلا حالا من هذا * وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيأ بغير حكمة (فقد أخزيته) فقد أبلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه فى كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانا فقد سبق (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها * تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع أو جعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بدّ وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله (فان قلت) فأىّ فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى (قلت) ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشأن المنادى لانه لا منادى أعظم من مناد ينادى للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك أن المنادى اذا أطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب أو لاطفاء الثائرة

أولاغاثة المكروب أولكفاية بعض النوازل أولبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول أدعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن (أن آمنوا) أي آمنوا أو بأن آمنوا (ذنوبنا) كبائرنا (سيآتنا) صغائرنا (مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع برّ أو بارّ كربّ وأرباب وصاحب وأصحاب (على رسلك) على هذه صلة للوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف أي ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء (فان قلت) كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد (قلت) معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد أو هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذي هو سيما العبودية * يقال استجاب له واستجابه * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (أني لاأضيع) قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لاأضيع بالتشديد (من ذكر أو أنثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) أي يجمع ذكوركم واناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروى أن أم سلمة قالت يارسول الله اني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا على هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارّين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطرّوا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤا بما سامهم المشركون من الخسف (وأوذوا في سبيلي) من أجله وبسببه يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة أو تثويبا (من عند الله) لان قوله لاكفرنّ عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل أي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع * وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم الا أنه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء (لايغرّنك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أي لاتنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروى أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد (فان قلت) كيف جاز أن يغترّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرّنكم والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لايغرّنك تقلب الذين كفروا في البلاد

غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب * وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد أراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم * النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون * وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد (وان من أهل الكتاب) عن مجاهد نزلت فى عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج الى البقيع ونظر الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن فى معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه فى كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز أن يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الوعد (اصبروا) على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا * والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الناس) يا بنى آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (فان

حيث جعل الخطاب عاما فى الجنس لانه لولا التقدير لكان قوله وبث منهما تكرارا لقوله خلقكم اذ مؤداهما واحد وليس على سبيل بيان الاول لانه معطوف

متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

عليه حينئذ وأما وهو معطوف على المقدر فذاك المقدر واقع صفة مبينة والمعطوف عليه داخل فى حكم البيان

فاستقام وأما الوجه الثانى فالتكرار فيه ليس بلازم اذ المخاطب بقوله خلقكم الذين بعث اليهم النبى عليه الصلاة والسلام وقوله وبث منهما واقع على من عدا المبعوث اليهم من الامم فلا حاجة للتقدير المذكور فى الوجه الثانى والله أعلم

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام انّ الله كان عليكم رقيبا

(قلت) علام عطف قوله (وخلق منها زوجها) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حوّاء من ضلع من أضلاعها * (وبث منهما) نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرّع منه وخلق منها أمكم حوّاء وبث منهما (رجالا كثيرا ونساء) غيركم من الامم الفائتة للحصر (فان قلت) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها (قلت) لانّ ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة * وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق (تساءلون به) تتساءلون به فأدغمت التاء في السين * وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز * وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام أو أن يعطف على محل الجارّ والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالارحام والجرّ على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لانّ الضمير المتصل متصل كاسمه والجارّ والمجرور كشئ واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى الى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجارّ ونظيرها فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى أو والارحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرّون بأنّ لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه أنّ صلتها منه بمكان كما قال أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فأعطه واذا سألك بالرحم فأعطه والرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله * اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات (فان قلت) كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى (قلت) فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لانّ اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى

*قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم (قال محمود اما أن يراد باليتامى الصغار الخ) قال أحمد والوجه الاول قوى بقوله بعد آيات وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم دل على ان الآية الاولى فى الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم والثانية فى الحض على الايتاء الحقيقى عند حصول البلوغ والرشد ويقويه أيضا قوله عقب الاولى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم فهذا كله تأديب للوصى مادام المال بيده واليتيم فى حجره وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحدا وهو الامر بالايتاء حقيقة ويخلص عن التكرار بان الاولى كالمجملة والثانية كالمبينة لشرط الايتاء من البلوغ وايناس الرشد والله أعلم *قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم (قال محمود معناه ولا تضموها الى أموالكم الخ) قال أحمد وأهل البيان يقولون المنهى متى كان درجات فطريق البلاغة النهى عن أدناها تنبيها على الاعلى كقوله تعالى فلا تقل لهما أف واذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته ببادئ الرأى مخالفا له اذ أعلى درجات أكل مال اليتيم فى النهى أن يأكله وهو غنى عنه وأدناها أن يأكله وهو فقير اليه فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير اليه حتى يلزم نهى الغنى عنه من طريق الاولى وحينئذ فلابد من تمهيد أمر يوضح

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا

الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب اما على القياس واما حكاية للحال التى كان عليها صغيرا ناشئا فى حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار (فان قلت) فما معنى قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) (قلت) اما أن يراد باليتامى الصغار وباتيانهم الاموال أن لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتى اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه اشارة الى أن لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هى فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يارسول الله قد عرفنا أنه ثبت الاجر كيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقى الوزر على والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة

فما كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطى رديا ويأخذ جيدا وعن السدى أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وانما هو تبديل الا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) ولا تنفقوها معها وحقيقتها ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى

فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهى فى هذه الآية فنقول أبلغ الكلام ما تعددت وجوه افادته ولا شك ان النهى عن الادنى وان أفاد النهى عن الاعلى الا ان للنهى عن الاعلى أيضا فائدة أخرى جليلة لا تؤخذ من النهى عن الادنى وذلك ان المنهى كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية اليه أبعد ولا شك ان المستقر فى النفوس ان أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الاكل فخصص بالنهى تشنيعا على من يقع فيه حتى اذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك الى الاحجام عن أكل ماله مطلقا ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهى بأكله مع الفقر اذ ليست الطباع فى هذه الصورة معينة على الاجتناب كاعانتها عليه فى الصورة الاولى ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الاكل مع ان تناول مال اليتيم على أى وجه كان منهى عنه كان ذلك بالادخار أو بالتباس أو ببذله فى لذة النكاح مثلا أو غير ذلك الا ان حكمة تخصيص النهى بالاكل أن العرب كانت تتذام بالاكثار من الاكل وتعد البطنة من البهيمية وتعيب على من اتخذها ديدنه ولا كذلك سائر الملاذ فانهم ربما يتفاخرون بالاكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا فلما كان الاكل عندهم أقبح الملاذ خص النهى به حتى اذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك الى النفور من صرف مال اليتيم فى سائر الملاذ أو غيرها

أكلا أوغيره ومثل هذه الآية في تخصيص النهي بما هو أعلى قوله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة فخص هذه الصورة لأن الطبع على الانتهاء عنها أعون ويقابل هذا النظر في النهي نظر آخر في الامر وهو انه تارة يخص صورة الامر الادنى تنبيها على الاعلى وتارة يخص صورة الاعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب ألا ترى الى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم الآية كيف خص صورة حضورهم وان كانت العليا بالنسبة الى غيبتهم وذلك ان الله تعالى علم شح الانفس على الاموال فلو أمر باسعاف الاقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة لم تكن الانفس بالمنبعثة الى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم بخلاف ما اذا حضروا فان النفس يرق طبعها وتنفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد فاذا أمرت في هذه الحالة بالاسعاف هان عليها امتثال الامر وائتلافها على امتثال الطبع ثم تدربت بذلك على اسعاف ذي الرحم مطلقا حضر أو غاب فراعاة ١٨٨ هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفى الا في الكتاب العزيز ولا يعثر عليه الا الحاذق الفطن المؤيد بالتوفيق نسأل الله أن يسلك بنا في هذا النمط فخذ هذا القانون عمدة وهو ان النهي ان خص الادنى فالفائدة التنبيه على الاعلى وان خص الاعلى فالفائدة التدريب على الانكفاف عن القبح مطلقا من الانكفاف عن الاقبح ومثل هذا النظر في جانب الامر

ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

والله الموفق * قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية (قال محمود لما نزلت آية اليتامى خاف الاولياء الخ) قال أحمد قد ثبت ان قاعدة القدرية وعقيدتهم ان الكبيرة الواحدة توجب خلود العبد في العذاب وان كان موحدا ما لم يتب عنها فمن ثم يقولون لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب والاصرار على بعضها لانه بواحدة من الكبائر ساوى الكافر في الخلود في العذاب ولا يفيد توحيده ولا شئ من أعماله هذا هو معتقدهم الفاسد الذي يروم الزمخشري تفسير الآية عليه فاحذره أما أهل السنة فيقولون اذا تاب العبد من بعض الذنوب كان الخطاب بوجوب التوبة من باقيها متوجها عليه وكأنه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها فافادته التوبة محو المتوب عنه باذن الله ووعده وهو في العهدة فيما لم يتب عنه فان كان تفسير الآية على انهم خوطبوا بالتحرج في حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الحيف على اليتامى فالامر في ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة والله ولي التوفيق * عاد كلامه (قال محمود وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الذي أخره جدير بالتقديم وهو الاظهر وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى وتحذيرا من التورط في الجور عليهن وأمرا بالاحتياط وفي غيرهن متسع الى الاربع وأصدق شاهد على أنه هو المراد قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن

لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (فان قلت) قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها (قلت) لانهم اذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم * والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا * وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد * ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء أن يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ماطاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والاصل أيائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم أن تجوروا (ماطاب) ما حل (لكم من النساء) لان منهم ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ماذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا

وأربعاأربعا (فان قلت) الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين ثنتين أوثلاث أوأربع فمامعنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع (قلت) الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ماأراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قلت) فلم جاء العطف بالواو دون أو (قلت) كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أوثلاثة ثلاثة أوأربعة أربعة أعلمت أنه لايسوغ لهم أن يقتسموه الاعلى أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ماوراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع (فان خفتم ألاتعدلوا) بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها (فواحدة) فالزموا أوفاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أوفكفت واحدة أوفحسبكم واحدة (أوماملكت أيمانكم) سوّى فى السهولة واليسر بين الحرّة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولاتوقيت عدد ولعمرى انهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لاعليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن فى القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبى عبلة من ملكت (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألاتعولوا) أقرب من أن لاتميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه اذا جار وروى أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول على وقد روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتعولوا أن لاتجوروا والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر أن لاتعولوا أن لاتكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك مايصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لايظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (فان قلت) كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو مافى المهائر (قلت) ليس كذلك لان الغرض بالتزوّج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوّج الواحدة بالاضافة الى تزوّج الاربع وقرأ طاوس أن لاتعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده (صدقاتهن) مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك فى ظلمة ظلمة (نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه انى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أوعلى الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء أومن الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه

فان خفتم ألاتعدلوا فواحدة أوماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ

لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (قال محمود نحلة منصوب على المصدر لانها فى معنى الايتاء الخ) قال أحمد هذا الفصل بجملته حسن جدا غيران فى حمله تذكير الضمير فى منه على الصداق ثم تنظيره ذلك بقوله فأصدق نظرا وذلك ان المراعى ثم الاصل وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ماهو الاصل واعطاؤه حكم الموجود ليس ببدع ولا كذلك افراد الصداق المقدر فانه ليس بأصل الكلام بل الاصل الجمع وأما الافراد فقد يأتى فى مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالاضافة ولا يرد انهم قد راعوا ماليس بأصل فى قوله

بدالى انى لست مدرك مامضى* ولاسابق شيأ اذا كان جائيا

لان دخول الباء وان لم يكن أصلا الا انها قد توطنت بهذا الموضع وكثر حلولها فيه فصارت كان الاصل دخولها فى الخبر والله أعلم والامر فى ذلك قريب

وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيأ لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه * الضمير فى منه جار مجرى اسم الاشارة كأنه قيل عن شئ من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ماروى عن رؤبة أنه قيل له فى قوله * كأنه فى الجلد توليع البهق * فقال أردت كأن ذاك أو يرجع الى ما هو فى معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل اصدق * و (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) فأنفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها اياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لانهن يخدعن * وحكى أن رجلا من آل أبى معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التى بعدها فلا تأخذوا منه شيأ اردد عليها وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به فى الآخرة وروى أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيأ وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن أو سمحن اعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شئ منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعى لا يجوز تبرعها مالم تلد أو تقم فى بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا * الهنىء والمرىء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنىء ما يلذه الآكل والمرىء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ فى مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المرىء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أى أكلا هنيأ مريأ أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرىء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيأ مريأ على الدعاء وعلى انهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة (السفهاء) المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء * وأضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على أنه خطاب للاولياء فى أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم (جعل الله لكم قياما) أى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها فى أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشئ ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن أدنتنى من الدنيا لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم

* قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى قد جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (قال محمود المراد أموال السفهاء وأضافها الى الاولياء الخ) قال أحمد ويؤيد هذا المعنى انه لما أمر باسعاف ذوى القربى على سبيل المواساة قال وارزقوهم منه لان المدفوع اليهم من صلب المال والله أعلم

* قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم (قال محمود ومعناه اختبروا احوالهم الخ) قال أحمد الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضي الله عنه غير انه لا يكون عنده الا بعد البلوغ ولا يدفع اليه من ماله شئ قبله وكذلك أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وقوله الآخر كمذهب أبي حنيفة غير ان عنه خلافا في صورته قبل البلوغ على وجهين أحدهما أن يسلم اليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ والآخر أن يكون وظيفته أن يساوم ويقرر الثمن اذا بلغ الامر الى العقد باشره الولي دونه وسلم الصبي الثمن فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضي الله عنه فيه هو ان يحرز ماله ويثمره وان كان فاسقا في حاله وعند الشافعي المعتبر صلاح الدين والمال جميعا وغرضنا الآن أن نبين وجه تنزيل مذهب مالك في هذه الآية والله المستعان فاما منعه من الابتلاء قبل البلوغ وان كان ظاهر الآية ان الابتلاء قبله من حيث جعل البلوغ وايناس الرشد غاية للابتلاء والغاية متأخرة عن المغيا ضرورة فيتعين وقوع الابتلاء قبل ولهذه النكتة أثبته أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم فعلى جعل المجموع من البلوغ وايناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلهما أعني المجموع وان وقع بعد أحدهما وهو البلوغ لان المجموع من اثنين فصاعدا لا يتحقق الا بوجود كل واحد من مفرديه ويتحقق

صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو أمر لكل احد أن لا يخرج ماله الى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده (قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وعن عطاء اذا ربحت أعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا أي هداية دفعتم اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ * وبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل * والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين *واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال (فان قلت) فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه الرشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد (فان قلت) ما معنى تنكير الرشد (قلت) معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد (فان قلت) كيف نظم هذا الكلام (قلت) ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

هذا التنزيل انك لو قلت وابتلوا اليتامى بعد البلوغ حتى اذا اجتمع الامران وتضاما البلوغ والرشد فادفعوا اليهم أموالهم لاستقام الكلام وان كان البلوغ قبل

قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها

الابتلاء وان كان الابتلاء مغيا بالامرين واقعا قبل مجموعهما ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبي حنيفة في قوله ان فيئة المولى انما تعتبر في أجل الايلاء لا بعده

وتنزيله على قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم فخذ به عهدا يتضح لك تناسب النظرين والله أعلم واما اقتصاره رضي الله عنه بالرشد على المال فان كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية انه علق ايناس الرشد فيهم بالابتلاء بدفع مال اليهم ينظر تصرفهم فيه فلو كان المراد اصلاح الدين فقط لم يقف الاختبار في ذلك على دفع المال اليهم اذ الظاهر من المصلح لدينه انه لا يتفاوت حاله في حالتي عدمه ويسره ولو كان المراد اصلاح الدين والمال معا كما يقوله الشافعي رضي الله عنه لم يكن اصلاح الدين موقوفا على الاختبار بالمال كما مر آنفا وأيضا فالرشد في الدين والمال جميعا هو الغاية في الرشد وليس الجمع بينهما بمقيد وتنكير الرشد في الآية يأبى ذلك اذ الظاهر فان آنستم منهم رشدا ما فبادروا بتسليم المال اليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه والله أعلم (قال محمود فان قلت فما وجه نظم الكلام الواقع بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم أموالهم الخ) قال أحمد هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة في سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية وقد أسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقربه والحاصل أن مقتضى النظر الى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبي حنيفة النظر الى المفردين والظاهر اعتبار المجموع فان العطف بالفاء يقتضيه والله أعلم

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان أحسيتم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين (اسرافا وبدارا) مسرفين ومبادرين كبرهم أولا سرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا * ثم قسم الامر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة أو استقراضا على ما فى ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصى حقا لقيامه عليها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فاذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فان أيسر قضاه وان أعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أنزلت نفسى من مال الله منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف واذا أيسرت قضيت واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل فى الامانة وبراءة الساحة ألا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبى حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعى لا يصدق الا بالبينة فكان فى الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضى الى التهمة أو من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة (وكفى بالله حسيبا) أى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب (الاقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل و(نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روى أن أوس بن الصامت الانصارى ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (واذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (فارزقوهم منه) الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضى الله عنها حية فلم يدع فى الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت ووالله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس * والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول

ويقولوا

اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون أموال اليتامى

* قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف (قال محمود استعف أبلغ من عف وكأنه يطلب زيادة فى العفة من نفسه) قال أحمد فى هذا اشارة الى انه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك فان استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة والظاهر انه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى والله أعلم

(قوله أوس بن الصامت) كذا بالاصل والرواية الصحيحة أوس بن ثابت اه

*قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (قال محمود المراد الأوصياء أمروا بان يخشوا الله الخ) قال أحمد وانما الجأه الى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا الان جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم انما يكون قبل تركهم اياهم وذلك في دار الدنيا فقد دل على ان المراد بالترك الاشراف عليه ضرورة والا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ونظيره فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي شارفن بلوغ الأجل ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ولا في الذب عن الذرية الضعاف وهي الحالة التي وان كانت من الدنيا الا انها لقربها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك والله أعلم *قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (قال محمود معناه ظالمين أو على وجه الظلم الخ)

ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

قال أحمد ومثله قد بدت البغضاء من أفواههم أي شدقوا بها وقالوها بملء أفواههم أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الاكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ولأجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله خص الاكل لانه أبشع الاحوال التي يتناول مال اليتيم فيها والله أعلم *قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين (قال محمود ان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر الخ) قال أحمد لان الافضلية حينئذ مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها وأما على نظم الآية فالافضلية منطوق بها غير محتاجة الى ذلك

ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم * لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بان يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وان يكون أمرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة (فان قلت) ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين (قلت) معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا * بناتي انهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي * وأن يشربن رنقا بعد صافي

* وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى * والقول السديد من الاوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض أن يقولوا له اذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك أن تترك ولدك أغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين (ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا * وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) (فان قلت) هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر (قلت) ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره

*عادكلامه (قال ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث الخ) قال أحمد وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن اذا انفرد مذكورا في الآية
لانه حيث ذكره فانما عنى حالة الاجتماع مع الاناث خاصة على تفسير الزمخشري هذا ويمكن خلافه وهو ان المذكور أولا ميراث الذكر
على الاطلاق مجتمعا مع الاناث ومنفردا أما وجه تلقى حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشري وأما وجه تلقيه حالة الانفراد فمن حيث
ان الله تعالى جعل له مثل حظ الانثيين فان كانت معه فذاك وان كانت منفردة عنه فقد جعل لها في حال انفرادها النصف فاقتضى ذلك
ان للذكر عند انفراده مثلى نصيبها عند انفرادها وذلك الكامل والله أعلم *عادكلامه (قال محمود فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان
كانت امرأة الخ) قال أحمد يريد ١٩٤ أن حكم البنتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان

عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم
نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به (فان قلت) فان
حظ الانثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان (قلت) أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي اذا اجتمع الذكر
والانثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان
الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع انه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان
بدرهم (فان كن نساء) فان كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن
ابن (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (وان
كانت واحدة) وان كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى (فلها النصف) وقرئ واحدة بالرفع
على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم * والضمير
في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت (فان قلت) قوله للذكر مثل حظ الانثيين
كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح أن يردف قوله فان كن نساء وهو
لبيان حظ الاناث (قلت) وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا أنه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع أخيهما
كان كأنه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح أن يقال فان كن نساء (فان قلت) هل يصح أن يكون الضميران
في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة (قلت) لا أبعد ذلك (فان قلت)
لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة (قلت) لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين
ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين
كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها (فان قلت) قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما
مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم
يذكر (قلت) أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبي تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء
فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة
والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على أن حكم الانثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر
كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو
الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان الثنتين أمس رحما بالميت

حكم البنات منفردات
مذكور في قوله فان
كن نساء وان حكم
البنت منفردة مذكور
في قوله وان كانت
واحدة فلها النصف
وبقي عليه أن ذكر الابن
في حال الانفراد مستفاد
من قوله للذكر مثل حظ
الانثيين اذا ضممته الى
قوله وان كانت واحدة
فلها النصف على التقرير
الذي قدمته *عادكلامه
(قال في الجواب
أما حكمهما فمختلف

فان كن نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
وان كانت واحدة
فلها النصف

فيه فابن عباس أبي
تنزيلهما منزلة الجماعة
الخ) قال أحمد ومحز
النظر ان ابن عباس
اجرى التقييد بالصفة
وهي قوله فوق اثنتين
على ظاهره من مفهوم

من
المخالفة غير أنه ما كان يقتضي اللفظ ان يقتصر لهما على النصف لاجل تعارض المفهومين اذ مفهوم فلهن ثلثا ما ترك
أن تكون الانثى أقل من الثلثين ومفهوم فان كانت واحدة فلها النصف ان تكون الانثيين أزيد من النصف فيكون نصيبهما مترددا
فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل وأما غيره فاظهر للتقييد فائدة سوى المخالفة وتلك الفائدة رفع الفرق المتوهم بين الانثيين وما
فوقهما ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير اليها وسقط التعلق بالمفهوم وكأنه على القول المشهور لما علم ان
الانثيين يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة وكان الوهم قد يسبق الى أن الزائد على الانثيين يستوجبن أكثر من فرض الانثيين لان
ذلك مقتضى القياس رفع هذا الوهم بايجاب الثلثين لما فوق الانثيين كوجوبه لهما والله أعلم

*قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس (قال محمود لكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل الخ) قال أحمد وفى اعرابه بدلا نظر وذلك انه يكون على هذا التقدير من بدل الشئ من الشئ وهما كعين واحدة ويكون أصل الكلام والسدس لابويه لكل واحد منهما ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما فى السدس كما قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فاقتضى اشتراكهن فيه فيقتضى البدل لو قدر اهدار الاول افراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لانه يلزم فى هذا النوع ان يكون مؤدى المبدل والبدل واحدا وانما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لاغير بلا زيادة معنى فاذا تحقق ما بينهما من التباين تعذرت البدلية المذكورة وليس من بدل التقسيم أيضا على هذا الاعراب والالزم زيادة معنى فى البدل فالوجه والله أعلم أن يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل ولابويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملا فصله بقوله ١٩٥ لكل واحد منهما السدس وساغ حذف المبتدا لدلالة التفصيل عليه ضرورة اذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما السدس استحقاقهما معا الثلث والله أعلم ولا يستقيم على هذا الوجه أيضا جعله من بدل التقسيم ألا ترى انك لو قلت الدار كلها الثلاثة لزيد ولعمرو ولخالد كان هذا بدلا وتقسيما صحيحا لانك لو حذفت المبدل منه فقلت الدار لزيد ولعمرو ولخالد ولم تزد فى البدل زيادة استقام فلو قلت الدار لثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها لم يستقم بدل تقسيم اذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام الدار لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها فهذا كلام مستأنف لانك زدت فيه معنى تمييز ما لكل واحد منهم وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل فى بدل الشئ من الشئ الى زيادة معنى *عاد كلامه (قال محمود فان قلت قد بين حكم الابوين فى الارث الخ) قال أحمد ومذهب ابن عباس أن الاخوة يأخذون السدس الذى حجبوا الام عنه مع وجود الاب فعلى هذا يكون فائدة قوله وورثه أبواه الاحتراز مما لو ورثه الاخوة مع الابوين فان الام لها حينئذ السدس وكأنه قيل وورثه أبواه ولم يكن ثم اخوة فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يمكن جعله على مذهب ابن عباس مقيدا بعدم الزوجين لان ثلث الام عنده لا يتغير بوجود واحد منهما والله الموفق *عاد كلامه (قال محمود ويستوى فى حجب الام الاثنان فصاعدا الاعند ابن عباس الخ) قال أحمد ولقد أحسن فى هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الاصوليين يريد مثلى فى تغاير وصفى الجمع والتثنية اذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما ولك هذا وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص فكل تثنية جمع وليس كل جمع تثنية

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

من الاختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان (ولابويه) الضمير للميت (ولكل واحد منهما) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها (فان قلت) فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأى فائدة فى ذكر الابوين أولا ثم فى الابدال منهما (قلت) لان فى الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذى تراه فى الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن * والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب فى ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كانت أنثى عصب مع اعطاء السدس * (فان قلت) قد بين حكم الابوين فى الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأى فائدة فى قوله وورثه أبواه (قلت) معناه فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لاثلث ما ترك الاعند ابن عباس والمعنى أن الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين (فان قلت) ما العلة فى أن كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية فى قسمة ما وراءه والثانى أن الاب أقوى فى الارث من الام بدليل أنه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى أن يكون للانثى مثل حظ الذكرين (فان كان له اخوة فلامه السدس) الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا الاعند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام (فان قلت) فكيف صح أن يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية (قلت) الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع فى افادة الكمية وهذا موضع

*قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين (قال محمود ان قلت لم قدمت الوصية على الدين الخ) قال أحمد الوصية على ضربين لغير معين فلا يطالب بها الا الامام ان عثر عليها ولمعين فله المطالبة ولكن يتباينان في القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته لان رب الدين يطالب بحق مستقر في الذمة سبق له به الفضل على مديانه والموصى له انما يطلب صدقة تفضل بها عليه الميت لا عن استحقاق سابق فاكتفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه في الذكر وعضد ضعف الموصى له بتقدمه في الذكر عونا له على حصول رفق الوصية ويمكن في دفعه طريق آخر فأقول لم يخالف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال وذلك أن أول ما يبدأ به اخراج الدين ثم الوصية ثم اقتسام ذوي الميراث فانظر كيف جاء اخراج الميراث آخرا تلو اخراج الوصية تلو الدين فوافق قولنا قسمة المواريث بعد الوصية والدين صورة الواقع شرعا ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام أخرجوا الميراث والوصية والدين لما أمكن ورود السؤال المذكور والله أعلم

من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه * وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصبة من بعد وصية يوصي بها * وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا * (فان قلت) ما معنى أو (قلت) معناها الاباحة وأنه ان كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين (فان قلت) لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة (قلت) لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله (آباؤكم وأبناؤكم) أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا أنه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا أنه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع اليه ابنه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (ان الله كان عليما) بمصالح خلقه (حكيما) في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم * جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن (وان كان رجل) يعني الميت و(يورث) من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل و(كلالة) خبر كان أي وان كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به (فان قلت) ما الكلالة (قلت) ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى * فآليت لا أرثي لها من كلالة * فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق (فان قلت) فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها (قلت) على أنها مفعول له أي يورث لاجل الكلالة أو يورث غيره لاجلها (فان قلت) فان جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه (قلت) الرجل حينئذ هو

الوارث لا المورث (فان قلت) فالضمير فى قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ (قلت) الى الرجل والى أخيه أو أخته وعلى الاول اليهما (فان قلت) اذا رجع الضمير اليهما أفاد استواءهما فى حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة فى هذا الوجه (قلت) نعم لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله منه برىء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الام وتدل عليه قراءة أبى وله أخ أو أخت من الام وقراءة سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل انما استدل على أن الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر فى آخر السورة من أن للاختين الثلثين وأن للاخوة كل المال فعلم ههنا أن ما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيأ أنه يعنى بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان وأولاد العلات وغيرهم (غير مضار) حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصى بزيادة على الثلث أو يوصى بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار فى الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة فى الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد وأن لا يدعهم عالة باسرافه فى الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة (والله عليم) بمن جار أو عدل فى وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد (فان قلت) فى يوصى ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث (قلت) كما عملت فى قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم أن التارك والموصى هو الميت (فان قلت) فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله (قلت) يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها (تلك) اشارة الى الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه * وانتصب خالدين وخالدا على الحال (فان قلت) هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا (قلت) لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها (يأتين الفاحشة) يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفى قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح (فأمسكوهن فى البيوت) قيل معناه فخلدوهن محبوسات فى بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن فى أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزانى الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلا) هو النكاح الذى يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت * (فان قلت) ما معنى يتوفاهن الموت والتوفى والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت (قلت) يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (واللذان يأتيانها منكم) يريد الزانى والزانية (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

* قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم الآية (قال محمود يعني انما القبول والغفران واجب على الله الخ) قال أحمد وقد تقدم في مواضع أن اطلاق مثل هذا من قول القائل يجب على الله كذا مما نعوذ بالله منه تعالى عن الالزام والايجاب رب الارباب وقاعدة أهل السنة ان الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق لانهم يقولون ان الافعال التي يتوهم القدرية ان العبد يستحق بها على الله شيأ كلها خلق الله فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها وخلق له التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخرا وباطنا وظاهرا لا كالقدرية الذين يزعمون ان العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه على زعمهم المجازاة على الاعمال ايجابا عقليا فلذلك يطلقون بلسان الجراءة هذا الاطلاق وما أبشع ما أكد الزمخشري هذا المعتقد الفاسد بقوله يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات فنظر المعبود بالعبد وقاس الخالق على الخلق وانه لاطلاق يتقيد عنه لسان العاقل ويقشعر جلده استبشاعا لسماعه ويتعثر القلم عند تسطيره على أن من لطف الله تعالى أن لم يجعل حاكي الكفر كافرا كان ولا حاكي البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعا وما بالغ الزمخشري في هذا الاطلاق الا اغتناما للفرصة التمسك على صحته بصيغة على المشعرة بالوجوب فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الاطلاق ولم يجعل الله له فيها مستروحا فانا نقول معاشر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر فهما ورد من صيغ الوجوب فنزل على وجوب صدق الوعد ومعنى قولنا صدق الخبر واجب كمعنى قولنا وجود الله واجب لان أحدا لا يستوجب على الله شيأ ألهمنا الله الادب في حق جلاله وعصمنا من زيغ القول وضلاله

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا

ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين * وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون (التوبة) من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (من قريب) من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر * (فان قلت) ما معنى من في قوله من قريب (قلت) معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد * (فان قلت) ما فائدة قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) بعد قوله انما التوبة على الله لهم (قلت) قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه واعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيآت سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار (أولئك أعتدنا لهم) في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الامرين كائنان لا محالة (فان قلت) من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت * كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (قال محمود كان الرجل اذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها من كل أحد الخ) قال أحمد وخص تعالى ذكر من آتى القنطار من المال بالنهي تنبيها بالاعلى على الادنى لانه اذا كان هذا على كثرة ما بذل لامرأته من الاموال منهيا عن استعادة شئ يسير حقير منها على هذا الوجه كان من لم يبذل الا الحقير منها عن استعادته بطريق الاولى ومعنى قوله وآتيتم والله أعلم وكنتم آتيتم اذا ارادة الاستبدال في ظاهر الامر واقعة بعد ايتاء المال واستقرار الزوجية * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (قال محمود فيه كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه الخ) قال أحمد وعندي في هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا المنهي عنه لفظاعته وشناعته عند أكثر الخلق حتى كان ممقوتا قبل ورود الشرع جدير ان يمتثل النهي فيه فيجتنب فكأنه قد امتثل النهي عنه حتى صار مخبرا عن عدم وقوعه وكأنه قيل ما يقع نكاح الابناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شئ الا ما قد سلف واما في المستقبل بعد النهي فلا يقع منه شئ البتة ومثل هذا النظر

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

كان الرجل اذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبيّ الا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح * وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل (وان أردتم استبدال زوج) الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشئ اذا رفعته منه القنطرة لانها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومي أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنى عشر أوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه عليّ حتى ترد عليّ امرأة ليست من أعلم النساء * والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب (بهتانا) على الحال أي باهتين وآثمين أو على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا * والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل (ومقتا) كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين * وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه * وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه * (فان قلت) تعضلوهن ما وجه اعرابه (قلت) النصب عطفا على أن ترثوا

جار في مثل قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون الا الله فأجراه مرفوعا على انه خبر وان كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله ولكن لما كان هذا المنهي جديرا بالاجتناب وكأنه اجتنب عبر عن النهي فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل وقد مضى هذا التقرير بعينه ثم لم يجر مثله في هذه الآية والله أعلم ٢٠٠ *قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية (قال محمود معناه تحريم نكاحهن الخ) قال أحمد وهذا تفريع على القول بعموم المشترك في معانيه ٣فاستقام تعلق الجار المذكور بهما والله أعلم *عاد كلامه (قال ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به مالم يعترض أمر لا يرد الا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب أجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما أنا من ددولا الددمني وأمهات النساء متصلات بالنساء لانهن الخ) قال أحمد يعني ان لهذا الاعراب وجها في الصحة وتكون من على هذا مستعملة في معنى واحد من معانيها وهو الاتصال فيستقيم تعلقها

امها

بهما وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهبا ونقل أيضا قراءة على رأى ابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا انتهى نقل الزمخشري والقول المشهور عن الجمهور ابهام تحريم المرأة وتقييد تحريم الربيبة بدخول الام كما هو ظاهر الآية ولهذا الفرق سر وحكمة وذلك لان المتزوج بابنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومسارات فكانت الحاجة داعية الى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الام فيعاملها معاملة ذوات المحارم ولا كذلك العاقد

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا

ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن *(فان قلت) أي فرق بين تعديه ذهب بالباء وبينها بالهمزة (قلت) اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الاذهاب فكالازالة *(فان قلت) الا أن يأتين ما هذا الاستثناء (قلت) هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لأن يأتين بفاحشة *(فان قلت) من أي وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط (قلت) من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه *(فان قلت) كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم (قلت) كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط *معنى (حرمت عليكم أمهاتكم) تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله *وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة *وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع (من نسائكم) متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها (فان قلت) هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك انك اذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به مالم يعترض أمر لا يرد الا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما أنا من ددولا الددمني وأمهات النساء متصلات بالنساء لانهن أمهاتهن كما ان الربائب متصلات بأمهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج

على الام فانه بعيد عن مخالطة ابنتها قبل الدخول بالام فلم تدع الحاجة الى تعجيل نشر الحرمة وأما اذا وقع الدخول بالام فقد وجدت مظنة خلطة الربيبة فحينئذ تدعو الحاجة الى نشر الحرمة بينهما والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما فائدة قوله فى حجوركم الخ) قال أحمد وهذا مما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهى عنه بالنهى فان النهى عن نكاح الربيبة المدخول بأمها عام فى جميع الصور سواء كانت فى حجر الزوج أو بائنة عنه فى البلاد القاصية ولكن نكاحه لها وهى فى حجره أقبح الصور والطبع عنها أنفر فخصت بالنهى لتساعد الجبلة على الانقياد لاحكام الملة ثم يكون ذلك تدريبا وتدريجا الى استقباح المحرم فى جميع صوره

دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم

أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهما أن الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله الا ما روى عن علىّ وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرؤا وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل أقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما * (فان قلت) ما فائدة قوله فى حجوركم (قلت) فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفى حكم التقلب فى حجوركم اذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علىّ رضى الله عنه أنه شرط ذلك فى التحريم وبه أخذ داود * (فان قلت) ما معنى (دخلتم بهن) (قلت) هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبى حنيفة وعن عمر رضى الله عنه أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما انى لم أصب منها الا ما يحرمها على ولدى من اللمس والنظر وعن الحسن فى الرجل يملك الأمة فيغمزها الشهوة أو يقبلها أو يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبى سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار أن التحريم لا يقع الا بالجماع وحده (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم (وأن تجمعوا) فى موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم فى الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما فى ملك اليمين فعن عثمان وعلىّ رضى الله عنهما أنهما قالا أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علىّ التحريم وعثمان التحليل (الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما * والمحصنات) القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرّف أنه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات (الا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتى سبين ولهن أزواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفى معناه قول الفرزدق

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم * (فان قلت) علام عطف قوله (وأحل لكم) (قلت) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم وأحل لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ وأحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة أن يكون ابتغاؤكم (بأموالكم)

والله أعلم * قوله تعالى وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف الخ (قال أحمد) موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذى بينت وهو أن هذا النهى لكونه جديرا بأن يمتثل أجرى مجرى الاخبار عن أمثاله حتى كأنه قيل لا يقع شئ من هذه المحرمات الا السالف منها لا غير أو على الوجه الذى بينه الزمخشرى فيما تقدم وهو أن يكون المراد الا ما قد سلف فانه غير محرم فتعاطوه ان كان ممكنا من باب التعليق على المحال بتا للتحريم الا أن الزمخشرى لم يسلك هذا المسلك ههنا لان قوله ان الله كان غفورا رحيما يرشد الى أن المراد الا ما قد سلف فانه مغفور لاستثنائه فى الآية الاولى لانه عقبه ثم بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقدر فى كل آية ما يناسب سياقها والله أعلم

التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم (محصنين غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح (فان قلت) أين مفعول تبتغوا (قلت) يجوز أن يكون مقدرا وهو النساء والاجود أن لا يقدر وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم * والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي (فما استمتعتم به منهن) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) عليه فأسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك من عزم الامور باسقاط منه ويجوز أن تكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض أو البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن وأجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام أو فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو ليلتين أو أسبوعا بثوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى أجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف * الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما حلا منه بطائل أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة وفي رواية عن ابن عباس أنه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله (من فتياتكم المؤمنات) الظاهر أن لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل (فان قلت) لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة (قلت) لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله (من فتياتكم) أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين *(فان قلت) فما معنى قوله (والله أعلم بايمانكم) (قلت) معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة أرجح من ايمان الحرة والمرأة أفضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك

محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم

* قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات الآية (قال محمود ومعناه ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة الخ) قال أحمد وعلى هذا يكون الطول عند أبي حنيفة وجود الحرة تحته وهو أحد القولين لمالك رضي الله عنه لكن بعد هذا المعنى لان الطول عند مالك في أحد قوليه القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة حتى لو كانت الحرة تحته فاراد نكاح الامة عجزا عن حرة أخرى جاز له ذلك وفي القول الآخر الطول احد الامرين اما القدرة بالمال على نكاح الحرة واما وجود الحرة تحته حتى لا يجوز له نكاح أمة على حرة ان كان عاجزا عن حرة أخرى ومقتضى ما نقله المصنف عن أبي حنيفة انه لا يجوز لمن تحته حرة نكاح أمة وان يجوز لمن ليست تحته حرة أن ينكح الامة ولو كان غنيا وهو قول لا يساعده ظاهر الآية لان الاستطاعة تثبت وان لم يفعل المستطيع بمقتضاها فالمستطيع لنكاح الحرة ذو الطول وان لم يكن تحته الحرة وتفسير الاستطاعة على مذهب أبي حنيفة بعيد جدا

الاستنكاف منه (بعضكم من بعض) أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حرّ عبدا الا برجحان فيه (باذن أهلهن) اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة ان لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدّوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز (فان قلت) الموالي هم ملاك مهورهن لاهن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن (قلت) لانهن وما في أيديهن مال الموالي فكان أداؤها اليهن أداء الى الموالي أو على أنّ أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف * والاخدان الاخلاء في السرّ كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرّات له (فان أحصن) بالتزويج وقرئ أحصن (نصف ما على المحصنات) أي الحرائر (من العذاب) من الحدّ كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف (ذلك) اشارة الى نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لانه اذا هويها خشي أن يواقعها فيحدّ فيتزوجها (وأن تصبروا) في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا أبالك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيآتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول تعالى يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط الا أتاهم من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وأنا أعشو بالاخرى وان أخوف ما أخاف على فتنة النساء * وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرّة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاصي أنه تأوّله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد (ان الله كان بكم رحيما) ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته

بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله بكم رحيما ومن يفعل

* قوله تعالى فانكحوهن باذن أهلهن (قال محمود هذا اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن الخ) (قال أحمد وليس في الآية اشتراط اذن المولى لمن يتولى عقد نكاح أمته ومتولي العقد ومباشرته مسكوت عنه في الآية فيحمل على اذنه لوكيله في العقد على أمته ولا يلزم أن تكون الامة هي المباشرة ولا دليل في الآية على ذلك والله أعلم

عليكم وقيل معناه انه أمر بنى اسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ذلك) اشارة الى القتل أى ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر * ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و يصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك لكونه سببا للصلى (نارا) أى نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه (كبائر ما تنهون عنه) وقرئ كبير ما تنهون عنه أى ما كبر من المعاصى التى ينهاكم الله عنها والرسول (نكفر عنكم سيآتكم) نميط ما تستحقونه من العقاب فى كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيآت والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن على رضى الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هى الى سبعمائة أقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروى الى سبعين *وقرئ يكفر بالياء* ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما (ولا تتمنوا) نهوا عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط فى الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسبا له (واسئلوا الله من فضله) ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التى لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء فى الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو أن يكون لنا أجران فى الآخرة على الاعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت (مما ترك) تبيين لكل أى ولكل شئ مما ترك (الوالدان والاقربون) من المال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله أى حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالى مما ترك أى وراثا مما ترك على أن من صلة موالى لانهم فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل ثم فسر الموالى بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون (والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر فى فآتوهم للموالى والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالى الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وعند أبى حنيفة لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعى وقيل المعاقدة التبنى ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم (قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير فى (بعضهم) للرجال والنساء جميعا يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن

ذلك عدوانا وظلما فسوف
نصليه نارا وكان ذلك
على الله يسيرا ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيآتكم
وندخلكم مدخلا
كريما ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض
للرجال نصيب مما
اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن واسئلوا
الله من فضله ان الله
كان بكل شئ عليما
ولكل جعلنا موالى مما
ترك الوالدان والاقربون
والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم
نصيبهم ان الله كان على
كل شئ شهيدا الرجال
قوامون على النساء بما
فضل الله بعضهم على
بعض

بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا) وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات وروى أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا (قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) الغيب خلاف الشهادة أي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال استوصوا بالنساء خيرا أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم * وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا اليهن * نشوزها ونشوصها أن تعصي زوجها ولا تطمئن اليه وأصله الانزعاج (في المضاجع) في المراقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف أو هي كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن * وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن أولا ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها وروى عن الزبير أبيات منها *ولولا بنوها حولها لخبطتها* (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم وروى أن أبا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع (شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وانما

وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها

---

* قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الآية (قال أمر الله تعالى بوعظهن أولا الخ) قال أحمد وهذا الترتيب بين هذه الافعال المعطوفة غير متلقى من صيغة لفظية اذ العطف بالواو وهي مسلوبة الدلالة على الترتيب متمحضة الاشعار بالجمعية فقط وانما يتلقى الترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه * عاد كلامه (قال وقيل معناه اكرهوهن الخ) قال أحمد ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله فان أطعنكم فانه يدل على تقدم اكراه على أمر ما وقرينة المضاجع ترشد الى أنه الجماع واطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الافراط

ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا

تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه (فان قلت) فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك (قلت) قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلمانى شهدت عليا رضى الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال على رضى الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما أن تفرقا فرقتما وان رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال على كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى ما قضى الحكمان جاز * والالف فى (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة وألقى فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة (ان الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (والجار ذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى وأنشد لبلعاء بن قيس

لا يجتوينا مجاور أبدا * ذو رحم أو مجاور جنب

* وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقربى (والصاحب بالجنب) هو الذى صحبك بأن حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم علم أو حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة (وابن السبيل) المسافر المنقطع به وقيل الضيف * والمختال التياه الجهول الذى يتكبر عن اكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم * وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون (الذين يبخلون) بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة * وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفى أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون * وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رئاء الناس)

للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) وأي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (وكان الله بهم عليما) وعيد * الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر أدنى شئ وأصغره أو زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة (وان تك حسنة) وان يكن مثقال ذرة حسنة وانما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه أجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته * وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (وجئنا بك على هؤلاء) المكذبين (شهيدا) وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن يدفنوا تحت الارض وأنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الارض * وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى * روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى (لا تقربوا الصلاة) لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الريون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على أن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل) استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال (فان قلت) كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها (قلت) كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة

فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم

* قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تكن حسنة يضاعفها (قال محمود انما أنث الضمير وهو للمثقال الخ) قال أحمد وقد تقدم له مثل ذلك في قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقد بينا ثم ان عوده الى الحفرة جائز بل أولى وكذلك عوده ههنا الى الذرة ولا يمنع ذلك كون المضاف اليه غير مخبر عنه لان عود الضمير لا يستلزم

الأخبار عنه في الكلام الأول ويجوز كانت دابتك وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف للتأنيث من المضاف اليه فقد نص أبو علي في التعاليق على انه شاذ* قوله ٢٠٨ تعالى فتيمموا صعيدا طيبا (قال محمود الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره الخ) قال أحمد هذا اذا كان الضمير عائدا الى الصعيد وثم وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله وان كنتم مرضى الى آخرها فان المفهوم منه وان كنتم على حدث في حال من هذه الاحوال سفر أو مرض أو مجيء من الغائط أو ملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه يقال تيممت من الجنابة وموقع من على هذا استعمل متداول وهي على هذا الاعراب اما للتعليل أو لابتداء الغاية وكلاهما فيهما متمكن والله أعلم (قال محمود فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين الخ) قال أحمد وهذا من ذكر المعتنى به خاصا ومندرجا في العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين لان المرض والسفر مندرجان في عموم المحدثين والمجنبين والله أعلم

ان الله كان عفوا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا

الا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا أي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير معذورين (فان قلت) كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر (قلت) أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد* (فان قلت) أدخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم (قلت) الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب* وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لاتراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه (فان قلت) فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لاتراب عليه (قلت) قالوا ان من لابتداء الغاية (فان قلت) قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض (قلت) هو كما تقول والاذعان للحق أحق من المراء (ان الله كان عفوا غفورا) كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر (فان قلت) كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل (قلت) أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو ارهاق في مكان لاماء فيه وغير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر* وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط (ألم تر) من رؤية القلب وعدي بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون

قوله تعالى يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم الآية (قال محمود غير مسمع حال من المخاطب الخ) قال أحمد مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو انشاء وطلب وقد وقعه حالا والحال خبر أراد أن يبين أوجه صحة التعبير عن الخبر بالانشاء بواسطة ان هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجابا مخبرا بوقوع المدعو فيه ونظيره ورود الامر بصيغة الخبر تنبيها على تحقق وقوعه (قال محمود ومعناه غير مسمع جوابا الخ) قال أحمد والظاهر ان الكلام المحرف انما أريد به في هذه السورة مثل غير مسمع وراعنا ولم يقصد ههنا تبديل الاحكام وتوسطها بين الكلامين بين قوله يحرفون وبين قوله ليا بألسنتهم والمراد أيضا تحريف مشاهد بين على أن المحرف هما وأمثالهما وأما في سورة المائدة فالظاهر والله أعلم ان المراد فيها بالكلام الاحكام وتحريفها تبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد ألا تراه عقبه بقوله يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا والاختلاف المراد بالكلام في السورتين قيل في سورة المائدة يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي ينقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره الى غير الموضع فبقي كالغريب المتأسف عليه الذي يقال فيه هذا غريب من بعد مواضعه ومقاره ولا يوجد هذا المعنى في مثل راعنا وغير مسمع وان وجد على بعد فليس الوضع اللغوي مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعي ولولا اشتمال هذا النقل

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها

كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى ابتغي العيش أكدح

أي فمنهما تارة أموت فيها (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (فان قلت) كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه (قلت) أما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة * قولهم (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيأ أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (فان قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به * وقرأ أبي وأنظرنا من الانظار وهو الامهال (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (لكان خيرا لهم) (قلت) الى أنهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه (فلا يؤمنون الا) ايمانا (قليلا) أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله

* قليل التشكي للمهم يصيبه * أي عديم التشكي أو الا قليلا منهم قد آمنوا (أن نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وأدبارهم أو نردهم الى حيث جاؤا منه وهي أذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير * (فان قلت) لمن الراجع في قوله أو نلعنهم (قلت) للوجوه ان أريد الوجهاء أو لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع الى الذين أوتوا الكتاب على

على الهزئ والسخرية لما عظم أمره فلذلك جاء هنا يحرفون الكلم عن مواضعه غير مقرون بما قرن به الاول من صورة التأسف والله أعلم
* قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (قال محمود ان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه الخ) قال أحمد رحمه الله عقيدة أهل السنة ان الشرك غير مغفور ألبتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له هذا مع عدم التوبة وأما مع التوبة فكلاهما مغفور والآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة مادونه مقرونة بالمشيئة كما ترى فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة وأما القدرية فانهم يظنون التسوية بين الشرك وبين مادونه من الكبائر في ان كل واحد ٢١٠ من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا شاء الله أن يغفرهما الا للتائبين فاذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه اذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لمادونه مقرونة بالمشيئة فاما أن يكون المراد فيهما من لم يتب فلا وجه للتفصيل بينهما بتعليق المغفرة في أحدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقا اذ هما سيان في استحالة المغفرة واما ان يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك انه لا يغفر والتائب من الشرك مغفور له وعند ذلك أخذ الزمخشري يقطع أحدهما المنا عن الآخر فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها أمرين لا تحمل واحدا منهما *أحدهما اضافة التوبة الى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فيما ذكروا يضا لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل فكيف يليق السكوت عن ذكر ماهو العمدة والموجب وذكر مالا مدخل له على هذا المعتقد الردىء* الثاني انه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر وما هذا الا من جعل القرآن تبعا للرأى نعوذ بالله من ذلك وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر السيد يعطي والعبد يمنع لان الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر ان شاء وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحملون المغفرة بناء على قاعدة الاصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق

أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

طريقة الالتفات (أو نلعنهم) أو نجزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت (فان قلت) فأين وقوع الوعيد (قلت) هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله عز وجل أوعدهم بأحد الامرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فان كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو اجلاءهم الى الشام فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى الى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير (وكان أمر الله مفعولا) فلا بد ان يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا * (فان قلت) قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر مادون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (قلت) الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء مادون الشرك على أن المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى اثما) أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل مالا يصح كونه (الذين يزكون أنفسهم) اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله مانحن الا كهيئتهم ماعملناه بالنهار كفر عنا بالليل وماعملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله (فان قلت) أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء أمين في الارض (قلت) انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ماوصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم (بل الله يزكي من يشاء) اعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به (ولا يظلمون فتيلا) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وكفى) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم * الجبت الاصنام وكل ماعبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم

الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم (بالجبت والطاغوت) لأنهم
سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول
محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقى الحاج ونقرى
الضيف ونفك العانى وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا * وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر
خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) على
ان أم منقطعة ومعنى الهمزة لانكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال (فاذا لا يؤتون) أى لو كان لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم * والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل
والقطمير والمراد بالملك اما ملك أهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى
اذا لأمسكتم خشية الانفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى
الهمزة فى أم لانكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون
أحوال الملوك وانهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيأ * وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذى
هو النصب وهى ملغاة فى قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا (أم يحسدون الناس) بل
أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على
ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا) الزام لهم بما عرفوه من ايتاء
الله الكتاب والحكمة (آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه
الله مثل ما آتى أسلافه وعن ابن عباس الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل
استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة
سرية (فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) أى بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه)
وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل
ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (بدلناهم جلودا غيرها)
أبدلناهم اياها (فان قلت) كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص (قلت) العذاب للجملة
الحساسة وهى التى عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس (ليذوقوا
العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك على عزك وزادك فيه (عزيزا) لا يمتنع
عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) لا يعذب الا بعدل من يستحقه (ظليلا) صفة مشتقة من لفظ الظل
لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل
* وفى قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء (أن تؤدوا الأمانات) الخطاب عام لكل أحد فى كل أمانة وقيل
نزلت فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت أنه رسول الله
لم أمنعه فلوى على بن أبى طالب رضى الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده الى
عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ
عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الامانات * والحكم بالعدل
وقرئ الامانة على التوحيد (نعما يعظكم به) ما اما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما أن تكون
مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم

نعمايعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون * لما أمر الولاة بأداء الامانات الى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم و ينزلوا على قضاياهم والمراد بأولى الامر منكم أمراء الحق لان أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ماعدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولى الامر منكم قال أليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر (فان تنازعتم في شئ) فان اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم في شئ من أمور الدين * فردوه الى الله ورسوله أي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة أولى الامر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الامانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيأ الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولوا الامر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة (ذلك) اشارة الى الرد أي الرد الى الكتاب والسنة (خير لكم وأصلح (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم * روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق * والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم) * وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل * وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم * وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني * تعالي أقاسمك الهموم تعالي * والوجه فتح اللام (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم (ثم جاؤك) حين يصابون فيعتذرون اليك (ويحلفون) ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به (فأعرض عنهم) لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة

فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم

*قوله تعالى فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا (قال محمود ان قلت بم تعلق قوله فى أنفسهم الخ) قال أحمد وكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة أما الاول فلان حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد فى قوله فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يشهد له فانه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد وأما الثانى فيلائمه من السياق قوله أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم يعنى ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ثم أمره بوعظهم والاعراض عن جرائمهم حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ثم جاء قوله وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا كالشرح للوعظ ولذكر اهم ما يعظهم فيه وتلك نفوسهم التى علم الله ما انطوت عليه من المذام وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به وأما الثالث فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام فى كتم عناد المنافقين والتجافى عن افصاحهم والستر عليهم حتى عد حذيفة رضى الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه اياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم وأخباره فى هذا المعنى كثيرة *قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية (قال محمود وانما لم يقل واستغفرت لهم لانه عدل به الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من الالتفات خصوصية وهى اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف اليه وذلك زائد على الالتفات بذكر الاعلام الجامدة والله الموفق *قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون ٢١٣ حتى يحكموك فيما شجر بينهم (قال معناه فوربك ولا مزيدة لتأكيد الخ) قال أحمد يشير الى أن لا لما زيدت مع القسم وان لم يكن المقسم به دل ذلك على أنها انما تدخل فيه لتأكيد القسم فاذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا تعين جعلها لتأكيد القسم طردا للباب والظاهر عنده والله أعلم أنها هنا لتوطئة النفى المقسم عليه والزمخشرى لم يذكر مانعا من ذلك وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى فى الاثبات وذلك لا يأبى مجيئها فى النفى على الوجه الآخر من التوطئة على ان فى دخولها على القسم المثبت نظرا وذلك أنها لم ترد فى الكتاب العزيز الا مع القسم حيث يكون بالفعل مثل لا أقسم بهذا البلد لا أقسم بيوم القيامة فلا أقسم بالخنس فلا أقسم بمواقع النجوم فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ولم تدخل أيضا الا على القسم بغير الله تعالى ولذلك سر يأبى كونها فى آية النساء لتأكيد القسم ويعين كونها للتوطئة وذلك ان المراد بها فى جميع الآيات التى عددناها تأكيد تعظيم المقسم به اذ لا يقسم بالشئ الا اعظاما له فكأنه بدخولها يقول ان اعظامى لهذه الاشياء بالقسم بها كلا اعظام يعنى انها تستوجب من التعظيم فوق ذلك وهذا التأكيد انما يؤتى به لرفع التوهم كون هذه الاشياء غير مستحقة للتعظيم وللاقسام بها فيزاح هذا الوهم بالتأكيد فى ابراز فعل القسم مؤكدا بالنفى المذكور وقد قرر الزمخشرى هذا المعنى فى دخول لا عند قوله لا أقسم بيوم القيامة على وجه مجمل هذا بسطه وايضاحه فاذا بين ذلك فهذا الوهم الذى يراد ازاحته فى القسم بغير الله مندفع فى الاقسام بالله فلا يحتاج الى دخول لا مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة ولا تكاد تجدها فى غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت وأما دخولها فى القسم وجوابه نفى فكثير مثل فلا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم انى أفر وكقوله الا نادت امامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى وقوله رأى برقا فأوضع فوق بكر * فلا بك ما أسال ولا أغاما وقوله فخالف فلا والله تهبط تلعة * من الارض الا أنت للذل عارف وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فانه حقيق بالتأمل

وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

عما هم عليه (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) بالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار (فان قلت) بم تعلق قوله فى أنفسهم (قلت) بقوله بليغا أى قل لهم قولا بليغا فى أنفسهم مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما فى نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما فى قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغنى عنكم ابطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم فى أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر أنجع وفى الامحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) وما أرسلنا رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بسبب اذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه فى طاعته (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا (فاستغفروا الله) من ذلك بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (فلا وربك) معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم و(لا يؤمنون) جواب القسم

(فان قلت) هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا فى لا يؤمنون (قلت) يأبى ذلك استواء النفى والاثبات فيه وذلك
قوله فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم (فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل أغصانه (حرجا) ضيقا أى لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك فى ضيق
من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا) وينقادوا ويذعنوا لما تأتى به من قضائك لا يعارضوه بشئ من قولك
سلم لامر الله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة و (تسليما) تأكيد للفعل بمنزلة
تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت فى شأن المنافق واليهودى
وقيل فى شأن الزبير وحاطب بن أبى بلتعة وذلك أنهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من
الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم أرسله الى جارك كان قد أشار على الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه
استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصارى قضى
لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه
فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى
الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان من أمتى رجالا الايمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية فى
شأن حاطب ونزلت فى شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على
بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه الا) ناس (قليل
منهم) وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو فى فعلوه ٭ وقرئ الا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو
على الا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به
لانه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتا)
لايمانهم وأبعد من الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت
فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم) لان اذا جواب وجزاء (من لدنا أجرا عظيما) كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما
فى أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته (ولهديناهم) وللطفنا
بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ٭ الصديقون أفاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبى بكر
الصديق رضى الله عنه وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة
أقرب عباد الله الى الله وأرفعهم درجات عنده (وحسن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن
أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك
وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه
ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس فى باب التمييز وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن
فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله مابى من وجع غير أنى اذا لم أرك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لانى عرفت
أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا
فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وانّ منكم لمن ليبطئنّ فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علىّ اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله

وأبو يه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة (ذلك) مبتدأ و (الفضل) صفته و (من الله) الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أنّ ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو أراد أنّ فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم (خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدوّ ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) اذا نفرتم الى العدوّ اما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما (جميعا) أى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم الى التهلكة *وقرئ فانفروا بضم الفاء *اللام فى (لمن) للابتداء بمنزلتها فى قوله انّ الله لغفور وفى (ليبطئنّ) جواب قسم محذوف تقديره وانّ منكم لمن أقسم بالله ليبطئنّ والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن فى ليبطئنّ والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئنّ ليتثاقلنّ وليتخلفنّ عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم اذا أبطأ وقرئ ليبطئنّ بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ علىّ وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدّى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئنّ غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبىّ وهو الذى ثبط الناس يوم أحد (فان أصابتكم مصيبة) من قتل أو هزيمة (فضل من الله) من فتح أو غنيمة (ليقولنّ) وقرأ الحسن ليقولنّ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئنّ فى معنى الجماعة وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة) اعتراض بين الفعل الذى هو ليقولنّ وبين مفعوله وهو (ياليتنى) والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادّة لانّ المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن والظاهر أنه تهكم لانهم كانوا أعدى عدوّ للمؤمنين وأشدّهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودّة الا على وجه العكس تهكما بحالهم *وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمنى فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فأنا أفوز فى ذلك الوقت (يشرون) بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرّغ

* قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الى قوله ذلك الفضل من الله (قال محمود والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر الخ) قال أحمد عقيدة أهل السنة ان المطيع لا يستحق على الله بطاعته شيأ وانه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار فذلك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت فهم يقرون هذه الآية فى رجائها وأما القدرية فيزعمون ان المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة وان المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالاجرة على العمل فى الشاهد ليس بفضل وانما الفضل ما زاده العبد على حقه من أنواع الثواب وصنوف الكرامة فلما وردت هذه الآية ناطقة بان جملة ما ناله عباد الله فضل من الله اضطر الزمخشرى الى ردها الى معتقده فجعل الفضل المشار اليه هو الزيادة التابعة للثواب يعنى المستحق ثم اتسع فى التأويل فذكر وجها آخر وهو ان يكون المشار اليه مزايا هؤلاء المطيعين فى طاعتهم وتميزهم بأعمالهم وجعل معنى كونها فضلا من الله انه وفقهم لاكتسابها ومكنهم من ذلك لا غير يعنى وأما احداثها فبقدرهم وهذا من الطراز الاول والحق أن الكل أيضا فضل من الله بكل اعتبار لان معتقدنا معاشر أهل السنة ان الطاعات والاعمال التى يتميز بها هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله وان قدرهم لا تأثير لها فى أعمالهم بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثيبهم عليها فالطاعة اذا من فضله وثوابها من فضله فله الفضل على كل حال والمنة فى الفاتحة والمآل وكفى بقول سيد البشر فى ذلك حجة وقدوة فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللهم اختم لنا باقتفاء السنة وأدخلنا بفضلك المحض الجنة *قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (قال محمود فيه المراد بالمصيبة القتل والهزيمة الخ) قال أحمد وفى هذه القراءة نكتة غريبة وهى الاعادة الى لفظ من بعد الاعادة الى معناها وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده فى الكتاب العزيز لما يلزم من الاجمال بعد البيان وهو خلاف قانون البلاغة اذ الاعادة الى لفظها ليس بمفصح عن معناها بل تناوله للمعنى مجمل مبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومنهم من أثبته وعده موضعين وهذه الآية على هذه القراءة ثالث وسيأتى بيان شاف ان شاء الله تعالى

* قوله تعالى ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود يجوز أن يكون المستضعفين مجرورا الى قوله ومنصوبا الخ) قال أحمد وفيه على هذا مبالغة فى الحث على خلاصهم من جهتين احداهما التخصيص بعد التعميم فانه يقتضى اضمار الناصب الذى هو أختص ولولا النصب لكان التخصيص معلوما من افراده بالذكر ولكن أكد هذا المعلوم ٢١٦ بطريق اللزوم بأن أخرجه الى النطق * قوله تعالى الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود ان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث الخ) قال أحمد ووقفت على نكتة فى هذه الآية حسنة وهى ان كل قرية ذكرت فى الكتاب العزيز فالظلم اليها ينسب بطريق المجاز كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى قوله فكفرت بأنعم الله وقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وأما هذه القرية فى سورة النساء فنسب الظلم الى أهلها على الحقيقة لأن المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفا لها شرفها الله تعالى * قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (قال محمود وقوله تعالى كخشية من اضافة المصدر الخ) قال أحمد وقد مر نظير هذه الآية فى الاعراب وهو قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقد قرأ الزمخشرى ثم ما أذعن له هنا وهو الجر عطفا على الذكر وبينا ثم جوازه بالتأويل الذى ذكره الزمخشرى ههنا وهو الحاقه بباب جد جده وأصل هذا الاعراب لابى الفتح وقد بينت جواز الجر عطفا على الذكر من غير احتياج الى التأويل المذكور وأجرى مثله ههنا وهو وجه

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

وشربت برد اليقين * من بعد برد كنت هامه

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون * ووعد المقاتل فى سبيل الله أى ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعنى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة (فان قلت) لم ذكر الولدان (قلت) تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء وعن ابن عباس كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة * (فان قلت) لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (قلت) هو وصف للقرية الا أنه مسند الى أهلها فأعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث (فان قلت) هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها (قلت) نعم كما تقول التى ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلونى البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا * رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم أنهم انما يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين أضعف شئ وأوهنه (كفوا أيديكم) أى كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة كع فريق منهم لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت (كخشية الله) من اضافة المصدر الى المفعول (فان قلت) ما محل كخشية الله من الاعراب (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل أهل خشية الله أى مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال (فان قلت) لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله (قلت) أبى ذلك قوله أو أشد خشية

حسن استنبطته من كتاب سيبويه فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمني والله الموفق الذي ذكر سيبويه جواز قول القائل زيد أشجع الناس رجلا ثم قال سيبويه فرجل واقع على المبتدا ولك أن تجره فتقول زيد أشجع رجل وهو الاصل انتهى المقصود من كلام سيبويه واذا بنيت عليه جاز أن تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر كأنك قلت خشي فلان خشية أشد خشية فتوقع خشية الثانية على الاولى وان نصبتها فهو كما قلت زيد أشجع رجلا فأوقعت رجلا على زيد وان كنت نصبته فهو على ان الاصل أن تقول أشد خشية فتجرها كما كان الاصل أن تقول زيد أشجع رجل فتجره ومامنع الزمخشري من النصب مع وقوعه على المصدر الا ان مقتضى النصب في مثله خروج المنصوب عن الاول بخلاف المجرور ألا تراك تقول زيد أكرم أبا فيكون زيد من الأبناء وأنت تفضل أباه وتقول زيد أكرم أب فيكون من الآباء وأنت تفضله فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الاولى وقد نصبت مميزها لزم خروج الثانى عن الاول وهو محال اذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج الى التأويل المذكور وهو جعل الخشية الاولى خاشية حتى تخرجها عن المصدر المميز لها وقد بينا في كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثانى على الاول كما لو جررت فمثله يجوز في الآية من غير تأويل والله أعلم وقد مضت وجوه من الاعراب في آية البقرة يتعذر بعضها ههنا المنافرة

المعنى والله الموفق ومثل هذه الانواع من الاعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص فلا يوصل اليها الا بعد تجاوز جملة القشور وربك الفتاح العليم * قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (قال محمود قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء الخ) قال أحمد أما الوجه الذي ألحقه بتوجيه سيبويه في الشعرين المذكورين ففيه نظر أما قوله ولا ناعب فمختار فان دخول الباء في خبر ليس أمر مطرد غالب والخبر وطن معروف لها فاذا قدرت فيه حيث تسقط روعي هذا التقدير في المعطوف لما ذكرناه من الغلبة التي تقتضي الحاق دخولها بالاصل الواجب الذي يعتبر نطق به أو سكت عنه وأما تقدير أينما تكونوا في معنى كلام آخر يرتفع معه قوله يدرككم فذلك تقدير لم يعهد له نظير ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغلبة دخول الباء في الخبر فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال ومعهوده مراعاة مالم يسبق به عهد وأما البيت الآخر لزهير فالمنقول عن سيبويه حمله أو حمل مثله على التقديم والتأخير كقوله يا أقرع بن حابس يا أقرع * انك ان يصرع أخوك تصرع فليس من قبيل ولا ناعب والله الموفق وفي الوجه الاخير الذي أبداه الزمخشري حجة واضحة على ان القتل في المعارك والملاحم لا يعترض على الاجل المقدر بنقص وان كل مقتول فبأجله مات لا كما يزعمه القدرية والله الموفق

لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر انما تقول أشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن أشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها (لولا أخرتنا الى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء * قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير * يقول لا غائب مالي ولا حرم * وهو قول نحوي سيبوي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيأ مما كتب من آجالكم * أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا * والبروج الحصون * مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها * السيئة تقع على البلية والمعصية * والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم (قل كل من عند الله) يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح (لا يكادون يفقهون حديثا) فيعلموا أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف

وصواب ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما (من حسنة) أى من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا (وما أصابك من سيئة) أى من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر (وأرسلناك للناس رسولا) أى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك فما ينبغى لاحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى أنه قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك) الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل (ويقولون) اذا أمرتهم بشئ (طاعة) بالرفع أى أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمرى وشأنى حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذى تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطلوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل واما من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن ابطانهم يغنى عنهم (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) فى شأنهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام وعز أنصاره * وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقى ولانها فى معنى الفريق والفوج * تدبر الامر تأمله والنظر فى ادباره وما يؤل اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم أنه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه (فان قلت) أليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف (قلت) ليس باختلاف عند المتدبرين * هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور وكانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولى الامر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها

* قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا (قال محمود هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال الخ) قال أحمد وفى اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر لانهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزمخشرى قوله فى الوجه الثانى فعلوا الاذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة ثم فى هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الاعداء والمقيمين فى نحو العدو وما أعظم المفسدة فى لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم خيرا أو غيره ولقد جربنا ذلك فى زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول البلاد طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه ونجسه وعجل للمسلمين الفتح

وأنزل عليهم السكينة والنصر* عاد كلامه (قال ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا ارسال الرسل وانزال الكتب الخ) قال أحمد وفى تفسير الزمخشرى هذا نظر وذلك انه جعل الاستثناء من الجملة التى وليها بناء على ظاهر الاعراب واغفل المعنى وذلك انه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الانسان من الكفر الى الايمان ومن اتباع الشيطان الى عصيانه وخزيه وليس لله عليه فى ذلك فضل ومعاذ الله ان يعتقد ذلك وبيان لزومه ان لولا حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فاذا جعلت الاستثناء من الجملة الاخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله فى امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالايمان وعصيان الشيطان الداعى الى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله ألا ترى انك اذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتى لك لسلبت أموالك الا قليلا كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا فى بقاء القليل للمخاطب وانما منت عليه بتأثير مساعدتك فى بقاء أكثر ماله لا فى كله ومن المحال ان يعتقد موحد مسلم انه عصم فى شئ من الاشياء من اتباع الشيطان الا بفضل الله تعالى عليه أما قواعد أهل السنة فواضح أن كل ما يعتد به العبد عاصيا للشيطان من ايمان وعمل خير مخلوق لله تعالى وواقع بقدرته ومنع على العبد به وأما المعتزلة فهو وان ظنوا أن العبد يخلق لنفسه ايمانه وطاعته الا انهم لا يخالفون فى أن فضل الله منسحب عليه فى ذلك لانه خلق له القدرة التى بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لارادة الخير فقد وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الاخيرة على تفسير الزمخشرى وما أراه الا واهما مسترسلا على المألوف فى الاعراب وهو اعادة الاستثناء الى ما يليه من الجمل مهملا للنظر فى المعنى ومن ثم اتخذ القاضى أبو بكر رضى الله عنه الاستثناء فى هذه الآية الى ماقبل الجملة الاخيرة فطنة منه ويقظة ولانه امام مؤيد فى نظره مسدد فى فكره ثم اتخذ القاضى رضى الله عنه هذه الآية وزره فى الرد على من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل الى الاخيرة ظنا منه ان ذلك واجب لا يسوغ سواه ثم يقف فى عوده الى ما تقدم خاصة وقد بينت عند قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده ان الاستثناء فى هذه الآية أيضا

أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ

ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيأ من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الامر أى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال

أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو أبلغ من أذاعوه* وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) منكم أو الا اتباعا قليلا* لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل فى سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها أن تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهى ولا نكلف بالنون وكسر اللام أى لا نكلف نحن الا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابى سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا فى عام مخصب فرجع بهم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا* الشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى أمر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق* والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى اليه المشفوع جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها وقيل الشفاعة

الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (مقيتا) شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشئ قال الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن نفيت السوء عنه * وكنت على اساءته مقيتا

وقال السموأل

ألي الفضل أم علي اذا حو * سبت اني على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها * الاحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على طهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه (على كل شئ حسيبا) أي يحاسبكم على كل شئ من التحية وغيرها (لا اله الا هو) اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشئ بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنه الا أنه يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب على الحال كقولك مالك قائما روي أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم

مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين

يتعين عوده الى الاولى ويتعذر رده الى الاخيرة لان المعنى يأباه وهي موازرة للقاضي في الرد على من حتم عود الاستثناء الى الاخيرة والله الموفق

كفار

كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما أخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم فى شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله أركسهم) أى ردهم فى حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم فى الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل * وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء * فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هى لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب (فان تولوا) عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا فى الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن أبى عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا أثر له فى منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من هو من أنسابهم * والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح (أو جاؤكم) لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببى استحقاقهم لنفى التعرض عنهم وترك الايقاع به (فان قلت) كل واحد من الاتصالين له تأثير فى صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول فى حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم (قلت) هو جائز ولكن الاول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفى قراءة أبى بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم * حصرت صدورهم فى موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم * (فان قلت) كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين (قلت) ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط * وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من بنى أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين

والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم

---

*قوله تعالى أتريدون أن تهدوا من أضل الله (قال معناه من جعله الخ) قال أحمد هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة أما الحق فلأن الله هو الذى خلق الضلال لمن ضل اذ لا خالق الا الله وأما الحقيقة فلأنها أعنى الآية اقتضت نسبة الاضلال الى فعل الله تعالى فالتخيل فى تحريف الفاعلية الى التسبيب عدول عن

فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردّوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرّا فيها من كل عدوّ (حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بأهل الاسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها (أن يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (الا خطأ) الا على وجه الخطأ (فان قلت) بم انتصب خطأ (قلت) بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى انّ من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فاذا هو مسلم * وقرئ خطاء بالمدّ وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروى أنّ عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لامه أسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبرّ أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله عليّ ان وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم وأسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر باسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لانّ الكرم في الاحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل أنّ الرقيق ممنوع من تصرّف الاحرار (مسلمة الى أهله) مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وان لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيأ انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة (فان قلت) على من تجب الرقبة والدية (قلت) على القاتل الا أنّ الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله (الا أن يصدّقوا) الا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا أن يعفون ونحوه وأن تصدّقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبيّ الا أن يتصدقوا (فان قلت) بم تعلق أن يصدقوا وما محله (قلت) تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى الا متصدّقين (من قوم عدوّ لكم) من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى

كلما ردّوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدّقوا فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة

الحقيقة الى المجاز وقد علمت الباعث له على هذا المعتقد فلا نعيده

قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شئ لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافراً مثلهم (وان كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه * هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي (فان قلت) هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر (قلت) ما أبين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب الا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية * وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) * وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه أي لا نؤمنك وأصله ان مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وأن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا اتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله (فتبينوا) تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (غير أولي الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى

وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

* قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (قال في هذه الآية من التهديد والوعيد والابراق الخ) قال أحمد وكفى بقوله تعالى في هذه السورة ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء دليلا أبلج على ان القاتل الموحد وان لم يتب في المشيئة وأمره الى الله ان شاء آخذه وان شاء غفر له وقد مر الكلام على الآية وما بالعهد من قدم وأما نسبة أهل السنة

يارسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوى القاعدون من المؤمنين فقال غير أولى الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذى نفسى بيده لكأنى أنظر الى ملحقها عند صدع فى الكتف وعن ابن عباس لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك (فان قلت) معلوم أنّ القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفى الاستواء (قلت) معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفى ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم (فضل الله المجاهدين) جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (وكلا) وكل فريق من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره* (فان قلت) قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم (قلت) أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضرّاء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين آذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم لانّ الغزو فرض كفاية (فان قلت) لم نصب درجة وأجرا ودرجات (قلت) نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرّة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لانه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضله تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التى هى درجات مقدّمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (توفاهم) يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى انّ الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم) فى حال ظلمهم أنفسهم (قالوا) قال الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) فى أىّ شئ كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة* (فان قلت) كيف صح وقوع قوله (كنا مستضعفين فى الارض) جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا فى كذا أو لم نكن فى شئ (قلت) معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شئ من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا فى شئ فبكتتهم الملائكة بقولهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى أرض الحبشة وهذا دليل على أنّ الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامة أمر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فرّ بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اللهم ان كنت تعلم أنّ هجرتى اليك لم تكن الا للفرار بدينى فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ودرك المرجوّ من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى دار كرامتك يا واسع المغفرة* ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمى مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملونى فانى لست من المستضعفين وانى

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان

الى الاشعبية فذلك لا يضيرهم لانهم انما تطفلوا على لطف أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ولم يقنطوا من رحمة الله انه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الظالمون *قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمين أنفسهم الى قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (قال الاستثناء من المتوعدين فى قوله أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الخ) قال أحمد قوله ان المراهقين من الولدان يكلفون الحاقا بالبالغين مردود بقوله عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم

لاهتدى

لاهتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم (فان قلت) كيف أدخل الولدان فى جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا (قلت) الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا أريد بالولدان الاطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف وان أريد بهم العبيد والاماء البالغون فلا سؤال * (فان قلت) الجملة التى هى (لا يستطيعون) ما موقعها (قلت) هى صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشئ بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فان قلت) لم قيل (عسى الله أن يعفو عنهم) بكلمة الاطماع (قلت) للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عنى فكيف بغيره (مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدى

كطود يلاذ بأركانه * عزيز المراغم والمذهب

وقرئ مرغما * قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله * من عنزى سبنى لم أضربه * وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله * وألحق بالحجاز فأستريحا * (فقد وقع أجره على الله) فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة انه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا فى الدنيا وابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت فى طريقه فأجره واقع على الله * الضرب فى الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند أبى حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن بسير الابل ومشى الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعى أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام أفضل والى التخيير ذهب الشافعى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان رضى الله عنه يتم و يقصر وعند أبى حنيفة رحمه الله القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر (فان قلت) فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا (قلت) كأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء فى الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهرى تقصروا بالتشديد * والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال

لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة

فجعل البلوغ نفسه مناط التكليف وهذا مذهب الجماهير ولم يبلغنا خلافه وقال الزمخشرى أراد الحديثى العهد بالصبى وان بلغوا وتسميتهم بالاسم السالف لقرب عهدهم به كما قال وآتوا اليتامى أموالهم فسماهم يتامى وان بلغوا اذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا لانهم حديثو عهد باليتم والغرض تعجيل دفع الاموال لهم اذا رشدوا وان قرب عهدهم باليتم حتى انهم لذلك يعبر عنهم باليتامى ولا يماطلوا ولو قال الزمخشرى فى الولدان كذلك لكان قولا سديدا والله أعلم * قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (قال قرئ يدركه برفع الكاف على انه خبر مبتدا محذوف الخ) قال أحمد توجيه الرفع

على اضمار المبتدا فيه عطف الاسمية على الفعلية والاولى خلافه ماوجد عنه سبيل وأما الوجه الثانى من اجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذين على ان الافصح فى الوقف خلاف نقل الحركة وقد زاد شذوذا باجراء الوصل مجرى الوقف فكيف وعندى وجه حسن خالص من الشذوذ مرتفع الذروة فى الفصاحة وهو العطف على ما يقع موقع من مما يكون الفعل الاوّل معه مرفوعا كأنه قال والذى يخرج من بيته مهاجرا ثم يدركه الموت وهو الذى ذكره الزمخشرى عند قوله أينما تكونوا يدرككم الموت فيمن قرأ بالرفع وقال ثم هو وجه نحوى سيبوى واجراؤه ههنا أقرب وأصوب منه ثمة والله أعلم ❊ قوله واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم (قال فيه قبل المأمور بأخذ الاسلحة المصلون الخ) قال أحمد والظاهر ان المخاطب بأخذ الاسلحة المصلون اذ من لم يصل انما أعد للحرس فالظاهر الاستغناء عن أمرهم بذلك وتنبيههم ٢٢٦ عليه وهم انما أخروا الصلاة لذلك أما المصلون فهم فى مظنة طرح الاسلحة لانهم لم يعتادوا حملها فى الصلاة فنبهوا على

ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كان لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم

الخوف خاصة وهو قوله (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) واما فى حال الامن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نوّاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر قوّام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا الجماعة فى حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها والضمير فى فيهم للخائفين (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصلّ بهم (وليأخذوا أسلحتهم) الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه (فاذا سجدوا فليكونوا) يعنى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبى حنيفة أن يصلى الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدوّ ثم تقف هذه الطائفة بازاء العدوّ وتأتى الاخرى فيصلى بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بازاء العدوّ وتأتى الاولى فتؤدى الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتى الاخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبى حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لان الامام يصلى عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتمّ صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلى بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتمّ صلاتها ويسلم بهم ويعضده (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) ❊ وقرئ وأمتعاتكم (فان قلت) كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر فى الاخذ (قلت) جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة فى الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوّؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوّأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار فى التبوّء (فيميلون عليكم) فيشدّون عليكم شدّة واحدة ورخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدوّ ❊ (فان قلت) كيف طابق الامر بالحذر قوله (ان الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) (قلت) الامر بالحذر من العدوّ يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم أنّ الله يهين عدوّهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (فاذا قضيتم الصلاة)

انهم لا ينبغى لهم طرح الاسلحة وان كانوا فى الصلاة لضرورة الخوف وخشية الغرة وأيضا فصنيع الآية يعطى ذلك لانه قال فلتقم طائفة منهم معك وعقب ذلك بقوله وليأخذوا أسلحتهم فالظاهر رجوع الضمير اليهم وحيث يعاد الى غير المصلين يحتاج الى تكلف فى صحة العود اليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وان لم يذكروا ❊ عاد كلامه (قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين) قال أحمد والظاهر ان معنى السجود ههنا الصلاة وقد عبر عنها بالسجود كثيرا والمراد فاذا صلت الطائفة أى أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من ان الطائفة الاولى تتم صلاتها والامام منتظر للطائفة الاخرى وقوله ولتأت طائفة أخرى يعنى اذا أتمت الاولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الاخرى التى لم تصل بعد شيأ فليصلوا معك وفيه دليل بين أيضا لاحد القولين فى مذهب مالك من ان الامام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم لان ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك اذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الاطلاق والله أعلم فهذه الآية منطبقة على أكثر مشهور مذهبه فى تفاصيل صلاة الخوف والله الموفق للصواب ❊ عاد كلامه (قال فان قلت كيف جمع بين الاسلحة الخ) قال أحمد وحسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة عطف الحقيقة عليه

الصلاة) فاذا صليتم في حال الخوف والقتال (فاذكروا الله) فصلوها (قياما) مسايفين ومقارعين (وقعودا)
جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) مثخنين بالجراح (فاذا اطمأننتم) حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم
(فأقيموا الصلاة) فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج (ان الصلاة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا) محدودا بأوقات لا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا
ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في
المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى أن
يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد
في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه والتجا
اليه فاذا اطمأننتم فاذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم)
في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون) أي ليس ما تكابدون
من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون
عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى منهم بالصبر لانكم (ترجون من الله ما لا
يرجون) من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة * وقرأ الاعرج أن تكونوا
تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون * وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم
ييلمون كما تيلمون وروى أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا (وكان الله عليما حكيما) لا يكلفكم
شيأ ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم * روى أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من
جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده
فنزلت وروى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (بما
أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله
لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف (ولا تكن للخائنين خصيما) ولا تكن
لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به من
عقاب اليهودي (يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم
جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم (فان قلت)
لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده (قلت) لوجهين أحدهما أن بني
ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته
فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه * (فان قلت) لم قيل (خوانا أثيما) على المبالغة (قلت) كان
الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل
اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت
أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون)
يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم)
وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة
الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا

الصلاة فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فاذا
اطمأننتم فأقيموا
الصلاة ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا ولا تهنوا في
ابتغاء القوم ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما
تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون وكان
الله عليما حكيما انا أنزلنا
اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما
أراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما واستغفر
الله ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن
الذين يختانون أنفسهم
ان الله لا يحب من كان
خوانا أثيما يستخفون
من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم

الكشف الصريح والافتضاح (يبيتون) يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف ببراءته (فإن قلت) كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس (قلت) لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر و(جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه * وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة (وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه (ومن يعمل سوأ) قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوأ من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه (فإنما يكسبه على نفسه) أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء (خطيئة) صغيرة (أو إثما) أو كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا وإثما) لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين * وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين (لا خير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير * وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه * وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات (فإن قلت) كيف قال إلا من أمر ثم قال (ومن يفعل ذلك) (قلت) قد ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال * وقرئ يؤتيه بالياء (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة (إن الله لا يغفر أن يشرك به) تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي

إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا إن يدعون من دونه

*قوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم الآية (قال محمود المراد الأماني الباطلة الخ) قال أحمد هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون ان الموحد ذا الكبائر غير التائب أمره مرجا الى الله تعالى والعفو عنه موكول الى مشيئته ايمانا وتصديقا بقوله في الآية المعتبرة في هذا ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء والعجب أن هذه الآية تكررت في هذه السورة مرتين على اذن الزمخشري وهو مع ذلك يتصام عنها و يجعل العقيدة المتلقاة منها من جملة الأماني

الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن

جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه (الا اناثا) هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من أحياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله * وقرئ أنثا جمع أنيث أو اناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها أوثانا (وان يدعون) وان يعبدون بعبادة الاصنام (الا شيطانا) لانه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعين الى النار (ولأمنينهم) الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك *وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها *وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) توكيد ثالث بليغ (فان قلت) ما فائدة هذه التوكيدات (قلت) معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان *في (ليس) ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب (بأمانيكم ولا) بـ(أماني أهل الكتاب) والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين *قوله (من يعمل سوأ يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة واذا أبطل الله الاماني وأثبت أن الامر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله

الشيطانية نعوذ بالله من ارسال الرسن في اتباع الهوى وكذلك أيضا عرض بأهل السنة في اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية وعد ذلك أيضا أمنية شيطانية وما أرى من جحد الشفاعة ينالها فلا حول ولا قوة الا بالله لقد مكر بهذا الفاضل فلا يأمن بعده عاقل انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

*قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (قال) ان قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم انه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب وكان نفى الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان فى الفضل انتهى كلامه (قلت) مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد فى أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب على الطاعات وان الثواب منقسم الى واجب ليس بفضل والى زيادة على الواجب وهى الفضل خاصة وهذا المعتقد هو الذى يصدق عليه ان الشيطان مناه للقدرية حتى زعموا ان لهم على الله واجبا تعالى الله عن ذلك ان الله لغنى عن عمل يوجب عليه حقا جل الله وعز لقد نفخ الشيطان بهذه الامنية فى آذان القدرية اللهم لا عمدة لنا الا فضلك فأجزل نصيبنا منه يا كريم

فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الامانى وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان * (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام فى من يعمل * (فان قلت) كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفى الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان فى الفضل (أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيآت (حنيفا) حال من المتبع أو من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذى تحنف أى مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجىء فى الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله ما فى السموات وما فى الارض) متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك أهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم (وكان الله بكل شئ محيطا) فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لانفسهم ما هو أصلح لها (ما يتلى) فى محل الرفع أى الله يفتيكم والمتلو (فى الكتاب) فى معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه فى تعظيم القرآن وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على المجرور فى فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى * (فان قلت) بم تعلق قوله (فى يتامى النساء) (قلت) فى الوجه الاول هو صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن

أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى

معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير (فإن قلت) الإضافة في يتامى النساء ما هي (قلت) إضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة * وقرئ في ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء (لا تؤتونهن ما كتب لهن) وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب (وأن تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته * والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب أو ضرب * والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك * فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصبر في اصطبر (صلحا) في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي فأقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله (وأحضرت الأنفس الشح) ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها (وإن تحسنوا) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله كان بما تعملون) من الإحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا) ومحال أن تستطيعوا العدل (بين النساء) والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن

لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم

فكيف اذا مال القلب مع بعضهن (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

هل هي الاحظة أو تطليق ❊ أو صلف أو بين ذاك تعليق

وفي قراءة أبي "فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها ألى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد (وان تصلحوا) ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فيما يستقبل غفر الله لكم ❊ وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه (يغن الله كلا) برزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغنى المقتدر (من قبلكم) متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا ❊ الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية (أن اتقوا) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله (وان تكفروا فان لله) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعني أنها وصية قديمة مازال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه (وكان الله مع ذلك غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى أصل الخير كله (ان يشأ يذهبكم) يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم (ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يمتنع عليه شئ أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شئ والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط (قوامين بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء لله) تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم باقامتها (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم (فان قلت) الشهادة على الوالدين والاقربين أن تقول أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه (قلت) هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره (ان يكن) ان يكن المشهود عليه (غنيا) فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا تمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغني والفقير أي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه أنظر لعباده من كل ناظر (فان قلت) لم ثني الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحد لان قوله ان يكن غنيا أو فقيرا في معنى ان يكن أحد هذين (قلت)

فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى

قدرجع الضمير الى مادل عليه قوله ان يكن غنيا أوفقيرا لاالى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغنى وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالاغنياء والفقراء وفى قراءة أبى فالله أولى بهم وهى شاهدة على ذلك * وقرأ عبدالله ان يكن غنى أوفقير على كان التامة (أن تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس أوارادة أن تعدلوا عن الحق (وان تلووا أوتعرضوا) وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أوحكومة العدل أوتعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها * وقرئ وان تلوا أوتعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة وأعرضتم عن اقامتها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) وبمجازاتكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين ومعنى (آمنوا) اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوه (والكتاب الذى أنزل من قبل) المراد به جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبدالله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لانفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (فان قلت) كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذى أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل (قلت) كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذى أراد عز وجل فى قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (فان قلت) لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل (قلت) لان القرآن نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله * ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل) لان الكفر ببعضه كفر بكله ألاترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) نفى للغفران والهداية وهى اللطف على سبيل المبالغة التى تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفى ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان أهون شئ عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (بشر المنافقين) وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم و(الذين) نصب على الذم أورفع بمعنى أريد الذين أوهم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم

أن تعدلوا وان تلووا أوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة

قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (قال محمود نفى للغفران والهداية الخ) قال أحمد وليس فى هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على ان التوبة مقبولة على الاطلاق لان آخر ماذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر ولو كان المذكور فى آخر أحوالهم التوبة والايمان لاحتيج الى الجمع بين الآية والقاعدة إذا وإنما يقع هذا الفصل الذى أورده الزمخشرى موقعه فى آية آل عمران وهو قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقد ظهر الآن فى الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم فى آل عمران وهو أن يكون المراد لن يصدر منهم توبة فلن يكون قبول من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * وعلى هذا يكون خبر الاحكام والمخبر عنهم من سبق فى علم الله انه لا يتوب من المرتدين والله أعلم وفى قول الزمخشرى ان الناكث للتوبة العائد اليها يغلب من حاله انه يموت بشر حال نظر فقد ورد فى الحديث المؤمن مفتن تواب قال الهروى معناه يقارف الذنب لفتنته ثم يعقبه بالتوبة

*قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (قال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأن المسلمين الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكت اسرار القرآن فان الذى كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطؤها وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التى لا يبلغ شأنها ٢٣٤ أن تسمى فتحا فالتفريق بينهما مطابق أيضا للواقع والله أعلم * قوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الاقليلا (قال) لانهم انما يصلون رياء مادام من يرقبهم فاذا خلوا بانفسهم لم يصلوا أولا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح الاذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن وما حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ولا يجوز أن يراد بالقلة العدم انتهى كلامه (قلت) وانما منع من ان يراد بها العدم لانه خبر فيجب صدقه وقد كانوا يذكرون الله فى بعض الاحيان فلا يمكن ان يسلب ذكر الله مطلقا واذا بنينا على ان المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر فالمراد أيضا الصلاة المعتبرة التى يذكر بها الانسان حق الله عليه فينتهى عن الفحشاء والمنكر والصلاة فى هذا الوجه مسلوبة عن المنافقين مطلقا فيجوز اذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير والله أعلم

لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (فان العزة لله جميعا) يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أن اذا سمعتم) هى أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه اذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل فيمن قرأبه والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار هم المنافقون * فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار فى الكفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين) يعنى القاعدين والمقعود معهم (فان قلت) الضمير فى قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع (قلت) الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها (فان قلت) لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم فى وقت الخوض (قلت) لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضى بالكفر كافر (فان قلت) فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين (قلت) لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم (الذين يتربصون) اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو اخفاق (ألم نكن معكم) مظاهرين فأسهموا لنا فى الغنيمة (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم * وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار أن قال الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بينى * وبينكم المودة والاخاء

(فان قلت) لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا (قلت) تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنئ ولمظة من الدنيا يصيبونها (يخادعون الله) يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار فى الآخرة ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم (كسالى) قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى فى سكران أى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ على كره لا عن طيبة نفس ورغبة (يراؤن الناس) يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله الاقليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به

فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الاقليلا

وما يجاهرون به قليل أيضا لانهم ماوجدوا مندوحة من تكلف ماليس في قلوبهم لم يتكلفوه أوولايذكرون الله بالتسبيح والتهليل الاذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لوصحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولاتسبيحة ولاتحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لايفتر عنه ويجوزأن يراد بالقلة العدم (فان قلت) مامعنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية (قلت) فيها وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى أبوزيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا أمسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن أبي اسحق يرأونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤنهم كذلك (مذبذبين) اماحال نحوقوله ولايذكرون عن واو يراؤن أي يراؤنهم غيرذاكرين مذبذبين أومنصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفرفهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقرّ في جانب واحد كماقيل فلان يرمى به الرحوان الا أنّ الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأنّ المعنى كلما مال الى جانب ذبّ عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسرالذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أودينهم أورأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غيرالمعجمة وكأنّ المعنى أخذبهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش و (ذلك) اشارة الى الكفر والايمان (لاالى هؤلاء) لامنسوبين الى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولاالى هؤلاء) ولامنسوبين الى هؤلاء فيسمون مشركين (لاتتخذوا الكافرين أولياء) لاتتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام أولياء (سلطانا) حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك أن تخالص المؤمن (الدرك الاسفل) الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم (فان قلت) لم كان المنافق أشدّ عذابا من الكافر (قلت) لانه مثله في الكفروضمّ الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله ومداجاتهم (وأصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لايبتغون بطاعتهم الاوجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجراعظيما) فيشاركونهم فيه ويساهمونهم (فان قلت) من المنافق (قلت) هوفي الشريعة من أظهر الايمان وأبطن الكفر وأمّا تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولايعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعدّه من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطى سيفا يعني الحجاج (ما يفعل الله بعذابكم) أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثار أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغنيّ الذي لايجوز عليه شئ من ذلك وانما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب (وكان الله شاكرا) مثيبا موفيا أجوركم (عليما) بحق شكركم وايمانكم (فان قلت) لم قدم الشكر على الايمان (قلت) لان العاقل ينظر الى ماعليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكأنه أصل التكليف ومداره (الامن ظلم) الاجهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لايحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيردّ على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل

مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلا يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجدلهم نصيرا الاالذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراعظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا أوتخفوه أوتعفوعن سوء

*قوله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم (قال فيه تقديره لايحب الله الجهر بالسوء من القول الاجهر من ظلم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه الخ)

قال احمد وجه التغاير ان الظالم لا يندرج في المستثنى منه كما أن الله تعالى مقدس ان يكون في السموات وفي الارض فاستحال دخوله في المستثنى منه وكذا لا يندرج المستثنى في المستثنى منه في قولك ما جاءني زيد الا عمرو وكلام الزمخشري في هذا الفصل لا يتحقق لي منه ما سوغ مجازيته فيه لاغلاق عبارته والله أعلم بمراده *قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم الآية (قال فيه فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر الخ) قال احمد وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الاغفال ولوح به اتباع هواه الى مهواة الضلال لانه بنى على ان الظلم المضاف اليهم لم يكن الا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهي محال عقلا دنيا وآخرة على زعم القدرية لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه فلذلك سمى أهل السنة المعتقدين

لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية

فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى

قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله * ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله * جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة * ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطؤوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال (أولئك هم الكافرون حقا) أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه * (فان قلت) كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا (قلت) ان أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء (سوف يؤتيهم أجورهم) معناه أن ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا * روي أن كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى) جواب لشرط مقدر معناه ان

علقوا ايمانهم بها ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا لن نؤمن لك استكبرت

حتى نرى الله جهرة فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلما ألا ترى ان الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء أو حتى تفجر الارض أو يكون لك بيت من زخرف كيف هم من أظلم الظلمة وان كانوا انما طلبوا أمورا جائزة ولكنهم اقترحوا في الآيات على الله وحقهم ان يسندوا ايمانهم الى أي معجز اختاره الله دل ذلك دلالة بلجاء على ان ظلمهم مسبب عن اقتراحهم لا عن كون المقترح ممتنعا عقلا والعجب بنظير هذا السؤال لو كان المسؤل جائزا كسؤال ابراهيم عن احياء الموتى على زعم الزمخشري غفلة منه عما انطوى عليه سؤال ابراهيم عليه السلام من صريح الايمان حيث قال له تعالى أولم تؤمن قال بلى وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والاصرار عليه في قولهم لن نؤمن لك فصدروا كلامهم بالجحد والنفي وأما دعاء الزمخشري على أهل السنة بالتب والصواعق فالله أعلم أي الفريقين أحق بها ويكفيه هذه الغفلة التي تنادي عليه باتباع الهوى الذي يعمي ويصم نسأل الله العصمة من الضلالة والغواية

*قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الاقليلا (قال) ان قلت بم تعلقت الباء فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم قلت اما أن تتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنابهم مافعلنا واما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم انتهى كلامه (قلت) ولذكر البدل المذكور مر وهو ان الكلام لما طال بعد قوله فبما نقضهم حتى بعد عن متعلقه الذى هو حرمنا قوى ذكره بقوله فبظلم من الذين هادوا حتى يلى متعلقه وجاء النظم به على وجه من الاقتصار فى اجمال ماسبق تفصيله لان جميع ما تقدم من النقض والقتل وقولهم قلوبنا غلف وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ودعواهم قتل المسيح بن مريم قد انطوى عليه الاجمال المذكور آخرا انطواء جامعا مع التسجيل على ان جميع أفاعيلهم الصادرة منهم ظلم وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق *عاد كلامه (قال) ان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذى تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلقها غلفا أى فى أكنة لايتوصل اليها شئ من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها انتهى كلامه (قال أحمد) هؤلاء قوم زعموا ان لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله فكذبهم الله فى قولهم لأنه خلق قلوبهم على الفطرة أى ان

أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الاقليلا

استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى (أكبر من ذلك) وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى أيام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت (جهرة) عيانا بمعنى أرناه نره جهرة (بظلمهم) بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين (بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ولا تعدوا فى السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد* وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا بادغام التاء فى الدال (فبما نقضهم) فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد (فان قلت) بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد (قلت) اما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (فان قلت) هلا زعمت أن المحذوف الذى تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما

الايمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين وذلك هو المعبر بالتمكن وبخلقهم متيسرين للايمان متأتيا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله اذ يجد الانسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول فى الايمان وبين طيرانه فى الهواء ومشيه على الماء ويعلم ضرورة ان الايمان ممكن منه كما يعلم ان الطيران غير ممكن منه عادة فقد قامت الحجة وتبلجت ألا لله الحجة البالغة فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم لا كما يزعمه الزمخشرى من ان لهم قدرة على الايمان يخلقونه بها لانفسهم ويقرونه فى قلوبهم وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولا كالسيف المعد فى يد القاتل للقتل سواء وجد أولا وان هذه القدرة التى هى كالآلة للخالق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء فى ايمان وكفر وافق ذكر مشيئة الله أولا وان هؤلاء صرفوا قدرتهم الى خلق الكفر لانفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى فلذلك يعرض الزمخشرى بأهل السنة القائلين بان الله تعالى لوشاء من عبدة الاوثان أن لا يعبدوها ما عبدوها وتسميتهم لذلك مجبرة ويجعل قوله تعالى وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم ردا على الاشعرية كما هو رد على الوثنية ويغفل عن النكتة التى نبهنا عليها وهى ان الرد على الوثنية بذلك لم يكن الا انهم ظنوا ان هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله ولذلك قال تعالى عقيب ذلك قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين فأوضح الله تعالى ان الرد عليهم لم يكن لقولهم ان الله لوشاء لهداكم أجمعين ولكن انما كان الرد لظنهم ان ذلك حجة على الله بقوله فلله الحجة البالغة فهذا التقرير هو الايمان المحض والتوحيد الصرف وما عداه من الاشراك الصراح نخزى نعوذ بالله منه

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته

نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم (قلت) لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم ردّ وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا أى فى أكنة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله * (فان قلت) علام عطف قوله (وبكفرهم) (قلت) الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم (فان قلت) ما معنى المجئ بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم (قلت) قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا * والبهتان العظيم هو التزنية (فان قلت) كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا (انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) (قلت) قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا * روى أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا * (فان قلت) (شبه) مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان أسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (قلت) هو مسند الى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن (فان قلت) قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين (قلت) أريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك (وما قتلوه يقينا) وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادّعوا ذلك فى قولهم انا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا أى حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم (ليؤمننّ به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمننّ به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمننّ قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعنى اذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب

قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن (قال محمود ان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح الخ) قال أحمد وليس فى هذا الجواب شفاء للغليل والظاهر والله أعلم انهم كانوا أغلب أحوالهم الشك فى أمره والتردد فجاءت العبارة الاولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن فى بعض الاحوال وعنده يقفون لا يرقون الى العلم فيه البتة وكيف يعلم الشئ على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة فى الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن البتة والله أعلم * قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (قال محمود يعنى اذا عاين قبل أن تزهق روحه الخ) قال أحمد كقول فرعون لما عاين الهلاك آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل * عاد كلامه (قال وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فان ظاهره التهديد ولكن ما أريد بقوله فى حق هذه

قال

ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما

الامة ويكون الرسول عليكم شهيدا والله أعلم

قال لي الحجاج آية ماقرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني أوتى بالاسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا ياعدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبدالله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية أو من معدنها قال الكلبي فقلت له ما أردت الى أن تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال أردت أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فان أتاه رجل فضرب عنقه قال لاتخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم أحد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان أحدا يصلح للجمع (فان قلت) مافائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم (قلت) فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لابد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لاينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في أوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لايبقى أحد من جميع أهل الكتاب الا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لاينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم (فبظلم من الذين هادوا) فبأي ظلم منهم والمعنى ماحرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ماعدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة * والطيبات التي حرمت عليهم ماذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدا كثيرا (بالباطل) بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعني المؤمنين منهم أو المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء و(يؤمنون) خبره و(المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت الى مازعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل اليك أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء وفي مصحف عبدالله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي (انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا * وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب (ورسلا) نصب بمضمر في معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم

* قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (قال محمود ومن بدع التفاسير ان كلم من الكلم الخ) قال أحمد وانما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لانكارهم الكلام القديم الذى هو صفة الذات اذ لا يثبتون الا الحروف والاصوات قائمة بالاجسام لا بذات الله تعالى فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس ابطال خصوصية موسى عليه السلام فى التكليم اذ لا يثبتونه الا بمعنى سماعه حروفا واصواتا قائمة ببعض الاجرام وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذى قال الله فيه حتى يسمع كلام الله فيضطر المعتزلى الى ابطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح وصدق الزمخشرى وانصف انه لمن بدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبين بها الا الوهم والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل الخ) قال أحمد قاعدة المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين تجرهم وتجرؤهم الى اثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وان لم يبعث رسولا فيوجبون بعقولهم ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم ومما يوجبونه قبل ورود الشرع النظر فى أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب فمن ثم يلزمون بعد خبط وتطويل أن من ترك النظر فى الادلة قبل ورود الشرع فقد ترك واجبا استحق به التعذيب وقد قامت الحجة عليه فى الوجوب وان لم يكن شرع واذا تليت عليهم هذه الآية وهى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل لهم ما هذه الآية تناديكم يا معشر القدرية ان الحجة انما قدمت على الخلق بالاحكام الشرعية المؤدية

اى

الى الجزاء بارسال الرسل لا بمجرد العقل فما يقولون فيها صمت حينئذ آذانهم وغبروا فى وجه هذا النص وغيروه عما هو موضوع له فقالوا المراد ان الرسل تتم حجة الله وتنبه على ما وجب قبل بعثها بالعقل كما أجاب به الزمخشرى وقريبا من هذا التعسف يقولون اذا ورد عليهم قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وربما يدلس على ضعفة المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشرى قوله ان أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل ارسال الرسل وبذلك تقوم الحجة فتظن ان ذلك جار على سنن الصحة اذ المعرفة باتفاق والتوحيد باجماع انما طريقه العقل لا النقل الذى يلبس عليه أن النظر فى أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعى بل الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقاة من العقل المحض والوجوب متلقى من النقل الصرف وبه تقوم الحجة وعليه يرتب الجزاء والله سبحانه ولى التوفيق والمعونة * قوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون (قال محمود فيه ان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك الخ) قال أحمد ورود هذا الفصل فى كلامه مما يغتبط به

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين

نقصصهم وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير * (فان قلت) كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التى النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل فى أنفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر فى تلك الادلة ولا عرف أنهم رسل الله الا بالنظر فيها (قلت) الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتمة لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له * قرأ السلمى لكنّ الله يشهد بالتشديد (فان قلت) الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو فى قوله لكن الله يشهد (قلت) لما سأل أهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات * وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق (فان قلت) بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك (قلت) يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته * (فان قلت) ما معنى قوله (أنزله بعلمه) وما موقعه من الجملة التى قبله (قلت) معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لانزاله اليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال فى آخر سورة الجن ألا ترى الى قوله تعالى وأحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم (وكفى بالله شهيدا) وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل

* قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (قال محمود فيه أي جمعوا بين الكفر والمعاصي الخ) قال أحمد يعدل من الظاهر لعله يتروّح الى بث طرف من العقيدة الفاسدة في وجوب وعيد العصاة وانهم مخلدون تخليد الكفار وقد تكرر ذلك منه وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد فانه جعل الفعلين أعني الكفر والظلم كاسم ماصلة للموصول المجموع فيلزم وقوع الفعلين جمعا من كل واحد من آحاده ألا ترى اذا قلت الزيدون قاموا وافقدا أسندت القيام الى كل واحد من آحاد الجمع فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة والله الموفق

*قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون (قال محمود معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة الخ) قال أحمد وقد كثر الاختلاف في تفضيل الانبياء على الملائكة فذهب جهور الاشعرية الى تفضيل الانبياء وذهب القاضي أبو بكر

كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم

أي شئ أكبر شهادة قل الله (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما الا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها (يسيرا) أي لا صارف له عنه (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد (لا تغلوا في دينكم) غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد * قرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت * وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة * ومعنى (ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (ثلاثة) خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بأمهاتها وأن اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره * ومعنى (سبحانه أن يكون له ولد) سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان (له ما في السموات وما في الارض) بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه على أن الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض (وكفى بالله وكيلا) يكل اليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في

اليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا

منا والحليمي وجماعة المعتزلة الى تفضيل الملائكة واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي استدل به الزمخشري ونحن بعون الله نشبع القول في المسئلة من حيث الآية فنقول أورد الاشعرية على الاستدلال بها أسئلة *أحدها أن سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام وهذا السؤال انما يتوجه اذ لم يدع مورده ان كل واحد من آحاد الانبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفتنا في هذا الطرف خلاف *السؤال الثاني ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع

الملائكة فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وفي هذا السؤال أيضا نظر لان مورده اذا بنى على ان المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال يلزمه القول بأنه أفضل من الكل كما ان النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الانبياء كان أفضل من كلهم ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف في هذا المعنى وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ولم يثبت عنه هذا القول ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف وهو ان التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الافضل في الجنة والاحاديث متوافرة بذلك وحينئذ لا يخلو اما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على انه أفضل من كل واحد منهم أو لا ترفع درجة أحد منهم عليه لا سبيل الى الاول لانه يلزم منه رفع المفضول على الافضل فتعين الثاني وهو ارتفاع درجة الافضل على درجات المجموع ضرورة فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعا * الثالث انه عطف الملائكة على المسيح بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على ان الثاني أبدا يكون أعلى رتبة فمعارض بأمثلة لا تقتضي ذلك كقول القائل ما عابني على هذا الامر زيد ولا عمرو * قلت وكقولك لا تؤذ مسلما ولا ذميا فان هذا الترتيب وجه الكلام والثاني أدنى وأخفض درجة ولو ذهبت تعكس هذا فقلت لا تؤذ ذميا ولا مسلما لجعل الاعلى ثانيا لخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر لكن الحق أولى من المراء وليس بين المثالين تعارض ونحن نمهد تمهيدا يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم تعارضهما واحدة وهي توجب في مواضع تقديم الاعلى ٢٤٢ وفي مواضع تأخيره وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائي عن التكرار والسلامة عن النزول فاذا اعتمدت ذلك فهما أدى الى أن يكون آخر الكلام نزولا بالنسبة الى أوله أو يكون الآخر مندرجا في الاول قد أفاده وأنت مستغن عن الآخر فاعدل عن ذلك الى ما يكون ترقيا من الادنى الى الاعلى واستئنافا لفائدة لم يشتمل عليها الاول مثاله الآية المذكورة فانك لو ذهبت فيها الى ان يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لانه اذا كان الافضل وهو المسيح على او هذا التقدير عبدا لله غير مستنكف من العبودية لزم من ذلك ان من دونه في الفضيلة أولى أن لا يستنكف عن كونه عبدا لله وهم الملائكة على هذا التقدير فلم يتجدد اذا بقوله ولا الملائكة المقربون الا ما دل أول الكلام واذا قدرت المسيح مفضولا بالنسبة الى الملائكة فانك ترقيت من تعظيم الله تعالى بان المفضول لا يستنكف عن كونه عبدا له الى أن الافضل لا يستنكف عن ذلك وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الافضل فالحاجة داعية الى ذكر الملائكة اذ لم يستلزم الاول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز لانه الغاية في البلاغة وبهذه النكتة يجب أن تقول لا تؤذ مسلما ولا ذميا فتؤخر الادنى على عكس الترتيب في الآية لانك اذا نهيته عن ايذاء المسلم فقد يقال ذلك من خواصه احتراما للاسلام فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية فاذا قلت ولا ذميا فقد جددت فائدة لم تكن في الاول وترقيت من النهي عن بعض أنواع الاذى الى النهي عن أكثر منه ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت لا تؤذ ذميا فهم المنهي ان أذى المسلم أدخل في النهي اذ يساوي الذمي في سبب الاحترام وهو الانسانية مثلا ويمتاز عنه بسبب أجل وأعظم وهو الاسلام فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهي آخر عن أذى المسلم فان قلت ولا مسلما لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه أولا فقد علمت انها نكتة واحدة توجب أحيانا تقديم الاعلى وأحيانا تأخيره ولا يميز لك ذلك الا السياق وما أشك أن سياق الآية يقتضي تقديم الادنى وتأخير الاعلى ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى فلا تقل لهما أف استغناء عن نهيه عن ضربهما فما فوقه بتقديم الادنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهيا عن أعلى من التأفيف

طبقتهم (فان قلت) من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه (قلت) من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل

وما مثله ممن يجاود حاتم * ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره

لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين * وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لان العار ألصق به (فان قلت) علام عطف قوله ولا الملائكة (قلت) لا يخلو اما أن يعطف على المسيح

والانهار لانه مستغنى عنه وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهد اسواها ما فرطنا فى الكتاب من شئ ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الادلة على تفضيل الانبياء عتيدة عند المعتقد لذلك جمع بين الآية وتلك الادلة بحمل التفضيل فى الآية على غير محل الخلاف وذلك أن تفضيل الملائكة فى القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار قال وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لان المقصود الرد على النصارى فى اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين الى كونه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته واقدار الله له ان اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة اذا بهذا الاعتبار لا خلاف انهم أقوى وأبطش وان خوارقهم أكثر وانما الخلاف فى التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات فى دار الجزاء وليس فى الآية عليه دليل ولما كان أكثر ما لبس على النصارى فى الوهية عيسى كونه مخلوقا أى موجودا من غير أب ٢٤٣ أنبأنا الله تعالى ان هذا الموجود من غير أب لايستنكف من عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقون من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لان خلقهم أغرب من خلق عيسى ويشهد لذلك ان الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالأغرب وشبه العجيب من قدرته بالأعجب اذ عيسى مخلوق من أم وآدم من غير أم ولا أب ولذلك قال خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ومدار هذا البحث على النكتة التى نبهت عليها فبى استقام اشتمال المذكور ثانيا على فائدة لم يشتمل عليها الاول بأى طريق كان من تفضيل أو غيره من الفوائد فقد استد النظر وطابق صيغة الآية والله أعلم وعلى الجملة فالمسئلة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذى لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما أحسن تأكيد الزمخشرى لاستدلاله بنعت الملائكة المعنيين بانهم المقربون ومن ثم ينشئ ظهور من فصل القول فى الملائكة والانبياء فلم يعمم التفضيل فى الملائكة ولا فى الانبياء بل فصل ثم فضل وليس الغرض الاذكر محامل الآية لا البحث فى اختلاف المذاهب والله الموفق *قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الى قوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (قال ان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل الخ) قال أحمد المراد بالمفصل من لم يستنكف ومن استنكف لسبق ذكرهما ألا ترى ان المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم ويرشد اليه تأكيد الضمير بقوله جميعا فكانه قال فسيحشر اليه المقربين وغيرهم جميعا ووقوع الفعل المتصل به الضمير جزاء لقوله ومن يستنكف لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين لان المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجا فى طى هذا الضمير الشامل لهم ولغيرهم وحينئذ يكون المفصل مشتملا

فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك

أو على اسم يكون أو على المستتر فى عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداعى غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه (فان قلت) قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله فى هذا العطف فما وجهه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وأما اذا عطفتهم على الضمير فى عبدا فقد طاح هذا السؤال *قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون *(فان قلت) التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد (قلت) هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله عقيب هذا (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) والثانى وهو أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله *البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز (فى رحمة منه وفضل) فى ثواب مستحق وتفضل (ويهديهم اليه) الى عبادته (صراطا مستقيما) وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم *روى أنه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال ان لى أختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة لا النصب على الحال أى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا

على الفريقين وتفصيله منطبق عليه والله أعلم * قوله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك (قال ان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع الخ) قال أحمد وقد سبق له هذا التمثيل في مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أسلم اذ في لفظ من من الابهام ما سوّغ وقوعها على الاصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع ومثل الآية سواء قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ففيمن جعل الجملة مفعولا ثانيا للحسبان فان أصل الكلام هي العدوّ اذ الضمير على هذا الاعراب للصيحة ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر والله أعلم

* (القول في سورة المائدة) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ما يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (قال المصنف يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم) قال أحمد ورد في الكتاب العزيز وفى بالتضعيف في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وورد أوفى كثير ومنه أوفوا بالعقود وأما وفى ثلاثيا فلم يرد الا في قوله تعالى ومن أوفى بعهده

في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وأم دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين وأما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين أخيها (وهو يرثها) وأخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت (فان قلت) الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد (قلت) بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد أقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر * (فان قلت) الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله (فان كانتا اثنتين) وان كانوا اخوة (قلت) أصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه * والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (أن تضلوا) مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

(سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم * والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم) وما بعده * البهيمة كل ذات أربع في البرّ والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم آية تحريمه * والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فأضيفت الى الانعام لملابسة الشبه (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير في لكم أى أحلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة * والحرم جمع حرام وهو المحرم * الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر * والشهر الحرام شهر الحج * والهدى

وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد

ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدى فى جمع جدية السرج * والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره * وآموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار * واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا فى أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثانى أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها (لا آمين) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وأن يرضى عنهم أى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هى محكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هى منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم * وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون فى أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم * وقرأ عبد الله ولا آمى البيت الحرام على الاضافة * وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء * وقرئ واذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل * جرم يجرى مجرى كسب فى تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا (وأن صدوكم) بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض * وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه * وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفى قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار * كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التى تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم فى المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب (والموقوذة) التى أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التى تردت من جبل أو فى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه (الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه * وقرأ عبد الله والمنطوحة وفى رواية عن أبى عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه * لعاقبة والله ربك فاعبدا

ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب

من الله لانه بنى أفعل من التفضيل وفى اذلا يبنى الامن ثلاثى

٣ قوله فى المباعر أى مواضع البعر وهى الامعاء وقوله فزد بضم الفاء وسكون الزاى آخره دال مهملة وبروى فصد بسكون الصاد تخفيفا أى لم يحرم القرى من فصدت له الراحلة فخظى بدمها وروى قصد بالقاف أى أعطى قصدا اى قليلا اه من القاموس اه مصححه

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد (وأن تستقسموا بالازلام) وحرم عليكم الاستقسام بالازلام أي بالقداح كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاشارة الى الاستقسام أو الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا (فان قلت) لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا (قلت) لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد أن اليه طريقا والى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان أراد بالرب الصنم فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي * وعضضت من نابي على جذم

وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله عزوجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين (واخشوني) واخلصوا الى الخشية (أكملت لكم دينكم) كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما تريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم باكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة أتم من نعمة الاسلام (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ان هذه أمتكم أمة واحدة * (فان قلت) بم اتصل قوله (فمن اضطر) (قلت) بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة أو الى غيرها (في مخمصة) في مجاعة (غير متجانف لاثم) غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك * في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل (أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين * والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لان السبع يسمى

كلبا

وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح

* قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم الآية (قال وما علمتم عطفا على الطيبات الخ) قال أحمد ولقد أحسن في التنبيه على هذا السر الخفي غير ان الحال باصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثابتة له

عادكلامه (قال وفى قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة الخ) قال أحمد وفى الآية دليل على أن البهائم لها علم لان تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافا لمنكرى ذلك قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (قال معناه فلا عليكم أن تطعموهم الخ) قال أحمد وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة لان التحليل حكم وقد علقه بهم فى قوله وطعامكم حل لهم كما علق الحكم بالمؤمنين وهذه الآية أبين فى الاستدلال بها من قوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن فان لقائل أن يقول فى تلك الآية نفى الحكم ليس بحكم ولا يستطيع ذلك فى آية المائدة هذه لان الحكم فيها مثبت والله أعلم ولما استشعر

الزمخشرى دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة اسلف تأويلها بصرف الخطاب الى المؤمنين أى لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب كما رأيته فى كلامه أيضا * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية (قال قوله اذا قمتم كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الخ) قال أحمد هذا الكلام يستقيم وروده من السنى كما يستقيم من المعتزلى لانا نقول الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبسا بها ومقارنا لها والمعتزلى يقوله ويعنى مخلوقا بها وناشئا عن تأثيرها فالعبارة مستعملة فى المذهبين ولكن باختلاف المعنى والله الموفق

كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد أو من الكلب الذى هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب (مكلبين) على الحال من علمتم (فان قلت) ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم (قلت) فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و (تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهى أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى أن يضرب اليه أكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه * وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان كثيرا * والامساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه وعن على رضى الله عنه اذا أكل البازى فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا فى سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه فى سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل أصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن أبى وقاص وأبى هريرة رضى الله عنهم اذا أكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (فان قلت) الام رجع الضمير فى قوله (واذكروا اسم الله عليه) (قلت) اما أن يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أى سموا عليه عند ارساله (طعام الذين أوتوا الكتاب) قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوى فى ذلك جميع النصارى وعن على رضى الله عنه أنه استثنى نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه أخذ الشافعى وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبى حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روى عن ابن المسيب أنه قال اذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسى أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وان أمره بذلك فى الصحة فلا بأس وقد أساء (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (المحصنات) الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الاماء الكتابيات فعند أبى حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعى وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ (محصنين) أعفاء (ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (اذا قمتم الى الصلوة) كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه فى أن المراد ارادة الفعل (فان قلت) لم جاز أن يعبر عن ارادة الفعل بالفعل (قلت) لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل

مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

*عاد كلامه (قال فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الخ) قال أحمد الزمخشري أنكر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع وقد سبق له انكار ذلك ومن جوز ارادة جميع المحامل اجاز ذلك فى الآية ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى وناهيك بامام الفن وقدوته هذا اذا وقع البناء على ان صيغة افعل مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها فى الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين وتناولها للمتطهرين من حيث الندب والله أعلم *قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم (قال فيه قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب الخ) قال أحمد ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل والوجه فيه ان الغسل والمسح متقاربان من حيث ان كل واحد منهما امساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله

* متقلدا سيفا ورمحا *

* وعلفتها تبنا وماء باردا *

ونظائره كثيرة وبهذا وجه الحذاق ثم يقال مافائدة هذا التشريك مع علة التقارب وهلا أسند الى كل واحد منهما الفعل الخاص به على الحقيقة فيقال فائدته الايجاز والاختصار وتوكيد الفائدة بما ذكره الزمخشري وتحقيقه ان الاصل ان يقال مثلا واغسلوا أرجلكم غسلا خفيفا لا اسراف فيه كما هو المعتاد فاختصرت هذه المقاصد باشراكه الارجل مع الممسوح ونبه بهذا التشريك الذي لا يكون الا فى الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جدا على ان الغسل المطلوب فى الارجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن ادراجه معه تحت صيغة واحدة وهذا تقرير كامل لهذا المقصود والله أعلم (قوله الرابع) كذا بالاصل وصوابه الثالث كما هو واضح اه

الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه

عليه وارادته له وهو قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل فى قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر أى لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى شئ وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه (فان قلت) ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه (قلت) يحتمل أن يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز (فان قلت) هل يجوز أن يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب (قلت) لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ * الى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها فى الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظرا فى كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله (الى المرافق) والى الكعبين لا دليل فيه على أحد الامرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روى أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس * قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الارجل مغسولة (فان قلت) فما تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح (قلت) الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهى عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها وقيل (الى الكعبين) فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة وعن على رضى الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى فى وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفى رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره

أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب الي من أن أمسح على القدمين غير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة الى الكعبين * وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم * وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد الله ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) وهي نعمة الاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا (سمعنا وأطعنا) وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان * عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملىء فليتبع لانه بمعنى أحيل * وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك (اعدلوا هو أقرب للتقوى) نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب الى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه (لهم مغفرة وأجر عظيم) بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي شئ وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب * روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ان لا كانوا أكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقب يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم * لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله

*قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم الآية (قال محمود فان قلت فهلا قيل من النصارى الخ) قال أحمد وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع باسناد النصرانية الى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه فالوجه في ذلك والله

انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير

بأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها (انى معكم) أى ناصركم ومعينكم (عزرتموهم) نصرتموهم ومنعتموهم من أيدى العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا أى قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثنى عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر * واللام فى لئن أقمتم موطئة للقسم وفى (لأكفرن) جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فان قلت) من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (قلت) أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم أو أمليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية أى ردية مغشوشة من قولهم درهم قسى وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسى والقاسح بالحاء أخوان فى الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع (يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعنى أن تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال تطلع) أى هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك (على خائنة) على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

وقرئ على خيانة (منهم الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالقتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (أخذنا ميثاقهم) أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أى مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك (فان قلت) فهلا قيل من النصارى (قلت) لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذى يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى (مما كنتم تخفون) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفوا عن كثير) مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضر

أعلم أنه لما كان المقصود فى هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم فى نصرة الله تعالى ناسب ذلك ان يصدر الكلام بما يدل على انهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة وما كان حاصل أمرهم الا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها والله أعلم

اليه

*قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية (قال محمود معنى قولهم ابناء الله أشياع ابنى الله عزير الخ) قال أحمد ومنه قول الملائكة لانهم خواص عباد الله انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم الى قوله الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فاضافوا التقدير اليهم وفى الحقيقة المقدر الله وكذلك قول الدابة لانها من خواص آيات الله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون فيمن جعله من قول الدابة والله أعلم *قوله تعالى بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء (قال محمود يعنى أهل الطاعة ويعذب من يشاء قال يعنى العصاة) قال أحمد رحمه الله بل مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب والعاصى المصر اذا كان موحدا والزمخشرى أخرج هذا التفسير على قاعدته المتكررة فى غير ما موضع وهى القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين وان المغفرة محال *قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة

اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا اقتضاء حكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء الشريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا عن الناس من الحق أو لانه ظاهر الاعجاز (من اتبع رضوانه) من آمن به (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله *قولهم (ان الله هو المسيح) معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيى ويميت ويدبر أمر العالم (فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيأ (ان أراد أن يهلك) من دعوه الها من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من فى الارض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم فى البشرية (يخلق ما يشاء) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب أن ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده (أبناء الله) أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع أبى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم (فلم يعذبكم بذنوبكم) فان صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم (بل أنتم بشر) من جملة من خلق من البشر (يغفر لمن يشاء) وهم أهل الطاعة (ويعذب من يشاء) وهم العصاة (يبين لكم) اما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أى مبينا لكم و(على فترة) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبى كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء ثلاث من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم

الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (قال لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء الخ) قال أحمد والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير ان الله تعالى أنبأ فى ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكا بقوله وجعلكم ملوكا ولم يقل وجعل فيكم ملوكا كما قال جعل فيكم أنبياء فلما عمم الملك فيهم ولا شك ان الملك المعهود وهو الاستيلاء العام لم يثبت لكل أحد منهم فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتا لجميعهم أو لاكثرهم من الابعاض المذكورة هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك والله أعلم وهذا المعنى وان لم يثبت لكل واحد منهم الا انه كان ثابتا لملوكهم وهم منهم اذ اسرائيل الاب الاقرب يجمعهم فلما كانت ملوكهم منهم وهم

أقربائهم وأشياعهم وملتبسون بهم جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة والمعنى مفهوم وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفا فى قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وما بالعهد من قدم (فان قلت) فلم لم يقل اذ جعلكم أنبياء لأن الانبياء منهم كما قلت فى الملوك (قلت) النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشارك الملك فى كثير مما به صار الملك ملكا ولا كذلك النبوة فان درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته فى مزيتها ٢٥٢ وخصوصيتها ونمتها فهذا هو سر تمييز الانبياء وتعميم الملوك والله أعلم * قوله تعالى قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها الى قوله فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون

مالم يؤت أحدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى

ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق (مالم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل أراد عالمى زمانهم (الارض المقدسة) يعنى أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (كتب الله لكم) قسمها لكم وسماها أو خط فى اللوح المحفوظ أنها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم فى دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم * فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة * الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد (قال رجلان) هما كالب ويوشع (من الذين يخافون) من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم (أنعم الله عليهما) بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب (فان قلت) ما محل أنعم الله عليهما (قلت) ان انتظم مع قوله من الذين يخافون فى حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له * (فان قلت) من أين علما أنهم غالبون (قلت) من جهة اخبار موسى بذلك وقوله تعالى كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله فى نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى فى قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم (لن ندخلها) نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التأكيد المؤيس و(أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول و(ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الارادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصد ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التى عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم فى قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون (قال رب انى لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسى وأخى) وهذا من

البث

(قال يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله يريد الزمخشرى سألوا رؤية الله جهرة وهى محال عقلا تعنتا منهم وقد مر له ذلك وبينا ان تلبسهم بذلك كان لعدم فهم الاعيان به على التعيين اقتراحا وتقاعسا عن الحق فى قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * عاد كلامه (قال قال رب انى لا أملك الا نفسى لنصرة دينك الخ) قال أحمد وفى قول موسى عليه السلام ليلة الاسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام انى جربت بنى اسرائيل وخبرتهم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وتكرره هذا القول مرارا مصداق لما ذكره الزمخشرى وأما ان كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب وكانا من العماليق الذين خافهم بنو اسرائيل ويكون معنى يخافون أى يخافهم بنو اسرائيل فالضمير على هذا يرجع الى بنى اسرائيل والعائد محذوف

البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما أجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر في اعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير في اني بمعنى ولا أملك الا نفسي وان أخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كأنه قيل أنا لا أملك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار (فان قلت) أما كان معه الرجلان المذكوران (قلت) كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني (فافرق) فافصل (بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين (فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني أن يراد فانها محرمة عليهم أربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وان الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة أحد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها * والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى (يتيهون في الارض) يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وأمسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله (فان قلت) فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون (قلت) كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه (فان قلت) هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام (قلت) اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي أن هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم * هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل (بالحق) تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو تلاوة ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق و (اذ قربا) نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك

وهو المفعول فعلى هذا لاشك ان هذين الرجلين ليسا من بني اسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة وانما عنى موسى عليه السلام اني لا أملك من بني اسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد الا نفسي وأخي والله أعلم

* قوله تعالى انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (قال ان قلت كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه الخ) قال أحمد وهذا من دسه للمعتقد الفاسد فى بيان كلامه والفاسد من هذا اعتقاده ان فى الكائنات ما ليس مراد الله تعالى وتلك القبائح بجملتها فانها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية وهذا هو الشرك الخفى فاياك ان تحوم حول شركه والعياذ بالله فاما ارادته لاثم أخيه وعقوبته فمعناه انى لا أريد أن أقتلك فأعاقب ولما لم يكن بد من ارادة أحد الامرين اما اثمه بتقدير ان يدفع عن نفسه فيقتل أخاه واما اثم أخيه بتقدير ان يستسلم وكان غير مريد للاول اضطر الى الثانى فلم يرد اذا اثم أخيه لعينه وانما أراد أن الاثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ولم يكن حينئذ مشروعية ٢٥٤ فلزم من ذلك ارادة اثم أخيه وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة ومعناها ان يبوء الكافر بقتله وبما عليه فى ذلك من الاثم ولكن لم يقصد هو اثم الكافر لعينه وانما أراد أن يبذل نفسه فى سبيل الله رجاء اثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا والذى يدل على ذلك انه لا فرق فى حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالايمان فيحبط عنه اثم القتل الذى به كان الشهيد شهيدا أعنى بقى الاثم على قاتله أو حبط عنه اذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ولو كان اثم الكافر بالقتل مقصود الاختلف التمنى باعتبار بقائه واحباطه فدل على انه أمر لازم تبع لا مقصود والله أعلم * عاد كلامه (فان قلت لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل الخ) قال أحمد وانما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث ان صيغة الفعل لا تعطى سوى حدوث معناه عن الفاعل لا غير واما اتصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون قام زيد فهو قائم فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئا عن صدوره منه ولهذا المعنى قوله تعالى لتكونن من المرجومين عدولا عن الفعل الذى هو لانرجمنك الى الاسم تغليظا يعنون انهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة ولا يقتصرون على مجرد ايقاعها به

قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين

اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب * (فان قلت) كيف كان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) جوابا لقوله لاقتلنك (قلت) لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك) أن تحتمل اثم قتلى لك لو قتلتك واثم قتلك لى (فان قلت) كيف يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى (قلت) المراد بمثل اثمى على الاتساع فى الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم على أن البادى عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا أن الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه ألا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم (فان قلت) فحين كف هابيل قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا فى شريعته من الدفع فأين الاثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان (قلت) هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كأنه قال انى أريد أن تبوء بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وقيل باثمى باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك (فان قلت) فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار (قلت) كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألا ترى الى قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) واذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب (فان قلت) لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط (قلت) ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم

(فبعث

(فبعث الله غرابا) روى أنه أول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة (قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) ويروى أنه لما قتله اسودّ جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك وروى أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (ليريه) ليريه الله أو ليريه الغراب أى ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سوأة أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال * يا لقوم للسوأة السوآء * أى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها (فأوارى) بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أوارى أو على التسكين فى موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله

وأهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل أنا آجله

كأنك اذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعلته وأوجبته ويدل عليه قولهم من جرّاك فعلته أى من أن جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور أى من أن جنى ذلك القتل الكتب وجره (كتبنا على بنى اسرائيل) ومن لابتداء الغاية أى ابتدأ الكتب نشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجارّ وايصال الفعل قال * أجل أن الله قد فضلكم * وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها (بغير نفس) بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص (أو فساد) عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد (فى الارض) وهو الشرك وقيل قطع الطريق (ومن أحياها) ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فان قلت) كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم (قلت) لان كل انسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع فى ذلك (فان قلت) فما الفائدة فى ذكر ذلك (قلت) تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى أراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شئ سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا (بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجئ الرسل بالآيات (لمسرفون) يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته (يحاربون الله ورسوله) يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته (ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين أو لان سعيهم فى الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فأوحى اليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن أفرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما * ومعناه (أن يقتلوا) من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) ان أخذوا المال (أو ينفوا

فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا

*قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (قال وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا أعمى
البصر أعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار الخ) قال أحمد فى هذا الفصل من كلامه وتشدقه بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما
لا يقولون به من الاخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمى الكبد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه ولسنا بصدد
تصحيح هذه الحكاية ولا وقف الله صحة العقيدة على صحتها *قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية (قال رفعهما على الابتداء
والخبر محذوف عند سيبويه كأنه الخ) ٢٥٦ قال أحمد المستقرأ من وجوه القرا آت ان العامة لا تتفق فيها أبدا على العدول عن الافصح
وجدير بالقرآن أن يجرى على أفصح الوجوه وان لا يخلو
من الافصح وما يشتمل
عليه كلام العرب الذى لم يصل أحد منهم الى ذروة فصاحته ولم يتعلق باهدابها وسيبويه
يحاشى من اعتقاد عراء القرآن عن الافصح واشتماله على الشاذ الذى لا يعد من القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على
هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل قال سيبويه فى ترجمة باب الامر والنهى بعد ان ذكر المواضع التى يختار فيها
النصب وملخصها انه متى بنى الاسم على فعل الامر فذاك موضع اختيار النصب ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيه النصب
وأما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا الآية وقوله الزانية والزانى فاجلدوا فان هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثال
قوله مثل الجنة التى وعد المتقون ثم قال بعد فيها أنهار فيها كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآى عن المواضع التى بين اختيار النصب فيها ووجه
التمييز بان الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنيا على الفعل وأما فى هذه الآى فليس بمبنى عليه فلا يلزم فيه اختيار النصب

من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

من الارض) اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعى ان الامام مخير بين هذه العقوبات
فى كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفى الحبس عند أبى حنيفة وعند الشافعى النفى من بلد الى بلد لا يزال
يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد فى أقصى تهامة وناصع وهو بلد
من بلاد الحبشة (خزى) ذل وفضيحة (الا الذين تابوا) استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما
حكم القتل والجراح وأخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن على رضى الله عنه أن الحرث
ابن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة * الوسيلة كل ما يتوسل به أى
يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى
وأنشد للبيد أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذى لب الى الله واسل
(ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن
النبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما فى حيزه خبر ان (فان قلت) لم وحد الراجع فى قوله ليفتدوا
به وقد ذكر شيآن (قلت) هو نحو قوله * فانى وقيار بها لغريب * أو على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كأنه
قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو فى ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه (فان قلت) فبم ينصب
المفعول معه (قلت) بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت أن لهم ما فى الارض * قرأ أبو واقد أن
يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الازرق
قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم
بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم
وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهر أعضاده من
قريش وأنضاده من بنى عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله أحد من
أهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية (والسارق والسارقة) رفعهما على
الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أى حكمهما ووجه آخر
وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذى
سرق والتى سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد
صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله
والسارقون

عاد كلامه قال وانما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخبارا وقصصا فكأنه قال ومن القصص مثل الجنة فهو محمول على هذا الاضمار والله أعلم وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه سورة أنزلناها وفرضناها قال في جملة الفرائض الزانية والزاني ثم جاء فاجلدوا بعد ان مضى فيهما الرفع يريد سيبويه لم يكن الاسم مبنيا على الفعل المذكور بعد بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئا عاد كلامه قال كما جاء وقائلة خولان فانكح فتاتهم * فجاء بالفعل بعد ان عمل فيه المضمر وكذلك والسارق والسارقة وفيما فرض عليكم السارق والسارقة فانما دخلت هذه الاسماء بعد قصص وأحاديث وقد قرأ أناس السارق والسارقة بالنصب وهو في العربية على ماذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة الا الرفع يريد سيبويه ان قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنيا على الفعل غير معتمد على متقدم فكان النصب قويا بالنسبة الى الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدم وليس يعني انه قوي بالنسبة الى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم فانه قد بين ان ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه والباب مع القراءتين مختلف وانما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل والرفع متعين لا أقول أرجح حيث بنى الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص

والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشرع من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم (جزاء) و (نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) من بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتفصي عن التبعات (فان الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه (من يشاء) من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له الى الاسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة (فان قلت) لم قدم التعذيب على المغفرة (قلت) لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة * قرئ ولا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (في الكفر) أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شئ اذا وجدوا فرصة لم يخطؤها و (آمنا) مفعول قالوا و (بأفواههم) متعلق بقالوا لا بآمنا (ومن الذين هادوا) منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى (سماعون للكذب) قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الاحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

وأخبار ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه الى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الامر خبره كما أعربه الزمخشري

فالمخلص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الامر والرفع على وجهين أحدهما ضعيف وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل والآخر قوي بالغ كوجه النصب وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع واحدهما قوي والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيبويه رضي الله عنه والله تعالى أعلم *قوله تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير (قال فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة الخ) قال أحمد هو مبني على ان المراد بالمغفور لهم التائبون وبالمعذبين السراق ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة الا بقيد التوبة لان غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له فلذلك ينزل الاطلاق على المتقدم ذكره ونحن نعتقد ان المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة حتى ان من جملة ما يدخل في عموم قوله ويغفر لمن يشاء السارق الذي لم يتب وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لان السياق للوعيد فناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم

* قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم الآية (قال معنى ومن يرد الله فتنته ومن يرد تركه مفتونا الخ) قال أحمد رحمه الله كم يتلجلج والحق أبلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة السنة في ان الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر لا كما تزعم المعتزلة من أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد وأراد من كل أحد الايمان وطهارة القلب وان الواقع من الفتن على خلاف ارادته وان غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع فحسبهم هذه الآية وأمثالها لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وما أبشع صرف الزمخشري هذه الآية عن ظاهرها بقوله لم يرد الله ان يمنحهم ألطافه لعلمه ان ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع فلطف من ينفع وارادة من تنجع * وليس وراء الله للمرء مطمع *

يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها

السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر (يحرفون الكلم) يميلونه ويزيلونه (عن مواضعه) التي وضعه الله تعالى فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع (ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه (فخذوه) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) تركه مفتونا وخذلانه (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيأ (أولئك الذين لم يرد الله) أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم * السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به * قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيأ أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية (فلن يضروك شيأ) لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه (بالقسط) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم (وكيف يحكمونك) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم

* قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار الآية (قال قوله اسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح الخ) قال أحمد وانما بعثه على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح ان الانبياء لا يكونون الا متصفين بها فذكر النبوة يستلزم ذكرها فمن ثم حملها على المدح وفيه نظر فان المدح انما يكون غالبا بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمن دونه والاسلام أمر عام يتناول أمم الانبياء ومتبعيهم كما يتناولهم ألا ترى انه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلا مسلما فان أقل متبعيه كذلك فالوجه والله أعلم ان الصفة قد تذكر للعظم في نفسها ولينوه بها اذا وصف بها عظيم القدر كما يكون تنويها بقدر موصوفها فالحاصل أنه كما يراد اعظام الموصوف بالصفة العظيمة قد يراد اعظام الصفة بعظم موصوفها وعلى هذا الاسلوب جرى وصف الانبياء بالصلاح في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وامثاله تنويها بمقدار الصلاح اذ جعل صفة الانبياء وبعثا لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته وكذلك قيل في قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فاخبر عن الملائكة المقربين بالايمان تعظيما لقدر الايمان وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين في هذه الصفة والا فمن المعلوم ان الملائكة مؤمنون ليس الا ولهذا قال ويستغفرون للذين آمنوا يعني من البشر لثبوت حق الاخوة في الايمان بين الطائفتين فكذلك والله أعلم جرى وصف الانبياء في هذه الآية بالاسلام تنويها به ولقد أحسن القائل في أوصاف الاشراف والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام

فلئن مدحت محمدا بقصيدتي * فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والاسلام وان كان من أشرف الاوصاف اذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حقه الا ان النبوة أشرف وأجل لاستعمالها على عموم الاسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة فلو لم يذهب الى الفائدة المذكورة في ذكر الاسلام بعد النبوة في سياق المدح لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصيح وهو الترقي من الادنى الى الاعلى لا النزول على العكس ألا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهيع في قوله

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

فنزل عن الشمس الى الهلال وعن الدر الى الزبرجد في سياق المدح فمضغت الالسن غرض بلاغته ومزقت اديم صيغته فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق فهمنا باهداب علوها في البلاغة المعهود لها والله الموفق للصواب

هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها

كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم * (فان قلت) فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب (قلت) اما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره (فان قلت) لم أنثت التوراة (قلت) لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب (فان قلت) علام عطف ثم يتولون (قلت) على يحكمونك (فيها هدى) يهدى للحق والعدل (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد باجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا (للذين هادوا) مناد على ذلك (والربانيون والاحبار) والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم اياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والاصدقاء (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل

الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقرّ فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا * في مصحف أبي وأنزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ أن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (و) كذلك (العين) مفقوءة (بالعين) (والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مصلومة (بالاذن والسنّ) مقلوعة (بالسنّ والجروح قصاص) ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيآته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله ابن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارة له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقولك تعالى فأجره على الله وترغيب في العفو * قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء (فان قلت) فأين المفعول الاول في الآية (قلت) هو محذوف والظرف الذي هو (على آثارهم) كالساد مسده لانه اذا قفى به على أثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا * وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر (ومصدقا) عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الاحكام (فان قلت) فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم (قلت) أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروى في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الامر على أن أن موصولة بالامر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الانجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الانجيل وقيل ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة * (فان قلت) أي فرق بين التعريفين في قوله (وأنزلنا اليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) (قلت) الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن (ومهيمنا) ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين * ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا

أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله

(لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه
(ولكن) أراد (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد
اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون
الشبه وتفرطون في العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (الى الله مرجعكم) استئناف في معنى
التعليل لاستباق الخيرات (فينبئكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم
وعاملكم ومفرطكم في العمل *(فان قلت) (وأن احكم بينهم) معطوف على ماذا (قلت) على الكتاب
في قوله وأنزلنا اليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا اليك أن احكم على أن أن وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال
ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم (أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)
أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود
كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما
يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع
ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم
التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد *أو يرتبط بعض النفوس حمامها*
أراد نفسه وانما قصد تفخيم شأنها بهذا الابهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير
يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض (لفاسقون) لمتمردون في الكفر معتدون
فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) فيه
وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا اليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني
أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر
عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله تعالى وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان
حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على
بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على
الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا وعن
الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة
أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا
بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام *اللام في قوله (لقوم يوقنون) للبيان كاللام في
هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن
حكما منه* لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين
ثم علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض) أي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما
لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم (ومن يتولهم منكم فانه) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه
قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ أهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا
تدنوهم اذ أقصاهم الله وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب
أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره (ان الله لا يهدي القوم
الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم (يسارعون فيهم)

لجعلكم أمة واحدة
ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم فاستبقوا
الخيرات الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون
وأن احكم بينهم بما
أنزل الله ولا تتبع
أهواءهم واحذرهم أن
يفتنوك عن بعض
ما أنزل الله اليك فان
تولوا فاعلم أنما يريد الله
أن يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا من
الناس لفاسقون
أفحكم الجاهلية يبغون
ومن أحسن من الله
حكما لقوم يوقنون
يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم
ان الله لا يهدي القوم
الظالمين فترى الذين
في قلوبهم مرض
يسارعون فيهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة

يتكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أى صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من يهود كثيرا عددهم وانى أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى انى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم باظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب (ويقول الذين آمنوا) قرئ بالنصب عطفا على أن يأتى وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أى ويقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة والشأم كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا (فان قلت) لمن يقولون هذا القول (قلت) اما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص (أهؤلاء الذين أقسموا) لكم باغلاظ الايمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما أن يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم ولئن قوتلتم لننصرنكم (حبطت أعمالهم) من جملة قول المؤمنين أى بطلت أعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم * وقرئ من يرتد ومن يرتدد وهو فى الامام بدالين وهو من الكائنات التى أخبر عنها فى القرآن قبل كونها وقيل بل كان أهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام أراد فى جاهليتى واسلامى وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشأم ثم أسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى

أمت سجاح ووالاها مسيلمة * كذابة فى بنى الدنيا وكذاب

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدى أبى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه (فسوف يأتى الله بقوم) قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى موسى الاشعرى فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء

فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم

قوله بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فى أبى السعود أبو بكر وهو الصواب اه مصححه

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية (قال) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى أين منها صعقة موسى يوم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات انتهى كلامه (قال أحمد) لا شك أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذى يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذى لا يعدل اليه عن الحقيقة الا بعد تعذرها فلنمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لننظر أهى ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا اذ المحبة لغة ميل المتصف بها الى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة الى مدرك بالحس كلذة الذوق فى المطعوم ولذة النظر واللمس فى الصور المستحسنة ولذة الشم فى الروائح العطرة ولذة السمع فى النغمات الحسنة والى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجرى مجراها فقد ثبت ان فى اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه الا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة برياسة الانسان على أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة واذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة فى معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن واذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة بل واقعة من ٢٦٣ كل مؤمن فهى من لوازم الايمان وشروطه والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت ايمانهم واذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله

يحبهم ويحبونه

بمعناها الحقيقى لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها الا ترى الى الاعرابى الذى سأل عن الساعة فقال له النبى عليه الصلاة والسلام ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام أنت مع من أحببت فهذا الحديث ناطق بان المفهوم من المحبة لله غير الاعمال والتزام الطاعات لان الاعرابى نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك ثم اذا ثبت اجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة فالمحبة فى اللغة اذا تأكدت سميت عشقا فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الاوقات فى ذكره وطاعته فلا يمنع أن تسمى محبته عشقا اذ العشق ليس الا المحبة البالغة وما أردت بهذا الفصل الا تخليص الحق والانصاف لاحباء الله عز وجل من الزمخشرى فانه خلط فى كلامه الغث بالسمين فاطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش فى المتصوفة من غير تحرز منه نسب اليهم ما لا يعبأ بمرتكبه ولا يعد فى البهائم فضلا عن خواص البشر ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافى حال المسمين به حقيقة ان يؤاخذ الصالح بالطالح ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا كما ان علماء الدين قد انتسب اليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا ان الامر أنف وجعلوا لانفسهم شركا فى المخلوقات وفعلوا وصنعوا فلا يسوغ لنا أن نقدح فى علماء أصول الدين مطلقا لانهم قد انتسب اليهم من لا حيلة لهم فى نفيه عن التسمى بنعتهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا شك ان فى الناس من أنكر تصور محبة العبد لله الا بمعنى طاعته له لا غير وهو الذى يحاز اليه الزمخشرى وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين الى انهم جهلوا فانكروا كما ان الصبى ينكر على من تعتقد ان وراء اللعب لذة من جماع أو غيره والمنهمك فى الشهوات والغرام بالنساء تظن ان ليس وراء ذلك لذة من رياسة أو جاه أو شبه ذلك وكل طائفة تسخر بمن فوقها وتعتقد انهم مشغولون فى غير شئ قال الغزالى والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك أن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس (يحبهم ويحبونه) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة (فان قلت) أين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط (قلت) هو محذوف معناه فسوف

يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة (فان قلت) هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في أمر من أمور الدين انكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيأ قط من لوم أحد من اللوام و (ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم أن له لطفا (واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) بمن هو من أهلها * عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة (فان قلت) قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما أولياؤكم (قلت) أصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم *(فان قلت) (الذين يقيمون) ما محله (قلت) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم الا أنهم مفرطون في العمل (وهم راكعون) الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وانها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (فان قلت) كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة (قلت) جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل نواله ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها (فان حزب الله) من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب * روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يودونهما فنزلت * يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة * وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار (واتقوا الله) في موالاة الكفار وغيرها (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (اتخذوها) الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم

*قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون (قال محمود هذا من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه الخ) قال أحمد ومقابله *قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع ضمير الاول ليزيدهم سمة الظلم الى الخسران

على

على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (لا يعقلون) لان لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لاعقل لهم * قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) (فان قلت) علام عطف قوله وان أكثركم فاسقون (قلت) فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا الا الايمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا * وروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وان أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم أنا على الحق وانكم على الباطل الا أن حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا (ذلك) اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله و(من لعنه الله) في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر * وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة (فان قلت) المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة (قلت) وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه فبشرهم بعذاب أليم (فان قلت) المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة (قلت) كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الاسلام في زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لبينى ان أمكم * أمة وان أباكم عبد

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للاضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمر اذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله (فان قلت) كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الله اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم (أولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا)

لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك من مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم

الآية (قال وعبد الطاغوت عطف على صلة من الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال يلزم القدرية لانهم يزعمون ان الله تعالى انما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبائح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته فلذلك يضطر الزمخشري الى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم وكذلك أول قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار بمعنى حكمنا عليهم بذلك هذا مقتضى قاعدة القدرية وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقا فالآية على ظاهرها والله تعالى هو الذي أشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واذا روجع القدري في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي

يستروح الى التأويل به لم يقدر منه على حقيقة ولم يفسره بغير الخلق ان اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء والتذبذب مع الاهواء والله ولي التوفيق * قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (قال المجروران حالان أي دخلوا كافرين الخ) قال أحمد وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لايجاد حالهم في الكفر أي وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر كما تقول لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو أي على حاله وفي المثل وعبد الحميد عبد الحميد أي حالته باقية والله أعلم * قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (قال الاثم الكذب الخ) قال أحمد وقوله عن قولهم الاثم يدل على ان الاثم الاول مقول فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقا ويحتمل أن يراد كلمة الشرك واستدلال الزمخشري على ان المراد الكذب لا يتم وانما يدل على أنه مقول فيحتمل الامرين

والله أعلم * عاد كلامه (قال جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل الخ) قال أحمد يعني انه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل

والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

في قوله لبئس ما كانوا يعملون وعبر عن ترك الانكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله لبئس ما كانوا يصنعون كان هذا الذم أشد لانه جعل المذموم عليه

جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز * نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك * وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر * وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم * الاثم الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم * والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (لبئس ما كانوا يصنعون) كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معها الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان أشد حالا من المواقع ولعمري أن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها * غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يده وبسطها وقبضها ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها * ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به (فان قلت) قد صح أن قولهم (يد الله مغلولة) عبارة عن البخل فما تصنع بقوله (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق ما تقدمه والا تنافر

صناعة لهم وللرؤساء وحرفة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم هذا مراده والله أعلم * قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان الآية (قال غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود الخ) قال أحمد والنكتة في استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبا ولا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الايضاح والانتقال من المعنويات الى المحسوسات والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت قد صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل الخ) قال أحمد لقد نقص فضيلته التي أوردها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة في ان الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيأ مما نعاه عليهم وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لانه لم يرده منهم ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتأويل والتمسك بالاباطيل والحق ان الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم

الكلام

والقبض في أيديهم فهو الداعي والخالق لا خالق الا هو يخلق لهم البخل و يتقدس عنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن الا من حيث علم البيان فانه فيه أفرس الفرسان لا يجارى في ميدانه ولا يمارى في بيانه * عاد كلامه (قال فان قلت لم ثنيت اليد في يداه مبسوطتان وهي مفردة في قولهم يد الله الخ) قال أحمد ولما كان المعهود في العطاء أن يكون باحدى اليدين وهي اليمين وكان الغالب على اليهود لعنت اعتقاد الجسمية جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء فبين الله تعالى كذبهم في الامرين في نسبة البخل وفي اضافته الى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية بان ينسب الى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط و بأن اضافه الى اليدين جميعا الا ان كلتا يديه يمين كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية اذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت احدى اليدين يمينا والاخرى شمالا ضرورة فلما اثبت ان كلتيهما يمين نفي الجسمية وأضاف الكرم اليهما لا كما يضاف في الشاهد الى اليد اليمنى خاصة

ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم

الكلام وزل عن سننه (قلت) يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لان السب أصله القطع (فان قلت) كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد (قلت) المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم (فان قلت) لم ثنيت اليد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة (قلت) ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك * وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة صرح (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه (وليزيدن) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله (وألقينا بينهم العداوة) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون) ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب) مع ما عددنا من سيآتهم (آمنوا) برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان (لكفرنا عنهم) تلك السيآت ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم) مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيآتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الاطناب (ولو أنهم

اذا الاخرى شمال وليست محلا للتكرم والله أعلم *قوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم

(قال فيه دليل على ان الايمان لا ينجي الخ) قال أحمد هو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعله دليلا على قاعدته في أن مجرد الايمان لا ينجي من الخلود في النار حتى ينضاف اليه التقوى لان الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرطا للتكفير ولادخال الجنة وظاهره انهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة وأنى له ذلك والاجماع والاتفاق من الفريقين اهل السنة والمعتزلة على ان مجرد الايمان يجب ما قبله ويمحوه كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الايمان عقيب دخوله فيه لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة فدل ذلك على ان اجتماع الامرين ليس بشرط هذا ان كان المراد بالتقوى الاعمال وان كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وان قارف الكبائر وحينئذ لا يتم للزمخشري منه غرض وما هذا الا الحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى أو سرق كررها النبي صلى الله عليه وسلم مرارا ثم قال وان رغم أنف أبي ذر لما راجعه

رضي الله عنه في ذلك ونحن نقول وان رغم أنف القدرية * قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين (قال معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه وان لم تفعل معناه وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من البعض فكأنك اغفلت اداءها جميعها كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها كذلك في حكم الشئ الواحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن الى ان قال فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما انه اذا لم تمثل الخ ٢٦٨ قال أحمد وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر الا ان حاصله ان لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة باتحاد المبتدا والخبر حتى لا يزيد الخبر عليه شيأ في الظاهر كقوله

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

فجعل الخبر عن المبتدا بلا مزيد في اللفظ وأراد وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ولكنه أفهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة انها من لوازم شعره في افهام الناس السامعين لاشتهاره بها وانه غني عن ذكرها لشهرتها وذياعها وكذلك أريد في الآية لان عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الافهام انه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول فاستغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الافهام وان كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد وحسن هذا الاسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله وان لم تفعل ولم يقل فان لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية وان كان المعنى واحدا أحسن رونقا وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدا بلفظ الخبر وحق له ان تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك وهذا الفصل كاللباب من علم البيان والله الموفق

أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب

أقاموا التوراة والانجيل) أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وأن يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت أرجلهم (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى و (ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه والروم (بلغ ما أنزل اليك) جميع ما أنزل اليك وأي شئ أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيأ قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالاداء من بعض وان لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها كذلك في حكم شئ واحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت (فان قلت) وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته (قلت) فيه وجهان أحدهما انه اذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها أدنى شئ وان كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم (فان قلت) أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه (قلت) المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا

*قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية (قال فيه الصابئون رفع على الابتدا وخبره محذوف الخ) قال أحمد صدق لاورود للسؤال بهذا التوجيه ولكن ثم سؤال متوجه وهو ان يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لافاد أيضا دخولهم فى جملة المتوب عليهم ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من ان هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس فى الكفر يتاب عليهم فما الظن بالنصارى ولكان الكلام جملة واحدة بليغا مختصرا والعطف افرادى فلم عدل الى الرفع وجعل الكلام جملتين وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الافرادى ويجاب من هذا السؤال بانه ونصبه وعطفه لم يكن فيه افهام خصوصية لهذا الصنف لان الاصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الافرادى وتبقى بقية الاصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك فيجيء كانه مقيس على بقية الاصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لانهم لما استقر بعد الاصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر وفائدة التقديم على الخبران يكون توسط هذا المبتدا المحذوف الخبر بين الجزئين أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضى الكلام وتمامه والله أعلم

انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس (لستم على شئ) أى على دين يعتد به حتى يسمى شيأ لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشئ تريد تحقيره وتصغير شأنه وفى أمثالهم أقل من لا شئ (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفى المؤمنين غنى عنهم (والصابئون) رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا فى شقاق

اى فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (فان قلت) هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها (قلت) لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان (فان قلت) لم لا يصح والنية به التأخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو (قلت) لانى اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل فى محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر لان الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمهما ان فى عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين (فان قلت) فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها (فان قلت) ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم (قلت) فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها أى خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل فى الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو بغاة لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما (فان قلت) فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا (قلت) لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شئ لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار فى مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى الكلام * (فان قلت) كيف قال الذين آمنوا ثم قال (من آمن) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) اما الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه أو من المعطوف عليهم * (فان قلت) فأين الراجع الى اسم ان (قلت) هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء فى موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفى قراءة أبى رضى الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (لقد أخذنا) ميثاقهم بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم)

لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ومن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم

*قوله تعالى وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (قال ان قلت أين جواب الشرط الخ) قال أحمد ومما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهرا في الآية الاخرى وهي توأمة هذه قوله تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فأوقع قوله استكبرتم جوابا ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالانبياء بقتل البعض وتكذيب البعض ولو قدر الزمخشري ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في أخت الآية فقال وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم

فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل

بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فان قلت) أين جواب الشرط فان قوله (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن أن تقول ان أكرمت أخي أخاك أكرمت (قلت) هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم (فان قلت) لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا (قلت) جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها *قرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن (فان قلت) كيف دخل فعل الحسبان على أن التي للتحقيق (قلت) نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم (فان قلت) فأين مفعولا حسب (قلت) سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة (فعموا) عن الدين (وصموا) حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل ف(تاب الله عليهم ثم عموا وصموا) كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك (كثير منهم) بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدا محذوف أي أولئك كثير منهم *لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى (انه من يشرك بالله) في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله (فقد حرم الله عليه الجنة) التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه (وما للظالمين من أنصار) من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله *من في قوله (وما من اله الا اله واحد) للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتي في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان (فان قلت) فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم (قلت) في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة (عذاب أليم) أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية (أفلا يتوبون) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها أن أبرأ الله الابرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق بها

رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبر والسكان أولى لدلالة مثله عليه *عاد كلامه (قال فان قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا الخ) قال أحمد أو يكون حالا على حقيقته لانهم داروا حول قتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وقد قيل هذا الوجه في أخت هذه الآية في البقرة وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضار دون الماضي وتمثيله بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن فأصبحت الى فتصبح تصويرا للحال واستحضارا لها في ذهن السامع ومنه بأني قد لقيت الغول يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران

وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (قال فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر الخ) قال أحمد ومنه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني الى التراخي المعنوي في المراتب * قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قال معناه لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا الخ) قال أحمد يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة ويعني بغلوهم الذي هو حق عنده أنهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الالهية وغلوا في التعديل فنفوا أكثر الافعال

البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا الا صديقة كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه * ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام (كيف نبين لهم الآيات) أي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله * (فان قلت) ما معنى التراخي في قوله ثم انظر (قلت) معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن اعراضهم عنها أعجب منه (ما لا يملك) هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شئ لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر (غير الحق) صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الاهواء والبدع (قد ضلوا من قبل) هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه * نزل الله لعنهم في الزبور (على لسان داود) وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان أهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا) أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشئ آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) ثم قال (لبئس ما كانوا يفعلون) للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الاسلام

وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون

بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها في مفاسد ولان الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها والعدل عندهم أن لا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلوهم في التعديل وهو كما ترى انه كاسد عن التوحيد لانهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقا فالنصارى غلوا فأشركوا ثلاثة والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الآدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب ويعني الزمخشري بأهل البدع والاهواء من عدا الطائفة المذكورة ويعني بغلوهم الباطل اثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق حتى لا خالق سواه ولا مخلوق الا بقدرته وقد ترضى عن شيعته واخوانه وسكت عن ذكر من عداهم ونحن نقول اللهم ارض عمن هو أحق الطوائف برضاك وهذه دعوة أيضا بلا خلاف والله الموفق

قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (قال ان قلت كيف وقع ترك التناهي الخ) قال أحمد وفي هذا التوبيخ الاخبار بأمرين قبيحين أحدهما بأنهم كانوا يفعلون المناكر والآخر انهم كانوا تاركين للنهي عنها أي عن أمثالها في المستقبل ولولا زيادة فعلوه لما صرح بوقوعها منهم ولكان المصرح به ترك النهي عن المنكر عند استحقاق النهي وذلك حين الاشراف على تعاطيه وظهور الامارات الدالة عليه فانتظم ثبوت الامرين جميعا على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الاشعري من ان متعلق النهي فعل وهو الترك خلافا لابي هاشم المعتزلي في قوله ان متعلقه نفي محض وعدم صرف ووجه دلالة الآية على ان متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهي الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل حيث قال لبئس ما كانوا يفعلون أي لبئس الترك للتناهي فعلا كما تقول زيد بئس الرجل فتجعل الرجل واقعا على زيد وقد سمي تركهم للنهي عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنعا فقال لولا ينهاهم الربانيون والاحبار الى قوله لبئس ما كانوا يصنعون وذلك أبلغ في الدلالة على ان متعلق النهي أمر ثابت اذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الاثبات وقد مر هذا التقرير والله الموفق

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة

في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب (فان قلت) كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء (قلت) من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه (فان قلت) ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل (قلت) معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه (ترى كثيرا منهم) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله (ولو كانوا يؤمنون) ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين (أولياء) يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن ايمانهم ليس بايمان (ولكن كثيرا منهم فاسقون) متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون * وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري انهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله * وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين (بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم) قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع شيء وأهداه الى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني * ووصفهم الله برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا

* قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (قال وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الخ) قال أحمد وانما قال الذين قالوا انا نصارى ولم يقل النصارى تعريضا بصلابة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للامر لان اليهود قيل لهم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فقابلوا ذلك بأن قالوا فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والنصارى قالوا نحن أنصار الله ومن ثم سموا نصارى وكذلك أيضا ورد أول هذه السورة ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأسند ذلك الى قولهم والاشارة به الى قولهم نحن أنصار الله لكنه ههنا ذكر تنبيها على انهم لم يثبتوا على الميثاق ولا على ما قالوه من أنهم أنصار الله وفي الآية الثانية ذكر تنبيها على انهم أقرب حالا من اليهود لانهم لما ورد عليهم الامر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود بل قالوا نحن أنصار الله واليهود قالت فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فهذا سره والله أعلم

*عاد كلامه (قال ان قلت ما معنى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ) قال أحمد وهذه العبارة من أبلغ العبارات وأنهاها وهي ثلاث مراتب فالاولى فاض دمع عينه وهذا هو الاصل والثانية محولة من هذه وهي قول القائل فاضت عينه دمعا حولت الفعل الى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الاصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز والثالثة فيها هذا التحويل المذكور ٢٧٣ وهي الواردة في الآية الا انها أبلغ من الثانية باطراح المنبهة على الاصل وعدم نصب التمييز وابرازه في صورة التعليل والله أعلم وانما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الاصل

منه مع التمييز لان التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلا في الاصل في مثل تصبب زيد عرقا وتفقأ عمرو شحما واشتعل الرأس شيبا وتفجرت الارض عيونا فاذا قلت فاضت عينه دمعا فهم هذا الاصل في العادة في أمثاله وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك ألا تراك تقول فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق

للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

(فان قلت) بم تعلقت اللام في قوله (للذين آمنوا) (قلت) بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب* (فان قلت) ما معنى قوله (تفيض من الدمع) (قلت) معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض أن يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا (فان قلت) أي فرق بين من ومن في قوله (مما عرفوا من الحق) (قلت) الاولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدئ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة * وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول (ربنا آمنا) المراد به انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله) انكار استبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في (ونطمع) واو الحال (فان قلت) ما العامل في الحال الاولى والثانية (قلت) العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين * قرأ الحسن فآتاهم الله (بما قالوا) بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب اليه (طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوما لاصحابه فبالغ وأشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي الى طعام ومعه فرقد السنجي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية

*قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم (قال المشار اليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل الخ) قال أحمد بل في هذه الآية وجه لطيف المأخذ في الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك و بيان الاستدلال بها انه جعل ما بعد الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتبرة شرعا حيث أضاف اذا الى مجرد الحلف وليس في الآية ايجاب الكفارة حتى يقال قد اتفق على انها انما تجب بالحنث فتعين تقديره مضافا الى الحلف بل انما نطقت بشرعية الكفارة

فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فرقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه أن الله تعالى أدّب عباده فأحسن أدبهم قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه (ولا تعتدوا) ولا تتعدّوا حدود ما أحل الله لكم الى ما حرّم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك (وكلوا مما رزقكم الله) أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا (حلالا) حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما أمر به وعما نهى عنه * اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله بلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشئ يرى أنه كذلك وليس كما ظنّ وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله (بما عقدتم الايمان) بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى أن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها (من أوسط ما تطعمون) من أقصده لان منهم من يسرف في اطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين * وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها للياء بالالف (أو كسوتهم) عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كاسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تساوون بينهم وبينهم (فان قلت) ما محل الكاف (قلت) الرفع تقديره أو طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم يطعموهم الاوسط (أو تحرير رقبة) شرط الشافعي رحمه الله الايمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوّزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل (فان قلت) ما معنى أو (قلت) التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب (فمن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة أبيّ وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم) ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى (اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الايمان

ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم

ووقوعها على وجه الاعتبار اذ لا يعطي قوله ذلك كفارة أيمانكم ايجابا انما يعطي صحة واعتبارا والله أعلم وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا وان كانت اليمين على بر والاقوال الثلاثة في مذهب مالك الا ان القول المنصور هو المشهور * عاد كلامه (قال واحفظوا أيمانكم أي فبروا فيها الخ) قال أحمد وفي هذا التأويل اشعار بان الشارع في صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالاحوط فارشده الله الى حفظ اليمين لئلا يفضي أمره الى

أن يلزم في ظاهر الامر على وجه الاحتياط مالم يصدر منه في علم الله تعالى كالذي يحلف بالطلاق و ينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور و يحتمل أن يكون في علم الله تعالى انه انما حلف بالطلاق مطلقا فارشد الى الحفظ لئلا يجره النسيان الى هذا التشديد والمراد بالأيمان كل ماينطلق عليه يمين سواء كان حلفا بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكما والله أعلم * قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (قال أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها الخ)

التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم و يسهل عليكم المخرج منه * أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا * (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه (قلت) الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان (فان قلت) لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخرا (قلت) لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب و بين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر * وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا (واحذروا) وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة و يجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول (فان توليتم فاعلموا) أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم * رفع الجناح عن المؤمنين في أي شئ طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها (اذا ما اتقوا) ما حرم عليهم منها (وآمنوا) وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه (ثم اتقوا وآمنوا) ثم ثبتوا على التقوى والايمان (ثم اتقوا وأحسنوا) ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر و يأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في أي شئ طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى ان أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل * نزلت عام

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم

قال أحمد و يجوز عود الضمير الى الرجس الذي انطوى على سائر ماذكر والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب الخ) قال أحمد و يرشد الى ان المقصود الخمر والميسر خاصة لانهم انما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الاخرى وهي قوله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فخصهما بالذكر ولم يثبت النهي عنهما فلذلك ورد أن قوما تركوهما لما فيهما من الاثم وقوما بقوا على تعاطيهما لما فيهما من المنافع ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي والله أعلم

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (قال ان قلت ما معنى ٢٧٦ التقليل والتصغير الخ) قال أحمد وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر لانه صبر على عظيم فقول الزمخشري

الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء فالوعيد لاحق به *(فان قلت) ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشئ من الصيد (قلت) قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلى به أهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه * وقرأ ابراهيم يناله بالياء (حرم) محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح * والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لاحرامه أو عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فاذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ (فان قلت) فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية (قلت) لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيأ أخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان (فجزاء مثل ما قتل) برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول أبي حنيفة رحمه الله * (فان قلت) فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله (من النعم) وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة (قلت) قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالاطعام أو بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية ألا ترى الى قوله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم * وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد اثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل * وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به

ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم

اذا انه قلل وصغر تنبيها على ان هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها والظاهر والله أعلم أن المراد بما أشعر به اللفظ من التقليل والتصغير التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة الى مقدور الله تعالى وانه تعالى قادر على ان يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول وانه مهما اندفع عنهم مما هو أعظم في المقدور فانما يدفعه عنهم الى ما هو أخف وأسهل لطفا بهم ورحمة ليكون هذا التنبيه باعثا لهم على الصبر وحاملا على الاحتمال والذي يرشد الى ان هذا مراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن الا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه فيكون أيضا باعثا على تحمله لان مفاجأة المكروه بغتة أصعب والانذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه وحاصل ذلك لطف ذوا

ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الامام (هديا) حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به * ووصف هديا (بالغ الكعبة) لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم * (فان قلت) بم يرفع (كفارة) من ينصب جزاء (قلت) يجعلها خبر مبتدا محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه ان يجزى جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزى * وقرئ أو كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس * وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشئ ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عادل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل و (ذلك) اشارة الى الطعام (وصياما) تمييز للعدل كقولك لى مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد الى الحكمين (ليذوق) متعلق بقوله فجزاء أي فعليه ان يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام * والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفى الله عما سلف) لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما (ومن عاد) الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي (فينتقم الله منه) ينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة (صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ٣ يأكلون طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر عليهما السلام * وقرئ وطعمه * وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شئ يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لاجله (فان قلت) ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر (قلت) قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح

هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام

في القضاء فسبحان اللطيف بعباده واذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا وجد المندفع عنه منها أكثر الى ما لا يقف عند غاية فنسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور *قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (قال اختلف في المراد بالتحريم الخ) قال أحمد وتخصيص عموم الآية لازم على كلا الطائفتين لان مالكا رضي الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر اذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلا بد اذا على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص غاية ذلك ان صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة

٣(قوله لتنائكم) التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام اه سعد بزياده

تكون أكثر منها على مذهب مالك لانه يجزأ كل ما صاده الحلال من أجل المحرم كما نقله عنه فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة والله أعلم * قوله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد الآية (قال معنى قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم الخ) قال أحمد وفي هذه الآية ما يبعد تأويلين من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد فان حمل القلائد ثم على ظاهرها وتأويل صرف الاحلال الى مواقعها من المقلد كقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها يريد مواقع الزينة والنهي عن احلال القلائد يشبه كأنه قال لا تحلوا قلائدها فضلا عنها متعذر في هذه الآية لانها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الامور المعدودة وقد خص المنة بالبدن في قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الاعلى الى الادنى حتى يقع الامتنان بالمقلد ثم بالقلائد بل ذلك لائق في سياق النهي ان يخرج من النهي عن الاعلى الى التشديد بالنهي عن الادنى وأما التأويل الآخر وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الاحلال المنهي عنه اليها حقيقة أي لا تتعرضوا للقلائد ولا تنتفعوا بها كما قال عليه الصلاة والسلام ألق قلائدها في دمها وخل بين الناس وبينها فيتعذر أيضا بما بعد به الذي قبله

وأما التأويل الثالث وهو حملها على ذوات القلائد فلائق بالاثنين فيتعين المصير اليه ومن ثم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواه ووجه صلاحيته وظهوره فيهما ان الغرض في سياق النهي افراده بالذكر وتخصيصه بالنهي بعد ان اندرج مع غيره في النهي فكأنه نهي بهما عنه لخصوصيته مرتين والغرض في سياق الامتنان أيضا ذلك وهو تكرير المنة به مندرجا في العموم ومخصوصا بالذكر وأيضا فيليق في الامتنان الترقي من الادنى الى الاعلى بخلاف النهي والله أعلم * قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث الآية (قال البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ثبت شرعا ان أكثر أهل الجنة من هذه الامة وقد اعترف القدرية انهم قليل فيها وشذوذ بالنسبة الى من عداهم من الطوائف والامر بهذه المثابة وهم أيضا يعتقدون انهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لا غيرهم اذ كل من عداهم على طمعهم الفاسد مخلد في النار مع الكفار فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة وحاشا لله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب ومن هم المعتزلة حتى يترامى طمعهم على هذا الحد وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزمخشري من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلي من قبيل القول بان المراد في قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أهل الحديث وأصحاب الرأي يعني الحنفية وقد أغلظ في تفسير هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع وها هو قد ابتدع قريبا منه في حمله الطيب في هذه الآية على الفريق المعتزلي بل والله شرا من تلك المقالة لانه جعل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية نعوذ بالله من ذلك ونبرأ من تجريه على السلف والخلف

قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شئ عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم

كما يجيء الصفة كذلك (قياما للناس) انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم (والهدى والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس أو الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم) كل شئ وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم (شديد العقاب) لمن انتهك محارمه (غفور رحيم) لمن حافظ عليها (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط * البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم (فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل

وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وكما قيل

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين * الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان أفتاكم

بهاوكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ماروى أن سراقة بن مالك أوعكاشة بن محصن قال يارسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسئلته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك مايؤمنك ان أقول نعم والله لوقلت نعم لوجبت ولو وجبت مااستطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن) وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم يوحى اليه * تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التى تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفى الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لايعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته * (فان قلت) كيف قال لاتسألوا عن أشياء ثم قال (قد سألها) ولم يقل قد سأل عنها (قلت) الضمير فى سألها ليس براجع الى أشياء حتى تجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسئلة التى دل عليها لاتسألوا يعنى قد سأل قوم هذه المسئلة من الاوّلين (ثم أصبحوا بها) أى بمرجوعها أو بسببها (كافرين) وذلك أن بنى اسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فاذا أمروا بها تركوها فهلكوا * كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى (ما جعل) ماشرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك * ولكنهم بتحريمهم ما حرّموا (يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون فى تحريمها كبارهم * الواو فى قوله (أولو كان آباؤهم) واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) والمعنى أن الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة * كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم (عليكم أنفسكم) وما كلفتم من اصلاحها والمشى بها فى طرق الهدى (لا يضرّكم) الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على مافيه الفسقة من الفجور والمعاصى ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكرات من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتى زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهى على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن أبى ثعلبة الخشنى أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا مارأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وان من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع * وقرئ لا يضرّكم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبى حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره * ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدا

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا

الذى هو (شهادة بينكم) على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التى ما ينبغى أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (منكم) من أقاربكم و(من غيركم) من الاجانب (ان أنتم ضربتم فى الارض) يعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الاقارب أولى لانهم أعلم باحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى أول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وروى أنه خرج بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاصى وكان من المهاجرين مع عدىّ بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر أو الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدى وقيل هى صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر (ان ارتبتم) اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم فى شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن على رضى الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما * والضمير فى (به) للقسم وفى (كان) للمقسم له يعنى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم فى صدقهم وأمانتهم أبدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوّض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا * وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى (فان قلت) ما موقع تحبسونهما (قلت) هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما (فان قلت) كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهى مطلقة (قلت) لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت فى بعض أئمة الفقه اذا صلى أخذ فى الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا فى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فان عثر) فان اطلع (على أنهما استحقا اثما) أى فعلا ما أوجب اثما واستوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه اناء صاحبهما وأنّ شهادتهما أحق من شهادتهما و(الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أى من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة

شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين

الحال* وقرئ الاولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهم علي وأبي وابن عباس (قلت) معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذي تقدم من بيان الحكم (أدنى) أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان) أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل (واسمعوا) سمع اجابة وقبول (يوم يجمع) بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب على اضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت و(ماذا) منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي اجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم (فان قلت) ما معنى سؤالهم (قلت) توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد* (فان قلت) كيف يقولون (لا علم لنا) وقد علموا بما أجيبوا (قلت) يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكأنه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين * وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله (انك أنت) أي انك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم ان (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق الى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه الهين (أيدتك) قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك (بروح القدس) بالكلام الذي يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى (تكلم الناس) و(في المهد) في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا (وكهلا) الا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام أيده به لتثبيت الحجة (فان قلت) ما معنى قوله في المهد وكهلا (قلت) معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء (والتوراة والانجيل) خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط

أحمد ويكون انتصابه اذا انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه* عاد كلامه (قال أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين الخ) قال أحمد وهو على هذا أيضا مفعول به *عاد كلامه (قال وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي اجابة الخ) قال أحمد والتعظيم في هذا

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين

نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل ما حصل الا بعد التي واللتيا* عاد كلامه (قال وقيل من الهول والفزع يذهلون عن الجواب الخ) قال أحمد وأيضا فالمسؤول عنه اجابتهم عند دعائهم اياهم الى الله لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل والله أعلم* عاد كلامه (قال وقرئ علام الغيوب بالنصب الخ) قال أحمد ويكون هذا من باب* انا أبو النجم وشعري شعري

وقد مر قبل بآيات وانما ذكرت هذه الثلاثة من الاعراب لالتباسها الا على الحذاق وقليل ماهم * قوله تعالى اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم فى قوله واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (قال قلت ماوصفهم بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما الخ) قال أحمد وقيل ان معنى هل يستطيع هل يفعل كما تقول للقادر على القيام هل تستطيع أن تقوم مبالغة فى التقاضى ونقل هذا القول عن الحسن فعلى هذا يكون ايمانهم سالما عن قدح الشك فى القدرة فان استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة فذاك والله أعلم من باب التعبير عن المسبب بالسبب اذ الاستطاعة من جملة اسباب الايجاد

كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه

والحكمة الكلام المحكم الصواب (كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذنى) بتسهيلى (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه فى شئ وكذلك الضمير فى (فتكون * تخرج الموتى) تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتى عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيأ لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (أوحيت الى الحواريين) أمرتهم على ألسنة الرسل (مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (عيسى) فى محل النصب على اتباع حركة الابن كقولك يازيد بن عمرو وهى اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يازيد بن عمرو والدليل عليه قوله

أحار بن عمرو كأنى خمر * ويعدو على المرء ماياتمر

لان الترخيم لايكون الا فى المضموم * (فان قلت) كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد ايمانهم واخلاصهم (قلت) ماوصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم * وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا فى اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ماتشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها (ان كنتم مؤمنين) ان كانت دعواكم للايمان صحيحة * وقرئ هل تستطيع ربك أى هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله * والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهى من ماده اذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها فى موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ماذكروا كدعواهم الايمان والاخلاص وانما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا * وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب (اللهم) أصله ياألله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم و (ربنا) نداء ثان (تكون لنا عيدا) أى يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثنى ويرثنى (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أى لمن فى زماننا من أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفى قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث

يعنى

وعلى عكسه التعبير عن ارادة الفعل بالفعل تسمية للسبب الذى هو الارادة باسم المسبب الذى الفعل فى مثل قوله اذا قمتم الى الصلاة وقد مضى أول السورة وفى هذا التأويل الحسنى تعضيد لتأويل أبى حنيفة حيث جعل الطول المانع من نكاح الامة وجود الحرة فى العصمة وعدمه ان لايملك عصمة الحرة وان كان قادرا على ذلك فتباح له حينئذ الامة وحمل قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات على معنى ومن لم يملك منكم وحمل النكاح على الوطء فجعل استطاعة الملك المنفية هى الملك كما ترى حتى ان القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الامة وقد مضى ذكر مذهبه وكنت أستبعد انهاضه لان يكون تأويلا يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله أعلم

* قوله تعالى ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (قال أن في قوله أن اعبدوا ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر الخ) قال أحمد وقد أجاز بعضهم وقوع ان المفسرة بعد لفظ القول ولم يقتصر بها على ما في معناه فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيرا لفعل القول وقد أبي الزمخشري في مفصله وقوعها الا بعد فعل في معنى القول كمذهبه ههنا * عاد كلامه (قال وأما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل الخ) قال أحمد ويجوز أيضا هذا الوجه على صرف التفسير الى المعنى كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى وكأن الله تعالى قال له مرهم بعبادتي أو قال لهم على لسان عيسى اعبدوا الله رب عيسى وربكم فلما حكاه عيسى عليه السلام قال اعبدوا الله ربي وربكم فكنى عن اسمه الظاهر بضميره كما قال الله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر كيف جاء أول الكلام حكاية لقول موسى وموسى لا يقول فأخرجنا ولكن فأخرج الله فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام اليه تعالى وأضاف الاخراج الى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكي وكذلك قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم الى قوله فأنشرنا به بلدة ميتا ونظائره كثيرة وقد قدمت نحوا من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله لما استبعد الزمخشري ان تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه * عاد كلامه (قال وان جعلت ان موصولة مع فعل الامر الخ) قال أحمد أي فلا يقدر بالعبادة ولكن بالامر بها كأنه قيل ماقلت لهم الا الامر بالعبادة لله والامر مقول لقلت على ان جعل العبادة مقولة ليس ببعيد على طريقة ثم يعودون لما قالوا أي للوطء الذي قالوا فيه قولا يتعلق به وكقوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وسيأتي له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيرا في القرآن الكريم * عاد كلامه (قال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك الخ) قال أحمد وهذا أيضا غير مانع من البدل وانما يواجه المصنف عما لا يسعه انكاره فقد قال في مفصله ما هذا نصه وقولهم ان البدل في حكم تنحية الاول ايذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة في كونهما تتمتين لما يتبعانه لا أن يعنوا اهدار الاول واطراحه ألا تراك تقول زيدا رأيت غلامه رجلا صالحا فلو ذهبت الى اهدار الاول

عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم

بمعنى الامة والجماعة (عذابا) بمعنى تعذيبا * والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت (سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول) قولا لا يحق لي أن أقول (في نفسي) في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل (في نفسك) لقوله في نفسي (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم أحد * أن في قوله (أن اعبدوا الله) ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله وأما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما أمرتني بأن

لم يسندكلامك فانظر كيف يردكلامه في المفصل وهوالحق مالرتكبه من ردالبدل في هذه الآية للزوم طرح الاول فتخلوالصلة من الضمير ولم يجعل هذا القدرمانعافي المثال المذكور مع انك لوطرحت الاوّل لخلاالخبر من الضمير العائدولم يسند الكلام فهذه وجوه أربعة منعها في اعراب أن وكلهامسندة حسب ما بينا وهذه المساجلة في هذا الاعراب من الغرر والجول في صناعة الاعراب وعلم البيان وفرسان هذا المضمار قليل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف يصنع قلت يحمل فعل الخ) قال أحمد هذا التأويل لتوقع ان المفسرة بعد فعل في معنى القول وليس قولا صريحا وحمل القول على الامر مما يصحح المذهب الآخر في اجازة وقوعها بعد القول فانه لولا مابين القول والامر من التفاوت المعنوي لما جاز اطلاق أحدهما وارادة الاخرى والعجب ان الامر قسم من أقسام القول وما بينهما الاعموم وخصوص وليس في هذا التأويل الذي سلكه الا كلفة لاطائل وراءها ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول لان ذلك كالعود الى ماوقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك * عاد كلامه (قال ويجوز أن تكون موصولة الخ) قال أحمد يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير اطراح الاوّل في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد وقد بينا ان ذلك غير لازم في البدل والعجب انه أيضا في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل الا في مثل قول المرار * أنا ابن التارك البكري بشر * لانه لوجعله بدلا للزم تكرير العامل واضافة اسم الفاعل المعرف بالالف واللام الى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى ان المعتمد في عطف البيان الاول وأما الثاني فللتوضيح والمعتمد في البدل الثاني ٢٨٤ وأما الاول فبساط لذكره لا على انه مطرح مهدر * قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير

اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته (فان قلت) فكيف يصنع (قلت) يحمل فعل القول على معناه لان معنى ماقلت لهم الا ما أمرتني به ما أمرتهم الا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل (ان تعذبهم فانهم عبادك) الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز) القوي القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب (فان قلت) المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم (قلت) ماقال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان غفرت فقال ان عذبتهم عدلت لانهم أحقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان الجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن * قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله تعالى يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس * (فان قلت) ما معنى قوله (ينفع الصادقين صدقهم) ان أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان أريد صدقهم

فانك أنت العزيز الحكيم (قال ان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم الخ) قال أحمد رحمه الله تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا الى أهل السنة ولا الى القدرية أما أهل السنة فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلا بل عقاب المتقي المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى واذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي وان كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم الآن وورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي وأما القدرية فيزعمون ان المغفرة للكافر ممتنعة عقلا لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد اذ لو كان الامر كزعمهم لما دخلت كلمة ان المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلا ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال كان يبيض القار وأشباهه وليس هذا مكانه فقول الزمخشري اذا ان يغفر لهم لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لان العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة اذ لا يلتفت عندهم الى التحسين العقلي ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية لانهم يجزمون بانه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر ويقطعون بمنافاتها الحكمة فكيف يخاطب الله تعالى به فعلم ان عيسى عليه السلام يبرأ الى الله من هذا الاطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الادب فان قول القائل لمن يخاطبه ما فعل كذا فان يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الادب انما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة فنسأل الله الهام الادب وتجنب ما في ساءته من مزلات العطب * قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (قال ان قلت ما معناه ان أريد صدقهم في الآخرة الخ) قال أحمد ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة لكان

أوضح طباقا للتفسير قتادة وأخرج لابليس وأشباهه من هذا العموم فان ابليس وان صدق فى الآخرة الا انه لم يكن من الصادقين فى الدنيا فلم ينفعه صدقه فى الآخرة والوجهان متقاربان

﴿القول فى سورة الانعام وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (قال الفرق بين الجعل والخلق ان الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال أحمد وقد وردت جعل وخلق موردا واحدا فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر فى الترادف الا أن للخاطر ميلا الى الفرق الذى أبداه الزمخشرى ويؤيده ان جعل لم يصحب السموات والارض وانما لزمتهما خلق وفى اضافة الخلق فى هذه الآية الى السموات والارض والجعل الى الظلمات والنور مصداق للمميز بينهما والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الخ) قال أحمد وقد سبق للزمخشرى الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاد انه أدل

على الكثرة من الافراد وقد

صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه فى معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة (قلت) معناه الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا فى الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه * (فان قلت) فى السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن (قلت) ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما ألا ترى تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو وقبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

﴿سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهى مائة وخمس وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفى الجعل معنى التضمين كانشاء شئ من شئ أو تصيير شئ شيأ أو نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كم أزواجا أجعل الآلهة الها واحدا (فان قلت) لم أفرد النور (قلت) للقصد الى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أولان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من أجناس الاجرام الاوله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار * (فان قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) اما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت

قدمنا ما فى ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الامة كتابه أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأى الامام أبى المعالى ولو قال

(سورة الانعام مكية وهى مائة وخمس وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله

الزمخشرى ان جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الاجرام وافراد النور لاتحاد الجنس الذى ينشأ عنه وهو النار لكان أولى والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه الثانى نظر من حيث ان عطفه على الصلة يوجب دخوله فى حكمها ولو قال الحمد لله الذى الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستقم لخلو الجملة من العائد ويمكن أن يقال وضع الظاهر الذى هو ربهم موضع المضمر تفخيما وتعظيما وأصل الكلام الذى يعدل به الذين كفروا أو الذى الذين كفروا يعدلون به باتساع وقوعها صلة رعاية لهذا الاصل فهذا انظر من حيث الاعراب ونظيره قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم فيمن جعل ما موصولة لا شرطية فان دخول جاءكم وما بعده فى حكم الصلة يستدعى ضميرا عائدا الى الموصول وهو مفقود لفظا الا ان الظاهر وضع فيه موضع المضمر والاصل ثم جاءكم رسول مصدق له فاستقام عطفه ودخوله فى حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقى فى آية الانعام هذه نظر فى المعنى على الاعراب المذكور وهو انه يصير التقدير الحمد لله الذى الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله أعلم عطفه على أول الكلام لا على الصلة والله الموفق

*قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده (قال ان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب الخ) قال أحمد وليس في ارادة هذا المعنى موجب للتقديم وقد ورد وعنده علم الساعة في سياق التعظيم لها وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر في قوله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون فالظاهر والله أعلم أن التقديم انما كان لان الكلام منقول من كلام آخر وكان الاصل والله اعلم ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده اذ كلاهما مقضى فلما عدل بالكلام عن العطف الافرادي تميزا بين الاجلين رفع الثاني بالابتداء وأقر مكانه من التقديم والله أعلم * قوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (قال في السموات متعلق بمعنى اسم الله الخ) ٢٨٦ قال أحمد وما الآيتان الكريمتان الا توأمتان فان التمدح في آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا من القدرة على الاعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد في الالوهية وفي كونه تعالى المعبود في السموات والارض * عاد كلامه (قال أو وهو المعروف بالالوهية

هذا

أو هو الذي يقال له الله فيهما الخ) قال أحمد وهذه الوجوه كلها كان التعبير وقع فيها باللزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك في قوله

* أنا أبو النجم وشعري شعري * أي المعروف المشهور لانه بنى على أنه متى ذكر شعره فهم السامع عنده ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسج لاشتهاره بذلك فاقتصر على قوله شعري اتكالا على فهم السامع * قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (قال لم يقتصر بهم على الرؤية لئلا الخ) قال أحمد والظاهر أن فائدة زيادة لمسهم له بأيديهم تحقيق القراءة على قرب أي فقرؤه وهو في أيديهم لا بعيد عنهم لما آمنوا والا فالخط لا يدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته ادراكه بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشري

في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان

والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت (فان قلت) المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده (قلت) لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (في السموات) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أو وهو المعروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيهما أو هو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والارض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شئ كأن ذاته فيهما * (فان قلت) كيف موقع قوله يعلم (سركم وجهركم) (قلت) ان أردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب * من في (من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق (لما جاءهم) يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشئ الذي (كانوا به يستهزؤن) وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شئ استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته * مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الارض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله (مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم) والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب أو السحاب أو المطر * والمدرار المغزار * (فان قلت) أي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها (كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في ورق (فلمسوه بأيديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (ان

*قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (قال يعني لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين الخ) قال أحمد لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك فانه ربما يفهم هذا الكلام ان الآيات التي لزمهم الايمان بها دون نزول الملك في الوضوح وليس الامر كذلك فالوجه والله أعلم أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم ايمانهم أنهم اقترحوا ما لا يتوقف وجوب الايمان عليه اذ الذي يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا لا المعجز الخاص فاذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة والله ٢٨٧ أعلم *عاد كلامه (قال) واما لانه بزول الاختيار الذي قاعدة التكليف مبنية عليه

هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض

هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شئ أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بد من اهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد (ولقد استهزئ) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) بهم فأحاط بهم الشئ الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به *(فان قلت) أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا (قلت) جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله (سيروا في الارض ثم انظروا) فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (لمن ما في السموات والارض) سؤال تبكيت و (قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيأ منه الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي أوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والارض * ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شئ بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم وقوله (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أو رفع أي أريد الذين خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم *(فان قلت) كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون (وله) عطف على لله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان *أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ لان الانكار

عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا الملك في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون (قال أحمد) ويقوي هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا من مشاهدة صورته *عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر الخ) قال أحمد وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته *قوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال ان قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا الخ) قال أحمد وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الامر بالسير في المكانين واحدا ليكون ذلك سببا في النظر فحيث دخلت الفاء فلاظهار السببية وحيث دخلت ثم فللتنبيه على ان النظر هو المقصود من السير وان السير وسيلة اليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة والله أعلم

وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون آلله أذن لكم * وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهرى فطر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدعتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهرى أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر (أول من أسلم) لان النبى سابق أمته فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) وقيل لى لا تكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك و (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه تريد فقد أتممت الاحسان اليه أو فقد أدخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أى من يصرف الله عنه ذلك اليوم أى هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبى رضى الله عنه من يصرف الله عنه (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على ادامته أو ازالته (فوق عباده) تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون * الشئ أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال فى الله عز وجل شئ لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام * وأراد أى شهيد (أكبر شهادة) فوضع شيأ مقام شهيد ليبالغ فى التعميم (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بينى وبينكم أى هو شهيد بينى وبينكم وأن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شئ شهادة شهيد له (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أى لانذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم (أئنكم لتشهدون) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون

* قوله تعالى قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهى النجاة من النار الخ) قال أحمد وانما يلجئ الى تخصيص الرحمة اما بكونها العظمى واما برحمة الثواب انه لو بقيت على اطلاقها لما زاد الجزاء على الشرط اذ من المعلوم ضرورة ان صرف العذاب رحمة ما والعجب ان الزمخشرى يصحح تخصيصها برحمة الثواب بان صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد وغيره يصحح هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب فأفاد الجزاء اذا فائدة لم تفهم من الشرط هكذا صححه القرنوى ولعمرى ان قاعدة المعتزلة تلجئ الى ما ذهب اليه الزمخشرى لانقسام المكلفين عندهم الى مستوجب للعنة فالعذاب قطعا ويسندون ذلك الى العقل لا الى السمع * قوله تعالى قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم (قال عليهم الشئ أعم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال أحمد وتفسيره الشئ يخالف الفريقين الاشعرية فانهم فسروه بالموجود ليس الا والمعتزلة فانهم قالوا المعلوم الذى يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما واما هذا البحث فلغوى والتحاكم فيه لاهل اللغة وظاهر قولهم غضبت من لا شئ واذا رأى غير شئ ظنه رجلا ان الشئ لا ينطلق الا على الموجود اذ لو كان الشئ كل ما يصح أن يعلم عدما كان أو وجودا أو ممكنا أو مستحيلا لما صدق على أمر ما انه ليس بشئ والامر فى ذلك قريب

*قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال أحمد وفى الآية دليل بين على أن الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به كذب وان لم يعلم المخبر مخالفة خبره بخبره ألا تراه جعل اخبارهم وتبريهم كذبا مع انه تعالى أخبر انهم ضل عنهم ما كانوا يفترون أى سلبوا علمه حينئذ دهشا وحيرة فلم يرفع ذلك اطلاق الكذب عليهم * قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم

الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا

عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين تكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها الله وقالوا الملائكة بنات وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم (ويوم نحشرهم) ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو داخل فى التخويف (أين شركاؤكم) أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان * وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم فى وقت التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم (فتنتهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنة لانه كذب * وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة و بالياء والتاء مع رفع الفتنة * وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) أى يفترون الهيته وشفاعته (فان قلت) كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطا فى معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعنى فى الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عى واقحام لان المعنى الذى ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدرى ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته يعنى الكعبة ما أدرى ما يقول الا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان انى لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت * والاكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو (حتى اذا جاؤك يجادلونك) هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون اذا جاؤك فى محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه

أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا (قال الاكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه الآية حسبنا

فى رد معتقد القدرية الذين يزعمون ان الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه وانه لم يمنعهم من ذلك ومحال على زعمهم أن منعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه لان ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادى عليهم بالخطا اذ قوله أن يفقهوه معناه كراهة أن يفقهوه وبين الارادة على زعمهم والكراهة على ما أنبأت عنه الآية بون بعيد والله الموفق

بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب (وهم ينهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه ويثبطونهم عن الايمان (وينأون عنه) بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا الى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا (وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته * وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (يا ليتنا نرد) تم تمنيهم ثم ابتدؤا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني (فان قلت) يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا (قلت) هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن اليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هي الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شئ وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم (وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة (فان قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها

قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون

ان هذا الا أساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة

(قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني الخ) قال أحمد وكثيرا ما تتناوب صيغة التمني والخبر ألا ترى الى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة انما كانت تمنيا بصيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى في آية أخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فهذا هو التمني بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق

* قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد فى قد نعلم بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال أحمد ومثلها فى قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فانه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحجة فى جمعهم بين متناقضين اذيته ورسوخ علمهم برسالته والله أعلم ومنه أيضا قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيها على انه بلغ الآية التى ما بعدها الا الرجوع ٢٩١ الى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها * عاد كلامه (قال وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه الى قوله ولكن الظالمين الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من اقامة الظاهر مقام المضمر فذان من نكت البيان احداهما الاسهاب فى ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من حيث كونه ظاهرا حتى لو كان لقبا جامدا والاخرى زيادة منه تؤكد ذمهم تفهم من اشتقاق الظاهر * عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية الخ) قال أحمد رحمه الله ولا دلالة فيه لانه مؤتلف مع نفى التكذيب أيضا وموقعه حينئذ من الفضيلة أبين أى هؤلاء لم يكذبوك فحقك أن تصبر عليهم ولا يحزنك أمرهم واذا كان من قبلك من الانبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فأنت اذ لم يكذبوك أجدر بالصبر فقد ائتلف كما ترى بالتفسيرين جميعا ولكنه من غير الوجه الذى استدل به فيه تقريب لما اختاره وذلك ان مثل هذه التسلية قد وردت مصرحا بها فى نحو قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من الامم لانبيائهم وما هو الا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله أعلم * قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجىء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة (فرطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا جىء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا فى شأنها وفى الايمان بها كما تقول فرطت فى فلان ومنه فرطت فى جنب الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى (ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم * جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعنى ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله (للذين يتقون) دليل على أن ما عدى أعمال المتقين لعب ولهو * وقرأ ابن عباس رضى الله عنه ولدار الآخرة * وقرئ تعقلون بالتاء والياء * قد فى (قد نعلم) بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله

أخا ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

* والهاء فى (انه) ضمير الشأن (ليحزنك) * قرئ بفتح الياء وضمها و(الذى يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لا يكذبونك) قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا فى زعمه وأكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وان هم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى وفى هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا أنه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك لانك عندنا صادق وانما نكذب ما جئتنا به وروى أن الاخنس بن شريق قال لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانونى (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين * كان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (تهدى

بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين

(قال بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه)
قال أحمد وهذه الآية أيضا كافلة بالرد على القدرية في زعمهم ان الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن ألا ترى أن الجملة مصدرة بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع اجتماعهم على الهدى اذا انما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لا يكون الايمان معها اختيارا حتى يتم له ان هذا الوجه من المشيئة لم يقع وان مشيئة اجتماعهم على الهدى على اختيارهم ثابتة غير ممتنعة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياه ومكامنه فاحذرها والله الموفق

وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون

من أحببت (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض) منفذا تنفذ فيه الى ماتحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت ذلك فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الارض أو السلم في السماء هو الاتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ الى ماتحت الارض أو الرقي الى السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت أن تقوم بنا الى فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ماهو خلافه (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى (والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالايمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل * وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شئ من الآيات عنادا منهم (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه أو آية ان جحدوها جاءهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها (أمم أمثالكم) مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم (مافرطنا) ماتركنا وما أغفلنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء * (فان قلت) كيف قيل الا أمم مع افراد الدابة والطائر (قلت) لما كان قوله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال ومامن دواب ولا طير حمل قوله الا أمم على المعنى (فان قلت) هلا قيل ومامن دابة ولا طائر الا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل ومامن دابة قط في جميع الارضين السبع ومامن طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (فان قلت) فما الغرض في ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ

لما

* قوله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شئ (قال ان قلت هلا قيل ومامن دابة ولا طائر الخ)
قال أحمد ولم يبين وجه زيادتها التعميم ولقائل أن يقول يلزم من العموم في أجناس الطير دخول كل طائر في الجو في العموم وان لم يذكر في الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب في سائر أصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الارضين وان لم يذكر في الارض فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول موقع قوله في الارض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام عامة ضرورة المطابقة فكأنه مع زيادة الصفة تظافرت صفتان عامتان والله أعلم

*قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلطف به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعاً لمعتقده الفاسد في ان الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال وأنهما من جملة مخلوقات العباد وكم تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق *قوله تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لا يدع أن يجروا سماً فيوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والاصلح

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا

لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان * وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر * وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف * (فان قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) (قلت) لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون (صم) لا يسمعون كلام المنبه (بكم) لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذاناً بأنهم من أهل الطبع (من يشأ الله يضلله) أي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من أهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي يلطف به لان اللطف يجدي عليه (أرأيتكم) أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت للكاف محلاً لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيداً ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت لان أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله * (فان قلت) ان علقت الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذاناً بأنه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه * البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضر المرض ونقصان الاموال والانفس والمعنى ولقد أرسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلباً لصلاحه (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) واجمون متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم

*عاد كلامه (قال وتنسون ما تشركون أي وتتركون آلهتكم الخ) قال أحمد وانما يلفي الاختصاص حيث يقول معناه أتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل في قوله أغير الله تدعون وقوله بل اياه تدعون وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى اياك نعبد في قوة قولك لا نعبد الا اياك وقد مضى الكلام عليه *عاد كلامه (قال ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون الخ) قال أحمد ولقد سدد النظر لولا انه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وان مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفاً فاحذره وعليك بما سواه فانه من بديع النظر والله الموفق

*قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيرها قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فمن وقف ههنا وجعل الحمد على اهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلا بما بعده من اقامة البراهين على وحدانية الله تعالى وانه جل جلاله خير مما يشركون فعلى الاول يكون الحمد ختما وعلى الثاني فاتحة وهو مستعمل فيهما شرعا ولكنه في آية النمل أظهر في كونه مفتتحا لما بعده وفي آية الانعام ختم لما تقدمه حتما اذ لا يقتضي السياق غير ذلك والله أعلم *قوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون الآية (قال أي لا أدعي ما يستبعد في العقول الخ) قال أحمد رحمه الله هو ينبني على القاعدة المتقدمة له في تفضيل الملائكة على الانبياء ولعمري ان ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك انتهز الفرصة في الاستدلال بها ولمخالفه ان يقول انما وردت الآية ردا على الكفار في قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز الآية فرد قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام بأنه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع انه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام وحينئذ لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الانبياء لانه لا خلاف ان الانبياء يأكلون الطعام وان الملائكة ليسوا كذلك فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها أولا يوجب ٢٩٤ ذلك اتفاقا على ان الملائكة أفضل من الانبياء وكذلك رد قولهم أو يلقى اليه كنز بأنه لا يملك خزائن

والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوي الاعمى والبصير

(والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم * وقرئ فتحنا بالتشديد (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) أي يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة أو بما أخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها * لما كانت البغتة أن يقع الامر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل (بغتة أو جهرة) وعن الحسن ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة (هل يهلك) أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون * وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين) من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة (وأصلح) ما يجب عليه اصلاحه مما كلف * جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا * أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة (هل يستوي الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم

الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به وهذه الآية جاء الترتيب فيها مخالفا الترتيب قوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشري لانهم أعلى من الانبياء وقد أخر ههنا دعوى الملكية عن دعوى الالهية اذ الالهية أجل وأعلى والملكية أدنى ولا محل لذلك الا التمهيد الذي أسلفته وقد جعلت الامر في التقديم والتأخير تبعا للسياق فقد تقتضي البلاغة في بعضه عكس ما تقتضيه في الآخر ولم يحسن الزمخشري في قوله ليس بعد الالهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة فانه جعل الالهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الاطلاق لا يسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذي ينزل الله فيه العبد من علو وغيره فاطلاقها على الالهية تحريف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال والاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي الخ) قال أحمد قوله أو ادعى المحال يعني المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن وذلك مسبب عن دعوى الالهية اذ ادعاؤها لا يجوز عقلا وأما مدعي الملكية فلا يقاس بمدعي الالهية في الاستحالة العقلية ويجوز في القدرة أن يجعل البشر ملكا والملك بشرا كما يجوز أن يجعل البشر انبياء ويدل على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا مع ان العقل يجيزه في قدرة الله تعالى لان الجواهر متماثلة والمعاني القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها

فالمعاني التي بها كان الملك ملكا يجوز أن يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لا يأبى استقامته وإمكانه والله الموفق * قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (قال الذين يخافون اما قوم آمنوا الا انهم مفرطون الخ) قال أحمد وانما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وأنذر به الذين يحشرون لانه لولا الحال لعم الامر بالانذار كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم فهذا الكلام مستقل برأسه ومضمونه تخصيص

المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية أو الملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه (فان قلت) أعلم الغيب محله من الاعراب (قلت) النصب عطفا على قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأنذر به) الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي و(الذين يخافون أن يحشروا) اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى اليه (لعلهم يتقون) أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين واما أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء * وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال * ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بانذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أرادهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها * والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته روى أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قال فاكتب بذلك كتابا فدعا بصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات (ما عليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شئ بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في أعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شئ حتى ضم اليه (وما من حسابك عليهم من شئ) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى أن تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهي

الانذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث اما لانهم مقرون به واما لانهم يحتاطون لانفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضي الى اليقين دون العتاة المصممين على الجحود وليس كل خائف

أفلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين

من البعث لا شفيع له فان الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وان عني باللازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي في قوله وهو الحق مصدقا فانما هو حينئذ يبني على قاعدته في انكار الشفاعة فكل خائف عنده لا شفيع له اذ لا يخاف الا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار والكل عنده سواء لا شفيع لهم وحيث أثبتت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها الا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضيه فهذا عنده لا يخاف من البعث لانه يستوجب الجنة فمن ثم جعل الحال لازمة اذ الناس قسمان غير خائف فلا تتناوله الآية وخائف فذاك انما خاف لانه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دفائنه الخفية ومكامنه المزوية فتفطن لها والله الموفق برحمته

ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم * وقرئ بالغدوة والعشي (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين (أهؤلاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أي أنعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق وممنوناً عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيراً ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي الله أعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام اكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم * وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (انه من عمل منكم) وبالفتح على الابدال من الرحمة (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شئ حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين أشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة * وقرئ (ولتستبين) بالتاء والياء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بما ركب فيّ من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون (من دون الله) وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد اصابة الحق ومجانبة الباطل (قد ضللت اذاً) أي ان اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شئ يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعاً نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتم به) أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان ثابتاً عندك بدليل * ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) في تأخير عذابكم (يقض الحق) أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه (وهو خير الفاصلين) أي القاضين وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره (لو أن عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وامتعاضاً من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعاً (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن * (فان قلت) بم انتصب الحق (قلت) بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولاً به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس

(فان)

*(قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين (قال المفاتح استعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن الخ) قال أحمد اطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا فانه يوهم تجدد وصول بعد تباعد اذ قول القائل توصل زيد الى كذا يفهم انه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف وليس لنا أن نطلق مثل هذا الاطلاق الا عن ثبت والله الموفق * عاد كلامه (قال ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لانه لما عطف على ورقة بعد ان سلف الايجاب المقصود للعلم في قوله الا يعلمها وكانت هذه المعطوفات داخلة في ايجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالايجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة في القرآن التجديد بعبارة أخرى ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير وهذا السر انما ينقب عنه المسيطر في علم البيان ونكت اللسان والله الموفق

الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم

(فان قلت) لم أسقطت الياء في الخط (قلت) اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين * جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فأراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن * ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله (الا في كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح * وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فتقول في أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم (ثم اليه مرجعكم) وهو المرجع الى موقف الحساب (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليلكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شئ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فان قلت) الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء (توفته رسلنا) أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه و(يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل الذي لا يحكم الا بالحق (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (لئن أنجيتنا) على ارادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة * وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم)

* قوله تعالى وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (قال معناه وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي الخ) قال أحمد وهذا التأويل الثاني يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وانه كاف وان لم يرد شرع في التحريم وغيره من الاحكام اذا كانت واضحة للعقل كمجالسة المستهزئين فان قبحها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومبين عليه لا منشئ فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على ان الآية تنبو عنه فانه لو كان النسيان المراد ههنا نسيان الحكم الذي يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهي لما عبر بالمستقبل في قوله وإما ينسينك فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضي والله الموفق

أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع

كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة * والضمير في قوله (وكذب به) راجع الى العذاب (وهو الحق) أي لا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم أمنعكم من التكذيب اجبارا انما أنا منذر (لكل نبإ) لكل شيء ينبأ به يعني أنباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن (يخوضون في آياتنا) في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) فلا بأس أن تجالسهم حينئذ (وإما ينسينك الشيطان) وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم (فلا تقعد) معهم (بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهي * وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم ارادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم (فان قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من حسابهم يأبى ذلك (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله * ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) أي بالقرآن (أن تبسل نفس) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع لأن المسلم اليه يمنع المسلم قال

وابسالي بني بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل أي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل

*قوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وان تفد كل فداء والعدل الفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضا من عيون اعرابه ونكت اغرابه التي طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تدقيقه في منع عود الضمير من قوله فتنفخ فيها الى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع انه السابق الى الذهن واغماله على القول بان العدل ههنا مصدر ان الفعل تعدى اليه بغير واسطة ولو كان المراد المفدى به لكان مفعولا به فلم يتعد اليه الفعل الا بالباء وكان وجه الكلام وان تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم أنه مصدر والله أعلم * قوله تعالى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون (قال نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعا ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان الخ) قال أحمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الاناسي بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخطبة والصرع ونحوهما فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه الضلال الفلسفي حيران له أصحاب من الموحدين يدعونه الى الهدى الشرعي ائتنا وهو راكب في ضلالة التعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت اليهم فمرة يقول ان الوارد في الشرع من ذلك تخييل كما تقدم في سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا ذلك في البقرة وآل عمران قولا شافيا بليغا فجدد به عهدا

اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (أولئك) اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا * قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعا ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان (قل أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع مالا يقدر على نفعنا والا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله منه وهدانا للاسلام (كالذي استهوته الشياطين) كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان (في الارض) المهمه (حيران) تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) أي لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق المستوى أوسمى الطريق المستقيم بالهدى * يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال * (فان قلت) فما محل الكاف في قوله كالذي استهوته (قلت) النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين * (فان قلت) ما معنى استهوته (قلت) هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه * (فان قلت) ما محل (أمرنا) (قلت) النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم * (فان قلت) ما معنى اللام في (لنسلم) (قلت) هي تعليل للامر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لاجل أن نسلم (فان قلت) فاذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف

وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين

والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت اذا كان هذا واردا في أبي بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو من دون الله الخ) قال أحمد هو مبني على ان الامر هو الارادة أو من لوازمه ارادة المأمور به وهذا الاعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت ان الامر عندهم غير الارادة ولا يستلزمها وقولهم في هذه اللام كقولهم في وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من نفي كونها تعليلا والوجه في ذلك انهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الاسلام والعبادة امتثالا للامر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكينا لحضهم على الامتثال ولقطع أعذارهم اذا فعل بهم فعل المراد منهم ذلك وما شأن المريد للشئ اذا كان قادرا على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وان لم تكن الطاعة مرادة من جميعهم وأما اذا كانت اللام هي التي تصحب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الامر للاسلام وكذلك يقول في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الارادة للبيان وهي اللام التي تصحب المفعول عند تقدمه في قولك لزيد ضربت فهي على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل وقد قيل انها بمعنى أن كأنه قيل وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل وكي ولام كي في أمرت وأردت خاصة بمعنى أن لا على بابها من التعليل والغرض من دخولها افادة الاستقبال على وجه أوثق وأبلغ اذ لا يتعلق هذان المعنيان أعني الامر والارادة الا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكي وان في قوله أردت لكيما ان يطير البيت وهذا الوجه أيضا سالم المعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري والمحافظة على العقيدة وقد وجدنا السبيل الى ذلك بحمد الله متعينة والله الموفق

*عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ) قال أحمد وهذا مصداق للقول بان لنسلم معناه أن نسلم وان اللام فيه ردية أن لا يراد عطفها عليها فذلك هو الوجه الصحيح ان شاء الله وفي ورود أقيموا الصلاة محكيا بصيغته وورود نسلم محكيا بمعناه اذ الاصل المطابق لاقيموا أسلموا مصداق لما قدمته عند قوله تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وبينت ثم ان ذلك جائز على أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى اعبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال اعبدوا الله ربي وربكم فهذا مثله في حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم *قوله تعالى ٣٠٠ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية (قال قوله فلما

قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو (قلت) للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله عنه *(فان قلت) علام عطف قوله (وأن أقيموا) (قلت) على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أي للاسلام ولاقامة الصلاة (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيأ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (ويوم ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم لمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبي ابراهيم عليه السلام وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والاقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها * كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه * وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له (فلما جن عليه الليل) عطف على قال ابراهيم لابيه * وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره * ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال *وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطا في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها لا يصح أن يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها (هذا ربي) قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك أدعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لا أحب الآفلين) لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام (بازغا) مبتدئا في الطلوع (لئن لم يهدني ربي) تنبيه لقومه

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي

جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه الخ) قال أحمد وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتي من استدلال ابراهيم عليه السلام وانه تبصير له من الله تعالى وتسديد *عاد كلامه (قال وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله أولا لا أحب الآفلين وانما ترقى الى ذلك لان الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الاول حجة فأنسوا بالقدح في معتقدهم ولو قيل هذا في الاول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون الى الاستدلال فما عرض صلوات الله عليه بانهم في ضلالة الا بعد ان وثق باصغائهم الى تمام المقصود واستماعهم الى آخره والدليل على ذلك انه ترقى في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله أعلم

على

* عاد كلامه (قال وقوله هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع الخصوم الخ) قال أحمد وصدق الزمخشري بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد في الشفاعة انهم يأتون ابراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسي نفسي لا أسأل أحدا غيري ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد قوله لسارة هي أختي وانما عني في الاسلام وقوله انه سقيم وانما عني همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض فاذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها دل ذلك على انها أعظم ما صدر منه فلو كان الامر على ما يقال من أن هذا الكلام محكي عنه على انه نظره لنفسه لكان أولى أن يعده وأعظم مما ذكرناه لانه حينئذ يكون شكا بل جزما على ان الصحيح ان الانبياء قبل النبوة معصومون من ذلك * عاد كلامه (قال فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال الخ) قال أحمد وهذه أيضا من عيون نكته ووجوه حسناته * قوله تعالى

على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال وأن الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (اني برئ مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني برئ مما تشركون (فان قلت) لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (قلت) الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فان قلت) ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شئ واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم الا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث * وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله) وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعني الى التوحيد (ولا أخاف ما تشركون به) وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء (الا أن يشاء ربي شيأ) الا وقت مشيئة ربي شيأ يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها ان أصبت ذنبا أستوجب به انزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي (وسع ربي كل شئ علما) أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف) لتخويفكم شيأ مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لا تخافون) ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه (سلطانا) أي حجة لان الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف * ولم يقل فأينا أحق بالامن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه ثم عدل عنه الى قوله (فأي الفريقين) يعني

هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون

أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون (قال الا أن يشاء معناه الا وقت مشيئة ربي شيأ فحذف الوقت الخ) قال أحمد هو يعني يجعلها قادرة على ان المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة لمن يريد بناء على قاعدته وقد علمت ان عقيدة أهل السنة ان ذلك لا يجوز عقلا لا يخلق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور والا هو وان كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته فانما يعني حيث يصرح أو يكنى بما يلائمها ويتنزل عليها وغايته خوف ابراهيم منها المعلق على مشيئة الله لذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها وكأنه في الحقيقة لم يخف الامن الله لان الخوف الذي أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كلا خوف منها والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى كيف أخاف ما أشركتم الخ ما لكم تنكرون على الامن الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون العدول الى ذلك ليعم بالامن كل موحد وبالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين وأحسن الجواب ما أفاد وزاد

(قال والمراد بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال أحمد وقد ورد ان الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الظلم فى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم وانما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده فى وجوب وعيد العصاة وانهم لاحظ لهم فى الامن كالكفار ويجعل هذه الآية تقتضى تخصيص الامن بالجامعين الامرين الايمان والبراءة من المعاصى ونحن نسلم ذلك ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

فريقى المشركين والموحدين * ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون * ومعنى (آتيناها) أرشدناه اليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى فى العلم والحكمة وقرئ بالتنوين (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لابراهيم و (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس لئن أشركت ليحبطن عملك (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فان يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه * والباء فى بها صلة كافرين * وفى بكافرين تأكيد النفى * فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار ذا الوقف لثبات الهاء فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة * والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لابد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الالزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروى أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك قال انه أغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود أى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى اليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة

قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

اللاحق للكفار لان العصاة من المؤمنين انما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه ما والله الموفق * قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (قال وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم الخ) قال أحمد وهذا أيضا من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتعمق فى آثار معادنه وابراز محاسنه

التوراة ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا أعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أى أنزله الله فانهم لا يقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة* ويقال لمن كان فى عمل لا يجدى عليه انما أنت لاعب و(يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كانه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ولينذر بالياء والتاء* وسميت مكة (أم القرى) لانها مكان أول بيت وضع للناس ولانها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولانها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين

فمن يلق فى بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) بهذا الكتاب وذلك ان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن * وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا فى المحافظة على أخواتها (افترى على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبيا (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) وهو مسيلمة الحنفى الكذاب أو كذاب صنعاء الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الله الى أن انفخهما فنفختهما فطارا عنى فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبدالله بن سعد بن أبى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبدالله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبدالله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزئون (ولو ترى) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله *وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد فى الارهاق من غير تنفيس وامهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج الى مالى عليك الساعة ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) خلصوها من أيدينا أى لا تقدرون على الخلاص (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة * والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التى زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله (كما خلقناكم أول مرة) على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء) فى استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفى استعبادهم * وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فان قلت) كما خلقناكم

تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة

قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد

الغالبة الخ) قال أحمد هو يجعله من مجاز التمثيل ولا حاجة الى ذلك والظاهر انهم يفعلون معهم هذه الامور حقيقة على الصور المحكية واذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها* عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ) قال أحمد ومثله ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء

*قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم (قال معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال أحمد رحمه الله وقد وردا جميعا بصيغة الفعل كثيرا فى قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فعطف أحد القسمين على الآخر كثيرا دليل على انهما توأمان مقترنان وذلك يبعد قطعه عنه فى آية الانعام هذه ورده الى فالق الحب والنوى فالوجه والله أعلم أن يقال كان الاصل وروده بصيغة اسم الفاعل اسوة أمثاله من الصفات المذكورة فى هذه الآية من قوله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل الليل ومخرج الحي من الميت الا انه عدل عن اسم الفاعل الى الفعل المضارع فى هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحي من الميت ارادة لتصوير اخراج الحي من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار انما يتمكن فى أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن الماضي المطابق لقوله أنزل لهذا المعنى ومنه ما فى قوله وانى قد لقيت الغول يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران فعدل الى المضارع ارادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع ومنه انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وان كان مطابقا لمحشورة لهذا السبب والله أعلم ثم هذا المقصد انما يجيء فيما يكون العناية به أقوى ولا شك ان اخراج الحي من الميت أشهر فى القدرة من عكسه وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو اخراج الميت من الحي بان عنه فكان الاول جديرا بالتصدير والتأكيد فى النفس ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر فى الذكر على حسب ترتيبهما فى الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه ان اسم الفاعل فى معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح فى عطفه عليه والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى فالق الصبح والظلمة هى التى تنفلق الخ) قال

تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا

فى أي محل هو (قلت) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم (تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفى قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحي من الميت) أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى (ومخرج) هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي *(فان قلت) كيف قال مخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت (قلت) عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي فى حكم الحيوان ألا ترى الى قوله يحيى الارض بعد موتها (ذلكم الله) أي ذلكم المحيي والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره (الاصباح) مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبنى رياح * تناسخ الامساء والاصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فان قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق عن الصبح كما قال

تردت به ثم انفرى عن أديمها * تفري ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثاني أن يراد فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

*وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل * السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أو يعطفان على محل الليل (فان قلت) كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه فى معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس (قلت) ما هو فى معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق

أحمد وقيل الخالق والفالق بمعنى فيكون المراد خالق الاصباح والاظهر ما فسره عليه المصنف والله أعلم * قوله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال ان قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحمد لا يتحقق هذا التفاوت ولا سبيل الى الحقيقة وما هذا الجواب الاصناعى والتحقيق انه لما اريد فصل كل منهما بفاصلة تنبيها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين فى اللفظ لما فى ذلك من التكرار فعدل الى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم واتساعا فى البلاغة ويحتمل وجها آخر فى تخصيص الاولى بالعلم والثانية بالفقه وهو انه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها اذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الالهية فى تدبيرها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر فى انشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم فى أطوار مختلفة وأحوال متغايرة فانه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فاذا تمهد ذلك فجهل الانسان بنفسه وباحواله وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله بالامور الخارجة عنه كالنجوم ٣٠٥ والأفلاك ومقادير سيرها وتقلبها فلما كان الفقه أدنى درجات العلم اذ هو عبارة عن الفهم نفى من أبشع القبيلين جهلا وهم الذين لا يتبصرون فى أنفسهم ونفى الادنى أبشع من نفى الاعلى فخص به أسوأ الفريقين حالا ويفقهون ههنا مضارع فقه الشئ بكسر القاف اذا فهمه ولو أدنى فهم وليس من فقه بضم القاف لان تلك درجة عالية ومعناه صار فقيها قاله الهروى فى معرض الاستدلال على ان فقه أنزل من علم وفى حديث سلمان انه قال وقد سألته امرأة جاءته فقهت أى فهمت كالمتعجب من فهم المرأة عنه واذا قيل فلان لا يفقه شيأ كان أذم فى العرف من قولك فلان لا يعلم شيأ وكأن معنى قولك لا يفقه شيأ ليست له أهلية الفهم وان فهم وأما قولك لا يعلم شيأ فغايته نفى حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم والذى يدل على ان التارك للفكرة فى نفسه أجهل وأسوأ حالا من التارك للفكرة فى غيره قوله تعالى وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون فخص التبصر فى النفس بعد اندراجها فيما فى الارض من الآيات وأنكر على من لا يتبصر فى نفسه انكارا مستأنفا وقولنا فى ادراج الكلام انه نفى العلم عن أحد الفريقين ونفى الفقه عن الآخر يعنى بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه والله الموفق فتأمل هذا الفصل وان طال بعض الطول فالنظر فى الحسن غير مملول

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية

الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات * من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع * (فان قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر انشاء بنى آدم (قلت) كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامى يعنى أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و(قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادة التكسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشئ الدانى القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتى بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة

لان النعمة فيها أظهر أو دل بذكر القرينة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله (وجنات من أعناب) فيه وجهان أحدهما أن يراد وثم جنات من أعناب أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والاحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله * كنت منه ووالدي بريا * والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به * وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيأ جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره بالضم * ان جعلت (لله شركاء) مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول (فان قلت) فما فائدة التقديم (قلت) فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو انسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء * وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادته لانهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم الافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له) وخلقوا له أي افتعلوا له (بنين وبنات) وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرّفوا له بمعنى وزوروا له أولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أي بديع شعره أو هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها أن مبتدع السموات والارض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شئ الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج * وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل * كقوله لقد ولد الاخيطل أم سوء * (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أي ذلكم الجامع لهذه الصفات (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شئ وكيل) يعني وهو مع تلك الصفات

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه أن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرّف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا

مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال * البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال أن يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تابعا كالاجسام والهيآت (وهو يدرك الابصار) وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن أن تدركه الابصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضرّ بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وليقولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ دارست أى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الاوّلين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتدّ دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لانّ الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لاهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات على هى دارسات أى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية * (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه (قلت) الفرق بينهما أن الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أنّ الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (ولنبينه) (قلت) الى الآيات لانها فى معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن أو الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز أن يكون حالا من ربك وهى حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك انهم قالوا عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا للسب (فان قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وانما يصح النهى عن المعاصى (قلت) رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر هو من أجل الطاعات فاذا علم أنه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر (فان قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدوا) ظلما وعدوانا وقرئ عدوّا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوّا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوّا

* قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (قال البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال أحمد وقد سلف الكلام على هذه الآية فى غير موضعها لان المصنف تعجل الكلام عليها قبل والذى يريده الآن أن الادراك عبارة عن الاحاطة ومنه فلما أدركه الغرق أى أحاط به وانا المدركون أى محاط بنا فالمنفى اذا عن الابصار احاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية ثم اما ان يقتصر على ان الآية لا تدل على مخالفتنا أو نزيد فنقول يدل لنا ان تخصيص الاحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك وأقله مجرد الرؤية كما أنا نقول لا تحيط به الافهام وان كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس وما دون الاحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفى ولم يذكر الزمخشرى على احالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج الى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئى لا فى جهة فيقتصر معه على الزامه استبعاد أن يكون الموجود لا فى جهة اذا تباع الوهم يبعدهما جميعا والانقياد الى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا وهذا القدر كاف بحسب ما أورده فى هذا الموضع والله الموفق

عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا

بفتح العين بمعنى أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم أي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة أو انما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم اليها وآتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية التي تقترحونها (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنا أعلم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به ألا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشتري لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لأننا * نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة أبي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها (ونقلب أفئدتهم * ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أي الله عز وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أي عيانا

* قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (قال يعني ان الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة الخ) قال أحمد ومحز النظر في الآية يتضح بمثال فنقول اذا قال لك القائل أكرم فلانا فانه يكافئك وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة فاذا أنكرت على المشير باكرامه قلت وما يدريك اني اذا أكرمته يكافئني فانكرت عليه اثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها فان انعكس الامر فقال لك لا تكرمه فانه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فانكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك انه لا يكافئني تريد وأنا أعلم منه المكافأة فكان مقتضى الانكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندين فاعتقدوا انهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما تقول في المثال منكرا على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك انه يكافئني باسقاط لا وان أثبتها انعكس المعنى الى ان المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى فلما جاءت الآية تفهم ببادئ الرأي ان الله تعالى علم الايمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والواقع على خلاف ذلك اختلف العلماء فحمل بعضهم لا على الزيادة وبعضهم أول أن بهل وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تفتح أن بعد القسم فقال التقدير والله (الا انها اذا جاءت لا يؤمنون وأما الزمخشري فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها في نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده في المثال المذكور ليتضح بوجهه في الآية فنقول اذا حرمت زيدا العالم بعدم مكافأته فأشير عليك بالاكرام بناء على ان المشير يظن المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه وحالة تعذره في عدم العلم بما أحطت به علما فان أنكرت عليه قلت وما يدريك انه يكافئ وان عذرته في عدم علمه بانه لا يكافئ قلت وما يدريك انه لا يكافئ يعني ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبري فكذلك الآية انما ورد فيها الكلام اقامة عذر للمؤمنين في عدم علمهم بالمغيب في علم الله تعالى وهو عدم ايمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين ان سبب الاضطراب التباس الانكار باقامة الاعذار والله الموفق للصواب

*قوله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله (قال معناه الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطراب) قال أحمد بل المراد الا أن يشاء الله منهم اختيار الايمان فانه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للايمان لاختاروه وآمنوا حتما ما شاء الله كان والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في اعتقاده ان الله تعالى شاء منهم الايمان اختيارا فلم يؤمنوا اذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الامة وحملة شريعتها من قولهم ما شاء الله ومالم يشألم يكن

الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم

(الا أن يشاء الله) مشيئة اكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر *انتصب (شياطين) على البدل من عدوا أو على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا (زخرف القول) ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه (غرورا) خدعا وأخذا على غرة (ولو شاء ربك ما فعلوه) ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في (اليه) يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه أي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين (أفئدة) الكفار (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغي حكما) على ارادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء *ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له (فلا تكونن من الممترين) من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطابا لامته (وتمت كلمات ربك) أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن (وان تطع أكثر من في الارض) من الناس أضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شئ أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا *وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله (فكلوا) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله (وما لكم ألا تأكلوا) وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (وقد فصل لكم) وقد بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو

بل يقولون ان أكثر ما شاءه لم يقع اذ شاء الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح الا القليل وقليل ما هم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا فاذا صدهم مثل هذه الآية بالرد تمحلوا في المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وانما لم يتم لهم ذلك ان لو كان القرآن يتبع الآراء وأماوه والقدوة والمتبوع فما خالفه حينئذ وتزحزح عنه فالى النار وما بعد الحق الا الضلال والله الموفق

للصواب * قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (قال ان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمدا الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبي حنيفة سواء في ان متروك التسمية عمدا لا يؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون ولاشهب قول شاذ بجواز غير المتهاون في ترك تسميته والآية تساعد مذهب الامامين مساعدة بينة فانه ذكر عقب غير المسمى عليه قوله وانه لفسق وذلك ان كان عبارة عن فعل المكلف وهو اهمال التسمية أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان لان الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولا هو فاسق وان كان نفس الفسق الذبيحة التي لم يسم عليها ولم يكن مصدرا فانما تسمى الذبيحة فسقا نقلا لهذا الاسم من المصدر الى الذات فالذبيحة التي تركت التسمية عليها انسيانا لا يصح ان تسمى فسقا اذا الفعل الذي ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فاذا تمهد ذلك فاما أن يقول لا دليل في الآية على تحريم منسي التسمية فيبقى على أصل الاباحة أو يقول فيها دليل على اباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي بما هو فسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا النظر يستتب اذا لم تكن الميتة متناولة في هذه الآية وأما اذا أثبت انها مرادة تعين صرف الفسق الى الآكل والمأكول وكان الضمير من قوله وانه عائدا الى المصدر المنهي عنه أو الى الموصول وحينئذ يندرج

الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها

الله عزوجل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ظاهر الاثم وباطنه) ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر (وانه لفسق) الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الأكل منه لفسق أو الى الموصول على وان أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا (فان قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد (قلت) قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو فسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما * مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار (زين للكافرين) أي زينه الشيطان أو الله عزوعلا على قوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم

المنسي في النهي ولا يستقيم على ان الميتة مندرجة كاندراج المنسي لان الوجه الذي به تندرج الميتة هو الوجه الذي به يندرج المنسي اذ يكون الفسق أما للآكل وأما للمأكول نقلا من الأكل ولا ينصرف الى غير ذلك لان الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الأكل والمنسي تسميتها لا يستقيم ان يسمى الذبح فيها فسقا لاجل النسيان فيتعين صرفه الى الأكل ومن ثم قوي عند الزمخشري تعميم التحريم حتى في المنسي لانه يرى ان الميتة مرادة من الآية ولا بد اذ هي سبب نزول الآية والتحقيق ان العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصا في السبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه واذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسي كما تقدم وحينئذ يضطر مبيح المنسي الى مخصص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن سمى أو لم يسم وكان الناسي ذاكرا حكما وان لم يكن ذاكرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص ولكن منع لاندراج الناسي في العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بأن العام الوارد على سبب خاص وان قوي تناوله للسبب حتى ينهض الظاهر فيه نصا الا انه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمثالي الظواهر فيه ويكتفي من معارضته بما لا يكتفي به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع بفنون شتى على نكت بديعة والله الموفق للصواب * قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

(قال معنى هذا الاستثناء انهم يخلدون في عذاب النار الابد كله الخ) قال أحمد قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتا قطعيا فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي أختها في سورة هود فذهب بعضهم الى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون وهذا تأويل أهل السنة وقد غلط الزمخشري في انكاره في آية هود وتناهى الى مانعوذ بالله منه فقدح في عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه راوي الحديث الشاهد لهذا التأويل ونحن نبرأ الى الله من القدح في مثل عبدالله وهو من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم الى ان هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب أي مخلدون الا ان يشاء الله لو شاء وفائدته اظهار القدرة والاعلان بان خلودهم انما كان لان الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلي في مشيئته أن لا يعذبهم ولو عذبهم لا يخلدهم وان ذلك ليس بامر واجب عليه وانما هو مقتضى مشيئته وارادته عز وجل وفيها على هذا الوجه دفع في صدر المعتزلة الذين يزعمون ان تخليد الكفار

وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله

قومهم وأكابر قومهم (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم موعد بالنصرة عليهم * روى أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لاني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروى أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة (الله أعلم) كلام مستأنف للانكار عليهم وأن لا يصطفى للنبوة الا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار (فمن يرد الله أن يهديه) أن يلطف به ولا يريد أن يلطف الا بمن له لطف (يشرح صدره للاسلام) يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد أن يضله) أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له (يجعل صدره ضيقا حرجا) يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبدالله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من أصعد (يجعل الله الرجس) يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط ربك) وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعني الجنة أضافها الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر (عند ربهم) في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون (ويوم نحشرهم) منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يامعشر الجن) أو ويوم نحشرهم وقلنا يامعشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين (قد استكثرتم من الانس) أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم (خالدين فيها الا ما شاء الله) اي يخلدون في عذاب النار الأبد كله الا ما شاء الله

واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة وانه لا يجوز في العقل ان يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج الى وجه لطيف انما يظهر بالبسط فقال المراد والله أعلم الا ما شاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم ونحن نبينه فنقول العذاب والعياذ بالله على درجات متفاوتة فكأن المراد انهم مخلدون في حبس العذاب الا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي الى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها الانواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب

ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما تعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم

الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم أنه لا يشاء الا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع (ان ربك حكيم) لا يفعل شيأ الا بموجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الابد (نولي بعض الظالمين بعضا) نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي * يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف في أن الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن (قالوا شهدنا على أنفسنا) حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله ألم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا اقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها (فان قلت) ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم * (فان قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم (قلت) الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدإ محذوف أي الامر ذلك و(أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل أي الامر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الافعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم (وما ربك بغافل عما تعملون) بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الاجر (وربك الغني) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام * المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (اعملوا

وخارجة عنه والشئ اذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد وهما موضوعان لضرر الكثرة من العلة وذلك أمر معتاد في لغة العرب وقد حام أبو الطيب حوله فقال

لقد جدت حتى كاد يبخل حاتم * الى المنتهى ومن السرور بكاد فكأن هؤلاء اذا بلغوا الى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا الى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المغاير وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج الا بعد هذا

البسط وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه ما يؤيده والله الموفق * قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى ان شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ الى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ يبين ان وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة في شركائهم فاستدل بذلك على انه مجرور وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس اذ لا يضاف المصدر الى أمرين معا فقرأه منصوبا قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة وابدال الشركاء منه وكان ذلك أولى مما ارتكبه يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذي يسمج في الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري ان ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه ولم يعلم الزمخشري ان هذه القراءة بنصب الاولاد والفصل بين المضاف والمضاف اليه بها يعلم ضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤن بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى ابن عامر فقرأها أيضا كما سمعها ٣١٣ فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة انها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر فان المنكر عليه انما أنكر ما ثبت انه براءة منه قطعا وضرورة ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين أعني علم القراءة وعلم الاصول ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين وانه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن ان تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته انه ادعى ان نقلها لا يشترط فيه التواتر وأما الزمخشري فظن انها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل وهذا لم يقل به أحد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال الا التغالي في اعتقاد اطراد الاقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها ثم اذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطردا فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه وذلك ان الفصل بين المضاف والمضاف اليه وان كان عسرا الا ان المصدر اذا أضيف الى معموله فهو مقدر بالفعل وبهذا التقدير يعمل وهو وان لم تكن اضافته غير محضة الا انه شبيه بما اضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف اليه بالظرف فلا أقل من ان يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بان يفصل بينه وبين المضاف

اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم

(اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (اني عامل) أي عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه * (فان قلت) ما موضع (من) (قلت) رفع اذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب اذا كان بمعنى الذي و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل * كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة (فلا يصل الى الله) أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل الى شركائهم) من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) في ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد

اليه مما ليس اجنبيا عنه وكانه بالتقدير فكه بالفعل ثم قدم المفعول على الفاعل واضافه الى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك أيضا تغاير حال المصدر اذ تارة يضاف الى الفاعل وتارة يضاف الى المفعول وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته اذ ينوى به التأخير فكانه لم يفصل كما جاز تقدم المضمر على الظاهر اذا حل في غير رتبته لان النية به التأخير وأنشد أبو عبيدة * فداسهم دوس الحصاد الدائس * وأنشد أيضا

يفركن حب السنبل الكنافج * بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول ومما يقوي عدم توغله في الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة ٣١٤ وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة وهذا القدر كاف ان شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق وما أجريناه في ادراج الكلام من تقريب اضافة المصدر من غير المحضة انما أردنا انضمامه الى غيره من الوجوه التي يدل باجتماعها على أن الفصل غير منكر في اضافته ولا مستبعد من القياس ولم يفرده في الدلالة المذكورة اذ المتفق على عدم محضها لا يسوغ فيها الفصل فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق * قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قال فيه وأنث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة الخ) قال أحمد ليسا سواء الا أنه في الآية الاولى رجوع الى اللفظ بعد المعنى وفيه اجمال وبينهما بون اقتضى ان أنكر جماعة من متأخري الفن وقوعه في الكتاب العزيز وادعوا أن جميع ما ورد فيه لعود على المعنى بعد اللفظ وقد التزم غيرهم اجازة ذلك وعدوا في الكتاب العزيز منه موضعين يمكن صرف الكلام فيهما الى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ما وجد اليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله ولقد أحسن في الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب * وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد * زج القلوص أبي مزاده * فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس (فان قلت) ما معنى اللام (قلت) ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولو شاء الله) مشيئة قسر (ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة (وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراؤهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهي البحائر والسوائب والحوامي (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله (افتراء عليه) أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء * كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث (خالصة) للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك

حتى اذاخر جوامن عنـدك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وأن تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعاقبة أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص (وان يكن ميتة) وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ أهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله (فهم فيه شركاء) لانّ الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب هـذا حلال وهـذا حرام * نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لاهم * وقرئ قتلوا بالتشديد (ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه (مختلفا أكله) في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين * وقرئ ثمره بضمتين * (فان قلت) ما فائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا أثمر ليعلم أنّ أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح الا اذا أدرك وأينع (وآتوا حقه يوم حصاده) الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء (ولا تسرفوا) في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيأ الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (حمولة وفرشا) عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر * والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى * وقرئ اثنان على الابتداء * الهمزة في (آلذكرين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز * وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار أن يحرم الله تعالى من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة وأولادهما كيفما كانت ذكورا واناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم (نبئوني بعلم) أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أنّ الله حرّمه (أم كنتم شهداء) بل

لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا

*قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا الصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم الخ) قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعيد الكافر باتفاق واقع به غير مردود عنه وأهل السنة وان قالوا يجوز العفو عن العاصي الموحد فلا يقولون ان ذلك حتم ولا يلزمهم ذلك لان الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبرانه يغفر لمن يشاء منهم فن ثم اعتقدنا ان كل موحد عاص في المشيئة وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول على القيد فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر والزمخشري انما يدندن حول الزامهم ذلك وأنى له به * قوله تعالى

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فانّ ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ

أم كنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرّم (ليضلّ الناس) وهو عمرو بن لحيّ بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب (فان قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبيّ من المعدود وذلك أنّ الله عز وجل منّ على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها والاحتجاج على من حرّمها تأكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد (فيما أوحي الىّ) تنبيه على أن التحريم انما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه لا بهوى الانفس (محرّما) طعاما محرّما من المطاعم التي حرّمتوها (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة (أو دما مسفوحا) أى مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أى أهل لغير الله به فسقا *(فان قلت) فعلام تعطف (أهل) والام يرجع الضمير في (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكنّ في يكون (فمن اضطرّ) فمن دعته الضرورة الى أكل شئ من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطرّ مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه * ذو الظفر ماله اصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرّم ذلك عليهم فعمّ التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شئ منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرّم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله (الا ما حملت ظهورهما) يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو اشتمل على الامعاء (أو ما اختلط بعظم) وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب (فان كذبوك) في ذلك وزعموا أنّ الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لاهل طاعته (ولا يردّ بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغترّ برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يعنون بكفرهم وتمرّدهم أنّ شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون (قال فيه هذا اخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد وفائدته توطين النفس على الجواب ومكافحتهم بالرد واعداد الحجة قبل أوانها كما قال سيقول السفهاء من الناس * عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يعنون بكفرهم الخ) قال أحمد رحمه الله قد تقدم أيضا الكلام على هذه الآية وأوضحنا ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم في دعواهم عدم الاختيار لانفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله

واعتمد على انه انما يفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام افحام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له لا لهم بقوله ألا لله الحجة البالغة ثم أوضح تعالى ان كل واقع بمشيئته وأنه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك ان يتمحض وجه الرد عليهم و يتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم بسلب الاختيار لانفسهم والى اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة ان العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على افعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفون بالمجبرة والمصنف يغالط في الحقائق فيسمي أهل السنة مجبرة وان أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة لانهم يسلبون تأثير قدرة العبد و يجعلونها مقارنة لافعاله الاختيارية مميزة بينها وبين أفعاله القسرية فمن هذه الجهة سوى بينهم و بين المجبرة ويجعله لقباعا ما لاهل السنة وجماع الرد على المجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا الى قوله قل فلله الحجة البالغة وتتمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بان الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم ووجه الرد أن لو اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي ذلك ان الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع انه شاء هدايتهم ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم فاذا ثبت اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبرة في أولها والمعتزلة في آخرها فاعلم انها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها فان أولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد وان جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية خيرا أو غيره وذلك عين عقيدتهم فانهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون ان ثبوتهما قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته في أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه مناقضته له انه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم شهداء يشهدون يفهم ان الطالب للشهداء ليس على تحقيق من ان ثم شهداء كما يقول الحاكم للمدعي هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق أن للمدعي بينة ثم يكون قوله فان شهدوا تحقيقا لان ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كما ترى والله الموفق

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل

وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شئ من ذلك كمذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عزوجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه و براءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (ان تتبعون الا الظن) في قولكم هذا (وان أنتم الا تخرصون) تقدرون أن الامر كما تزعمون أو تكذبون* وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل فلله الحجة البالغة) يعني فان كان الامر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم أجمعين) منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فان قلت) كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم (قلت) أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شئ لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى (فان قلت) هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل (قلت) المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء

معروفون موسومون بالشهادة لهم و بنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله تعالى وان شهدوا فلا تشهد معهم * تعال من الخاص الذى صار عاما وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمّ و (ما حرم) منصوب بفعل التلاوة أى أتل الذى حرمه ربكم أو يحرم بمعنى أقل أى شئ حرم ربكم لان التلاوة من القول وأن فى (ألا تشركوا) مفسرة ولا للنهى (فان قلت) هلا قلت هى التى تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم (قلت) وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهى لانعطاف الاوامر عليها وهى قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير وأحسنوا بالوالدين احسانا وأوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا (فان قلت) فما تصنع بقوله وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا اذا جعلت أن هى الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفى الاشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطى مستقيما (قلت) أجعل قوله وأن هذا صراطى مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطى لانه مستقيم أو واتبعوا صراطى انه مستقيم (فان قلت) اذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهى فما تصنع بالأوامر (قلت) لما وردت هذه الاوامر مع النواهى وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع الى أضدادها وهى الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله (من املاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية املاق (ما ظهر منها وما بطن) مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (الا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهى حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه اليه (بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما أتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغى أن يزيد فى القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين * وقرئ وأن هذا صراطى مستقيما بتخفيف أن وأصله وانه هذا صراطى على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطى وفى مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفى مصحف أبىّ وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم) فتفرقكم أيادى سبا (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام * وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شئ فى التوراة (فان قلت) علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فان قلت) كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا (ثم) أعظم من ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب (تماما على الذى أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذى

ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون

*قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا (قال) فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته في ان الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية اذ سوى بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم له ذلك فان هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف وأصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل ايمانها بعد ولا نفسا لم تكسب في ايمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد الا انه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا بلاغة واختصارا وايجازا أراد يثبت ان ذلك هو الاصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فانا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وان نفع الايمان المتقدم في السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له والله الموفق

أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشئ اذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن بالرفع أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (على طائفتين) يريدون أهل التوراة وأهل الانجيل (وان كنا) هي أن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على انا أميون * وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء (فقد جاءكم بينة من ربكم) تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك (وصدف عنها) الناس فضل وأضل (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب * الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتي ربك) أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمغرب وخسفا بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفسا وقوله (أو كسبت في ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى ان أشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الايمان غير كاسبة في ايمانها خيرا فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكتسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد * وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالياء والتاء * وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما لها (لست منهم في شئ) أي من السؤال

أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله

(القول فى سورة الاعراف) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه الآية (قال الحرج الشك الخ) قال أحمد و يشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذه النكتة ميز امام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بان العقد ربط الفكر بمعتقد والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والتبلج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد افتعال منه يريد اذا كان العقد مباينا للعلم فما ظنك بالاعتقاد لان صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتماد والاحتمال ومن ثم ورد

عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

﴿سورة الاعراف مكية وهى مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ماوعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيآت عدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم (دينا) نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله و يهديكم صراطا مستقيما * والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به و (ملة ابراهيم) عطف بيان و (حنيفا) حال من ابراهيم (قل ان صلاتى ونسكى) وعبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتى وحجى من مناسك الحج (ومحياى ومماتى) وما آتيه فى حياتى وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام أمته (قل أغير الله أبغى ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أى منكر أن أبغى ربا غيره (وهو رب كل شئ) فكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمرونى أعبد (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الامم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها و يتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهى مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) خبر مبتدا محذوف أى هو كتاب و (أنزل اليك) صفة له والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) أى شك منه كقوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لا تشك فى أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم * (فان قلت) بم تعلق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أى أنزل اليك لانذارك به أو بالنهى لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته * (فان قلت) فما محل (ذكرى) (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

فى الخير كسب وفى نقيضه اكتسب لان النفوس فى الشهوات والمخالفات واتباع الاهواء أجد منها فى الطاعات وقمع الاغراض وعلى ذلك جاء لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وان كان العلم من الاعلم المأخوذ من العلمة بالتحريك وهى انشراح الشفة وانشقاقها فالذى ذكره الامام حينئذ نهاية فى نوعه والله الموفق * عاد كلامه (قال أو ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال أحمد و يشهد لهذا التأويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز أو جاء معه ملك الآية

*عاد كلامه (قال فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجها الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك ههنا)؛ قال أحمد يريد ان الحرج منهي في الآية ظاهرا والمراد النهي عنه والله أعلم *عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم الخ) قال أحمد الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والافصح دخول الواو كما اختاره الزمخشري وأما الزجاج وغيره فيجعلون أحد الامرين كافيا في الاسمية اما الواو واما الضمير واما قول الزمخشري ان الجملة المعطوفة انما حذفت منها واو الحال كراهة لاجتماعهما وهي واو عطف أيضا مع مثلها ففيه نظر وذلك ان واو الحال لابد أن تمتاز عن واو العطف بمزية ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية في قولك جاءني زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وان لم يكن قبيحا فالافصح خلافه فلما رأيتها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الافصح أو المتعين علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف واذا ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو في اجتماعها معها وان كان فيها معنى العطف مضافا الى تلك الخاصة فاما أن تسلبه حينئذ لاغناء العاطف عنها أو تستمر عليه كما تجمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية والذي يدل على ذلك انك لو قلت سبح الله وأنت راكع أو وأنت ساجد لكان فصيحا لا خبث فيه ولا كراهة فالتحقيق والله أعلم في الجملة المعطوفة على الحال ان المصحح لوقوعها حالا من غير واو هو العاطف اذ يقتضي مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال فيستغني عن واو الحال كما انك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو وموقعه في مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وفي مثل فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ولو قلت في غير التلاوة وبالليل اذا عسعس لجاز ولكن يستغني عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية فالحاصل من هذا انك ان أتيت بواو الحال مصاحبا للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة الى الاستثقال بل أفدت تأكيدا وان لم تأت بها فكذلك في الفصاحة مع افادة الاختصار والله الموفق للصواب

باضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للانذار وللذكرى * (فان قلت) النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك ههنا (اتبعوا ما أنزل اليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل اليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها * وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا * ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة (فجاءها) فجاء أهلها (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين (فان قلت) هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها (قلت) انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك أهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون (فان قلت) لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لأن الذكر قد عاد الى الاول والصحيح أنها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث (فان قلت) فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس (قلت) معناه أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم (انا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وأن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنسألن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى الجار والمجرور

اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين

* قوله تعالى قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين (قال فان قلت لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده الخ) قال أحمد وهذا السؤال انما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح فى أفعاله وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الاصغاء الى قوله تعالى لا يسئل ٣٢٢ عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده والله الموفق قوله تعالى

قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب

فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فان قلت) فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أى والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق أى العدل وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب وقيل هى عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما وزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيآت أن يخف (بآياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها (مكناكم فى الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى الى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) ممن سجد لآدم (ألا تسجد) لا فى أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم (فان قلت) ما فائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (اذ أمرتك) لان أمرى لك بالسجود أوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه (فان قلت) لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وانه خالف أمر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب * (فان قلت) كيف يكون قوله (أنا خير منه) جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول منعني كذا (قلت) قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهى انكار للامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التى هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التى هى مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا أهنته وفى ضده قم راشدا وذلك انه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض * (فان قلت) لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده

وقوعي فى الغي لاجتهدن فى اغوائهم حتى يفسدوا بسببي الخ) قال أحمد تحت كلام الزمخشري هذان نزغتان من الاعتزال خفيتان * احداهما تحريفه الاغواء الى التكليف لانه يعتقد ان الله تعالى لم يغوه أى لم يخلق له الغي بناء على قاعدة التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح فيضطره اعتقاده الى حمل الاغواء على تكليفه بالسجود لانه كان سببا فى غيه ويغويهم وكثيرا ما يؤول أفعال الله تعالى اذا أسندها الى ذاته حقيقة الى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لان الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول

والزمان والمكان والسبب فاسناده الى الفاعل حقيقة واسناده الى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسندا الى الله تعالى لانه مسببه لانه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيدا محبوسا في مال عليه هذه وضعت القيود في رجليك وأشار الى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون أى اعتناؤك بهذه الاطعمة كان سببا في تبذير المال الذى آل بك الى وضع القيود في رجليك فعلى هذا يروم جعل هذه الآية يعنى بما كلفتنى من التكليف الذى كان سببا في خلق الغى لنفسى لأقعدن فيجعل ابليس هو الفاعل في الحقيقة وأما اسناد الفعل الى الله تعالى فمجاز هذه احدى النزغتين * والاخرى جعله التكليف من جملة الافعال لانه يزعم ان كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله لاصفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما وابليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لانه نسب الاغواء الى الله تعالى اذ هو خالق كل شئ فما الظن بطائفة رضى لنفسهما من خفى الشرك مالم يسبق به ابليس نعوذ بالله من التعرض لسخط الله * عاد كلامه (قال) ومن تكاذيب المجبرة ماحكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أوتقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهذا يقول أنا أغوى نفسى انتهى كلام طاوس على زعمهم وماظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه وتعالى أن لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وانما أوردت مثل هذا من كلامه وان كان غير محتاج الى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد الصحيحة لتبلج الحجة في وجوب الرد عليه وتعينه على من هداه الله اليه ولقد صدق طاوس رضى الله عنه وأما قول الزمخشرى في أهل السنة الذين سماهم مجبرة انهم يتهالكون في نسبة القبائح الى الله سبحانه وتعالى فحاصله انهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنوا بخالق غير الله ولكن يصدقوا قوله تعالى متمدحا الله خالق كل شئ لا كالقدرية الذين هم يتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

ويغويهم (قلت) لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ماخلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهى وماركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (فبما أغويتنى) فبسبب اغوائك اياى لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ماوقع به في الغى ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الاصم أمرتنى بالسجود فحملنى الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعى في الغى لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببى كما فسدت بسببهم (فان قلت) بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتنى أقسم بالله لاقعدن أى فبسبب اغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك لاقعدن وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بأن يقسم به * ومن تكاذيب المجبرة ماحكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أوتقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهذا يقول أنا أغوى نفسى وماظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان افتعلوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأى شئ أغويتنى ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغى الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لآتينهم) من الجهات الاربع التى يأتى منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك * (فان قلت) كيف قيل (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت)

*قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاأن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين الآية (قال فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور الخ) قال أحمد وفى هذه الكلمات أيضا جنوح الى قاعدة الاعتزال فى أمرين أحدهما قوله ان كشف العورة لم يزل مستقبحا فى العقول فانه ينشأ عن اعتقاده أن التقبيح والتحسين بالعقل وان جازان يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة الا انه لا يريد به ظاهره اذ التحسين والتقبيح انما يدركان بالشرع والسمع لا بالعقل ومعنى هذا الاطلاق لو صدر من سنى أن العقل يدرك المعنى الذى لاجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف الامر الثانى استدلاله على تفضيل الملائكة على الانبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة

ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاأن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين

المفعول فيه عدى اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدأ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق مامن صباح الاقعد لى الشيطان على أربع مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما من بين يدى فيقول لاتخف فان الله غفور رحيم فأقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فأقرأ ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها وأما من قبل يمينى فيأتينى من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين مايشتهون (ولاتجد أكثرهم شاكرين) قاله تظننا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى لهم (مذؤما) من ذأمه اذا ذمه * وقرأ الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤل * واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهوسادمسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم * وقرئ هذى الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها * ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلى وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى) جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا مايؤثران ستره وأن لايطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وأنه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا فى العقول * (فان قلت) ماللواو المضمومة فى (وورى) لم تقلب همزة كما قلبت فى أويصل (قلت) لان الثانية مدة كألف وارى وقد جاء فى قراءة عبد الله أورى بالقلب (الاأن تكونا ملكين) الاكراهة أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الاعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لايبلى (من الخالدين) من الذين لايموتون ويبقون فى الجنة ساكنين * وقرئ من سوأتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) وأقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) (فان قلت) المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه (قلت) كأنه قال لهما أقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة

وان كان بعض أهل السنة قد مال اليه والجواب ممن يعتقد تفضيل الانبياء انه لا يلزم من اعتقاد ابليس لذلك ووسوسته بان الملائكة أفضل ان يكون الامر كذلك فى علم الله تعالى ألاترى ابليس لعنه الله قد أخبر ان الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لايخلدا أولا يكونا ملكين وهو فى ذلك كاذب مبطل فلا دليل فيه اذا وليس فى الآية مايوجب تقرير الله تعالى لابليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما اذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فلعل تفضيلة الملائكة على النبوة من جملة غروره والله أعلم بينهم *عاد كلامه (قال فان قلت المقاسمة ان يقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال أحمد ويكون فى الكلام حينئذ لف لان آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجعل القسم من الجانبين كلاما واحدا مضافا لابليس

*عاد كلامه (قال أو أقسم لهما على النصيحة وأقسما له على قبولها) قال أحمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وأما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير فيبعد التأويل بل المذكور الآن يحمل الامر على انه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل في قوله تعالى وواعدنا موسى انه سمى التزام موسى للوفاء والحضور للميعاد ميعادا فاستد التعبير بالمفاعلة والله أعلم

بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرّهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنه انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وقيل الشجرة هى السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سوآتهما) أى تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر *و يقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان * وقرأ الزهرى يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أى يخصفان أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد (من ورق الجنة) قيل كان ورق التين (ألم أنهكما) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرّى وطحن وعجن وخبز * وسمياذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا (لنكونن من الخاسرين) على عادة الاولياء والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيآت واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا) الخطاب لآدم وحوّاء وابليس و (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (مستقرّ) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع الى حين) وانتفاع بعيش الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حوّاء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده * جعل ما فى الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج * والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضى الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التى هى (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدا كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون اشارة الى اللباس الموارى للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف أى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفى قراءة عبد الله وأبى ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى فى الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب

*قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (قال

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير

سمياذنبهما ظلما وان كان صغيرا مغفورا الخ) قال أحمد وهذا أيضا اعتزال خفىّ لانهم يزعمون ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وان لم يتب العبد منها فهذا معنى قول الزمخشرى وان كان صغيرا مغفورا وانما سمت هذا الاعتزال بالخفاء لان هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون بكونه مغفورا أن الله تعالى تفضل بغفرانه ولوشاء لآخذ به وان كان الانبياء معصومين من الكبائر لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب مغفرته والله الموفق

*قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (قال وفيه دليل بين انهم لا يرون الخ) قال أحمد أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح
من اعتراض ابليس رأسهم ومقدمهم للنبي صلى الله عليه وسلم يروم أن يشغله عن صلاته حتى أمكنه الله منه فأخذه عليه الصلاة والسلام
فدعته وأراد أن يربطه الى سارية من سواري المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه واذا جاز ذلك للنبي عليه
الصلاة والسلام كان جائزا لاولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشري يصده عن ذلك جحده
لكرامة الاولياء لانه عقيدة اخوانه اذ الكرامة انما يؤتاها الولي الصادق

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

عطفا على لباسا وريشا (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى (لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة *كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما (انه يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وأن اظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الاول (فان قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه للشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطفه على اسم ان وأن تكون الواو بمعنى مع واذا عطفه على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس *الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي اذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة (بالقسط) بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها (عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين أسلموا أي وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة (انهم) ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء) أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) أي ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد

فكيف ينالها من يشك في اسلامه فانهم لفي عذر من جحدها والتكذيب
بها رزقنا الله الايمان بالكرامات ان لم نكن لها أهلا والله الموفق *قوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله
أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (قال وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما الخ) قال أحمد وهذا أيضا من
الاعتزال الخفي وغرضه ان يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والاصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك
غرض لان المنكر عليهم دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الامر الارادة لان الله تعالى

يأمر بما لا يريد ويريد ما لا يأمر به *قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا الآية (قال في هذا تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره) قال أحمد وانما يعني التهكم منه

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم

وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت عنه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة) لهم (يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد (فان قلت) هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر (الفواحش) ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج (والاثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغي) الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (ما لم ينزل به سلطانا) فيه تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم *وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لانها أقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه (اما يأتينكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (فان قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء (فمن أظلم) فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا و(يتوفونهم) حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه *وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لانها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شئ فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوه في العاقبة (قال ادخلوا) أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب (في أمم) في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم (قد خلت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت أختها) التي ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار

قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا

لان الكلام جرى مجرى ما له سلطان الا انه لم ينزل لانه انما نفى تنزيل السلطان به ولم ينف ان يكون له سلطان وكان أصل الكلام وان تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة *على لاحب لا يهتدى بمناره*

*قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى هـدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (قال اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه تكفح وجوه القدرية بالرد فانها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على ان المهتـدى من خلق الله له الهدى وان غـير ذلك محال ان يكون فلا يهتـدى الا من هـدى الله ولو لم يهده لم يهتدوا وأما القدرية فيزعمون ان كل مهتد خلق لنفسـه الهدى فهو اذا مهتد وان لم يهده الله اذ هدى الله للعبد خلق الهدى له وفى

قالت أخراهـــم لأولاهـم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهـم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كـذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهـم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجـمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هـدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

(قالت أخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لأولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لأولاهم لاجـل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن لا تعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضـعف أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون فى اسـتحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقيل ان الجنة فى السماء فالمعنى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ولا يطرق لهـم اليها ليدخلوا الجنة وقيـل لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهـم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشـديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل * وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنـه ان الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعنى أن الحبل مناسب للخيط الذى يسـلك فى سم الابرة والبعير لا يناسـبه الا أن قراءة العامة أوقع لان سم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خرّيت للاهتـداء به فى المضايق المشـبهة بأخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم قال

*جسم الجمال وأحلام العصافير * ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذى لا يلج الا فى باب واسـع فى ثقب الابرة وعن ابن مسعود أنه سـئل عن الجمـل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف * وقرئ فى سم بالحركات الثـلاث * وقـرأ عبـد الله فى سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثـل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال (وكذلك نجزى الظالمين) لان كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى قراءة عبد الله (لا نكلف نفسا الا وسعها) جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصـف الواصـف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسـع وهو الامكان الواسع غـير الضـيق من الايمان والعـمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس * من كان فى قلبـه غلّ على أخيـه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهـم وطهرت ولم يكن بينهـم الا التوادّ والتعاطف وعن علىّ رضى الله عنـه انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (هدانا لهذا) أى وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدى) اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يسـتقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفى مصاحف أهـل الشام ما كنا لنهتدى

زعمهم ان الله تعالى لم يخلق لاحد من المهتدين الهدى ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله

نغير

عما يقولون ولما فطن الزمخشرى ذلك جرى عـلى عادته فى تحريف الهـدى من الله تعالى الى اللطف الذى بسـببه يخلق العبـد الاهتـداء لنفسه فانصف من نفسك واعرض قول القائل المهتـدى من اهتـدى بنفسه من غـير ان يهـديه الله أى يخلق له الهـدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحـدين فى دار الحـق وما كنا لنهتـدى لولا أن هـدانا الله وانظـر تباين هـذين القولين أعنى قول المعتزلى فى الدنيا وقول الموحـد فى الآخرة فى مقـعد صـدق واختر لنفسـك أى الفريقـين تقتدى به وما أراك والخطاب لكل عاقل تعدل بهـذا القول المحكى عن أولياء الله فى دار السـلام منوها به فى الكتاب العـزيز قول قدرى ضال تذبذب مع هواه وتعصبه فى دار الغرور والزوال نسأل الله حسن المآب والمآل

*عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون المراد بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة) قال أحمد يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلا منه ورحمة لا أن ذلك مستحق عليه وواجب لعباده وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها جمعا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على ان الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شئ فانظر أيها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب ان يلقب أصحابه بالمبطلة وحاكم لنفسك اليهم اذا وضح لك أنهم بروا في هذا البر فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع ٣٢٩ بوجودها ولا يتضرر بتركها

وغيروا وعلى أنها جملة موضحة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة (أن تلكم الجنة) أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم أي تلكم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة *أن في (أن قد وجدنا) يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك (أن لعنة الله على الظالمين) وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول أو على اجراء أذن مجرى قال*(فان قلت) هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا (قلت) حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة الا عذاب لهم فأطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الأعراف) وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة * اذا نظروا الى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته أن لا يجعلهم معهم * ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) اشارة لهم الى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة) يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الاعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون

لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة

تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها اقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة والسلام*عاد كلامه (قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا الخ) قال أحمد ولقائل ان يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الاول فقيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لكان الفعل مطلقا أيضا باعتبار الموعود به لانه لم يذكر فكان يتناول كل موعود به من البعث والحساب والعقاب الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه أن حذفه ايجاز وتخفيف واستغناء عنه بالاول والله أعلم*قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين

(قال التضرع تفعل من الضراعة وهى الذل الخ) قال أحمد وحسبك فى تعين الاسرار فى الدعاء اقترانه بالتضرع فى الآية فالاخلال به كالاخلال بالضراعة الى الله فى الدعاء وان دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح فى الدعاء خصوصا فى الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستد المسامع وتستد ويهتز الداعى

لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية

فى حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التى استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسىء عن اساءته ويزيد المحسن فى احسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا * وقرأ الاعمش واذا قلبت أبصارهم * وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة * (فان قلت) كيف لاءم هذا بين القراءتين قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله فادخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون * (فان قلت) ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال * ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم * وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة (أفيضوا علينا) فيه دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة فى أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحذر كقوله * حرام على عينى أن تطعم الكرى * (فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به (فصلناه على علم) عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها و(هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (الا تأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين وصح أنهم جاؤا بالحق (نرد) جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبى اسحق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا أو تكون أو بمعنى حتى أن أى يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد أى يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد (بأمره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمى ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك * وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع * ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والامر) أى هو الذى خلق الاشياء كلها وهو الذى صرفها على حسب ارادته (تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية * وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أى تذللا وتملقا * وقرئ وخفية وعن الحسن رضى الله عنه ان الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه

بالناس ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين رفع الصوت فى الدعاء وفى المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار وما هى الا رقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والاطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لانها لو كانت من أصل لكانت عند اتباع السنة فى الدعاء وفى خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى فما أكثر التباس الباطل بالحق على الكثير

الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا (انه لا يحب المعتدين) أي المجاوزين ما أمروا به في كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى انه لا يحب المعتدين (ان رحمة الله قريب من المحسنين) كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أي شئ قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب أو لان تأنيث الرحمة غير حقيقي * قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى (بين يدي رحمته) أمام رحمته وهي الغيث الذي هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثرا (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به * كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى أنه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشئ بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض العذاة الكريمة التربة (والذي خبث) الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به * باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة (نكدا) والنكد الذي لا خير فيه * وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا أنه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذي خبث * وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة أصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء أي يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحا) جواب قسم محذوف (فان قلت) ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله * حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا (قلت) انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام * وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ

انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

عقول كثير من الخلق اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

* قوله تعالى قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكن رسول من رب العالمين (قال ان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال أحمد تعليله كون نفيها أبلغ من نفي الضلال بانها أخص منه غير مستقيم والله أعلم فان نفي الاخص أعم من نفي الاعم فلا يستلزمه ضرورة ان الاعم لا يستلزم الاخص بخلاف العكس ألا تراك اذا قلت هذا ليس بانسان لم يستلزم ذلك ان لا يكون حيوانا ولو قلت هذا ليس بحيوان لاستلزم ان لا يكون انسانا فنفي الاعم كما ترى أبلغ من نفي الاخص والتحقيق في الجواب ان يقال الضلالة أدنى من الضلال وأقل لانها لا تطلق الا على الفعلة الواحدة منه وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفي الادنى أبلغ من نفي الاعلى لا من حيث كونه أخص وهو من باب التنبيه بالادنى على الاعلى والله أعلم * قوله تعالى ولكني رسول من العالمين أبلغكم رسالات ربي الآية (قال ان قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان الخ) قال أحمد وقد استدرك ابن جني قول أبي الطيب

* أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي * عدولا عن لفظ الغيبة لو كان الى أدبه وهذه الآية والرجز العلوي كفيلان بتحسين ما ارتكبه أبو الطيب

قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد

والنصب على الاستثناء بمعنى مالكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من أحد الا زيدا أو غير زيد (فان قلت) فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله * واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (الملأ) الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (في ضلال) في ذهاب عن طريق الصواب والحق * ومعنى الرؤية رؤية القلب * (فان قلت) لم قال (ليس بي ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شئ من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت مالي تمرة * (فان قلت) كيف وقع قوله (ولكني رسول) استدراكا للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة * وقرئ أبلغكم بالتخفيف (فان قلت) كيف موقع قوله أبلغكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول (فان قلت) كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال * أنا الذي سمتن أمي حيدره * (رسالات ربي) ما أوحي الي في الاوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة (وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام (وأعلم من الله مالا تعلمون) أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي الي بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به * (فان قلت) (في الفلك) بم يتعلق (قلت) هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الانجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (عمين) عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى

(قال فان قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى فى قصة هود هذه قال ياقوم ولم يقل فقال قلت لانه أخرج الكلام جوابا عن سؤال سائل
كأنه قيل فما قال هود حينئذ قيل قال ياقوم وكذلك قال الملأ) قال أحمد وحذف العاطف من ٣٢٣ المقاولة الاترى قوله فى سورة

أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا

ثابت والعامى على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك (أخاهم) واحدا منهم من قولك ياأخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا و (هودا) عطف بيان له * (فان قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال ياقوم) ولم يقل فقال كما فى قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ) (فان قلت) لم وصف الملأ (الذين كفروا) دون الملأ من قوم نوح (قلت) كان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى أسلم وكان يكتم اسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لاغير (فى سفاهة) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم و يسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (ناصح أمين) أى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقى أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو جعلكم ملوكا فى الارض قد استخلفكم فيها بعدهم (فى الخلق بسطة) فيما خلق من أجرامكم ذهابا فى الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم و بسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب * (فان قلت) اذ فى قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (أجئتنا لنعبد الله وحده) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فان قلت) مامعنى المجىء فى قوله أجئتنا (قلت) فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجىء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فأتنا بما تعدنا) استعجال منهم للعذاب (قد وقع عليكم) أى حق عليكم و وجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يابنى مالك قال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى صدره وقال له يابنى قد قلت الشعر * والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (فى أسماء سميتموها) فى أشياء ماهى الا أسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله تعالى ماتدعون من دونه من شئ ومعنى سميتموها سميتم بها من سميته زيدا * وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء

الشعراء حكاية عن تقاول موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الاقوال المعددة فيها والسر فى ذلك والله أعلم
ان العاطف ينتظم الجمل حتى يصيرها كالجملة الواحدة فاجتنب لارادة استقلال كل واحدة منها فى معناها والله أعلم

طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا * (فان قلت) ما فائدة نفى الايمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين * قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادى القرى (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتى * وكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا

وما كانوا مؤمنين
والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية

* قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قال ان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه الخ) قال أحمد فقوله لمن على الاول بدل الشئ من الشئ وهما لعين واحدة وعلى الثاني بدل بعض من كل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف وقع قولهم انا بما أرسل به مؤمنون جوابا الخ) قال أحمد وقولهم انا به مؤمنون ليس اخبارا

عن وجوب الايمان به بل عن امتثال الواجب والعمل به ونحن قد امتثلنا * عاد كلامه (قال ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي الخ) قال أحمد ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة ان يقولوا انا بما ارسل به كافرون ولكن أبوا ذلك حذرا مما في ظاهره من اثباتهم لرسالته وهم يجحدونها وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون فأثبت ارساله تهكما وليس هذا موضع التهكم فان الغرض اخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فلهذا خلص الكافرون قولهم عن اشعار الايمان بالرسالة احتياطا للكفر وغلوا في الاصرار

تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة

فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل في أرض الله) أي الارض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم (ولا تمسوها بسوء) لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشئ من الاذى اكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (في الارض) في أرض الحجر بين الحجاز والشام (من سهولها قصورا) أي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر * وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله * ينباع من ذفرى أسيل حرة * (فان قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت) على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و(لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (فان قلت) الضمير في منهم راجع الى ماذا (قلت) الى قومه أو الى الذين استضعفوا (فان قلت) هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) شئ قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش * (فان قلت) كيف صح قولهم (انا بما أرسل به مؤمنون) جوابا عنه (قلت) سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (انا بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال

للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوّهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم ونحو عن هذه ما فى قوله وما فعلته عن أمرى (ائتنا بما تعدنا) أرادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فى دارهم) فى بلادهم أو فى مساكنهم (جاثمين) هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التى جاء النهى عنها وهى البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مرّ بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف أمره وروى أنه عليه السلام مرّ بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن (فتولى عنهم) الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول (يا قوم لقد) بذلت فيكم وسعى ولم آل جهدا فى ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم (لا تحبون الناصحين) ويجوز أن يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فان قلت) كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه فى التهلكة يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطا) وأرسلنا لوطا و(اذ) ظرف لارسلنا أو واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفى وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أوّل من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم (انهم أناس يتطهرون) سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد (وأهله) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا فى ديارهم أى بقوا فهلكوا

وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين

والتذكير

والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت * وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشأم والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه * (فان قلت) أى فرق بين مطر وأمطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفى نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم وو بلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم ارسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعنى الحجارة ألا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين * كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الايمان بى والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا (فان قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لابد لمدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب * (فان قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيال والميزان كما فى سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر * ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى أمثالهم تحسبها حمقاء وهى باخس وقيل (أشياءهم) لانهم كانوا يبخسون الناس كل شئ فى مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروى أنهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا (بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم فى الليل والنهار أو بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد فى الارض أو الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعنى فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس أرغب فى متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم (ولا تقعدوا بكل صراط) ولا تقتدوا بالشيطان فى قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) * ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا (فان قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فى شئ منها أوعدوه وصدوه * (فان قلت) الام يرجع الضمير فى (آمن به) (قلت) الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به

* قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا (قال يقال مطرتهم السماء وواد ممطور الخ) قال أحمد مقصود المصنف الرد على من يقول مطرت السماء فى الخير وأمطرت فى الشر ويتوهم انها تفرقة وضعية فبين ان أمطرت معناه أرسلت شيأ على نحو المطر وان لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعا من الخيرات والارزاق مثلا كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات أى أرسلتها ارسال المطر فليس للشر خصوصية فى هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق ان السماء لم ترسل شيأ سوى المطر الا وكان عذابا فظن الواقع اتفاقا مقصودا فى الوضع فنبه على تحقيق الامر فيه وأحسن وأجمل

قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا الآيات (قال ان قلت كيف خاطبوا شعيبا بصيغة العود الخ) قال أحمد والزمخشرى بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعى رجوع العائد الى حال كان عليها قبل والتحقيق فى الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك أن هذا الفعل وان استعمل كذلك الا أنه كثيرا ما يرد بمعنى صار وحينئذ يجوز أن يكون أخا كان ولا يستدعى الرجوع الى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة الى حالة مؤتنفة مثل صار وكأنهم قالوا والله أعلم لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن كفارا مثلنا وحينئذ يندفع السؤال أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع الى أمر سابق ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والاخراج يستدعى دخولا سابقا فيما وقع الاخراج منه ونحن نعلم ان المؤمن الناشئ فى الايمان لم يدخل قط فى ظلمة ٣٣٨ الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الاصلى لم يدخل قط فى نور الايمان ولا كان فيه ولكن لما كان الايمان

وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا

عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبى العهد مما أصاب المؤتفكة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف * أى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم فى الكفر (فان قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود فى الكفر فى قولهم (أو لتعودن فى ملتنا) وكيف أجابهم بقوله (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها) والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر (قلت) لما قالوا لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا فى الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا أنه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب *(فان قلت) فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (الا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم فى الكفر (قلت) معناه الا أن يشاء الله

والكفر من الافعال الاختيارية التى خلق الله العبد متيسرا للكل واحد منهما متمكنا منه لو أراده فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله خذلانا عنه الى الايمان اخبارا بالاخراج من الظلمات الى النور توفيقا من الله له ولطفا به وبالعكس فى حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره فى هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لاقامة حجة الله على عباده والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا (قال ان قلت الله تعالى مقدس عن ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم الى الكفر الخ) قال أحمد وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة فى اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والاصلح وهو غير موجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله وأما استدلال الزمخشرى على صحة تأويله بقوله وسع ربنا كل شئ علما فمن اختيالاته فى التأويلات الباطلة يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها وموقع قوله وسع ربنا كل شئ علما الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الامور الغائبة فان العود الى الكفر جائز فى قدرة الله أن يقع من العبد ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالحذر قائم والخوف لازم ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والايمان السالم والله الموفق ونظيره قول ابراهيم عليه السلام ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما لما رد الامر الى المشيئة وهى مغيبة مجد الله تعالى

خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لاتنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله (وسع ربنا كل شئ علما) أى هو عالم بكل شئ مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازديادالايقان ويجوز أن يكون قوله الا أن يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج عن الحكمة * أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح لنا (ربنا افتح بيننا) احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا (وبين قومنا) وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (فان قلت) كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم (قلت) هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان المرتد أبلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفترعلى الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولاند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام يعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان (لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية (فان قلت) ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط (قلت) قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم الخاسرين) وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم * الاسى شدة الحزن قال العجاج * وانحلبت عيناه من فرط الاسى * اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى أنه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا أحقاء بالاسى * وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقال الحطيئة * بمستأسد القريان عاف نباته * وقال

ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا أن نأخذهم بالعذاب (فأخذناهم) أشد الاخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم * اللام فى القرى اشارة الى القرى التى دل عليها قوله وما أرسلنا فى قرية من نبى كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصى مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم بركات

وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن أتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

بالانفراد بعلم الغائبات والله أعلم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فالحقه به وسحقا سحقا

* قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال ان قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد بل يجوز والله عطفه عليه ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولا يضرهم ان كانوا كفارا أو مقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولا بد اذ الطبع هو التمادي على الكفر والاصرار والغلو في التصميم حتى يكون الموصوف به مأيوسا من قبوله للحق ولا يلزم أن يكون كل كافر بهذه المثابة بل ان الكافر يهدد من تماديه على كفره بان يطبع الله على قلبه فلا يؤمن أبدا وهو مقتضى العطف على أصبناهم فتكون الآية قد هددتهم بأمرين أحدهما الاصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثاني أشد من الاول وهو أيضا نوع من الاصابة بالذنوب أو العقوبة عليها ولكنه أنكى أنواع العذاب وأبلغ صنوف العقاب وكثيرا ما يعاقب الله على الذنب بالايقاع في ذنب أكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلو فيه كما قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما زادت المؤمنين ايمانا الى ايمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الايمان ايمان وثواب الكفر كفر وانما الزمخشري يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع في مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لانه قبيح والله عنه متعال وأنى يتم الفرار من الحق وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

من السماء والارض) لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات (ولكن كذبوا فأخذناهم) بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس (فان قلت) ما معنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما يسر أمر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين * البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا و (ضحى) نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا أشرقت وارتفعت * والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار (فان قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى * وقرئ أو أمن على العطف بأو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون * (فان قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله (أفأمنوا مكر الله) (قلت) هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا * اذا قرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (فان قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الارض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم (قلت) لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فان قلت) ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم (فان قلت) ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها (قلت) معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل

من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل

* قوله تعالى انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق (قال فيه أربع قراآت المشهورة وحقيق علىّ أن لا أقول الخ) قال أحمد القلب يستعمل فى اللغة على وجهين أحدهما قلب الحقيقة الى المجاز لوجه من المبالغة كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ومنها قوله قد صرح السر عن كتمان وابتذلت * وضع المحاجن بالمهرية الدقن *

فالحقيقة أن الضياطرة تشقى بالرماح والمهرية تبتذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيها على أن الرماح قد تنفصل وتتقصف فى أجوافهم فعبر عن ذلك بالشقاء وان المحاجن كثيرا ما ترفع وتوضع وتستعمل فى ضرب المهرية وربما تمزقت عن ٣٤١ ذلك فجعل ذلك ابتذالا لها وقد حام أبو الطيب حول هذا النوع كثيرا فى أمثال قوله

كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى

مجىء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين لا يرعون ولا تلين شكيمتهم فى كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفى وأن الايمان كان منافيا لحالهم فى التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق أى وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى ان أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه فى الايمان والتقوى (وان وجدنا) وان الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير الى الامم المذكورين وأنهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان * يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد ابن مصعب بن الريان (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) فيه أربع قراآت المشهورة وحقيق علىّ أن لا أقول وهى قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهى قراءة أبى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علىّ أن لا أقول وهى قراءة نافع والثانى أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أى لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل فى نكت القرآن أن يغرق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدوّ الله فرعون قال له لما قال انى رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به (فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام * (فان قلت) كيف قال له (فأت بها)

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به * وللسيوف كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف انقطاعه فى أضلاع المضروب كما صرح بذلك فى قوله

طوال الردينيات يقصفها دمى * وبيض السريجيات يقطعها لحمى

الوجه الثانى قلب معرى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه الاول الافصح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشرى وفى طيه من المبالغة ما نبهت عليه وأما الوجه الثانى وهو أن ما لزمك فقد لزمته ففيه نظر من حيث ان اللزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو أن يكون على بمعنى الباء ونقل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله أعلم ويشهد له قراءة أبى حقيق بان لا أقول

بعد قوله ان كنت جئت بآية (قلت) معناه ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك و يثبت صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لا يشك في انه ثعبان وروى أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصى * (فان قلت) بم يتعلق (للناظرين) (قلت) يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة (ان هذا لساحر عليم) أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصى حية والآدم أبيض (فان قلت) قد عزى هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملا وعزى ههنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم (أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون قالوا أرجئه وأخاه ومعنى أرجئه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجأه وأرجاه * (فان قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب بقوله (قالوا أئن لنا لأجرا) أي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة * (فان قلت) (وانكم لمن المقربين) ما الذي عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين أراد اني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه و يغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروى أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر * تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم (واما أن نكون نحن الملقين) فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم ونقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وروى

ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون انّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا انّ لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقرّبين قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس

*قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة الخ) قال أحمد معتقد المعتزلة انكار وجود السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم ومعتقد أهل السنة اقرارها لظواهر على ما هي عليه لان العقل لا يحيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الاقرار بوجوده ولا يمنع عند أهل السنة أن يرقى الساحر في الهواء ويستدق فيتولج في الكوة الضيقة ولا يمنع أن يفعل الله عند ارشاد الساحر ما يستأثر الاقتدار عليه وذلك واقع بقدرة الله تعالى عند ارشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد الصدق وانما أجريت هذا الفصل لان كلام الزمخشري لا يخلو من رمز الى انكاره الا أن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح بالدفاع وكشف القناع ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه فيسميه شعوذة وحيلة وبالقطع يعلم أن الشعوذة والحيلة انهم

أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم (بسحر عظيم) في باب السحر روى أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت مل الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصى كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قاس وقيع (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقي السحرة) وخروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الاخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروى أن موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر أتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن) وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم (من خلاف) من كل شق طرفا وقيل ان أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون (انا الى ربنا منقلبون) فيه أوجه أن يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب أو انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا أو انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه (وما تنقم منا الا أن آمنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أراد وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * (أفرغ علينا صبرا) هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (ويذرك) عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر موسى بمعنى أتذره وأيذرك يعني تطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك أي عبادتك وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (سنقتل ابناءهم) يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي أخبر

واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون

لا تعمل في يد ابن عمر رضي الله عنه حتى يكوعها ولا تؤثر في سيد البشر حتى يخيل اليه أنه يأتي نساءه وهو لا يأتيهن وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضا واقعا فالعمدة ان كل واقع فبقدرة الله تعالى فلا يمتنع أن يوقع تعالى بقدرته عند ارشاد الساحر أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء والله الموفق

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا انّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به

المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بنى اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التى قبلها (قلت) هى جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون * وقوله (انّ الارض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الارض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأوا العاقبة للمتقين بالنصب أبىّ وابن مسعود عطفا على الارض (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو ابن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون (بالسنين) بسنى القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس رضى الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة (لعلهم يذكرون) فيتنبهوا على أنّ ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولانّ الناس فى حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادّعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل فى النعمة والرفاهية واللام مثلها فى قولك الجل للفرس (وان تصبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فان قلت) كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة (قلت) لانّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأمّا السيئة فلا تقع الا فى الندرة ولا يقع الا شئ منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبى الحسن هو تكسير (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى

*قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون الى قوله يعلمون (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لان ذلك كان لاصرارهم الخ) قال أحمد دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها لهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقدير الخبر الذى هو لنا وقد علمت طريقة المصنف فى اسناد الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه * عاد كلامه (قال فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فلم يراع فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافا أوجب فى كل واحد منهما ما ذكر فيه *قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذى عده أوّلا من كلام سيبويه وسنذكره قال سيبويه وسألت الخليل عن مهما فقال هى ما أدخلت معها ما لغو بمنزلتها مع متى اذا قلت متى ما تأتى حدثتك انتهى كلام سيبويه وكأن هذا القائل والله أعلم اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما فظنها فى معناها وانما شبه الخليل بالثانية من مهما فى لحاقها زائدة

مؤكدة للاولى بما اللاحقة لمن عادكلام سيبويه قال ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الالف التى فى الاولى انتهى نقله
عن الخليل قال سيبويه ويجوز أن تكون كاذضمت اليها ما انتهى كلامه * قال أحمد ومعنى تشبيه سيبويه لها باذما أن الجزاء بجملة الكلمة
لا بالجزء الاول منها خاصة والامكان عين مذهب الخليل والذى يحقق ذلك أن سيبويه قال أول هذا الباب وأما حيث واذ فلا يجازى بهما حتى
يضم اليهما ما فتصير اذ مع ما بمنزلة انما وكانما وليست ما فيهما بلغو ولكن كل واحد منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست
ما فيهما بلغو يعنى ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ فى اقتضاء الجزاء حتى لا يفيده الا اجتماع جزئى الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر فى أن
سيبويه هل أراد أن ما ضمت الى مه التى هى الصوت او الى ما الجزائية والظاهر من مراده ان انضمامها الى ٣٤٥ الصوت لانها لو كانت منضمة

ما تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الأ أن الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير
المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مه هى الصوت الذى يصوت به الكاف
وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فان قلت) ما محل مهما
(قلت) الرفع بمعنى أيما شئ تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شئ تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران فى
به وبها راجعان الى مهما الا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لانه فى معنى الآية ونحوه قول
زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما
بمعنى متى ما ويقول مهما جئتنى أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية فى شئ ثم يذهب فيفسر
مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى
الناظر فى كتاب سيبويه (فان قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ما سموها آية لاعتقادهم
أنها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم
من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا
ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل
بيوت بنى اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم
سبعة أيام وعن أبى قلابة الطوفان الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو الموتان
وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم
تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم
ثم أكلت كل شئ حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى
موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فأشار بعصاه نحو
المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله
عليهم القمل وهو الحمنان فى قول أبى عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها
وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب
أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة الى الرحى
فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير انه كان الى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

الى ما الجزائية لكانت مستقلة بافادة الجزاء قبل انضمام ما اليها ولا تكون مثل اذ وحيث ولا يكون تنظير سيبويه مطابقا وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعزا ابن خروف هذا المذهب الى سيبويه ورد قول ابن

من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

باب شاذ ان هذا المذهب للخليل ٣ خاصة وقد تواطأ ابن باب شاذ والزمخشرى على نفى هذا المذهب عن سيبويه واعزائه الى غيره وأظهر ما قوى به مذهب الخليل والله أعلم ان هذه الكلمة استعملت فى الاستفهام حسب استعمالها فى الجزاء

٤٤ كشاف ل وأنشدوا مهما لى الليلة مهما ليه * أودى بنعلى وسربالية أراد ما لى الليلة ولا شكال ههنا انها ما الاستفهامية
كررت تأكيدا كما يقولون لالا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الاولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وان لم يكن تكرار فهو
لمه أجدر واذا وضح ان مهما الواقعة فى الاستفهام أصلها ما مكررة كان ذلك أوضح دليل على ان الواقعة فى الجزاء كذلك والاستشهاد
بالنظائر أمير حجج العربية والله أعلم وأما رد الزمخشرى على من زعم انها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فان الضمير
المجرور فيها عائد الى مهما حتما وقد اتصل به مفسرا له قوله من آية دل أن الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة اتحاد المرجع
فى المضمر ومظهره فذهاب هذا القائل الى ايقاع مهما على الوقت زاعما أنها بمعنى متى ما ذهاب عن الصواب وعذر الزمخشرى واضح فى الرد
على تسجيله واغلاظ النكير عليه وتفويق سهام التشنيع اليه فتأمل هذا الفصل ففيه اثارة للسبيل وشفاء للغليل والله الموفق

فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لانصدقك أبدا فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيأ من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يارب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم * وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف (آيات مفصلات) نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون الزاما للحجة عليهم (بما عهد عندك) ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما أن تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (الى أجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا (فانتقمنا منهم) فأردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم)* واليم البحر الذي لايدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين به يقصدونه (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه * والارض أرض مصر والشأم ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية (باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق (كلمت ربك الحسنى) قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر * وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى (ما كان يصنع فرعون وقومه) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه الا تصحيفا منه

آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر

فأتوا عـلى قوم يعكفون عـلى أصـنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كمالهـم آلهة قال انـكم قوم تجهـلون انّ هؤلاء متـبر ماهم فيـه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلـكم على العالمين واذ أنجيناكم من آل فـرعون يسومونـكم سوء العذاب يقتـلون أبناءكم ويسـتحيون نساءكم وفى ذلـكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثـلاثين ليـلة وأتممناهـا بعشر فـتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيـه هرون اخلفنى فى قومى وأصـلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولمـا جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب

* وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهـم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغـير ذلك من أنواع الكفر والمعاصى ليعلم حال الانسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليـل من عبادى الشكور وليسلى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم مما رأى من بنى اسرائيل بالمدينة ورُوى أنه عبر بهـم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم) فمرّوا عليهـم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أوّل شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيـل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السـلام بقتالهـم * وقرئ وجوّزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوّزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها (اجعل لنا الها) صنما نعكف عليـه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن على رضى الله عنه أنّ يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الهـا قبـل أن تجف أقدامكم (انـكم قوم تجهلون) تعجب من قولهـم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لانه لا جهل أعظم ممـا رأى منهم ولا أشنع (انّ هؤلاء) يعنى عبدة تلك التمـاثيل (متبر ماهم فيه) مدمر مكسر ماهم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لـكسار الذهب التبر أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا (وباطل ما كانوا يعملون) أى ما عملوا شيأ من عبادتها فيمـا سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان فى زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنـا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفى ايقاع هؤلاء اسمـا لانّ وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لهـا وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرّضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما أحبوا (أغير الله أبغيكم الهـا) أغـير المستحق للعبادة أطلب لـكم معبودا وهو فعل بكم ما فعـل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التى لم يعطها أحدا غـيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غـيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين فى نعمة الله عبادة غير الله (يسومونـكم سوء العذاب) يبغونكم شدّة العذاب من سام السلعة اذا طلبها (فان قلت) ما محل يسومونـكم (قلت) هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون و (ذلـكم) اشارة الى الانجاء أو الى العذاب * والبـلاء النعمة أو المحنة * وقرئ يقتلون بالتخفيف * ورُوى أنّ موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوّهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلمـا هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذى القعدة فلمـا أتمّ الثلاثين أنـكر خـلوف فيه فتسوّك فقالت الملائكة كنا نشمّ من فيك رائحة المسك فأفسـدته بالسواك وقيـل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أنّ خـلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليهـا عشرة أيام من ذى الحجة لذلك وقيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوما وأن يعـمل فيها بما يقرّبه من الله ثم أنزلت عليـه التوراة فى العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الاربعين فى سورة البقرة وفصلها ههنا و (ميقات ربه) ما وقته له من الوقت وضربه له و (أربعين ليلة) نصب على الحال أى تمّ بالغا هذا العدد و (هرون) عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء (اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل * ومن دعاك منهـم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه له وحدّدناه ومعنى اللام الاختصاص فـكأنه قيـل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه

* قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية (قال معناه كلمه بغير واسطة الخ) قال أحمد وهذا تصريح منه بخلق الـكلام كما هو معتقد المعتزلة والذى يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه انها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه اياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعـد آيات منها انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فـلو كان تـكليم الله له بمعـنى خلق الحروف والاصـوات فى بعض الاجرام واستمـاع موسى لذلك لـكان كل أحـد يساوى موسى عليـه السلام فى ذلك بل كان آحاد أصحاب النبى عليه الصـلاة والسلام آثر بهذه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لانهم سمعوا الـكلام على الوجـه المذكور من أفضل الاجرام وأزكاها خلقا فى رسول الله صـلى الله عليه وسلم وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر ونحن نعلم ضرورة من سـياق هـذه الآية تمييز

موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا يحمل لذلك الا اعتقاد انه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات البارى سبحانه وتعالى وان لم يكن جسما فكذلك نجيز أن يسمع كلامه وان لم يكن حرفا ولا صوتا والكلام فى هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه النكتة هى الخاصة بهذه الآية والله الموفق * عاد كلامه (قال وقوله أرنى أنظر اليك محذوف المفعول الاول مذكور الثانى والتقدير أرنى نفسك أنظر اليك الخ) قال أحمد ما أشد ما اضطرب كلامه فى هذه الآية لان غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه وجه الغزالة هيهات قد تبين الصبح لذى عينين فالحق أبلج لا يعاز جهر يب الا عند ذى رين أما حظ المعقول من اجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام وأخصر وجه فى اجادة ذلك ان الوجود مصحح الرؤية بدليل ان جواز الرؤية حكم يستدعى مصححا وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححا سوى الوجود واذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده وأما استبعاد أن يرى ما ليس فى جهة فأمر وهمى مثله عرض للمعطلة فعميت بصائرهم حتى أنكروا موجودا الا فى جهة ومن اتبع الاوهام اغتسق مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئى لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف انه سبحانه يعرف لا فى جهة فكذلك يرى لا فى جهة فالحق ان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك ٣٤٨ على الله تعالى والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وما هم حينئذ الا من آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وأما قوله عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا تبريا من أفعالهم وسفههم وتضليلا

أرنى أنظر اليك قال لن تراني

أن يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه محطوطا فى اللوح وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضى الله عنه كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه فى أول الاربعين (أرنى أنظر اليك) ثانى مفعولى أرنى محذوف أى أرنى نفسك أنظر اليك (فان قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك (قلت) معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لى فأنظر اليك وأراك * (فان قلت) فكيف قال (لن تراني) ولم يقل لن تنظر الى لقوله أنظر اليك (قلت) لما قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤية التى هى الادراك علم أن الطلبة هى الرؤية لا النظر الذى لا ادراك معه فقيل لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى (فان قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان فى جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ومنع المجبرة احالته فى العقول غير لازم لانه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا (قلت) ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرنى أنظر اليك (فان قلت) فهلا قال أرهم ينظروا اليك (قلت) لان

لرأيهم فلا راحة للقدرية فى الاستشهاد به على انكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فان الذى كان الاهلاك بسببه انما هو عبادة العجل فى قول أكثر المفسرين ثم وان كان السبب طلبهم للرؤية فليس لانها غير جائزة على الله ولكن لان الله تعالى أخبر انها لا تقع فى دار الدنيا والخبر صدق وذلك الله بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيبا للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله انه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل اخبار الله تعالى بعدم وقوعها فانما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الايمان عليها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ألا ترى ان قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا انما سألوا فيه جائزا ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الايمان عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشرى بعين الهوى وعمايته عن سبيل الهدى والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قال أرهم ينظروا اليك الخ) قال أحمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الاول وأقرب شاهد على رده انه لو كان طلب الرؤية لهم حتى اذا سمعوا منع الله تعالى لها أيقنوا انها ممتنعة لكان طلبها عبثا غير مفيد لهذا الغرض لان هؤلاء لا يخلو أمرهم اما أن يكونوا مؤمنين بموسى أو كفارا به فان كانوا مؤمنين به فاخباره اياهم بان الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك كاف فى حصول المقصود فى غير حاجة الى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته على علم بان ذلك محال وان كانوا كفارا بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك أيضا لان الله تعالى اذا منعه مسؤله من الرؤية فانما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى انه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم خبره عن الله بامتناع ذلك فهذا أوضح مصداق لان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه اعتقادا لجوازها على الله تعالى فأخبره الله ان ذلك لا يقع فى الدنيا وان

كان جائزا * عاد كلامه (قال وقوله أنظر اليك وما فيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه ان النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها
وأما تنزيهه موسى عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية اليه فهو غنى عنه واما اقناعه في تفصيله برتبة انه عليه السلام في العلم بالله
وبصفاته على واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين فهو نقص عن منصبه العلى واقل العوام المقلدين لاهل السنة راجح
عند الله على أصحاب البدع والاهواء وان ملؤا الارض نفاقا وشحنوا مصنفاتهم عنادا لاهل السنة وشقاقا فكيف بكليم الله عليه أفضل الصلاة
والسلام * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى ان قلت تأكيد النفى الذى تعطيه لا الخ) قال أحمد لن كما قال تشارك لا في النفى وتمتاز بمزية
تأكيده وأما استنباط الزمخشرى من ذلك منافاة الرؤية لحال البارى عز وجل ثم اطلاق الحال على الله تعالى مما يستحرز عنه واستشهاده على
ان لن تشعر باستحالة المنفى بها عقلا مردود كثيرا بكثير من الآى كقوله تعالى قل لن تخرجوا ٣٤٩ معى أبدا فذلك لا يحيل خروجهم
عقلا ولن يؤمن من قومك الا من قد آمن لن تتبعونا فهذه كلها جائزات عقلا لولا ان الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك * عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد الخ) قال احمد نسبة
جواز الرؤية الى الله تعالى عند الزمخشرى كنسبة الولد اليه وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه وليس له في هذا الفصل وظيفة الا تتبع الشبه لامتناع الرؤية تلقفها من كل فج والحق ان ذلك الجبل
انما كان لا ان الله عز وجل اظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لاظهار شئ من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف
في هذه الآية ومعناه عند أبى الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجليا وكان الغضب اما لانهم طلبوا رؤية جسمانية في جهة واما لانهم كتموا الخبر
بانه لا يرى في الدنيا واما لانهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع * عاد كلامه (قال ومعنى فان استقر مكانه فان ثبت كما كان ذاهبا الخ) قال احمد
وهذا من حيل القدرية في احالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه
حيلة باطلة فان المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بانه لا يستقر له لا يرفع امكان استقراره وتعلق
العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من امكان الى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لاهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق
عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون ان خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدورا ونحن نقول مقدور ولكن
ما تعلقت المشيئة بايجاده وقولنا أقعد بالآداب واسعد بالاجلال في الخطاب

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته
فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرنى أنظر
اليك ولانه اذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون
ذلك كان غيره أولى بالانكار ولان الرسول امام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا اليهم وقوله
انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التى هى محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم
وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق
في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين وجميع
المتكلمين (فان قلت) ما معنى لن (قلت) تأكيد النفى الذى تعطيه لا وذلك أن لا تنفى المستقبل
تقول لا أفعل غدا فاذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافى حالى كقوله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفى للرؤية فيما يستقبل ولن ترانى تأكيد وبيان لان المنفى مناف
لصفاته (فان قلت) كيف اتصل الاستدراك في قوله (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله (قلت) اتصل به
على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن
طلبت الرؤية لاجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما
أريك من عظم أثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال
هدا أن دعوا للرحمن ولدا (فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته (فسوف ترانى) تعليق
لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج
بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة
الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعنى قوله
فان استقر مكانه فسوف ترانى (فلما تجلى ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وارادته (جعله دكا)
أى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء
اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن
الشعبى قال لى الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أى مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أى قطعا دكا جمع
دكاء (وخر موسى صعقا) من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من

فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ

الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس (فان قلت) فان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب (قلت) من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله أرنى أنظر اليك عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها اراءة فى جلائها بآية مثل آيات القيامة التى تضطر الخلق الى معرفتك أنظر اليك أعرفك معرفة اضطرار كأنى أنظر اليك كما جاء فى الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن ترانى أى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيأ لا يقوم لبطشك وبأسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم (برسالاتى) وهى أسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر (فان قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا (قلت) أجل ولكنه كان تابعا له وردأ ووزيرا والكليم هو موسى عليه السلام والاصيل فى حمل الرسالة * ذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة أذرع وقوله (من كل شئ) فى محل النصب مفعول كتبنا و (موعظة) وتفصيلا

* عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقا وخر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية انما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من اهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص فى الخطاب * عاد كلامه (قال فان قلت ان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب الخ) قال أحمد أما دك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية فى الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف فى خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين ان مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف وأما التوبة فى حق الانبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب لان منصبهم الجليل ينبغى أن يكون منزها مبرأ من كل ما يحط به ولا شك ان التوقف فى سؤال الرؤية على الاذن كان أكمل وقد ورد سيئات المقربين حسنات الابرار * عاد كلامه (قال ثم أعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد انتقل الزمخشرى فى هذا الفصل الى ما تسمعه من هجاء أهل السنة ولولا الاستنان بحسان بن ثابت الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداءه فنحن نناضح عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم فنقول

وجماعة كفروا برؤية ربهم * حقا ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل * عدلوا بربهم وحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

بدل منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الالواح انى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبين فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير فى خذها للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن يحملوا على أنفسهم فى الاخذ بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لانه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم فى ممركم عليها فى أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لى وأنره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون (سأصرف عن آياتى) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أى يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء* وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام * وما أسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك فى دينه أسفه (ذلك) فى محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من اضافة المصدر الى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الآخرة (من بعده) من بعد فراقه اياهم الى الطور (فان قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامرى (قلت) فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثانى أن يراد واتخذوه الها وعبدوه* وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلى كثدى وثدى ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلى ومن حليهم على التوحيد والحلى اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة (فان قلت) لم قال من حليهم ولم يكن الحلى لهم انما كانت عوارى فى أيديهم (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عوارى فى أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى الى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل (جسدا) بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد* والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامرى قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل

فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار

عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا (ألم يروا) حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الامر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شئ في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم (ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم * وقرئ لئن لم ترحمنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا * الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتموني) قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله (فان قلت) أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم (فان قلت) أي معنى لقوله (من بعدي) بعد قوله خلفتموني (قلت) معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني اسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخاف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة * يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع اليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد أنبيائهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقى الالواح) وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى وروى أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقي الهدى والرحمة (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره اليه) بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن أمي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لابيه وأمه فان صح فانما أضافه الى الام اشارة الى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى الى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (ان القوم استضعفوني) يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا أن يقتلوه (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لاجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين)

ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئس ما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

قال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيآت ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى

ولاتجعلنى فى موجدتك على وعقوبتك لى قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد أنى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم * لما اعتذر اليه أخوه وذكر له شماتة الاعداء (قال رب اغفر لى ولاخى) ليرضى أخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى أخيه ولاخيه أن عسى فرط فى حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفترين) المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا الهكم واله موسى ويجوز أن يتعلق فى الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (والذين عملوا السيآت) من الكفر والمعاصى كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) الى الله واعتذروا اليه (وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جناياتهم أولا ثم أردفها تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهى وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وجر برأس أخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيأ من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أى أسكته الله أو أخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه (أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ منها أى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسى قومه) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله

* منا الذى اختير الرجال سماحة * قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يصب الاستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن تختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرنى أنظر اليك يريد أن يسمعوا الرد والانكار من جهته فأجيب بلن ترانى ورجف بهم الجبل فصعقوا * ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) وهذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله

* قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل أولا ثم أردفها بحكم عام الخ) قال أحمد يعرض بوجوب وعيد الفساق وان مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المحال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الاهواء والبدع بل الحق ان المغفرة لما دا الشرك موكولة الى المشيئة غير ممتنعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق * قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وخذ برأس أخيك الخ) قال أحمد وهو من النمط الذى قدمته من قلب الحقيقة الى المجاز وكان الاصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه فى نمط خرق الثوب المسمار والتحقيق أنه ليس منه وان هذا القلب أشرف وأفصح لانه عاله على معنى بليغ وهو ان الغضب كان متمكنا من موسى حتى كان كأنه يصرفه فى أوامره وكل ما وقع منه حينئذ فعن الغضب صادر حتى كأنه هو الذى أمره به ومثل هذه النكتة الحسناء لا تلقى فى خرق الثوب المسمار بل هى موجودة فى قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق على خلاف

لاهلكني قبل هذا (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا (ان هي الا فتنتك) أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بأمورنا (واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

يا راكب الذنب هدهد * واسجد كأنك هدهد

وقرأ أبو وجرة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك أنفسنا وأملناها أو حركنا اليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده (عذابي) من حاله وصفته أني (أصيب به من أشاء) أي من وجب على في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة * وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شئ ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي * وقرأ الحسن من أساء من الاساءة * فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الذي يجدونه) يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل * ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة * الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم * وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع عن معاودة القبيح ألا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع و (النور) القرآن (فان قلت) ما معنى قوله (أنزل معه) وانما أنزل مع جبريل (قلت) معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه (فان قلت) كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس

قراءة نافع وقد تقدم ذلك آنفا والله الموفق

بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شئ (اني رسول الله اليكم جميعا) قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم * (فان قلت) (الذي له ملك السموات والارض) ما محله (قلت) الاحسن أن يكون منتصبا باضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله (لا اله الا هو) بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى (لعلكم تهتدون) ارادة أن تهتدوا (فان قلت) هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم * وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيأ من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام (فان قلت) مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره * بين رماحي مالك ونهشل * و(أمما) بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لان كل اسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف * وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج * وكيف غربي دالج تبجسا * (فان قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الالباس وليجعل

اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم

الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لاحاجة الى الافصاح به وقوله (كل أناس) نظير قوله اثنتي عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام وأخوات لها ويجوز أن يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه و (كلوا) على ارادة القول (وما ظلمونا) وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم * ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذكر اذ قيل لهم * والقرية بيت المقدس (فان قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين * وكذلك زيادة منهم زيادة بيان * وأرسلنا وأنزلنا و (يظلمون) و يفسقون من واد واحد * وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول (وسلهم) وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب أو وحي فاذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت * والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (حاضرة البحر) قريبة منه راكبة لشاطئه (اذ يعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين و يعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله (ويوم لا يسبتون) وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم * وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا * (فان قلت) اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب (قلت) أما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة وأما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل * والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا (كذلك نبلوهم) أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب (أمة منهم) جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أي مخترمهم ومطهر الارض منهم (أو معذبهم عذابا شديدا) لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط (ولعلهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء * وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة الى ربكم أو اعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه

كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به

(أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فان قلت) الامة الذين قالوا لم تعظون من أى الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين (قلت) من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وأن النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله فى باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك وأما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم فى أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ياليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ فى السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذاهم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الانس والانس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول ألم ننهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر (بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وبائس على فاعل (فلما عتوا عما نهوا عنه) فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد (وقطعناهم فى الارض أمما) وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين

أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون

آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فان قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد الا له مقام (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم) ينتهون فينيبون (فخلف) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها (يأخذون عرض هذا الادنى) أي حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الاحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة (ودرسوا ما فيه) في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيأ كل أمرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله * وقرئ ورّثوا الكتاب وألا تقولوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالياء والتاء * (فان قلت) ما موقع قوله ألا يقولوا على الله الا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقوّل عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق (فان قلت) علام عطف قوله ودرسوا ما فيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره (انا لا نضيع أجر المصلحين) والمعنى انا لا نضيع أجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا * وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبيّ والذين مسكوا بالكتاب (فان قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة فكيف أفردت (قلت) اظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان * وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب (واذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه * والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه اذا أشرف (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وأنغض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على ارادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهي

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة انا لا نضيع أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

*قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية (قال هذا من باب التمثيل والتخييل الخ) قال احمد اطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به وأما اطلاقه التخييل على كلام الله تعالى فردود ولم يرد به سمع وقد كثر انكارنا عليه لهذه اللفظة ثم ان القاعدة مستقرة على ان الظاهر مالم يخالف المعقول يجب اقراره على ماهو عليه فكذلك أقره الاكثرون على

واذكروا مافيه لعلكم تتقون واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

ولا تنسوه أو واذكروا مافيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتينا كم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا (واذكروا مافيه) من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه * وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام وفى كلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * قالت له ريح الصبا قرقار * ومعلوم أنه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى (أن تقولوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو) كراهة أن (تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم (فان قلت) بنو آدم وذرياتهم من هم (قلت) عنى بنى آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها فى المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها فى اليهود الآيات التى عطفت عليها هى والتى عطفت عليها وهى على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت أمة منهم لم تعظون واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) وارادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها * وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا اليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة (فان قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذى يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ماهى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ماهو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التى هى مثل فى الخسة

ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا وأما كيفية الاخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك * عاد كلامه (قال فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم الخ) قال احمد والاظهر انها شاملة لجملة بنى آدم فتدخل اليهود فى عمومها لان كل واحد من بنى آدم يصدق عليه الامران جميعا انه ابن آدم وانه ذريته ولا يخرج من هذا الا آدم عليه السلام وانما لم يذكر لظهوره ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى فى فن البلاغة باللف اختصارا وايجازا

*قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التي هي أحسن الاسماء الخ) قال أحمد أي مما يجوز عليه وان لم يرد اطلاقه شرعا ٣ كالشريف والعارف ونحو ذلك * عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال أحمد وفي هذا التأويل ٣٦٠ بعد لان ترك الدعاء ببعض الاسماء لا يطلق عليه الحاد في العرف وانما يطلق على فعل لا على ترك ولكن يتميز عن الوجه السالف بانه أضاف الاسماء الملحد فيها الى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه فان هذا ليس من أسمائه الا أن

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها * وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث (فان قلت) ما محل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به (فاقصص) قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم (ساء مثلا القوم) أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) اما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها (فهو المهتدي) حمل على اللفظ و (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثيرا من الجن والانس) هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم * وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاعراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم الا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الاسماء الحسنى) التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى

يقال اضافه اليه تنزيلا على زعمهم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير الخ)
قال أحمد لا بدع حشو العقائد الفاسدة في غير موضع بسعها فان يكن المراد الاوصاف فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة وهي
والانفراد بالمخلوقات حتى لا يشرك معه عباده في خلق أفعالهم ويعظم الله تعالى بانه لا يسئل عما يفعل وان كل قضائه عدل وانه لا يجب
عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وان وعده الصدق وقوله الحق وقد وعد رؤيته فوجب وقوعها الى غير ذلك من أوصافه

وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا والذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز * لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون أعمال أهل النار أتبعه قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين * الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم

ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيأ بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في أثر بعض ومعنى (سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه (وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين (ان كيدي متين) سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف (وأن عسى) أن مخففة من الثقيلة والاصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن * (فان قلت) بم يتعلق قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا * قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم (يسئلونك) قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش * والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت وأي فعل من أويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لانه زمان وأين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة (مرساها) ارساؤها أو وقت ارسائها أي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله (انما علمها) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك أدعى الى

وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي

الجليلة وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيجحدونها يزعمون انه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هي مقسومة بينه وبين عباده ويوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة ويحجرون واسعا من مغفرته وعفوه وكرمه على الخاطئين من موحديه الى غير ذلك من الالحاد المعروف بالطائفة الملقبين عدلية المزكين لانفسهم وهو أعلم بمن اتقى * عاد كلامه (قال وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الخ) قال احمد وهذا تفسير حسن ملائم والله أعلم

*قوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كأنك بليغ في السؤال عنها الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تلفى الا في الكتاب العزيز وهو أجل من أن يشاركه فيها وذلك ان المعهود في أمثال هذا التكرير أن الكلام اذا بني على مقصد واعترض في اثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الاول وقد بعد عهده طري بذكر المقصد الاول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدم لذلك في الكتاب العزيز أمثال وسيأتي وهذا منها فانه لما ابتدأ الكلام بقوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله قل انما علمها عند ربي الى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الانكار عليهم وهو المضمن في قوله كأنك حفي عنها ٣٦٢ وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطري ذكره تطرية عامة ولا نراه أبدا يطرى الا بنوع من الاجمال كالتذكرة للاول مستغنى عن تفصيله بما تقدم فمن ثم قيل يسألونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة اكتفاء بما تقدم فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضا مجملا فقال قل انما علمها عند الله ويلاحظ هذا في تلخيص الكلام بعد بسطه ومن أدق ما وقفت عليه العرب في هذا النمط من التكرير لاجل بعد العهد تطريته للذكر قوله

عجل لنا هذا وألحقنا بذا ال * ألشحم انا قد مللناه بجل وحده

أي فقط فذكر الالف واللام خاتمة للاول من الرجزين ثم لما استفتح الزجر الثاني استبعد العهد بالاولى فطري ذكرها وأبقى الاولى في مكانها ومن ثم استدل ابن جني على ان ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف كما ذهب اليه أبو الحسن قال ولو كان بيتا واحدا لم يكن عهد الاولى متباعدا فلم يكن محتاجا الى تكريرها ألا ترى ان عبيد الماجاء بقصيدة طويلة الأبيات وجعل آخر المصراع الاول أل لم يعدها أول المصراع الثاني لانها بيت واحد فلم يرعهدها بعيدا وذلك قوله

يا خليلي اربعا واستخبرا ال * منزل الدارس من أهل الحلال مثل سحق البرد عفى بعدك ا ل * قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتا فانظر هذه النكتة كيف بالغت العرب في رعايتها حتى عدت القريب بعيدا والمتقاصر مديدا فتأملها فانها تحفة انما تنفق عند الحذاق الاعيان في صناعتي العربية والبيان والله المستعان

لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم

الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها (ثقلت في السموات والارض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويود أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها (الا بغتة) الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى في المسئلة اذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسئلونك أي يسئلونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي اليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه (فان قلت) لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله (قلت) للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي) هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد (الا ما شاء) ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شئ منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير (ان أنا الا) عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أني أعلم الغيب (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير

وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي الانذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهي حوّاء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (ليسكن اليها) ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لانّ الجنس الى الجنس أميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى * والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهنّ من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهنّ تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظنّ الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما) ما طلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحوّاء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى الى قوله في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يباري وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه * وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله شركا في الولد * أجريت الاصنام مجرى أولي العلم في قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شئ كما يخلق الله وهم مخلقون لان الله عز وجل خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شئ لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) أي الى ما هو هدى ورشاد أو الى أن يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (سواء عليكم أدعوتموهم) أم صمتم عن دعائهم في

من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون

* قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون (قال الضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب والله أعلم أن يكون المراد جنسي الذكر والانثى لا يقصد فيه الى معين وكان المعنى والله أعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا اليهن فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الانثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وانما نسب هذه المقالة الى الجنس وان كان فيهم الموحدون لان المشركين منهم أئذا مامت لسوف أخرج حيا وقتل الانسان ما أكفره ان الانسان لفي خسر كما انه كذلك على التفسير الاوّل أضاف الشرك الى أولاد آدم وحوّاء وهو واقع من بعضهم وعلى التفسير الثاني أضافه الى قصي وعقبه والمراد البعض فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر اليه في التأويل الاوّل ومما ينصرف الى التأويل الثاني من استبعاد تخصيص قصي بهذا الامر المشترك في الجنس وهو جعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن اليها الان ذلك عام في الجنس والله أعلم

أنه لافلاح معهم (فان قلت) هلاقيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية (قلت) لانهم كانوا اذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عباد أمثالكم) وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أى قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فانى لا أبالى بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون (ان وليى الله) أى ناصرى عليكم الله (الذى نزل الكتاب) الذى أوحى الى كتابه وأعزنى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم (ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) وهم لا يدركون المرئى (العفو) ضد الجهد أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا قال

خذا العفو منى تستديمى مودتى ❊ ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها ❊ والعرف المعروف والجميل من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه ان لى شيطانا يعترينى (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال

أنى ألم بك الخيال يطيف ❊ أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه أنفسهم ❊ وأما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم فى الغى أى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم ❊ وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله ❊ قوم اذا الخيل جالوا فى كواثبها ❊ فى أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا (فان قلت) لم جمع الضمير فى اخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت ❊ اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعه أو جبى اليه فاجتباه أى أخذه

ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا

كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) ولست بمفتعل للآيات أولست بمقترح لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) أى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل فى الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل فى الاصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

﴿سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد * ان تقوى ربنا خير نفل * والنفل ما ينفله الغازى أى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها أللمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبى وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين * وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال * (فان قلت) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الانفال لله والرسول) (قلت) معناه ان حكمها مختص بالله

لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

﴿سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول

ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد والمراد ان الذى اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فان قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله (انما المؤمنون) اشارة اليهم أي انما الكاملو الايمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة رضي الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه* جمع بين أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان أبو حنيفة رضي الله عنه ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول أي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون و (من

لكارهون (قال في كما وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ) قال أحمد وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر في معنى الآية وجها أوجه من هذين وهو ان المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالانفال وتفويض أمرها الى حكمه من حيث الاثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لامره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات فكذلك بلغت اثابة الله له الغاية في جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام الاجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من

بيتك) يريد بيته بالمدينة اوالمدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون * وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروى أنه ما كان فيهم الا فارسان (اذ) منصوب باضمار اذكر و (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين

بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن

غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين

والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لانه لم يكن فيها الا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى (أن يحق الحق) أن يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر * والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها * وقرئ بكلمته على التوحيد * (فان قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه (فان قلت) أليس هذا تكريرا (قلت) لا لان المعنيين متباينان وذلك أن الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع * (فان قلت) بم يتعلق (اذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (أني ممدكم) أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول أو على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (فان قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل في يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة * وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته اياه اذا أتبعته ويقال أردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين اياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة

* قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعني انكم تريدون العاجلة وسفساف الامور الخ) قال أحمد والتحقيق في التمييز بين الكلامين ان الاول ذكر الارادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى ارادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الاطلاق ولارادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين ما بين عموم وخصوص واطلاق وتقييد وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين اطلاق وتقييد والله أعلم

* قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ اذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لان فاعل الاراءة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصبا لهما فالجواب انه لما كان الله تعالى اذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا فهذا مثل آية الانفال فان المفعول في المعنى فاعل وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة وقد جرى القلم بتحصيلها ههنا وذلك أن لقائل أن يقول فاعل يغشى النعاس اياهم هو الله تعالى وهو فاعل الامنة أيضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول الاشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخلق الى الله تعالى على انه خالقها ومبدعها ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والباري عز وجل وان كان خالق الامنة للعبد وكان بها آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوي وان كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال الى الجواب السالف والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن بشرط الادب في اسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له امثالها

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين * وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران (فان قلت) فيم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بأن المراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم * (فان قلت) الام يرجع الضمير في (وما جعله) (قلت) الى قوله أني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم (فان قلت) ففيمن قرأ بالكسر (قلت) الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و (أمنة) مفعول له (فان قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لامنكم و (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فان قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب على أن الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لامنه على أن اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والتثقيل * وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و (رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا

فأنزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير فى به للماء ويجوز أن يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم فى مواطن القتال (اذ يوحى) يجوز أن يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت (أنى معكم) مفعول يوحى وقرئ انى بالكسر على ارادة القول أو على اجراء يوحى مجرى يقول كقوله انى ممدكم والمعنى انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سألقى * فاضربوا) يجوز أن يكون تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفون وجهه فيأتى فيقول انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفين فيقول أبشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه * وقرئ الرعب بالتثقيل (فوق الاعناق) أراد أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام قال * وأضرب هامة البطل المشيح *

و غشيته وهو فى جأواء باسلة * عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا

* والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فأمرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولى سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و(بأنهم) خبره أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وسئلت فى المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا فى عدوة وذاك فى عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا فى خصم أى فى جانب وذاك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق والكاف فى ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفى (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم (فذوقوه) ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم وفى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم فى العدد او تساووهم أو حال من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كأنهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر ألفا وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ وفى قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه (الا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزا) أو منحازا (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعن ابن عمر رضى الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضى الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الفرار من

الزحف

اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

الزحف من أكبر الكبائر (فان قلت) بم انتصب الامتحرفا (قلت) على الحال والالغو أو على الاستثناء من المولين أى ومن يولهم الارجلا منهم متحرفا أو متحيزا * وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لامتفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز * لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه أعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (ومارميت) أنت يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعنى أن الرمية التى رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذى لا تطيقه البشر فعل الله عزوجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه السلام أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبلى المؤمنين) وليعطيهم (بلاء حسنا) عطاء جميلا قال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أى الغرض ذلكم (وأن الله موهن) معطوف على ذلكم يعنى أن الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين والاعمال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروى أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروى أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أى فأهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وان تنتهوا) خطاب للكافرين يعنى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان الله) قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين * وقرئ وان يغنى عنكم بالياء للفصل (ولا تولوا) قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير فى (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان ويجوز أن يرجع الى الامر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أى ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن * ثم قال (ان شر الدواب) أى ان شر من يدب على وجه الارض أو ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد أوضح مصداق فى التمييز بين الحقيقة والمجاز ألا ترى انك تقول للبليد ليس بحمار وتصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز انه حمار فاذا ثبت لك ان من مميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم ان هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالردود وذلك ان الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم ولا محمل لذلك الا ان نسبته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فأثبته لهم مجازا ونفاه عنهم حقيقة واياك أن تعرج على تعكيس الزمخشرى فى تأويل الآية فانه نظر أعوج وباطل مخلج والحق أبلج والله الموفق بكرمه

*قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعني ولو علم الله ان اللطف ينفع في هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله اطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فان اللطف هو اسداء الجميل والالطاف به واسمه اللطيف من ذلك فاذا أسدى الجميل الى العبد بان أسمعه اسماع لطيف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الاصغاء اليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأي الفاسد في خلق الافعال لان مقتضاها ان العبد هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية ٣٧٢ وحسن الاستماع والاصغاء وان الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك بل الذي ينسب الى الله تعالى ارادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضا فان

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا

جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها (ولو علم الله) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) أي انتفاعا باللطف (لاسمعهم) للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (اذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه * وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لا تصيبن) لا يخلو من أن يكون جوابا للامر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على

حاصله ولو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الاشكال الا بتقدير الاسماع الواقع جوابا أولا خلاف الاسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه في اختلاف الاسماعين أن يراد بالاول ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسمعهم لا على انه يخلق لهم الاهتداء بل اسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه في تأويل الآية والله الموفق *قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله نعم هذا عقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها الى الواحد الحق خالق الخلق فان كان ذلك ظلما فانا برىء من الطائفة المتسمية بالعدلية اصرارا على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

ارادة

ارادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى اذا جنّ الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

اى بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التى هى لون الذئب و يعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى أنّ الزبير كان يساير النبىّ صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل على رضى الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يارسول الله بأبى أنت وأمى انى أحبه كحبى لولدى أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله (فان قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الامر (قلت) لانّ فيه معنى النهى اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم (فان قلت) فما معنى من فى قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثانى لانّ المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لانّ الظلم أقبح منكم من سائر الناس (اذ أنتم) نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف أى اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين (فى الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لانّ الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادّين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحىّ من العرب أذلّ الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم فى البلاد ووسع لهم فى الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا * معنى الخون النقص كما أنّ معنى الوفاء التمام ومنه تخوّنه اذا تنقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به و (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعنى أنّ الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى أنّ نبى الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشأم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علىّ فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وعن المغيرة نزلت فى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده * (فان قلت) وتخونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وأن يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد * جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدى اليه هممكم وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورّطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هى من جملة ما نزل فى أبى لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر

اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا

باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهورا يشهر أمركم و يبث
صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى طالع الفجر أو مخرجا من
الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا
والآخرة * لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل فى نجاته من مكرهم
واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت
الانصار و بايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة
شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا
منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه و يخلصه
من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم و يقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم
رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن الله له فى الهجرة فأمر عليا رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى
فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب
الله عز وجل سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك
بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك
بالتشديد وقرأ النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق
(و يمكرون) ويخفون المكايد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين)
أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب
(لو نشاء لقلنا مثل هذا) نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه
مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا فى باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع
ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه
وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا
وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك
الاساطير وهو القائل (ان كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق
فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه
حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى
قولك ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين
هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل * و يقال
أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب
* (فان قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والامطار لا تكون الا منها (قلت) كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا
السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من
حديد تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى أن أمطار السجيل بعض العذاب
الاليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن و يستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شئ لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة * وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لان يلي أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند و يطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكي والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد اذا قومك منه يصدون * وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فان قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة * قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والاوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم و بين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين

وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا

 (قال ان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره

كفروا) من أبي سفيان وأصحابه أي قل لاجلهم هذا القول وهو (ان ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه أي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد * وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وان تولوا) ولم ينتهوا (فان الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (أنما غنمتم) ما موصولة و(من شئ) بيانه قيل من شئ حتى الخيط والمخيط (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فان قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فان قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل

وميكال

عليه الخ) قال أحمد لان مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان انه لا يصرف فيما سواها وليس لأن يملكاها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الامر عنده موكول الى نظر الامام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده في ذلك البتة وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك ان المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان ان الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديدا ولكن تنبيها على فضلها او التخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الاول بل هو قار على حاله كما ان العموم ثابت للملائكة وان خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

ومكمال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثانى ماقال أبو العالية أنه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم مابقى على خمسة وقيل ان سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى أن أبا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لاخادم له منكم فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيأ ولا يتيم موسر وعن زيد بن على رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبنى منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه أنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضى الله عنه فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولى الامر من بعده وعن الكلبى رضى الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان قلت) بم تعلق قوله (ان كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا) وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر (الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شئ قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ) بدل من يوم الفرقان * والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية * والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (فان قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجئ استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب أسفل منكم) يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا (فان قلت) مافائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم فى مثل هذا الحال ليست الا صنعا من الله سبحانه ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لابأس بها ولاماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضى أمرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب

ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم

*قوله تعالى اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (قال ان قلت مافائدة ذكر مركز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز

ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكنّ الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا

حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرهم على الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ليقضى) متعلق بمحذوف أى ليقضى أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها * وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيى باظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوّى مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصبه باضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك) فى رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه اياهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوّهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم) فى الرأى وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار (ولكنّ الله سلم) أى عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعنى واذ يبصركم اياهم و (قليلا) نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور (فان قلت) الغرض فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى أعينهم (قلت) قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأى العين ولئلا يستعدّوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أوّلا وكثرتهم آخرا (فان قلت) بأى طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك أن يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفرّوا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوّكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى خطب أمير المؤمنين عليه السلام فى أيام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب باضمار ان أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء

*قوله تعالى واذ يريكموهم اذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم (قال ان قلت بأى طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال أحمد وفى هذا دليل بين على ان الله تعالى هو الذى يخلق الادراك فى الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك اذ لو كانت هذه الاسباب موجبة للرؤية عقلا لما أمكن ان يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز ان يخلق الله الادراك مع اجتماعها فلا ربط اذا بين الرؤية ونفيها فى مقدرة الله تعالى وهى رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الاسباب فى حصول الادراك عقلا وانها تستلزم الجسمية اذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب انما تتأتى فى جسم فهذه الآية حسبهم فى ابطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم * والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي * الا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الريح للعادي

وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله * (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم * فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال اني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث وما رؤي ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر (فان قلت) هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون (غرّ هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوّون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو تردّ المضارع الى معنى الماضي كما تردّ ان الماضي الى معنى الاستقبال و(اذ) نصب على الظرف * وقرئ يتوفى بالياء والتاء و(الملائكة) رفعها بالفعل و(يضربون) حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر * وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيأ عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه به على دبره ضربة واحدة بقوّته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على ارادة القول أي ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن

كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله

ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدّوا لهم ما استطعتم

الله (ليس بظلام للعبيد) لانّ تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أو لانّ العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه * الكاف فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه وواظبوا و(كفروا) تفسير لدأب آل فرعون و(ذلك) اشارة الى ما حلّ بهم يعنى ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أنّ الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فان قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأنّ الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى أصرّوا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشراف الى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شرّ الدوابّ لانّ شرّ الناس الكفار وشرّ الكفار المصرّون منهم وشرّ المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرّق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء وأوقعه فيه لانّ الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافنّ من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا (سبقوا) فأتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون * وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله ان سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى أنها نزلت فيمن أفلت من

* قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفى الادنى أبلغ من نفى الاعلى فلم عدل عن الابلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان الجوابان عتيدان فى هذا السؤال

فل المشركين (من قوّة) من كل ما يتقوّى به فى الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا ان القوّة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله وعن عكرمة هى الحصون * والرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذى هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصا للخيل من بين ما يتقوّى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

* ان الحصون الخيل لامدر القرى *

(ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما تخزون والضمير فى (به) راجع الى ما استطعتم (عدوّ الله وعدوّكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم أهل فارس وقيل كفرة الجنّ وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجنّ * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أنّ الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا * وقرأ الاشهب العقيلى فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر فى جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فان حسبك الله) فان محسبك الله قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

(وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة فى أدنى شئ والقائه بين أعينهم الى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادّ وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب فى الله والبغض فى الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجرّ لانّ عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال * فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا أو يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له ما أراك الا حرضا فى هذا الامر وممرّضا فيه ليهيجه ويحرّك منه ويقال حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص * وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب ان الكفار قوم

من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبى حرّض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون

---

* قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوّة الرمى روى عقبة بن عامر انها الرمى الخ) قال أحمد والمطابق للرمى ان يكون الرباط على بابه مصدرا والله أعلم وهو حسبى ونعم الوكيل

جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا فلقى أبا جهل فى ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف * وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف * وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك (فان قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين * وقرئ للنبى على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات اذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض اذا أثقله من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل فى أهله ويعز الاسلام ويقوّيه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر رضى الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوّى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدّمهم واضرب أعناقهم فانّ هؤلاء أئمة الكفر وانّ الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وانّ مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وستة دنانير وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضى الله عنهما لقوله كان الاثخان فى القتل أحبّ الىّ (عرض الدنيا) حطامها سمى بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعنى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل * وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

أكلّ امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعنى ثوابها (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك الى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطأ وكان هذا خطأ فى الاجتهاد لانهم نظروا فى أنّ استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وأنّ فداءهم يتقوّى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أنّ قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التى أخذوها وقيل انّ أهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى

الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبىّ أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

ولم

ولم يتقدم نهي عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (فان قلت) ما معنى الفاء (قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم * وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله (ان الله غفور رحيم) معناه أنكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (في أيديكم) في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم * وقرئ من الاسرى (في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس رضي الله عنه أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا اطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما اذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس رضي الله عنه فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل (وان يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء * الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون * والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الانصار (بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض * وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا (فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا تفعلوه) أي الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا * وقرئ كثير بالثاء (أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم

يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (وأولو الارحام) أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) تعالى في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ماتركت أحدا الانالت منه (فان قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور (قلت) سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضي الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله عز وجل فأجاب ودعي الى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فانما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا أمان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدا محذوف أي هذه براءة و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار * وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة * وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم (فان قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين * روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة

(قال معناه ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد وورا ما ذكره سر آخر هو المرعي والله أعلم وذلك ان نسبة العهد الى الله ورسوله في مقام نسب اليه النبذ من المشركين لا تحسن شرعا ألا ترى الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا حيث يقول لهم

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم

﴿سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم

واذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أصادفت حكم الله فيهم أولا وان طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك فلأن تخفر ذمتك خير من ان تخفر ذمة الله فانظر الى أمره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة ان تخفر وان كان لم يحصل بعد ذلك الامر المتوقع فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ الى الله أحرى وأجدر فلذلك نسب العهد الى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

الاشهر

الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر رضي الله عنه فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر رضي الله عنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد رضي الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما أمر أن لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضي الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه* (فان قلت) الاشهر الاربعة ماهي (قلت) عن الزهري رضي الله عنه ان براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة (فان قلت) ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزي الله) لا تفوتونه وان أمهلكم* وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء (فان قلت) أي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية (قلت) تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت (فان قلت) لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس (قلت) لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان أريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر* حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول (ورسوله) عطف على المنوي في بريء أو على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أو لان الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريأ من رسوله فأنا

غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم

* قوله تعالى الا الذين عاهدتم (قال ان قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه ان يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز ان يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله الى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله الى المعاهدين الا الباقين على العهد فأتموا اليهم أيها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله الى الذين عاهدتم الى خطاب المشركين في قوله فسيحوا ثم التفات من التكلم الى الغيبة بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله واصله واعلموا أنكم غير معجزي وأني وفي هذا الالتفات بعد الالتفات لأول افتنان في أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم الامر ثم يتلو هذا الالتفات العود الى خطاب المسلمين بقوله الا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وانما بعث الزمخشري

على تقدير القول قبل فسيحوا أمرا عاد أن يطابق قوله فأتموا اذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولا وثانيا ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات المبنية على التأويل

منه برىء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير) سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه * (فان قلت) مم استثنى قوله (الا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر * ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى أن لا يسوي بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم أنصركم * وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) فأدوا اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم * انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و (الاشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله * خل السبيل لمن يبني المنار به * وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره

فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

ويطالع

الذي ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم * قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد (قال فيه المرصد المجاز والممر الخ) قال أحمد ويكون انتصابه دون جره من الاتساع لان المرصد ظرف مختص والاصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله في الاتساع * كما عسل الطريق الثعلب * ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدرا الا ان صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحد فعلى هذا يكون منصوبا نصبا أصليا لان اقعدوا في معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد الا ان الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان والله أعلم

ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن رضي الله عنه هي محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك رضي الله عنهما هي منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فأجره (د) سبب (أنهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعني محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم * ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (ان الله يحب المتقين) يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (ان يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان رضي الله عنه

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد * وابآء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والاسلام (ثمنا قليلا) وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فاخوانكم في الدين) فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا في دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بأنهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (انهم لا أيمان لهم) جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم أي لا اسلام لهم أو لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه (فان قلت) كيف أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) أراد

ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم

*قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحمد السر في تكرار كيف والله أعلم

لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك

أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا فى انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسىء بالرحمة كلما عاد (فان قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أى بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف (ألا تقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة (نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له فى الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم أول مرة) اى وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادؤن بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله أحق أن تخشوه) فتقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) يعنى أن قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالى بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله * ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال (قاتلوهم) * ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة فى جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقول القائل ما علم الله منى ما قيل فى يريد ما وجد ذلك منى (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد الله) يعنى المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثانى أن يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك و(شاهدين) حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم

انه لما ذمه أولا لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر اذ ذاك سبب البعد الغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام اعيدت كيف تطرية للذكر وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار بل هذا السر الذى انطوى عليه وقد تقدمت له أمثال والله الموفق

على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والانصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحد وذلك محال غير مستقيم (انما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه * (فان قلت) هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة * (فان قلت) كيف قيل (ولم يخش الا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى * السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم * وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا هم

حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

* قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال اذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح الا قوله ان الكبيرة تهدم الاعمال فانه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها * قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمد وأكثرهم يقول ان عسى من الله واجبة بناء منهم على ان استعمالها غير مصروفة للمخاطبين

والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب مصروف اليهم أي فحال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الامور
* قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ (قال مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال
أحمد لا مانع والله أعلم من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر وناصبهما واحد كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد
اذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمرا في المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيدا وعمرا ولا يحتاج الى اضمار فعل جديد غير الأول هذا

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت

(أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم * قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل * وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الوصف وتعريف المعرّف وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة * كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس اليه * وقرئ عشيراتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شئ منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره * مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة * (فان قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله (اذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله اذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس رضي الله عنه آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته

مع أنه لابد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين في الحقيقة فانك اذا قلت أضرب زيدا اليوم وعمرا غدا لم يشك في ان الضربين متغايران بتغاير الظرفين ومع ذلك فالفعل واحد في الصناعة فعلى هذا يجوز في الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول الى الآخر على ان الزمخشري أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وان كانا عنده جميعا زمانين لعلة ان كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن يريد ولو ذهبت الى اتحاد الناصب للزم ذلك وهذا غير لازم ألا تراك لو قلت اضرب زيدا حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحدا وهما متغايران وانما يمتنع عمل الفعل الواحد في ظرفي زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما والله أعلم

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وما هي الا من آيات النبوة وقال يارب ائتني بما وعدتني وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وقال العباس لكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (سكينته) رحمته التي سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (ثم يتوب الله) أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا * النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضي الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم * وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله (ان شاء) الله ان أوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة

ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (قال هذا النهي راجع الى نهي المسلمين من تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمناهي فان ظاهر الآية توجه النهي الى المشركين الا أنه بعيد لان المعلوم من المشركين انهم لا ينزجرون بهذا النهي والمقصود تطهير المسجد الحرام بابعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود الا بنهي المسلمين عن

وصواب (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون
ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وأن يدينوا دين الحق وأن
يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه
ومعتقده * سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لانهم يجزون بها من منّ عليهم
بالاعفاء عن القتل (عن يد) اما أن يراد يد المعطي أو الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد
أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده اذا
انقاد وأصحب ألا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن
يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ وأما على ارادة يد الآخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة
عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في
قفاه وتسقط بالاسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة
تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة
اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ
عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن
المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل
واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير
اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا وأما قول
من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف
وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن
عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاش بن قيس ومالك
ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام
فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام
فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا
ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت
عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب * (فان قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك
قولهم بأفواههم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به
فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى
لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم
قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه
ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد (يضاهون) لا بد
فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم
قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه
وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم وقرئ

من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

تمكينهم من قهر بانه ويرشد الى ان المخاطب في الحقيقة المسلمون تصدير الكلام بخطابهم في قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمينه نصا بخطابهم بقوله وان خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهي على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه اذا كانت ثم ملازمة كقوله لا أرينك ههنا ولا تموتن الا وأنتم مسلمون والله أعلم * قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال اما ان يراد به المعطي أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد في قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب الى قوله الا يدا بيد * عاد كلامه (قال وان اريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه املى بالفائدة والله أعلم

يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهى التى ضاهأت الرجال فى أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما فى غرقئ (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق * اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم فى الامر بالمعاصى وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب فى أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال أليسوا يحرّمون ما أحل الله فتحرّمونه ويحلون ما حرّمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضى الله عنه ما أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير فى وما أمروا للمتخذين أربابا أى وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم * مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى فى الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين * (فان قلت) كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (قلت) قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله الا أن يتم نوره * معنى أكل الاموال على وجهين اما أن يستعار الاكل للاخذ ألا ترى الى قولهم أخذ الطعام وتناوله واما على أن الاموال يؤكل بها فهى سبب الاكل ومنه قوله

ان لنا أحمرة عجافا * يأكلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى أكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشا فى الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرائع (والذين يكنزون) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضى الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذى أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الارض (فان قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضى الله عنه انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى

قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم

* قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره (قال ان قلت كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا ان الاباء عدم الارادة فكما صح الايجاب بعد نفى الارادة فينبغى أن يصح بعد ما هو فى معناها مطلقا لانا نقول لوجود حرف النفى أثر فى تصحيح مجىء حرف الايجاب بعد فلا يلزم ذلك والله أعلم

الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شئ حد وماروى عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل (فان قلت) لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فاني وقيار بها لغريب * وقيار كذلك (فان قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال (قلت) لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما (فان قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى (فان قلت) فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لانه مسند الى الجار والمجرور وأصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء * وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء (فان قلت) لم خصت هذه الاعضاء (قلت) لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على ارادة القول وقوله (لانفسكم) أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (في كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة (ذلك الدين القيم) يعني أن تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم (أنفسكم) أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني رضي الله عنه احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور (كافة) حال من الفاعل أو المفعول (مع المتقين) ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها * والنسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطؤا عدة ما حرم الله) أي

يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله

* قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم (قال ان قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمي الميسم وأحميته الخ) قال أحمد وفي هذا الفصل دقائق اعراب يشوب حسنها اغراب والله الموفق

ليواطئوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها * والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي اذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه * جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل * وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد * والنسيء مصدر نسأه اذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيأ كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء * (فان قلت) ما معنى قوله (فيحلوا ما حرم الله) (قلت) معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي) أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الاعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ (فان قلت) فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه (قلت) ما دل عليه قوله اثاقلتم أو ما في مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت مالك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) أي بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة (في الآخرة) في جنب الآخرة (الا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيأ وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لان الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص * (فان قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الاخراج الى الكفار كما أسنده اليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون و(اذ هما) بدل من اذ أخرجه * والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم

فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله

*قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير (قال في هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب اعادة الضمير الى الرسول ان الضمير في قوله الا تنصروه عقيب ذلك عائد اليه اتفاقا والله أعلم

* قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لان العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين اما أن لا يكون هو المراد واما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشري على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن من قال في هذه الآية ان من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الادب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام

سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينته) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون اليه * والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين * وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر (وكلمة الله) دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع أوجه و(هي) فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم (خفافا وثقالا) خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة * العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) اما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و(لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى (لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي أبدا ولنجاهدن أبدا

* عاد كلامه (قال) وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا الخ (قال أحمد) وهذا الادب يجب أن يقتفى مطلقا فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي اليه معروفا ولا بالمضيف ان يستأذن ضيفه في أن يقدم اليه طعاما فان الاستئذان في أمثال هذه المواطن امارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه انه كان لا يتعاطى شيأ من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجليلة والآداب الجليلة فقال تعالى فراغ

الى أهله بخاء بجل سمين أى ذهب على خفاءهم كيلا يشعروا به والهتم بأمرضيفه برأى منه ربما بعد كالمستأذن له فى الضيافة فهذا من الآداب التى ينبغى ان يتمسك بها ذووالمرأوة وأولوالقوة وأشدمن الاستئذان فى الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة اليه بعد الحض عليه والمناداة واسوأ أحوال المتثاقل وقد دعى الناس الى الغزاة أن يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه

* قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لاعدواله عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع ٣٩٧ القاعدين

معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى (أن يجاهدوا) فى أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب (انما يستأذنك) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر * قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عدالامر الذى وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدّه بكسر العين بغير اضافة وعدّه باضافة * (فان قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ماخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن الىّ زيد ولكن أساء الىّ (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى القعود (فان قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى فى نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهى قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج فى نفوسهم حسنا ومصلحة (فان قلت) فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر فى هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استأذنوه فى ذلك واعتذروا اليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز فى قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون فى ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة أخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر * (فان قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف (الاخبالا) ليس من الاستثناء المنقطع فى شئ كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا الاخبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذى هو الشئ فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض أعم العام كأنه قيل مازادوكم شيأ الاخبالا والخبال الفساد والشر (ولا أوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولا أوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب أسرع من الماشى وقرأ ابن الزبير رضى الله عنه ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا أسرعت وأرقصتها قال * والراقصات الى منى فالغبغب * وقرئ ولا أوفضوا (فان قلت) كيف خط فى المصحف ولا أوضعوا بزيادة ألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدّوا له عدّة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة

(قال ان قلت كيف جاز أن يوقع الله فى نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبنى على قاعدتين فاسدتين ايجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره واعلم ان معتقد السنة ان الله تعالى ألقى كراهة الخروج فى قلوبهم لانه أراد شقاوتهم وانضاف الى ذلك ارادة راحة المخلصين من مرافقتهم اذ الامر ليس شرطا فى نفوذ المشيئة والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبيهاته الحسنة ونزيده بسطا فنقول لو قيل اقعدوا مقتصرا عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة من الحاقهم بهؤلاء الاصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة الا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ فى توعيد موسى عليه السلام بقوله لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبدالله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضي الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه (ألا في الفتنة سقطوا) أي أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف أبي رضي الله عنه سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هي محيطة بهم الآن لان أسباب الاحاطة معهم فكأنهم في وسطها (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى في يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك و(يقولوا قد أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع * وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضي الله عنه هل يصيّبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوّب ألا ترى الى قولهم صوّب رأيه الا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله (الا ما كتب الله لنا) مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى الى قوله (هو مولانا) أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأتين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه (أنفقوا) يعني في سبيل الله ووجوه البر (طوعا أو كرها) نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين (فان قلت) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال (لن يتقبل منكم) (قلت) هو أمر في معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

* أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أم أحسنت (فان قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له (فان قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل

أخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه (فان قلت) ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم

تقبل له منهم و ردّه عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه أو طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم وروى أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني (انكم) تعليل لرد انفاقهم * والمراد بالفسق التمرد والعتو (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه * وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في جمع سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن الى نفسه * (فان قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون الا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار * الاعجاب بالشيء أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فان الله تعالى انما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم * (فان قلت) ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم (وهم كارهون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته الى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعديه غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب اذا أسرع بمعنى مهارب ومفار (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول * وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه متدخلا وقرئ لوألوا اليه لالتجؤا اليه (يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد (يلمزك) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه ويلك ان لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز * ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه * واذا للمفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط * جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا

انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

*قوله تعالى انما الصدقات للفقراء الآية الى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها الخ) قال احمد وهو مذهب مالك رضى الله عنه والقول بوجوب صرفها الى جميع الاصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من اشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعى لا يعضده السياق فان الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على ان غيرهم لا يستحق فيها نصيبا فهذا هو الغرض الذى سيقت له فلا اقتضاء فيها لما سواه والله أعلم *عاد كلامه (قال فان قلت لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة الخ) قال أحمد وثم سر آخر هو اظهر وأقرب وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم وأما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن فى مصالح تتعلق بهم فالمال الذى يصرف فى الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفا الى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون انما يصرف نصيبهم لارباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا فى سبيل الله وانما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع انه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها فى الاستدلال لمالك على ان الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك فيقول متعلق الجار الواقع خبرا عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فاما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعى لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به فى الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفى معا فيصح ان تقول هذا الشئ مصروف فى كذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء الى فى يحتاج الى تقدير مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له

ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (انا الى الله) فى أن يغنينا ويخولنا فضله لراغبون (انما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كأنه قيل انما هى لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وأن تصرف الى بعضها وعليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وعند الشافعى رضى الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة رضى الله عنه أنها تفرق فى الاصناف الثمانية وعن الزهرى أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كان فى المسلمين قلة * والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتدينوا فيها وغرموا (وفى سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غنى حيث ماله (فريضة من الله) فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فان قلت) لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم

على

على التكلم فيها ولزقا مسمها صلوات الله عليه وسلامه * الاذن الرجل الذى يصدق كل مايسمع و يقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين * وايذاؤهم له هو قولهم فيه هوأذن * وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هوأذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هوأذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه أي هوأذن خير ورحمة لايسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الايمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهوأذن كما قلتم الا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا أنه فسر بما هومدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هوأذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذن ونحن نأتيه ونعتذر اليه فيسمع عذرنا أيضا فيرضى فقيل هوأذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أي هوأذن هوخير لكم يعني ان كان كما تقولون فهوخير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال * (فان قلت) لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (قلت) لانه قصد التصديق بالله الذى هونقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم (فان قلت) ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق * وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبرمني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أي فحق أن له (نار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لان في قوله أنه تأكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم * وقرئ ألم تعلموا بالتاء * كانوا يستهزؤن بالاسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا الا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شئ يفضحنا * والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر أي ليحذر المنافقون (فان قلت) الحذر واقع على انزال السورة في قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ما تحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز انزال السورة أو ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شئ من

نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل

*قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هوأذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع سمي الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع الخ) قال أحمد لا شئ أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لانه في الاول اطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم واعقبهم في تنقصه باليأس منه ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لان في أوله اطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شئ أقطع من الاطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات

أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لاتنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أو ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين * وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث * وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عزوجل (بعضهم من بعض) أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هي حسبهم) دلالة على عظم عذابها وأنه لاشئ أبلغ منه وأنه بحيث لايزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لاينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم * الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر * كاليوم مطلوبا ولا طلبا * باضمار لم أر وقوله (كانوا أشد منكم قوة) تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم * والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أي أثبت * والخوض الدخول في الباطل واللهو (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه (فان قلت) أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا (قلت) فائدته أن يذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ماقبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل

قريات

قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفا كهنّ انقلاب أحوالهنّ عن الخير الى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودّا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد * وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ماروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشئ من رضوان الله أكبر من ذلك كله لانّ رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولان العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شئ مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده (ذلك) اشارة الى ما وعد الله أو الى الرضوان أي هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا وروى أن الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرّأ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها * أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمدا الصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يارسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينماهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لردّه على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوّجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) هي الآية التي تاب عندها الجلاس (في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار * روى أن ثعلبة ابن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من

فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

* قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ)

قال أحمد والحمد لله الذى انطقه بالحجة لنا فى اغلاظ عليه أحيانا والله الموفق *قوله تعالى استغفر لهم أولا تستغفر لهم الخ (قال قد ذكرنا ان هذا الامر فى معنى الخبر الخ) قال أحمد وما يدعيه الزمخشرى فى هذا وامثاله من محذوف هو المقصود بالامر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة* أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة* كأنه يقول لها امتحنى محالك عندى وقوة محبتى لك وعامليني بالاساءة والاحسان

وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل

من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوّعين من المومنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين فرح

كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال ياويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه الفرائض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه ياويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال انّ الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه * وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج (فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضى الله عنهما أنّ الضمير للبخل يعنى فأورثهم البخل (نفاقا) متمكنا (فى قلوبهم) لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر أن الضمير لله عز وجلّ والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق * وقرئ يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالتاء عن علىّ رضى الله عنه (سرهم ونجواهم) ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون) محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون فى محل الجر بدلا من الضمير فى سرّهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوّعين) المتطوّعين المتبرعين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى رضى الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (الا جهدهم) الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقوله الله يستهزئ بهم فى أنه خبر غير دعاء ألا ترى الى قوله (ولهم عذاب أليم)* سأل عبد الله ابن عبد الله بن أبىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه فى مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لى فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أنّ هذا الامر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وانّ فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة فى المجىء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير قال علىّ بن أبى طالب عليه والسلام

لاصبحنّ العاص وابن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى

* (فان قلت) كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام

يغفر لهم فى حالتى الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحالان أولا قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر فى الآية الاخرى فى قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم* عاد كلامه (قال فان قلت كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد وقد أنكر القاضى رضى الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى قوم فى قبوله حتى انهم اتخذوه عمدة فى مفهوم المخالفة وبنوه على انه عليه السلام فهم من تحديد نفى الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب انكار القاضى عليهم

وتمثيلاته

المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

وتمثيلاته والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا والآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لى ربى فسأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصانى فانك غفور رحيم وفى اظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم فى المدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال أقام خلاف الحى بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبى حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله تعالى وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

*معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا (جزاء) الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم *وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعنى الى غزوة بعد غزوة تبوك و(أول مرة) هى الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذى علم الله أنه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهى أكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبى بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وسأله أن يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلى على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلى عليه فجذبه جبريل (فان قلت) كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابة له الى مسئلته اياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعى المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى أنه قال له أسألك أن تكفنه فى بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بأن تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى أنه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيأ وانى أؤمل من الله أن يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فان قلت) فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما أدري ما هذه الصلاة الا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة (انهم كفروا) تعليل للنهي وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لاسيما اذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشئ الذي أهم صاحبه فهو يرجع اليه في أثناء حديثه ويتخلص اليه وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه * يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله (واذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الأمر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) هي أن المفسرة (أولوا الطول) ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر في التخلف (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرأ أبي كذبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى *والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة *والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أي اذا ما أتوك قائلا لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الاشعري وأصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (ألا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا *(فان قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعني

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا

ان

* قوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال احمد وفى آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك ان الذى نسب اليهم تربص الدوائر مطلقا والذى دعى عليهم به دائرة السوء على التقييد باسوا الدوائر لا على الاطلاق والله الموفق

* قوله تعالى وصلوات الرسول

أن السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى اياهم (فان قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم ويحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وأحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعنى أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم) فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبى يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة فى الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات (الا انها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها * وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه (السابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبى من بايع

لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين

الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته الآية (قال ما أدل هذا الكلام على ان الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب فى ان الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار وان كان موحدا وغرض الزمخشرى ان يجعل الفسق الذى وسم به المنافق هو الذى وسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما للخلود واحدا فاحذره والله أعلم

* قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه انه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك الخ) قال أحمد وكان قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة في النفاق

والضراوة به والله أعلم * قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم (قال ان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والتحقيق في هذا أنك اذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به في هذا الكلام ان الماء المخلوط واللبن مخلوط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا واذا قلت خلطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا واما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به بل من اللازم ان كل واحد منهما مخلوط به يحتمل ان يكون قرينه أو غيره فقول الزمخشري ان قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر في الآية والله أعلم ان العدول عن الباء انما كان لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيأ ثم انضاف الى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معا به والله أعلم

والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين (و) من (الانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون * وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروى أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضي الله عنهم) ومعناه رضي عنهم لاعمالهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية * وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم (فان قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما

منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم * (فان قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وما ذكرت توبتهم (قلت) اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر * ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة في المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة أجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت * وقرئ ان صلوتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم (عليم) بما في ضمائرهم والغم من الندم لما فرط منهم * قرئ (ألم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة) اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فان قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة * قرئ مرجون ومرجؤن من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم (اما يعذبهم) ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة * في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا

قوله واما للعباد كتب عليه يعني اما للشك وهو لا يجوز على الله فهو اذن للعباد كما في أو يزيدون ولعل في لعله يتذكر اه كتبه المصحح

والقمامة ومات أبو عامر بالشأم بقنسرين (ضرارا) مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا) واعدادا (لـ) أجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد بنى على ضرار أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهى الى المسجد الذى بنى ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الامصار على يد عمر رضى الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا فى مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه (فان قلت) والذين اتخذوا ما محله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة *(فان قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف (ان أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) أو الارادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لان الموازنة بين مسجدى قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالادغام وقيل هو عام فى التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فان قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ المشتهى له على ايثاره ومحبة الله تعالى اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه *قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الاضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل (شفا جرف هار) فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافى التقوى *(فان قلت) فما معنى قوله (فانهار به فى نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم الا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات فى شائك

ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين

وصائت

وصائت وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره * وقرئ جرف بسكون الراء (فان قلت) فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نوّن ألحقها بجعفر وفى مصحف أبيّ فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب فى خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه * ريبة شكا فى الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عزوجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف و تقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أنّ الخطاب للرسول أى الا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى أن وفى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشروى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروى أن الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الامر كقوله تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم * وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاوّل للفاعل والثانى للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التوراة والانجيل) كما أثبته فى القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لانّ اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنىّ الذى لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبىّ رضى الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرّا صفة للمؤمنين وجوّز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و (العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و (السائحون) الصائمون شبهوا بذوى السياحة فى الارض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه * قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب أنت أعظم الناس علىّ حقا وأحسنهم عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أى أبويه أحدث به

لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فنزلت وهذا أصح لان موت أبى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوى قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبي) ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك * قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية (الا عن موعدة وعدها اياه) أى وعدها ابراهيم أباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه (فان قلت) كيف خفى على ابراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحى لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم (فان قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحى أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * أوّاه فعال من أوّه كلأال من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التأوّه ومعناه أنه افرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك * يعنى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه الآية شديدة ما ينبغى أن يغفل عنها وهى أن المهدى للاسلام اذا أقدم على بعض محظورات الله داخل فى حكم الاضلال * والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فأما ما يعلم بالعقل كالصدق فى الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبي) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (فى ساعة العسرة) فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

* غداة طفت علماء بكر بن وائل * وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * عشية قارعنا جذام وحميرا
اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى * يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدوّد والشعير المسوّس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبى لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أى خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة

ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأوّاه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض

---

* قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فأما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال أحمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وان العقل حاكم والشرع كاشف لما غمض عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها فى غير ما موضع والله الموفق

وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضى الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رحبت) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا) وعلموا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة روى أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغنى أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت فى سبيل الله ولم يكن لآخر الا أهله فقال يا أهلاه ما بطأنى ولا خلفنى الا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفنى الا حب الحياة لك والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبى ذر الغفارى أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكأنه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ما ذكرنى وقال ليت شعرى ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبى بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا فى ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضى الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا فى جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يصلح الكذب فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شئ عليهم وأهونه فضلا عن أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه

بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه

* قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (قال معناه ان نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة على التفسير الاول أمر لا نهي وعلى الثاني خبر والمراد به النهي لانه في الاول راجع الى تنفير أهل البوادي الى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله

لكان جائزا أو واجبا وان لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية واما في الثاني فلان المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واقعا فنهوا عن أطراح التفقه بالكلية وامروا به أمر كفاية والله أعلم * قال أحمد ولا أجد في تأخري عن حضور الغزاة عذرا الا صرف الهمة لتحرير هذا المصنف فاني تفقهت في أصل الدين وقواعد العقائد مؤيدا بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتها من مكايد أهل البدع والاهواء وانا مع ذلك ارجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب (بـ)سبب (أنهم لا يصيبهم) شئ من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرّفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدوّ نيلا) ولا يرزؤنهم شيأ بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (الا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عامّ في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لانّ وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين * وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك (الا كتب لهم) ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لاجل الجزاء * اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة * طائفة) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشوّ داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوّا في الارض ولا فسادا (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق

الباقية

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين اما من نزل بهم عدوّ وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا واما من عينهم الامام لذلك وان بعدت بهم الدار واذا أوجب الله على هذه الامة القتال وازعاج العدو من دياره واخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الاسلام أجدر * قوله تعالى واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا

الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشأم وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوّه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه ايمانا (فزادتهم ايمانا) لانها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم * قرئ أولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه واذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الايمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) * وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن وفوّض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم * وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بالعيون انكارا للوحي الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كما فسره ويحتمل الاخبار بان الله صرف قلوبهم أي منعها من تلقي الحق بالقبول ولكن الزمخشري يفر من جعله خبرا لان صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والاصلح ولا يزال يؤول الظاهر اذا اقتضى ذلك كما مر له في قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعين عنده جعلها دعاء ثم في هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) تعديد للحروف على طريق التحدي و(تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و(الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الاعشى

وغريبة تأتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

* الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه و(أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب (فان قلت) فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس و(أن لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فان قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (ان هذا) ان هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا الا سحر (يدبر) يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا و(الامر) أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن و(ذلكم) اشارة الى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو (ربكم) وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) فان أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما أنتم عليه (اليه مرجعكم جميعا) أي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم

و(حقا)

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله

﴿القول في سورة يونس﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدما اما لان المجاز لا يطرد واما ان يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة والله أعلم

*قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (قال معناه يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد هو يقرر بذلك زعمه فى أن شرط دخول الجنة العمل الصالح وان من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية الى الجنة مطلق الايمان فقال يهديهم ربهم بايمانهم وقول الزمخشرى ان المراد اضافة العمل

و(حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لانه أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد ابدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه *وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدأ الخلق كقوله

أحقا عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب

*وقرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون *الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل (والحساب) وحساب الاوقات من الشهور والايام والليالى (ذلك) اشارة الى المذكور أى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا *وقرئ يفصل بالياء * خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز أن يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فان قلت) فلقد دلت هذه الآية على أن الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الامر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) *ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضا

حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

لا ينتهض عن حيز الدعوى فان الله لم يعلق بغير الايمان وان جرى لغيره ذكر أولا فلا يلزم اجراؤه ثانيا ولا محوج اليه وشبهته ان الايمان المجعول سببا مضاف الى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيدا فى التسبب وهو ممنوع فان الضمير انما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال والله الموفق

*قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية قال أحمد وهذا أيضا من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكدا أو مقارنا لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة والنحاة غايتهم ان يقولوا في قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا انه أجرى المصدر على الفعل مقدرا عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبتم نباتا ولا يزيدون على ذلك واذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أولا تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها فالفائدة والله أعلم في اقتران قوله نباتا بقوله أنبتكم التنبيه على حتم نفوذ القدرة في المقدور وسرعة امضاء حكمها حتى كان انبات الله لهم نفس نباتهم أي اذا وجد من الله الانبات وجد لهم النبات حتما فكان أحد الامرين عين الآخر فقرن به والله أعلم * قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه ان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب من ان الزمخشري يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى فضم الى ذلك انكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون ان الله لا يرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد تقدم ابطال دعواهم ان النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا

بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله * أن هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لاميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى اليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم أجلهم * (فان قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم أجلهم فنذرهم (في طغيانهم) أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) (فان قلت) فما فائدة ذكر هذه الاحوال (قلت) معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس (مر) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال * كأن ثدياه حقان * (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنوا حقا تأكيد النفي ايمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الايمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في امهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي أهلكناها (لننظر) أتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم و (كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله (فان قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه * غاظهم ما في القرآن

من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله)
بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها * فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه
داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الاتيان
بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان (ما يكون لي) ما ينبغي لي وما يحل كقوله تعالى ما يكون لي أن أقول
ما ليس لي بحق (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن أمرني بذلك
ربي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا آتي ولا أذر شيأ من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله وأوامره ان نسخت آية تبعت
النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ (اني أخاف ان عصيت ربي)
بالتبديل والنسخ من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) (فان قلت) أما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل
القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل
هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب
مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فان قلت) لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير
هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني
أن أبدله (قلت) يرده قوله اني أخاف ان عصيت ربي (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس
وأنكرهم في هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك
قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه ان وجد منه
تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على
الله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو
أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع وأخبار
مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله
ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به
(ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا أدراتكم به على لغة من يقول أعطاته وأرضاته في
معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به بالهمز وفيه
وجهان أحدهما أن تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف
والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني أن يكون من درأته اذا دفعته
وأدرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير
ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري
ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس (فقد لبثت فيكم
عمرا) وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس الا من الله لا من مثلي
وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (ممن افترى على الله كذبا)
يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه اليه من
الافتراء (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم
وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل
الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله) وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى (أتنبئون الله بما لا يعلم) أتخبرونه
بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات

ائت بقرآن غير
هذا أو بدله قل
ما يكون لي أن أبدله
من تلقاء نفسي ان أتبع
الا ما يوحى الي اني أخاف
ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولا أدراكم
به فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله أفلا تعقلون
فمن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب
بآياته انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل أتنبئون الله بما لا يعلم

* قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال ان قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضا من نكته التى لا يكتنه حسنها وقد مر لى قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه فى توأمتها وذلك عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم وقد استدل الزمخشرى بها لابى حنيفة فى أن الصغير يبتلى

قبل البلوغ بان يسلم اليه قدر من المال يمتحن فيه خلافا لمالك فانه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ قال الزمخشرى ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيا به واعترضت

لم يكن شيأ لان الشئ ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه (فان قلت) كيف أنبؤا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى أنبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبؤن بالتخفيف وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان مالم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على أحد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به يعنى أن الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه الا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات * سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهى للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم * (فان قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكرا) (قلت) بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل أن يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام (ان رسلنا يكتبون) اعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم * وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابى هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا * قرأ زيد ابن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا فى الارض ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (فان قلت) كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر والتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك (قلت) لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء * (فان قلت) ما جواب اذا (قلت) جاءتها * (فان قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فان قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة (قلت) المبالغة

فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك

هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو جملة ما فى حيز حتى من البلوغ مقرونا بايناس الرشد وهذا المجموع هو الذى يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن ان يقع أحدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع الا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فانه تعالى جعل غاية تسييرهم فى الفلك كونهم فيها مضافا الى ما ذكر معه ونحن نعلم ان كونهم فى الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وان كان المجموع واقعا كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون فى الفلك والله أعلم وانما بسطت القول ههنا لفوائده ثم تجدد بما مضى عهدا

كأنه

كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح (فان قلت) ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب (قلت) قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في (جرين) للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لان الفلكي يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك (من كل مكان) من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أي أهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك (مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه (لئن أنجيتنا) على ارادة القول أو لان دعوا من جملة القول (يبغون في الارض) يفسدون فيها ويعبثون متراقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد (فان قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغي لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة * قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فان قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم * هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (أخذت الارض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير اعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أي لم ينبت على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى

* طويل الثواء طويل التغني * والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (دار السلام) الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدي) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنى الحسنة

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

* قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (ذكر) في الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى الخ

(قال) أحمد نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى الى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة مر ورعلى ديدنه المعروف فى التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جلة الصحابة والحديث المروى فيه مدوّن فى الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردّوا الى الله مولاهم

السنة أثبت بقرآن غير هذا أو بدله جلاله على انه جاء به من عنده فلاهل السنة اذا أسوة بصاحبها ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضى الله عنه عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضى الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيأ هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة * (فان قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو اما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها واما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الاوّل لان فى الاوّل عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفى هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودلّ ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة أبىّ بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فان قلت) اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل فى من الليل (مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرّقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف * وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم (ان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضارّ أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشئ ويتعرّفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أى نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان سيأ فهى شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلو أى تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (مولاهم

فابتلاء الحق بالباطل قديم والله الموفق وان فى قوله تعالى على أثر ذلك ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة مصداقا لصحة هذا التفسير فان فيه تنبيها على اكرام وجوههم بالنظر الى وجه الله تعالى فجدير بهم ان لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فان وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقى وسعيد

(الحق)

الحق) ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردّوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سوّيا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون) أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (ذلكم) اشارة الى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعنى أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) أى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه و(أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون * (فان قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالاعادة (قلت) قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادّا للظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم فى انكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فأمره بأن ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين * ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدى) وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها * وقرئ الا أن يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدى الى الحق مثل هداية الله *ثم قال أفمن يهدى الى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه (الا أن يهدى) الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى اقرارهم بالله (الا ظنا) لانه قول غير مستند الى برهان عندهم (ان الظن) فى معرفة الله (لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) وقيل وما يتبع أكثرهم فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع (ان الله عليم) وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء *وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها اوشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب

الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه

الزاعمين أن الارزاق منقسمة فمنها ما رزقه الله للعبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفى لو سمعوا أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

على ولكن هوتصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وماصح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله فى علوّأمره واعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم * (فان قلت) بم اتصل قوله (لاريب فيه من رب العالمين) (قلت) هوداخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم أوانكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلى فى العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة أى بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعنى أن الله وحده هو القادر على أن يأتى بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وان كانت أضوأ من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها فى أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة أوفساد لانه لم يشعر قلبه الاصحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب * (فان قلت) ما معنى التوقع فى قوله (ولما يأتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرّر عليهم التحدى ورازوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب * ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصرّ (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أوالمصرّين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برىء وقيل هى منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون * ثم قال أتطمع أنك تقدر على اسماع الصمّ ولو انضمّ الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرّس واستدلّ اذا وقع فى صماخه دوىّ الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تمّ الامر * وأتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا بصائر لهم ولا عقول وقوله (أفأنت * أفأنت) دلالة على أنه لا يقدر على اسماعهم وهداهم الا الله عزوجلّ بالقسر والالجاء كما لا يقدر على ردّ الاصمّ والاعمى المسلوبى العقل حديدى السمع والبصر راجحى العقل الا هو وحده (ان الله لا يظلم الناس شيأ) أى لا ينقصهم شيأ مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب * ولكنهم

وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا

قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله (قال معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل الخ) قال أحمد وكان التكذيب قبل الاحاطة بعلمه ربما يوهم عذرا اما للمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بانهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنحسم اعذارهم ويتحقق شقاؤهم والله أعلم

يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعنى أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه (الا ساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم (فان قلت) كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الاولى فحال من هم أى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وأما الثانية فاما أن تتعلق بالظرف واما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا (قد خسر) على ارادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هى شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة * (فان قلت) الله شهيد على ما يفعلون فى الدارين فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبى عبلة ثم بالفتح أى هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء) هم (رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) أى بين النبى ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو لكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ماشاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب (لكل أمة أجل) يعنى أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (اذا جاء) ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فان قلت) هلا قيل ليلا أو نهارا (قلت) لانه أريد أن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه فى وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير فى (منه) للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأى شئ يستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أى شئ هول شديد يستعجلون منه ويجب أن تكون من للبيان فى هذا الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى (فان قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (فان قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون (أثم اذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على

الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون

* قوله تعالى قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (قال ان قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال أحمد وفى هذا النوع البليغ نكتتان احداهما وضع الظاهر مكان المضمر والاخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله أعلم

اللام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل الآن (ويستنبؤنك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود (اى) بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (ما في الارض) أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره اذا أظهره وليس هنالك تجلد (وقضى بينهم) أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم * ثم أتبع ذلك الاعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون (قد جاءتكم موعظة) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد (و) هو (شفاء) أي دواء (لما في) صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم * أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا (هو) راجع الى ذلك * وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه (أرأيتم) أخبروني و (ما أنزل الله) ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) أي أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه أم تتكذبون على الله في نسبة ذلك اليه * ويجوز أن تكون الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى ابن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكأن قد كان (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون في شأن) ما نافية والخطاب لرسول الله

ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون في شأن وما تتلوا

صلى الله عليه وسلم والشأن الامر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في (منه) للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل وما (تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصي عليكم (اذ تفيضون فيه) من أفاض في الامر اذا اندفع فيه (وما يعزب) قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شئ الا في كتاب مشكل * (فان قلت) لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض (قلت) حق السماء أن تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤن أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الارض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم اياه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الاولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي و (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرئ ولا يحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك (ان العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا أحزن فقيل ان العزة لله جميعا أي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيأ منها لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من في السموات ومن في الارض) يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن أن هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو انسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى اليه التقليد وترك النظر * ومعنى وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله

منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

في الربوبية محال (ان يتبعون الا) ظنهم أنها شركاء (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم * وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق * ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيأ يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغني) علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له ما في السموات وما في الارض) فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم (يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر (مقامي) مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليهم أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) من أجمع الامر وأزمعه اذا نواه وعزم عليه قال * هل أغدون يوما وأمري مجمع * والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لان الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فان قلت) كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون * (فان قلت) ما معنى الامرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته اياه وأنهم لن يجدوا اليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به (ثم اقضوا الي) ذلك الامر الذي تريدون بي أي أدوا الي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أو أدوا الي ما هو أحق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه (ولا تنظرون)

ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون

*قوله تعالى قالوا ان هـذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال ان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا السحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد وفي الفرق بين الوجهين غموض وايضاحه ان القول 429 على الوجه الاول وقع كناية عن العيب

ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من أفضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اى أصحروا به الي وأبرزوه لي (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي (فما سألتكم من أجر) فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم (ان أجري الا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيأ ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا لغير (فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند اليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا * (فان قلت) هم قطعوا بقولهم ان هذا السحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا السحر مبين كانه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا السحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض (وما نحن لكما بمؤمنين) اى مصدقين لكما فيما جئتما به * وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و (السحر) خبر اى الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هـذه

فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت ان أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر

فلا يتقاضى مفعولا وفي الثاني على أنه يطلب مفعولا والله أعلم *قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به الخ) قال أحمد وليس المراد في القراءة الاولى الاخبار بان ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تعزيه ما جاء به

عن كونه سحرا وانما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من افادة الحصر ولو مرت بخاطر الامام أبي المعالي في مسئلة تحريمة التكبير
لم يعدل عن الاستشهاد بها على افادة هذا النظم الحصر فانا نعلم ان موسى عليه السلام حيث أطلقه فانما أراد اضافة السحر الى ما جاؤا به محصورا
فيه حتى لا يتعدى الى الحق الذي جاء به هو منه شئ وأما القراءة الثانية ففيها والله أعلم ارشاد الى أن قول موسى عليه السلام أولا أتقولون للحق
لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم ويكون أسحر هذا هو الذي قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم انهم قالوا ان هذا السحر مبين وذلك اما لانهم
قالوا الامرين جميعا بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقا والاستهزاء بالحق انكار له بل قد يكون الاستفهام
من جهة المواطن أبت من الاخبار ألا ترى أنهم يقولون في قوله أأنت أم سالم أبلغ في البت من قوله مخبرا أنت أم سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة
بيت الانكار ودعوى انه سحر فقالوا ان هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني ووبخهم موسى على قولهم الاول ومعنى
العبارتين ومآلهما واحد واما ان لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الانكار حسبما تقدم فحكاه الله تعالى عنهم

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

القراءة ما استفهامية اى أي شئ جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به (ان الله سيبطله) سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته (فما آمن لموسى) في أول أمره (الا ذرية من قومه) الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (وملائهم) (قلت) الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لانه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع الى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون * ثم شرط في التوكل الاسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا * تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة (فان قلت) كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا (قلت) خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما

وماله لانه يعلم ان مرادهم من الاستفهام الانكار وبت القول انه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه
ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى انها معان منقولة الى اللغة العربية فيترجم
عنها بالالفاظ المترادفة المتساوية المعاني وحاصل هذا البحث ان قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا انما حكى فيه
قولهم ويرشد الى ذلك انه كافأهم عند ما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهما فقال ما جئتم به آلسحر على قراءة الاستفهام قرضا بوفاء على
السواء والذي يحقق لك ان الاستفهام والاخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد ان الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ما جئتم به السحر
على الوجهين الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على ان مؤدى الامرين واحد ضرورة صدق الخبر وانما حمل
الزمخشري على تأويل القول بالتعييب او اضمار مفعول تقولون استشكالا لوقوع الاستفهام محكيا بالقول والمحكي أولا عنهم الخبر وقد أوضحنا
انه لا تنافر ولا تنافي بين الامرين فشد بهذا الفصل عزم التمسك فانه من دقائق النكت والله الموفق

* قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الامر الخ) قال احمد وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو ادق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه ان يكون كشفا ووجه ذلك انه علم ان الظاهر بل والباطن ان اللام للتعليل وان الفعل منصوب بها ومعنى ذلك اخبار موسى عليه السلام بان الله انما أمدهم ٤٣١ بالزينة والاموال وما يتبعهما من النعم استدراجا ليزدادوا اثما وضلالة كما أخبر تعالى عن امثالهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في

لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها * الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فان قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وأن ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون الا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه * ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقرأ الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم * قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع * قرأ الحسن وجوّزنا من أجاز المكان وجوّزه وجاوزه وليس من جوّز الذي في بيت الاعشى

* واذا تجوزها حبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال

* كما جوّز السكي في الباب فيتق * (فأتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته * وقرأ الحسن وعدوّا * وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت * كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في

وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت

استحالة ذلك على الله تعالى لاعتقاده ان من الجور ان يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردها الى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا اثما وكأين من آية غراء رام ان يستر غرتها ويطفئ نورها بامثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقدا ويأبى الله الا ان يتم نوره ثم لا يسعه الا ان يحمل موسى عليه السلام على امثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها * قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين ادركك الغرق الخ) قال احمد ولقد انكر منكرا وغضب لله

فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن ايمانه لا ينفعه وأما ما يضم اليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما أن الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى أن من كره ايمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد الرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور (ببدنك) في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينتقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي * وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين اما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروى أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون * ومعنى كونه آية أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله * وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في أمرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشأم (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم * (فان قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك

من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك

ولملائكته كما يجب لهم والله الموفق * قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (قال ان قلت كيف قال له عليه السلام فان كنت في شك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسران نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لامره بالسؤال لنقوم حجته على المسؤلين لا ليستفيد بسؤالهم علما مزيد تعين الابراء بقوله له قل لمن ما في السموات والارض قل لله فأمر بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم وأسلم والله أعلم

الحق من ربك) أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أنّ ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية (فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الذين كذبوا بآيات الله) أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين ولا يصدّنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن وقيل ان للنفي أي فما كنت في شك فاسأل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسئل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبيّ وعبد الله فهلا كانت (الا قوم يونس) استثناء من القرى لانّ المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمي والكسائي روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس انّ أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسوّد سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرّقوا بين النساء والصبيان وبين الدوابّ وأولادها فحنّ بعضها على بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرّعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادّوا المظالم حتى انّ الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيردّه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حيّ حين لا حيّ ويا حيّ محيي الموتى ويا حيّ لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم انّ ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والالجاء (لآمن من في الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله (أفأنت تكره الناس) يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا أنت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن (الا باذن الله) أي بتسهيله وهو منح الالطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرّون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون (ماذا في السموات

الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات

*قوله تعالى ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والالجاء) قال أحمد وهذا من دسه الاعتزال مخلسا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولما علم ان الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لايمان الخلق بصيغة الكلية وانه انما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر اذ مقتضى لولا امتناع وكان ذلك رادا لمعتقده الفاسد اذ يزعمون ان الله تعالى شاء الايمان من جميع أهل الارض فلم يؤمن الا بعضهم أخذ يحرف مشيئة الايمان الى مشيئة القسر والالجاء ليتم له ان المشيئة المرادة في الآية لم تقع لانا نوافقه على ان الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالايمان وخلق لهم اختيارا له وقصدا وهذا كما ترى لا يعد في التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده واقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان واضلاله والله الموفق

والارض) من الآيات والعبر (وماتغنى الآيات والنذر) والرسل المنذرون أوالانذارات (عن قوم
لايؤمنون) لايتوقع ايمانهم وهم الذين لايعقلون وقرئ ومايغنى بالياء وما نافية أواستفهامية (أيام الذين
خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (ثم ننجى رسلنا) معطوف على كلام
محذوف يدل عليه قوله الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية
الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم * كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين
منكم ونهلك المشركين و(حقا علينا) اعتراض يعنى حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجى بالتشديد (ياأيها
الناس) ياأهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته وسداده فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على
عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا أنه دين لامدخل فيه للشك وهو انى لاأعبد الحجارة التى تعبدونها
من دون من هو الهكم وخالقكم (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) وانما وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بأن
يخاف ويتقى فيعبد دون مالا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى أن الله أمرنى بذلك
بما ركب فى من العقل وبما أوحى الى فى كتابه وقيل معناه ان كنتم فى شك من دينى ومما أنا عليه أأثبت عليه
أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا فى أمرى واقطعوا عنى أطماعكم واعلموا أنى لاأعبد
الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل ياأيها الكافرون لاأعبد ما تعبدون
أمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذى هو
حذف الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما
تؤمر * (فان قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه اشكال لان أن لاتخلو من أن تكون التى
للعبارة أو التى تكون مع الفعل فى تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى
القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لايساعد عليه لفظ الامر وهو أقم
لان الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالامر
والنهى وشبه ذلك بقولهم أنت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه فى معنى المصدر
والامر والنهى دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال أقم وجهك استقم اليه ولاتلتفت يمينا ولا شمالا
و(حنيفا) حال من الدين أو من الوجه (فان قلت) معناه فان دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك
فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن
تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم * أتبع النهى عن
عبادة الاوثان ووصفها بأنها لاتنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذى ان أصابك بضر لم يقدر على
كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لاشعور به وكذلك ان أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده
بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بأن توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان
أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته (فان قلت) لم ذكر المس فى
أحدهما والارادة فى الثانى (قلت) كأنه أراد أن يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة فى كل واحد من
الضر والخير وأنه لاراد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة
فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله تعالى (يصيب
به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قد جاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن
اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على
معنى النفع والضر * وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح
الضلال مع ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وحملكم على ما أريد انما أنا بشير ونذير
(واصبر) على دعوتهم واحتمال أذاهم واعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروى أنها
لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى يعنى

والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل ياأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ماسامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على مايسومكم الامراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروي أن أباقتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار انكم ستلقون بعدي أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبدالرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامي
بأنا صابرون فمنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أحكمت آياته) نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولاخلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما أي جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أوفصل فيها مايحتاج اليه العباد أي بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل (فان قلت) مامعنى ثم (قلت) ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور (ألا تعبدوا) مفعول له على معنى لئلا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لاتعبدوا الا الله أو أمركم أن لاتعبدوا الا الله (وأن استغفروا) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل أي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم * (فان قلت) مامعنى ثم في قوله (ثم توبوا اليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وان تولوا) وان تتولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل * وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم الى من هو قادر على كل شئ فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى (يثنون صدورهم)

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا انهم يثنون صدورهم

يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال (يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين *وقرئ تثنوني صدورهم واثنونى افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعالّ منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي (فإن قلت) كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل (قلت) هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد *والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه *والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون (فإن قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لأن النظر والاستماع من طرق العلم (فإن قلت) كيف قيل (أيكم أحسن عملا) وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله *وقرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشتري لنا لحما وأنك تشتري بمعنى علّك أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره لقالوا (إن هذا إلا سحر مبين) يعنون القول ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم إن هذا إلا سحر مبين إن السحر أمر باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (إلى أمة) إلى جماعة من الأوقات (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء و(يوم يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم

معمول

يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا

(القول في سورة هود عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (قال إن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال أحمد كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف في الدنيا أو ثواب في الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعده وخبره صدق وجب وقوع

معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا أنه جاء على عادة الله فى اخباره (الانسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (انه ليؤس) شديد اليأس من أن تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساءله (ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين) آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة أن يشكروا وان زالت عنهم نعمة أن يصبروا * كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أى هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فان قلت) لم عدل عن ضيق الى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القراآت وقول السمهرى العكلى

بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس باد شحوبها

(أم) منقطعة والضمير فى (افتراه) لما يوحى اليك * تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى وأن الامر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام (فان قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى (فان قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله

* فان شئت حرمت النساء سواكم * ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه (و) اعلموا عند ذلك (أن لا اله الا) الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل

عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

الموعود أى يستحيل فى العقل ان لا يقع للزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكاليف وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق وقد مر الكلام عليها عند قوله تعالى انما التوبة على الله والله الموفق

* قوله تعالى يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (قال اراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وان نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عزوجل لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وانما الذي ينفي الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا أهل السنة

نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين

الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف اليهم) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى ان أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عزوجل وتوف اليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أي باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أي على برهان من الله وبيان أن دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم (أولئك) يعني من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك في مرية) وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الاشهاد) من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد * وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل

والحق مع الزمخشري في هذا الموضع الا في غفلته حيث يقول فيوعوع بها على أهل العدل يعني
بعض
الآية المذكورة وهذه سقطة عظيمة وهب ان المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجيز ان يطلق على ايراده الآية وعوعة وانما تلا كتاب الله تعالى غير ان خطأه في تصحيح معتقده الباطل به وما الزمخشري الا يتسامح كثيرا فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز وانما يليق التسامح اذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق

*قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (قال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع الى قوله أن تكون الواو الخ) قال أحمد بخلافها على الوجه الاول فانها لعطف الموصوف على الموصوف وأما تنظيره الآية بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فان امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيها واحدا والآية على التفسير الاول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وانما ينظر ببيت امرئ القيس على الوجه الثانى فان مقتضاه ان كل واحد منهما شبه تشبيها واحدا ولكن فى صفتين متعددتين والامر فى ذلك قريب والله أعلم

بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست بشئ فما كان لهم فى الحقيقة من أولياء ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لا جرم) فسر فى مكان آخر (هم الاخسرون) لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم (وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الدنى الخبيت قال

ينفع الطيب القليل من الرز * ق ولا ينفع الكثير الخبيت

وقيل التاء فيه بدل من الثاء *شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله *الصابح فالغانم فالآيب *(هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها *أى أرسلنا نوحا بأنى لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (انى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول (أن لا تعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى أرسلناه بأن لا تعبدوا (الا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير * وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده (الملأ) الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لانهم يتمالؤن أى يتظاهرون ويتساندون أو لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازلهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا لا بشرا *والاراذل جمع الارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا *قرئ بادى الرأى بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأى أو ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل

خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا

*قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى (قال هو تعريض بانهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد ويحتمل فى الوجهين ان يكون المراد أول الرأى ولكنه ترك الهمز استثقالا الا ان يكون القارئ بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء ان يحجوا نوحا عن اتبعه من وجهين أحدهما ان المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا اسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يتروا فى اتباعه ولا أمعنوا الفكرة فى صحة ما جاء به وانما بادروا الى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بان منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

يضمه فضلا أن يجعله سببا فى الاختيار للنبوّة والتأهيل لها على أن الانبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين فى طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد اليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوّة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) أخبروني (ان كنت على بينة) على برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رحمة من عنده) بايتاء البينة على أن البينة فى نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوّة (فان قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفى قراءة أبى فعماها عليكم (فان قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد (فان قلت) فما معنى قراءة أبى (قلت) المعنى أنهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) يعنى أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه فى الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكى عن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر * والضمير فى قوله (لا أسئلكم عليه) راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله * وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل (فان قلت) ما معنى قوله (انهم ملاقوا ربهم) (قلت) معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الرأى من غير نظر وتفكر وما على أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أوهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله * ألا لا يجهلن أحد علينا * أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (ان طردتهم) وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء (أعلم الغيب) معطوف على عندى خزائن الله أى لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندى خزائن الله فأدعى فضلا عليكم فى الغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعى علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما فى نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما أنت الا بشر مثلنا * ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله (لن يؤتيهم خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك * والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فأكثرت جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (انما يأتيكم به الله) أى ليس الاتيان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه (ان شاء) يعنى ان اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فأكثرت جدلنا * (فان قلت) ما وجه ترادف هذين الشرطين

من فضل بل نظنكم كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون و ياقوم لا أسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون و ياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم

*قوله تعالى ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال ان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين الخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق ان شربت ان أكلت وهى المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية انها ان شربت ثم أكلت لم يحنث وان أكلت ثم شربت حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر الذى يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر فى العربية لا نطول بذكره وعليه أعرب الزمخشرى هذه الآية كما رأيت والله أعلم

(قلت)

ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

(قلت) قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم مادل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان أحسنت الي أحسنت اليك ان أمكنني (فان قلت) فما معنى قوله ان كان الله يريد أن يغويكم (قلت) اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك اغواء واضلالا كما أنه اذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه أنكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي (فعلي اجرامي) وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة اجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي (وأنا بريء) يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) اقناط من ايمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع (الا من قد آمن) الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلا تبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس ✻ منه وأقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه (ووحينا) وأنا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (فانا نسخر منكم) يعني في المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق

(ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فان قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد (فان قلت) فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (فان قلت) فما جواب كلما (قلت) أنت بين أمرين اما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم * واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته (الاقليل) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء *يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من ارادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة أي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى أنه كان اذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها أي بقدرته وأمره * وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله (فان قلت) ما معنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله

* وجاؤنا بهم سكر علينا * فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين (ان ربي لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم * (فان قلت) بم اتصل قوله (وهي تجري بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم أي تجري وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (فان قلت) الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام * وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني ولنسبته الى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي أي قال يا ابناه * والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين أبيه (يابني) قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء

ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله

*قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها (قال ويجوز أن يفخم الاسم الخ) قال احمد نفور من اعتقاد ان الاسم هو المسمى ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحما والله اعلم

*قوله تعالى لاعاصم اليوم من امر الله الامن رحم (قال المراد الا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم الخ) قال احمد والاحتمالات الممكنة اربعة لاعاصم الا راحم ولا معصوم الامرحوم ولا عاصم الامرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشري خامسا وهو لاعاصم الامرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لامكان عاصم الامكان مرحوم والمراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل و بالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز و بعضها اقرب من بعض والله اعلم *قوله تعالى وقيل ياارض ابلعي ماءك و ياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ٤٤٣ للقوم الظالمين (قال نداء الارض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال احمد ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الاوصاف احيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها وانه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره في مثل قوله وهو الله في السموات وفي الارض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين ومنه * أنا أبو النجم وشعري شعري * ولقد تحمل الشعراء على التعلق باذيال هذه المعاني اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة لا تحمدنها واحمدن هماما * اذا لم يسم حامده سواكا يعني لا تمدح نفسك فانك المنفرد بالمادح حتى اذا ذكرت ولم يسم المعنى بها لم يسبق الى ذهن أحد غيرك لتفردك بها *قوله تعالى قال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أي اعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل لحاكم

الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل ياأرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ماليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك

الاضافة في قولك يا بنيا أو سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله اي الامكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لايعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة الامن رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الامن رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الامن رحم على البناء للمفعول * نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله ياأرض و ياسماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه و يفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء * والبلع عبارة عن النشف * والاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه اذا نقصه (وقضى الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا و بعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره ياأرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي ولا أن يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وأقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق و روي أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى *نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (فان قلت) فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء ارادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (ان ابني من أهلي) أي بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل لحاكم

على غيره الا بالعلم الخ) قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أقضى القضاة الى قاضي القضاة والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الاولى ان الاولى تقتضي مشاركة القضاة لاقضاهم في الوصف وان زاد عليهم فترفعوا ان يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المنصب فعدلوا عما يشاركون فيه الى ما ليس كذلك فافردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضي القضاة أي هو الذي يقضي بين القضاة ولا يشاركه منهم أحد في وصفه وجعلوا الذي يليه في الرتبة أقضى القضاة الا أنهم انما يعنون قاضي قضاة زمانه أو اقليمه واذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال أقضاكم علي فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم فلا حرج ان شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الاقليم وأعلمهم قاضي القضاة وأقضى القضاة أي قضاة زمانه وبلده وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا هذا اللقب * قوله تعالى انه عمل غير صالح (قال فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه الخ) قال أحمد ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتك الاقربين وان كان مأمورا بالانذار على العموم ٤٤٤ ولكن لما كانت أهلية النبي عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل خص أهله بالانذار ايذانا بذلك والله أعلم ولهذا لما أنزلت أنذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني لا أملك لكم من الله شيأ أو قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه * قوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين (قال فان قلت قد وعده الله أن ينجي أهله وما كان عنده الخ) قال أحمد وفي كلام الزمخشري ما يدل على انه يعتقد ان نوحا عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل اليه ومعاتبته على ذلك وليس الامر كما تخيله الزمخشري ونحن نوضح الحق في الآية منزلا على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشري نسبته اليه فنقول لما وعد نوح أولا تنجية أهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا الحال ابنه المذكور ولا مطلعا على باطن أمره بل معتقدا بظاهر الحال انه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الاهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له انه من المستثنين وانه هو لاعلم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون ابانة عذر أولى منه أن يكون عتبا فان نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استأثر به غيبا وأما قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد ان أعلمه الله باطن أمره وانه ان وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب بل المقصد منها أن لا يقع الذنب في الاستقبال ولذلك مثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهي عنه والله أعلم

على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (انه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها
* فانما هي اقبال وادبار * وقيل الضمير لنداء نوح أي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك بأنه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقرئ عمل غير صالح أي عملا غير صالح * وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز * وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود اليه والى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت) قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد ان في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب

على

على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه (أن أسألك) من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وإلا تغفر لي) ما فرط مني من ذلك (وترحمني) بالتوبة علي (أكن من الخاسرين) أعمالا * وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما (وبركات عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن تكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وأمم) رفع بالابتداء و (سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) * وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده (أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و (هودا) عطف بيان و (غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (إن أنتم إلا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء * ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل (استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان * والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه (مجرمين) مصرين على إجرامكم وآثامكم (ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة (اعتراك) مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم

أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء

تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من المواددة وما ذاك الا لعرق من الالحاد أبى الا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب * من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله (فان قلت) هلا قيل اني أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من اشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدوني جميعا) أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم علي وأنتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي * ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به (فان تولوا) فان تتولوا (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تتولوا لم أعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأبيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا أنفسكم (على كل شئ حفيظ) أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف * (فان قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد * وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم

طاعتهم

مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربي على كل شئ حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم

*قوله تعالى قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (قال ان قلت هلا قيل أشهد الله واشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله ان صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاده لله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر لانه اشهاد صحيح ثابت وعبر في جانبهم بصيغة الامر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده في هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون اشهاده لهم حقيقة والغرض اقامة الحجة عليهم وانما عدل الى صيغة الامر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بان يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الامر والله الموفق للصواب

*قوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود (قال ان قلت ما الفائدة في هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال أحمد فيه أيضا فائدتان جليلتان احداهما النسبة بذكر هود الذي انما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكأنه قيل عاد قوم هود الذي كذبوه والاخرى تناسب الآي بذلك فان قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول في القوافي والله أعلم

طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله و (ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فان قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له ألا ترى الى قوله

اخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فان قلت) ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (هو أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان انه أخذ في احياء الارض في آخر أمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له في الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) داني الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وسأله (فينا) فيما بيننا (مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل (ان كنت على بينة من ربي) بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله (فما تزيدونني) اذن حينئذ (غير تخسير) يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم الى الخسران وأقول لكم انكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل * (فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزي يومئذ) قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

ألا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولقد جاءت

* قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط الآية (قال قيل انه كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت قصة ابراهيم هذه فى ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دال على انه انما أوجس منهم خيفة لعلمه انهم ملائكة وعدم علمه فيم جاؤا الثانى فى الحجر قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله لاتوجل انا نبشرك فلم يطمئنوا باعلامه انهم ملائكة ولكن بانهم يبشرون له فدل على استشعارهم انه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤا فيه الثالث فى الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه فهو أبينا كذلك وأما لوط فلم يشعر انهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى الى قوله تعالى قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأول ما أعلموا به انهم رسل فالفرق بين هذه الآية وبين آى ابراهيم مصداق لان ابراهيم علم كونهم ملائكة ولوط لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل ابراهيم على لوط ان يبعد على فراسته أن يعلم انهم ملائكة دون لوط عليهما السلام * عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وانما قالوا لاتخف لانهم رأوا آثار الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشرى والله أعلم لانهم انما علموا خوفه ووجله باخباره اياهم بذلك ويدل عليه قوله تعالى فى آية أخرى قال انا منكم وجلون قالوا لاتوجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال وضحك زوجته لانها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل انها قالت بعد ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لاعجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة مهماز على امكان الحمل والله الموفق

رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت ياويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى و (شيخا)

* على حين عاتبت المشيب على الصبا * (فان قلت) علام عطف (قلت) على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزى يومئذ أى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة * وقرئ ألا ان ثمود وا لثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحى أو الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى أحد عشر (بالبشرى) هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام لحرم وحرام وأنشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

(فما لبث أن جاء) فما لبث فى المجىء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه * والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوى بالرضف فى اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين * يقال نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الاعشى

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر انه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى الى قولهم لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا (فأوجس) فأضمر * وانما قالوا لاتخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لاينزلون الا بعذاب (وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فانى أعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود أو موجود أى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى انه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

* وليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب *

الالف فى (ياويلتا) مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يالهفا و ياعجبا وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الاصل

و(شيخا) نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف أى هذا بعلى هو شيخ أو بعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسع وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة (ان هذا لشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى أجراها الله وانما أنكرت عليها الملائكة تعجبها (قالوا أتعجبين من أمر الله) لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب * وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت الله وبركاته عليكم) كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الاحسان اليهم * وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لان أهل البيت مدح لهم اذ المراد أهل بيت خليل الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط قيل فى يجادلنا هو جواب لما وانما جئ به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم أنهم قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (فى قوم لوط) فى معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف انسان (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه (يا ابراهيم) على ارادة القول أى قالت له الملائكة (أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذى لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها * يقال يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيآت) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتى) أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد ان

شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيآت قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم

يزوجه مالبنته وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان فى لحنه وعن أبى عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع فى لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما فى هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلى شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتى بدل ويعمل هذا المضمر فى الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزأى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى هن جملة فى موضع خبر المبتدا كقولك هذا أخى هو ويكون أطهر حالا (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزونى) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدى الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء * وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة فى تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا فى ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (مالنا فى بناتك من حق) لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابرى [3] وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا مالنا فى بناتك من حق قط لان نكاح الاناث أمر خارج من مذهبنا الذى نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفى الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة * جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعنى لو أن لى بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال مالى به قوة ومالى به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها ومالى به يدان لانه فى معنى لا أضطلع به ولا أستقل به * والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد * وقرئ أو آوى بالنصب باضمار أن كأنه قيل لو أن لى بكم قوة أو أويا كقولها * للبس عباءة وتقر عينى * وقرئ الى ركن بضمتين وروى أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار * فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب قالوا يالوط ان ركنك لشديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة * لن يصلوا اليك جملة موضحة للتى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره * قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فاسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل أعنى قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفى اخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه فى أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هى كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هى من أسجله اذا أرسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله

فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل

٣ (قوله سابرى) فى المثل عرض سابرى يقوله من يعرض عليه الشئ عرضا لا يبالغ فيه اه من هامش الاصل

لترسل

*قوله تعالى وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال ان قلت النهي عن النقصان أمر بالايفاء الخ) قال أحمد ولمن قال ان الامر بالشئ ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فان الامر لو كان عين النهي عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفي كلام الزمخشري ما يدل على انه وهم فاعتقد ان النهي في الآية قبل الامر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم وأما قوله ان الايفاء حسن في العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانها وبينا ان التحسين والتقبيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل في حكم سمعي *قوله تعالى بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين (قال بقية الله ما يبقى لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة ان الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لا نهيا ولا أمرا وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهي وهذه الآية تدل على انهم مخاطبون في حال الكفر بشرط الايمان وقد قررها الزمخشري على ذلك* عاد كلامه (قال فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضا من اقرار الزمخشري للآية على ظاهرها ومعنى السؤال ان الكفار اذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة لان ثمرة الخلاف في مسئلة خطاب الكفار انما تظهر في الدار الآخرة واذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الايمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء ومعنى الجواب ان ظهور الانتفاع بالامتثال انما يتحقق مع الايمان واما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب فانما تظهر الفائدة على خفاء في تحقيق مأمن العذاب والله الموفق* عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ما يبقى لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لا خالق ولا رازق الا الله ايمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم واذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام في هذا الاطلاق عقدا وحقيقة وأما اطلاق القول باضافته على

منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضي الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وما هي) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (ببعيد) بشئ بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا أنها اذا هوت منها فهي أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه (انى أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو (فان قلت) وصف العذاب بالاحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا أحاط بنعيمه* (فان قلت) النهي عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله أوفوا (قلت) نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد* البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير* وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم* وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيأ كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك* والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان (فان قلت) بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان (قلت) لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها

الخصوص الى الله تعالى فامر خارج عن الاعتقاد راجع الى الاتباع والله الموفق * قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء (قال معناه تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون أن تفعل معطوفا على ان نترك وعلى المشهور لايجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيه فتعين العطف فيها على ما يعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك ان نترك عبادة آبائنا أو معبود آبائنا على انها مصدرية أو موصولة ثم قالوا أو أن نفعل أى او ان نترك فعلنا فى أموالنا مانشاء هذه لطيفة فتنبه لها ولا حاجة الى اضمار الزمخشرى لمضاف تقديره تأمرك بتكليف ان نترك واحتجاجه لذلك بان الانسان لا يؤمر بفعل غيره اذ او المسئلة فرع من فروع خلق الافعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف فى الآية

وما أنا عليكم بحفيظ قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وياقوم

رزقه الذى يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه ومراقبته التى تصرف عن المعاصى والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لاحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت * كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلاة وان جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذى تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك اليه داعى عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التى تداوم عليها فى ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك (أن نترك) تأمرك بتكليف أن نترك (مايعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذى هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره * وقرئ أصلاتك بالتوحيد * وقرأ ابن أبى عبلة أو ان تفعل فى أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (انك لأنت الرشيد الحليم) نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقنى منه) أى من لدنه (ورزقا حسنا) وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما أثبت فى قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى أخبرونى ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والانبياء لا يبعثون الا لذلك * يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يعنى أن أسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر (ما استطعت) ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله

* ضعيف النكاية أعداءه * أى ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم (وما توفيقى الا بالله) وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم

متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لان عرف التخاطب فى مثله يقتضى ذلك والله أعلم * قوله تعالى ان أريد الا الاصلاح ما استطعت (قال ما استطعت ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه ويجوز ان يكون على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو يكون مفعولا للمصدر كقوله * ضعيف النكاية اعداءه * لاطماعهم) قال أحمد والظاهر انه ظرف كهو فى قوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما جعله مفعولا للمصدر وقد عرف بالالف واللام فبعيد لان اعمال المصدر المعرف فى المفعول الصريح ليس بذاك قالوا ولم يوجد فى القرآن عاملا فى مفعول صريح ولا فى غيره الا فى قوله لايحب الله الجهر بالسوء فأعمله فى الجار والمجرور

لأطماعهم فيه * جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا * وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك (فان قلت) ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) اما أن يراد وما اهلاكهم ببعيد أو وما هم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال (ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل انا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا * والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزيز) أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم (أرهطي أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى أمس أمسي (بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها (اني عامل) على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني (من يأتيه) يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب (فان قلت) أي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون

لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط و يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

عن اقتفاء الاعراب الى وجوه وهي ممكنة عتيدة متعين خصوصا في أفصح الكلام والله أعلم * قوله تعالى انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا أي لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكته الدالة على انه كان مليا بالحذاقة في علم البيان والله المستعان

*قوله تعالى اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب (قال ان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال أحمد والظاهر والله أعلم ان الكلامين جميعا لهم فالاول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب و يكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما يعني المخاطب في الكلامين فاذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هؤلاء اذ أحد الفريقين اذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا فذكره لاحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه ابلغ وأوقع من التصريح

فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة * الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين * البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك و بين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبار المعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لانها أبهرها (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشد قط (يقدم قومه) أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين * (فان قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي (قلت) لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و(الورد) المورد و(المورود) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة

وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وهذا منه والذي يدل على ان الكلامين لهما وان عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة وهي قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله في سورة الانعام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هنالك أيضا احدى العاقبتين لان المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير ومتى أطلقت فلا يعنى الا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله أعلم فتأمل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز وضم

الى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أى بعضها باق وبعضها عاف الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد (فان قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هى مستأنفة لا محل لها (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن تردّ عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية و(لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تبّ اذا خسر وتببه غيره اذا أوقعه فى الخسران * محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل * وقرئ اذ أخذ القرى (وهى ظالمة) حال من القرى (أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغترّ بالامهال (ذلك) اشارة الى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لانه ينظر الى ما أحل الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا أنموذج مما أعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه انّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) اشارة الى يوم القيامة فانّ عذاب الآخرة دلّ عليه و(الناس) رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس (فان قلت) لأىّ فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات الجمع لليوم وانه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال * فى محفل من نواصى الناس مشهود * (فان قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا فى نفسه لانّ سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حلّ الأجل فاذا جاء أجلهم يراد آخر مدّة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (وما نؤخره الا لأجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء * قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل (فان قلت) فاعل يأتى ما هو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أو يأتى ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره

وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة انّ أخذه أليم شديد انّ فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت

بعضها الى بعض والله الموفق للصواب * قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه ان قلت لم عدل عن الفعل الى اسم المفعول الخ) قال أحمد ولهذا السر ورد قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ * قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع فى الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذى هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الابهام ما يكون وتفخيما وهذا مكانه

بالباء وقوله باذنه و يجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة (فان قلت) بما انتصب الظرف (قلت) اما أن ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لأجل معدود أي ينتهي الاجل يوم يأتي (فان قلت) فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشئ بنفسه (قلت) المراد اتيان هوله وشدائده (لا تكلم) لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن (فان قلت) كيف يوفق بين هذا و بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس * والشقي الذي وجبت له النار لاساءته * والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه * قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا * والزفير اخراج النفس * والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

(مادامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب مادام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد * (فان قلت) فما معنى الاستثناء في قوله (الا ما شاء ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته (ان ربك فعال لما يريد) أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون * لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل

لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل

النهى عن المرية وما فى مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) أى حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم * (فان قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا (وان كلا) التنوين عوض من المضاف اليه يعنى وان كلهم وان جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف * واللام فى لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل وقرأ أبى وان كل لما ليوفينهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهرى وسليمان بن أرقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وروى أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتنى هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت ما الذى شيبك منها أقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضى الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر الى الله بصحة العزم * قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبى عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم فى كسرهم حروف المضارعة الا الياء فى كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبى عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه اذا أماله والنهى متناول للانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله (الى الذين ظلموا) أى الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكى أن الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهرى السلاطين كتب اليه أخ له فى الدين عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون

وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

* قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قال) أى حظهم من العذاب وانما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لانه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال أحمد) وهم والله أعلم فان التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان أو ناقصا فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالا عنه والاوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الاعطاء كما استعمل التوفى بمعنى الاخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه كان جديرا أن يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

للملوك وعن الاوزاعي ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفي النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل (ان الحسنات يذهبن السيآت) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيآت بأن يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيآت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين * ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

* ان تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم *

ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم

وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض

لاشفاقهم

لاشفاقهم (الاقليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي *ومن في (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فان قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الافصح أن يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي وأتبع الذين ظلموا يعني وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كأنه قيل الا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر (فان قلت) علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فان قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) (قلت) على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالاجرام اغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام * واللام لتأكيد النفي و (بظلم) حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر* (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعني لاضطرهم الى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ (نقص عليك) و (من أنباء الرسل) بيان لكل و (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق (وموعظة وذكرى *وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها (انا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله)

الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله

فلابدأن يرجع اليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء أى أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

﴿سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى آيات السورة و(الكتاب المبين) السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف (أنزلناه) أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه (قرآنا عربيا) وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله و بعضه (لعلكم تعقلون) ارادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أى بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بنصب المصدر لاضافته اليه و يكون المقصوص محذوفا لان قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص فى كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه (فان قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (وان كنت) ان مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية والضمير فى (قبله) راجع الى قوله ما أوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه أى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص أو باضمار اذكر ويوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (فان قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربى لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل أو المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لانه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف

فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه

ابن

ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فان قلت) ماهذه التاء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف (فان قلت) كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فان قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الاضافة (قلت) لان التأنيث والاضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره (فان قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ماقبلها مفتوحا (فان قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لانها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فان قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت ياغلام فكما لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لاغير ألا ترى الى قولهم يا أبتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينهما وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فان قلت) فقد دلت الكسرة في ياغلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا أبي (فان قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في ياغلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول ياتبة ٣ من غير اعتبار لكونها عوضا من غير ياء الاضافة * وقرئ اني رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ماذكره معلوم أنه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فان قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون *(فان قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر *(فان قلت) مامعنى تكرار رأيت (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لي ساجدين) (فان قلت) فلم أجريت مجرى العقلاء

يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك

(القول في سورة يوسف عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (قال ان قلت مامعنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك ان الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة اذ الآية في السجود كانت والله أعلم

٣ (قوله ياتبة) بالمثناة وتشديد الموحدة في غالب النسخ وفي القاموس التبة بالكسر الحالة الشديدة اه وفي نسخة يا ابنة تأنيث ابن اه من هامش الاصل

فى رأيتهم لى ساجدين (قلت) لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم أن يلابس الشئ الشئ من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة * عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم * والرؤيا بمعنى الرؤية الا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رويالـ بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى ريالـ وريالـ بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام فى قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر (فيكيدوا) منصوب باضمار أن والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك (فان قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى (قلت) ضمن معنى فعل يتعدّى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى الى تأكيده بالمصدر (عدوّ مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوّاء ولقوله لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شرّ ليورّط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك ربك لامور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتمّ نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته * والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس أو ملك أو شيطان * وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الاحاديث معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لانه يحدّث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى الى قوله تعالى فبأىّ حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة * ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلا فى الجنة وقيل أتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب أنّ يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل * وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبىّ وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما * وأراد بالابوين الجدّ وأبا الجدّ لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدّة و (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (انّ ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتمّ نعمته الا على من يستحقها (فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فى كل شئ (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب * وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبىّ عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليتأسى به وقيل أساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة الاوّلون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوّج

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدوّ مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق انّ ربك عليم حكيم لقد كان فى يوسف اخوته آيات للسائلين اذ قالوا

اختها

*قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة (قال اللام للتوكيد دخلت للاشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت الخ) قال أحمد وهذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتى هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان فى لحنه أى تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلابد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ٤٦٣ ببعيد ان شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن نحن على طريقة أنا أبو النجم وشعرى شعرى ونحو أنا أنا وانت انت لم يكن فى فصاحته مقال وقد علمت ان معنى أنا أنا أى أنا الموصوف بالاوصاف الشهيرة التى أستغنى عن ذكرها فلا بعد والحالة هذه فى حذف الخبر لمساواته المبتدا وعدم زيادته عليه لفظا وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد الى المحذوف واذا كان كذلك فقول القائلين ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن معناه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذى ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور فلا غرو فى وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجرى فى قوله هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فقوله هن فى حكم الكلام التام والمراد هؤلاء بناتى هن المشهورات بالاوصاف الحميدة الظاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انى

أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام للابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وانما قالوا أخوه وهم جميعا اخوته لان أمهما كانت واحدة وقيل (أحب) فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولابد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف جاز الامران والواو فى (ونحن عصبة) واو الحال يعنى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان أبانا لفى ضلال مبين) أى فى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك * والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن على رضى الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما العامرى عمته أى يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشئ أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم * وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم أو منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق (قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذى قال فلن أبرح الارض قال لهم القتل عظيم (ألقوه فى غيابة الجب) وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل

اذا أنا يوما غيبتنى غيابتى * فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل

أراد غيابة حفرته التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدرى غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون فى الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * ومنه ذهبت بعض أصابعه (ان كنتم فاعلين) ان كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى (مالك لا تأمنا) قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا فى بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعى * وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فان قلت) كيف استجازلهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان

لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته (ليحزنني) اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ماذكره سيبويه من سببي المضارعة * اعتذر اليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق * وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا أتت من كل جهة * القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط * والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها (فان قلت) قد اعتذر اليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به (أن يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الامر وأزمعه فأجمعوا أمركم * وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الاماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فارادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه اياه (وأوحينا اليه) قيل أوحي اليه في الصغر كما أوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) وانما أوحي اليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤل اليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على انا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له * وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير * وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصلا وأصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد أن يقضي الا بما أمر

ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون

* قوله تعالى قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون (قال) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لمفارقته الثاني خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الامرين لقلبه خوف الذئب عليه لانه مظنة هلاكه واما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما اليه عما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا الا بتأمينه وتطمينه من أشد الامرين عليه والله أعلم

أن يقضي به من السنة المرضية وروى أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شئ
قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير
ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه
نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه * فهن به جود وأنتم به بخل * وقرئ
كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب
بالدال غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج
على أظفار الاحداث كأنه دم قد أثر في قميصه روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه
وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل
كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على
براءة يوسف حين قد من دبر * (فان قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل
وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فان قلت) هل يجوز أن تكون حالا متقدمة (قلت)
لا لأن حال المجرور لا تتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت (لكم أنفسكم أمرا)
عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة
القميص أو أوحي اليه بأنهم قصدوه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر
جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه
لا شكوى فيه الى الخلق ألا ترى الى قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه
بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال
طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي (والله
المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت
سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف في الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا
قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه
يوسف (فأرسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء * والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم
(يا بشرى) نادى البشرى كأنه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة
الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة
سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه
من التقاء الساكنين على غير حده الا أن يقصد الوقف * قيل لما أدلى دلوه أي أرسلها في الجب تعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من
أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم
له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه و (بضاعة) نصب على الحال أي
أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه
أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء
الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا أو زيف ناقص العيار

قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس

*قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون (قال روي انه لما سمع أصواتهم قال يا بني هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا لا الخ) قال أحمد وقواه على اتهامهم انهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولا وهو أكل الذئب اياه فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم وأخاف أن يأكله الذئب وكثيرا ما تتلقف الاعذار الباطلة من قلق في المخاطب المعتذر اليه حتى كان بعض امراء المؤمنين يلقنون السارق الانكار

(دراهم) لا دنانير (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كأنه قيل في أي شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (الذي اشتراه) قيل هو قطفير أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (أكرمي مثواه) اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي أحسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به * واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا) له أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي أو على أمر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله * قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله * المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحمل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة * قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل وأما في الاصوات فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه)

دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه

*قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال أحمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم أحصهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فالمدعو به وان كان احصاؤهم عددا في الظاهر الان هذا ليس مرادا لان الله تعالى أحصى كل شئ عددا وأحاط به علما فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود دعي عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الاحصاء والله أعلم

ان

ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخلفه فى أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (انه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيئ وقيل أراد الزناة لانهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب * هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أى ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهم بها) وهم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لولا أنى خفت الله لقتلته (فان قلت) كيف جاز على نبى الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها (قلت) المراد أن نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فان قلت) قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به أم هو خارج منه (قلت) الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين (فان قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت) لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما فى حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز (فان قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعانى فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاءله فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجالس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هنالك فسترته وقالت أستحيى منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيى من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه

ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولى القوة والعزم ناظرا فى دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الاولين ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدى به الصالحون الى آخر الدهر فى العفة وطيب الازار والتثبت فى مواقف العثار فأخزى الله أولئك فى ايرادهم ما يؤدى الى ان يكون انزال الله السورة التى هى احسن القصص فى القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من انبياء الله فى القعود بين شعب الزانية وفى حل تكته للوقوع عليها وفى ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم فى مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان أوقح الزناة واشطرهم وأحدهم حدقة واجلحهم وجها لقى بادنى مالقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (كذلك) الكاف منصوب المحل أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوع أى الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فان قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه فى قوله وغلقت الابواب (قلت) أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة * لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا ألا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أى ليس جزاؤه الا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شئ جزاؤه الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد (فان قلت) كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوأ (قلت) قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف * وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط * ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان فى الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ماجزاء من اراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

يوسف الخ) قال أحمد أو أظهرت بهذا الاجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها هذا أرادنى بسوء ولذلك أيضا كنت بالسوء عما أضمرته من الخنا مبالغة فى المكر والكيد وابعاد التهمة عنها بتوقى ما يشعر منها بالتبرج والقحة وعلى الضد من مقصودها وان وافق ملاحظتها بحشمة الاجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ولم تقل انه قوى أمين حياء من التعيين وحشمة وخفرا ولكن هذه انما بعثها على هذا الادب شيمة الحياء وامرأة العزيز انما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال ان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد مهما قدره من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في اتباعها له فانها انما تقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صار امتقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل اذا كانت هي التابعة ان تكون اجتذبته حتى صار امتقابلين ثم جذبت قميصه اليها من قبل بل ههنا أظهر لان الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع عاد كلامه (قال والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد) قال احمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في اسراعه للفرار والله أعلم فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك والحق والله ولي التوفيق ان الشاهد المذكور ان كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل اوانه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد اخبار عيسى عليه السلام في المهد برهانا على صدق مريم فلا تبقى المناسبة بين الامارة المنصوبة وما رتب عليها الا ان العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها وان كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له واقامة الحق كما ذكر الزمخشري فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بان انقطاع قميصه انما كان من دبر فنصبه امارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل على علم بانه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعا فيذكر امارة على صدقها المعلوم نفيه كما ذكر امارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم امارة صدقها على امارة صدقه في الذكر ازاحة للتهمة ووثوقا بان الامارة الثانية هي الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله أعلم

بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى *(فان قلت) لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة (فان قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لانها قول من القول أو على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه * (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما أنه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئتا بسكون العين (فان قلت) كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان أحسنت الي فقد أحسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي أمتن عليك (فلما رأى) يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوأ أو أن هذا الامر وهو طمعها في يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولامتها *وانما استعظم

فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم

هي التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فقدم قسم الكذب على قسم الصدق ازاحة للتهمة التي خشي ان تتطرق اليه في حق موسى عليه السلام ووثوقا بان القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بانه معهم عليه وانه حريص على ان يبخسه حقه ويحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه لانه لو بدأ به لفطنوا انه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فقصد هذا الشاهد الامارة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الامارة الاولى فليست مقصودة وانما ذكرها توطئة كما تقدم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين وانما هي كالفرض والتقدير والله أعلم وكأنه قال ان كان قميصه قد من قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الامارة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق* وأما ان كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع اليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين انها عهدة الحكيم واقرب وجه في المناسبة ان قد القميص من دبر دليل على ادباره عنها وقده من قبل دليل على اقباله عليها بوجهه والله أعلم *قوله تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (قال الضمير راجع الى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الخ) قال أحمد وفيما قاله هذا العالم نظر الان الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنها فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ويحتمل أن لا يكون المراد تسويته وايضا فان كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة اليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء

كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن
الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ماليس مع غيرهن من
البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى
قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به
(واستغفري) أنت (لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب
متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما
وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة
صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي
كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرأت
العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي
(شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران قال * كما شعف المهنوءة الرجل الطالي *
و(حبا) نصب على التمييز (في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء
قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما
يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين
امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي
قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع
أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين
المكر به وبهن فتضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة وان تهول يوسف من مكرها اذا خرج على
أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى ان يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن
بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته
ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين
* وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح
بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد

فاهدت متكة لبني أبيها * تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت اهدت أترجة على ناقة وكأنها الاترجة التي ذكرها ابوداود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين
على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشئ بمعنى
بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ (أكبرنه) اعظمنه وهبن ذلك الحسن
الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم
السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من
هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة
مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف

يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه

الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا وأيضا فان الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده والله أعلم

* قوله ماهذا الابشرا ان هذا الاملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال احمد تقدم القول فى مسئلة التفضيل شافيا والزمخشرى لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات يرمى بها أهل الحق فينسب اليهم الاجبار والخسار والمكابرة فى الضروريات وجحد الحقائق تعكيسا وهذا كله هم برآء منه وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه فى اعتقاد ان تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقليا نظريا ولكن سمعيا وقد قنع فى الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التى ادعى انها مركوزة فى الطباع ثم حكم بان كل مركوز فى الطباع حق وخصوصا والكلام فى طباع النساء القائلات ماهذا بشرا واذا كان كل مركوز فى الطباع حقا فاركز فيها حب الشهوات وايثار العاجلة وجميع امهات الذنوب مركوز فى الطباع أفيكون ذلك حقا الا عند ناظر بعين الهوى اعشى فى سبيل الهدى والله ولى التوفيق * قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتننى فيه (قال لم لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أجبت عما أورده من السؤال فى قوله تعالى أول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الاشارة الى الحروف المذكورة فقال ان قلت كيف أشار اليها وهى قريبة كما يشار الى البعيد واجاب هو بان كل منقض بعيد وأجبت انا بأن الاشارة بذلك الى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة الى كتب الله تعالى

وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب الى مما

يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(قطعن ايديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها * حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبى ثوبان انّ به * ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهى قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبى السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبى عمرو حاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تبعت الالف فى الاسقاط وهى ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله (فان قلت) فلم جاز فى حاشا لله أن لا ينوّن بعد اجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لاصله الذى هو الحرفية ألا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى فى قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماهذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز فى الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه فى الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز فى الطباع أن لا أدخل فى الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم فى كل باب واعمال ما عمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ماهنّ أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع وهى فى قراءة ابن مسعود وقرئ ماهذا بشرى أى ماهو بعبد مملوك لئيم (ان هذا الا ملك كريم) تقول هذا بشرى أى حاصل بشرى بمعنى هذا مشرى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هى الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك (قالت فذلكنّ) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعاد المحله ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صوّرتنّ فى أنفسكنّ ثم لمتننى فيه تعنى أنكنّ لم تصوّرنه بحق صورته ولو صوّرتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به * الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأى واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شئ أنور منه على أنه برئ مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان * (فان قلت) الضمير فى (آمره) راجع الى الموصول أم الى يوسف (قلت) بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما فى قولك أمرتك الخير ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع الى

يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري اياه أي موجب أمري ومقتضاه * قرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لان النون كتبت في المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة * وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعونني) على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن لها اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب الى من ركوب المعصية (فان قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب اليه من اللذة (قلت) كانت أحب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها (والا تصرف عني كيدهن) فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الاجبار على التعفف ولا الجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام * مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه أنهما يسمانه فأمر بهما الى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (اني أراني) يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين الى أهل السجن فأحسن الينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي أنه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق أوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروي أن الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني أراني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع

الاطعمة

يدعونني والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا

الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها * (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله نبأتكما بتأويله (قلت) الى ماقصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحو كأنه قيل نبأتكما بتأويل ذلك * لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الي ولم أقله عن تكهن وتنجم (اني تركت) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى الي لاني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله) أي شئ كان من ملك أو جني أو انسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وأرشدوهم اليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (ياصاحبي السجن) يريد ياصاحبي في السجن فأضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك ياصاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز أن يريد ياساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (الا أسماء) يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أي بتسميتها (من سلطان) من حجة (ان الحكم) في أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (أما أحدكما) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضي الامر) قطع وتم ما (تستفتيان)

بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي

فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيأ على ما روى أنهما تحالماله فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما (ظن أنه ناج) الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابي (ذكر ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع وأكثر الاقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الانساء (قلت) يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها (فان قلت) ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا أريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول (قلت) قد لابسه في قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار (فان قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الامور وأفضلها وأولاها والاحسن والاولى بالنبي أن لا يكل أمره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس * لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان قلت) هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا (قلت) اذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن * (فان قلت) هلا قيل سبع عجاف على الاضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت) الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ألا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ (فان قلت) ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على

ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

فعال

يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين

فمال جله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض * (فان قلت) هل فى الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (فان قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدى الى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أن تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضى أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (يا أيها الملأ) كانه أراد الاعيان من العلماء والحكماء * واللام فى قوله (للرؤيا) اما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما أن تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه و(تعبرون) خبرا آخر أو حال وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام والمعنى هى أضغاث أحلام (فان قلت) ما هو الا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله الا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) اما أن يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الاحلام بنحارير قرئ (وادكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة والاصل تذكر أى تذكر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهده منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملا تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه أن يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والأمـ * ـمة وارتهم هناك القبور

أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله (فارسلون) فابعثونى اليه لاسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة * المعنى فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق أحواله وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال (لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المأمور

* قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين (قال يحتمل ان يكون مرادهم بالاحلام المنامات الخ) قال أحمد وهذا هو الظاهر وحمل الكلام على الاول بصيره من وادى على لاحب لا يهتدى بمناره كأنهم قالوا ولا تأويل للاحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم أولا ان كنتم للرؤيا تعبرون دليل عن انهم لم يكونوا فى علمه عالمين بها لانه أتى بكلمة الشك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا لشك الملك الذى أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله الى قوله لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل أيضا على ذلك والله أعلم

*قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (قال انما تأنى وتثبت في اجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحمد ولقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأناة بقوله ولو لبثت فى السجن بعض ما لبث يوسف لاجبت الداعى وكان فى طى هذه المدحة بالاناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الى الوهم من انه هم بزليخا هما تواجد به لانه اذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع ان الدواعى متوفرة على الخروج منه فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر والله أعلم

به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوس و(يأكلن) من الاسناد المجازى جعل أكل أهلهن مسندا اليهن (تحصنون) تحرزون وتخبؤن (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا نجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون انفسهم أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما أن يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجىء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة (فان قلت) معلوم أن السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى (قلت) ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى *انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل * وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى) ان الله تعالى (بكيدهن عليم) أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه برىء مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شىء من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما

دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

عاد كلامه قال وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولم يكشف له عن القصة ولا أوضحها له لان السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك ولا والله الموفق

*قوله تعالى قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (قال لامزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الانبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتتبع الآى المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية الى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا فى قصة يوسف عليه السلام انه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وان الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا انى أخاف الله فلا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فان كان الزمخشرى يعرض باهل السنة فقد بينا معتقدهم وان كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة فشأنه واياهم *عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى ان ذلك الجد فى ظهور البراءة ليعلم الخ) قال أحمد وارادته لعموم الاحوال ادخل فى تنزيهه وأدل على ان الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبرى من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم *عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت الخ) قال أحمد وانما يجرى الكلام على هذا الوجه اذا ألجأ اليه محوج كقوله فماذا تأمرون اذ لا يمكن جعله من قول الملأ بوجه فتعين ان يصرف الضمير عنه الى فرعون وأما هذه الآية فهى تتلو قوله وانه لمن الصادقين الى ماقبل ذلك من الضمائر العائدة الى يوسف عليه السلام قطعا ولا ضرورة تدعو الى حمل الضمير فى ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفى سياق الآية ما يرشد الى ان هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد فى السجن لم يحضر الى الملك وانه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى *عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال أحمد ولقد صدق فى التوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقا ان الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت فى رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم فى انه طلب لهم محالا فى المعقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

ولامزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا مقال ولابد لنا من ان ندق فى فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أى ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (أنى لم أخنه) بظهر الغيب فى حرمته *ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفى عن عينه أو وهو غائب عنى خفى عن عينى ويجوز أن يكون ظرفا أى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها وبه فى خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا لامانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده *ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن مافيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو اما أن يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما أن يريد عموم الاحوال (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الا مارحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون مارحم فى معنى الزمان أى الا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت وأوان الا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعا أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة كقوله ولاهم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم أنى لم أخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربى غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا

ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربى غفور رحيم وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى

ان يوسف حين قال انى ألم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله ❋ يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) أيها الصديق (انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من دون السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك فقال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لاحد قبلك (اجعلنى على خزائن الارض) ولنى خزائن أرضك (انى حفيظ عليم) أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة (فان قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته (قلت) روى مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل ما رأى فكان فى حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) فى أرض مصر روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرئ بالنون والياء أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى أنه قال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ❋ وأصاب أرض كنعان وبلاد الشأم نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى

فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية * لم يعرفوه لطول العهد ومفارقتها اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه (ولما جهزهم بجهازهم) أى أصلحهم بعدتهم وهى عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) لابد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترّ القول هذه المسئلة روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما شأنكم فانى أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبىّ من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى (سنراود عنه اباه) سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) وانا القادرون على ذلك لانتعايابه اووانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرّط فيه ولا نتوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردّها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوّف أن لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردّونها (منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم فى يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم علىّ بحفظه ولا يجمع علىّ مصيبتين * وقرئ ردّت الينا بالكسر على أنّ كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما فى قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد (ما نبغى) للنفى أى ما نبغى فى القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبتغى شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى أى شئ نطلب وراء هذا وفى قراءة ابن مسعود ما تبغى بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من ابيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى

---

*قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال انما أنكروه لبعد العهد وتغير الصورة الخ) قال أحمد وتوارد القادمين فى دخولهم عليه ومعرفته لهم عند ذلك تدل على ان مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة والله أعلم

*قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه ان ارساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن للنفى المؤكد وأما قول الزمخشرى فى المنافاة له فله وراء ذلك غرض انما يطلع عليه من قتل كلامه علما وذلك انما اعتمد فى احالة الرؤية على الله تعالى على ان قوله تعالى لن ترانى معناه ان الرؤية منافية لحالى ٤٨٠ وجعل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك فى هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الاذهان على ان هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه فى ذلك *عاد كلامه (قال وقوله لتأتننى به الا ان يحاط بكم معناه الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان الخ) قال أحمد وانما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفى لان

هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يابنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شئ

منك بضاعة اخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير اهلنا) فى رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شئ مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فأى شئ نبتغى وراء هذه المباغى التى نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات أيدينا وانما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فان قلت) هذا اذا فسرت البغى بالطلب فأما اذا فسرته بالكذب والتزيد فى القول كانت الجملة الاولى وهى قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقى (قلت) اعطفها على قوله ما نبغى على معنى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغى أن نمير اهلنا كما تقول سعيت فى حاجة فلان واجتهدت فى تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغى لى ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون فى رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أى ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم أو يكون ذلك اشارة الى كيل بعير أى ذلك الكيل شئ قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالى وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به أو الا أن تهلكوا (فان قلت) أخبرنى عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذى هو قوله لتأتننى به فى تأويل النفى معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم أى لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهى أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون الا فى النفى وحده فلابد من تأويله بالنفى ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفى قولهم أقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما أطلب منك الا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع * وانما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وأن يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا اليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالاكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم فى الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فان قلت) هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشئ والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوى هو أثر العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغنى عنكم من الله من شئ) يعنى ان أراد الله

المستثنى منه مسكوت عنه والنفى عام اذ يلزم من نفى الاتيان مثلا نفى جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاتيان فانه لا اشعار له بعموم الاحوال لانه لا يتوقف الا على أحدها والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه السلام قال أولا فى حق يوسف وأخاف أن يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال ههنا ثانيا الا أن يحاط بكم أى تغلبوا عليه فابتلى أيضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه

بكم سوألم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم (الا حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به (وانه لذو علم) يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يوا كله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد أمنتهم وروى انه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (السقاية) مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك * والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي * وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن * وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا * وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو

ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني أنا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف أي المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء أخيه بقلب الواو همزة (فان قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه (قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعني علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (الا أن يشاء الله) أي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذي علم عليم) فوقه أرفع درجة منه في علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا (فان قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين (قلت) هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخ له) أراد به يوسف روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم * واختلف فيما أضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرها) اضمار على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شر مكانا) وانما أنث لان قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا لان قوله قال أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم انه لم يصح لي ولا لأخي سرقة

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا

*قوله تعالى وما وماشهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وماشهدنا عليه بالسرقة الا بما علمناه من سرقته الخ) قال أحمد اما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ ان مجرد وجود الشئ بيد المدعى عليه بعد انكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره اذا واما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده فى رحله لا يوجب علم كونه سارقا وغايته ان يفيد ظنا بينا فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيها على ان مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الامر الموجب للعلم فليسوا يدعونه عليه *عاد كلامه (قال وقولهم وما كنا

وليس الامر كما تصفون * استعطفوه باذ كارهما ياه حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السنّ أو كبير القدر وأنّ بنيامين أحبّ اليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس بأخيه (فخذ أحدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم انه ظلم وباطنه أن الله أمرنى وأوحى الى بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو أخذت غير من أمرنى بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله (أن نأخذ) نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من و (اذا) جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا (استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو مامرّ فى استعصم *والنجىّ على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجىّ كما قيل واذهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز أن يقال هم نجىّ كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع أنجية قال * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه *ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجدّ واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور (كبيرهم) فى السنّ وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم فى يوسف) فيه وجوه أن تكون ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أنّ أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرّطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم أبدا الا بالعدل والحق * وقرئ سرّق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ أبين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا انك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع فى رحله ولم يشعر (القرية التى كنا فيها) هى مصر أى ارسل الى أهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء * معناه فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم ف(قال بل سوّلت لكم أنفسكم

فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سوّلت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى

للغيب حافظين معناه وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ) قال أحمد وانما تلتئم القراءتان على التأويل الذى ذكرته وهو أنهم انما أضافوا اليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال واحترزوا ان يعتقد انهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لان مقتضى الاولى الجزم عليه بالسرقة علما ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله أعلم

*قوله تعالى بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا (قال معناه ان هذا شئ أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشري اسلاف جواب عن سؤال كان قائلا يقول هم في الوقعة الاولى سوّلت لهم أنفسهم أمرا بلا مراء وأما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوأ ولا أخبروا أباهم الا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر الامغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانيا بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا كما قال لهم أوّلا واذا ورد السؤال على هذا التقرير فلابد من زيد بسط في الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهي أخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك الامن دين يعقوب وحده لامن دين غيره من الناس ولامن عادتهم والى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم ان الملك انما فعل ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا ليتخلف أخوهم وكان الواقع انهم استفتوا من قبل ان يدعى عليهم السرقة فذكروا ماعندهم ولم يشعروا ان المقصود الزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لاحرج فيه وخصوصا فيما يرجع حرضا الى الوالد من الولد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذي سوّغ له هذا القول في حقهم انهم جعلوا لمجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا في شرعنا لايثبت السرقة على من ادعيت عليه فان كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم اذا غير محررة وهو اشعار بانهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم وقوله لهم بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا واقع بمكانه من حالهم وان كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفا شرعنا فالعمدة على الجواب الاوّل والله المستعان

بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون

أمرا) أردتموه والا فما أدرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (يا أسفى) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبابنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى (فان قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الاحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادي أسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسى أوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط (فان قلت) كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الانسان مجبول على ان لايملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لايخرج الى ما لايحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه (تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لايلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس

فما فتئت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع

*قوله تعالى قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذأنتم جاهلون (قال أتاهم من جهة الدين وكان حليماموفقافكلمهم مستفهماعن معرفة وجه القبح الخ) قال أحمد ومن تلطفه بهم قوله اذأنتم جاهلون كالاعتذارعنهم لان فعل القبيح على جهل بمقدارقبحه أسهل من فعله على علم وهم لوضربوافى طرق الاعتذارلم يبلغوا عذرا كهذا ألاترى ان موسى عليه السلام لما اعتذرعن نفسه لم يزدعلى ان قال فعلتها اذاوأنامن الضالين وروى انهم لماقالوامسناوأهلنا الضروتضرعوااليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوااليه كتابامن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصرأمابعدفاناأهل بيت موكل بناالبلاء أماجدى فشدت يداه ورجلاه ورمى الى النار ليحرق فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأماأبى فوضعت المدية فى قفاه ليذبح ففداه الله وماأنافكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالواقدأكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوابه ثم رجعوافقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لانسرق ولانلدسارقافان رددته على والادعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلماقرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبركماصبروا تظفركماظفروا

(حرضا) مشفياعلى الهلاك مرضاوأحرضه المرض ويستوى فيه الواحدوالجمع والمذكروالمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسرالراءونحوهمادنف ودنف وجاءت القراءة بهماجميعا وقرأالحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب * البث أصعب الهم الذى لايصبرعليه صاحبه فيبثه الى الناس أى ينشره ومنه باثه أمره وأبثه اياه ومعنى (انما أشكوا) انى لاأشكوالى أحدمنكم ومن غيركم انما اشكوالى ربى داعيا له وملتجئااليه فخلونى وشكايتى وهذامعنى توليه عنهم أى فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جارله فقال يايعقوب قد تهشمت وفنيت ومابلغت من السن مابلغ ابوك فقال هشمنى وأفنانى ماابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يايعقوب أتشكونى الى خلقى قال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرلى فغفرله فكان بعدذلك اذاسئل قال انما أشكوبثى وحزنى الى الله وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاةفقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاماوادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدهافباع ولدهافبكت حتى عميت (وأعلم من الله مالاتعلمون) أى أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به انه يأتينى بالفرج من حيث لاأحتسب وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هوحى فاطلبه * وقرأالحسن وحزنى بفتحتين وحزنى بضمتين قتادة (فتحسسوامن يوسف وأخيه) فتعرفوامنهماوتطلبواخبرهما وقرئ بالجيم كماقرئ بهمافى الحجرات وهماتفعل من الاحساس وهوالمعرفة فلماأحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالواالمشاعرالانسان الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأالحسن وقتادة من روح الله بالضم اى من رحمته التى يحيابهاالعباد (الضر) الهزال من الشدةوالجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعهاكل تاجررغبة عنهاواحتقارالهامن أزجيته اذادفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفاوسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفالاتؤخذالابوضيعة (فأوف لناالكيل) الذى هوحقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أوزدناعلى حقنافسموا ماهوفضل وزيادة لاتلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغيرنبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أرادانها كانت حلالا لهم والظاهرانهم تمسكنواله وطلبوااليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (ان الله يجزى المتصدقين) شاهدلذلك لذكرالله وجزائه والصدقة العطية التى تبتغى بهاالمثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق على ان الله تعالى لايتصدق انمايتصدق الذى يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى أوتفضل على أوارحمنى (قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليماموفقافكلمهم مستفهماعن معرفة وجه القبح الذى يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (مافعلتم بيوسف وأخيه اذأنتم جاهلون) لاتعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعنى هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعوالى الاستقباح والاستقباح يجرالى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحالهم فى الدين لامعاتبة وتثريبا ايثارالحق الله على حق نفسه فى ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتورفلله أخلاق الانبياء

حرضا أو تكون من الهالكين قال انما اشكوابثى وحزنى الى الله واعلم من الله مالاتعلمون يابنى اذهبوافتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوامن روح الله انه لاييأس من روح الله الاالقوم الكافرون فلمادخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذأنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنايوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه

ماأوطأها وأسجعها ولله حصاعقولهـم ماأرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة روى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هـذا القول وقيـل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعـد فأنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصـه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليـه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسـلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسـته لذلك وانا أهـل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسـف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهـم ذلك وروى انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فان قلت) ما فعلهم بأخيه (قلت) تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن أخيه لابيـه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يسـتطيع أن يكلم أحدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بأنواع الأذى * قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسـف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحـذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء * (فان قلت) قد سألوه عن نفسـه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما لهم (قلت) لانه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (فان الله لا يضيع أجرهم) فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسـنين * وان شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصـبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما أن التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهـزال والعجف الذي ليس بعـده فضرب مثلا للتقريع الذي يمـزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه (فان قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاسـتقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغـيره من الأيام ثم ابتـدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهـديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خـيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قـدرت فقال أقول ما قال أخي يوسـف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسـلم قال له العباس اذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقـال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم غفر الله لك ولمن علمك وروى أن اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم (اذهبوا بقميصي هذا) قيـل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسـف وكان من الجنة أمره جبريل عليـه

من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين انه قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحـمين اذهبوا بقميصي هـذا فألقوه على وجه أبي

(قال فان قلت بم تعلق اليوم في قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال أحمد وهذا المعنى انما يتوجه عـلى الاعراب الاول وهو الاوجه ألا ترى الى قولهـم بعد ذلك يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقوله سوف استغفر لكم ربي دل على انهم كانوا بعد في عهدة الذنب ولو كان متعلقا بيـغفر للزم ان يقطعوا بغفران ذنبهـم حينئذ باخبار النبي الصديق ويحتمـل ان يقال انما أراد مغفرة ما يرجع الى حقه دون حق أبيه اذ الاثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

السلام أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (يأت بصيرا) يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت الىّ وهو بصير وينصره قوله (وأتونى بأهلكم أجمعين) أى يأتنى أبى ويأتنى آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير (قال) لولده وولد ولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان * والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا) فرجع بصيرا يقال ردّه فارتد وارتدّه اذا ارتجعه (ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أىّ دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم) قيل أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم فى صدق التوبة واخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغنى عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علىّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن أبى اسحق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الابوين لان الرابة تدعى أما لقيامها مقام الامّ أو لان الخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (فان قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر (قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه أبويه * ثم قال لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير (وخروا له) يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فأمر أن يرفع اليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر * (فان قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت) بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا فى دخولكم ان شاء الله

يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم

من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم

ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره (فان قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة * يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه قال * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * (من البدو) من البادية لانهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط اليه مني فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم * من في (من الملك) و(من تأويل الاحاديث) للتبعيض لانه لم يعط الا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت ولي) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب للوفاة على حال الاسلام ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين * (فان قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبإ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو القاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب * وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فاذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر (وهم

 وظنوا أن أنفسهم كذبتهم الخ) قال أحمد ولا يلزم أن يكون الله قد وعدهم

يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنه أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وما تسئلهم) على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها *وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والارض بالنصب على ويطؤن الارض يمرون عليها وفى مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم) فى اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلى) هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا الى الله على بصيرة) أى أدعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و(أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعنى) عطف عليه يريد أدعوا اليها أنا ويدعوا اليها من اتبعنى ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على أنا اخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع فى أنا ومن اتبعنى (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل فى سجاح المتنبئة * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا * وقرئ نوحى اليهم بالنون (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة أو الحال الآخرة (خير للذين اتقوا) للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه * وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه ولم وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على أن قومهم اذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم فى موعدهم *وقرئ فنجى بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى

يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى

بالنصر فى الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبار ووحى *عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس انه قال فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن ينظم بين القراءتين لان ظن الامم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا* والمراد بـ(من نشاء) المؤمنون لانهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)* الضمير في (قصصهم) للرسل ويعضده قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته *(فان قلت) فالام يرجع الضمير في (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) الى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمسة واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة

(تلك) اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال (والذي أنزل اليك) من القرآن كله هو (الحق) الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و(الذي) خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الامر) يدبر أمر ملكوته وربوبيته (يفصل) آياته في كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاصناف المختلفة (يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه* وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل * وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات * وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على أعناب أو جنات *والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس (تسقى) بالتاء والياء (ونفضل) بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا (في الاكل) بضم الكاف وسكونها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا) الى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم (وأولئك الاغلال في أعناقهم) وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في أعناقهم أغلالا ونحوه* لهم عن الرشد اغلال وأقياد*او هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء

وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) اى عقوبات امثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذوا مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه أوجه أن يريد السيآت المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى أنها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى * فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل أرسلت منذرا وتخوفهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شئ بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين و يدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات و يعاندون فلا يهمنك ذلك انما أنت منذر فما عليك الا أن تنذر لا أن تثبت الايمان فى صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته أن اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه وأما على الوجه الثانى فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وأن يكون المعنى هو الله تفسير الهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) وما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة و يعلم ما تغيضه الارحام أى تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده أى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا و يقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة و يروى أن شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقى فى بطن أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل و يكثر وان كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى و يعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما فى الارحام وزيادته فأسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين و يعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام (بمقدار) بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اى طلب الخفاء فى مختبأ بالليل فى ظلمته ومن يضطرب فى

(القول فى سورة الرعد)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وان ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لانفسهم الخ) قال أحمد والوجه الحق بقاء الوعد على الطلاقه الا حيث دل الدليل على التقييد فى غير الموحد فان ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه فى المشيئة والزمخشرى يبنى على عقيدته التى وضح فسادها فى استحالة الغفران لصاحب الكبائر وان كان موحدا الا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق

*قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه ان قلت كان من حق الكلام ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد فمقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري ان تكون الواو عاطفة لاحدى الصفتين على الاخرى ومقتضى ما أجاب به ان يعطف أحد الموصوفين على الآخر وتحتمل الآية وجها آخر وهو ان يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثا ومنه قوله تعالى ٤٩٢ وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم والاصل ولا ما يفعل بكم والا كان حرف النفي دخيلا في غير موضعه لان الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الاول بواسطة العاطف لم يكن للنفي موقع وانما يصحب في الاول الموصول لا الصلة ومنه

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد (فان قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير في (له) مردود على من كأنه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (يحفظونه من امر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف أي ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب

فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته)

أي ومن يمدحه وينصره والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله صلة للحفظ كأنه قيل له الخ) قال أحمد وحقيقة هذا الوجه انهم يحفظونه من الامر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان في علم الله ان النقمة تحل عليه لان الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شيء علما *قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل الخ) قال أحمد ومفعولا لهما على ان المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى لانه اذا أراهم فقد رأوا

ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله * ذكر علمه النافذ في كل شئ واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال (وهم) يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته (يجادلون في الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردّون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدّة كغدّة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدّقا وقال الاعشى

فرع نبع يهش في غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق (فان قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه * وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين (الا في ضلال) الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد) أي ينقادون لاحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه * وتنقاد له (ظلالهم) أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال * وقرئ بالغدوّ والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه (أفاتخذتم من دونه

وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه

والاصل وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا اي ترقبونه وتتراءونه تارة لاجل الخوف وتارة لاجل الطمع والله أعلم * قوله تعالى له دعوة الحق (قال فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الخ) (قال أحمد دس تحت تأويل الاول نبذة من الاعتزال على وجه الاحتزال فجعل واسعا من لطف الله واستجابته أدعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى اضافة الدعوة الى الحق التباسها بالمصلحة وقد انكشف الغطاء وتبين ان الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا ايقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة تجربها الى بدعة وضلالة والله الموفق

*قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ (قال أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الانكار الخ) قال أحمد وفي قوله تعالى خلقوا كخلقه في سياق الانكار تهكم بهم لان غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفي في الانكار عليهم ان الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقا ولكن جاء في قوله تعالى كخلقه تهكم يزيد الانكار تأكيدا والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من ان يستتر عنه لان معتقده ان غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه ولكن لا يخلقون كخلق الله لان الله تعالى يخلق الجواهر والاعراض والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لاغير في قوله عز من قائل الله خالق كل شئ القام لافواه المشركين الاولين ثم لافواه اتباعهم في هذه الضلالة كالقدرية فان الله تعالى بت هذه البتة ان كل شئ يصدق عليه انه مخلوق جوهرا كان أو عرضا فعلا لعبده أو غيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك الا عند كل أثيم أفاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم فلا جرم ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه والله الموفق

أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب

أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار و(خلقوا) صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور* هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب (فان قلت) لم نكرت الاودية (قلت) لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (فان قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى الى قوله وأما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف (فان قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لان المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر أوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار* وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين و(الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه و(سوء

*قوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى) قال أحمد الحق أن لا رازق الا الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما أنه لا خالق الا الله هل من خالق غير الله فاذا اقتضى العقل والسمع جميعا ان لا رازق الا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدرى الزاعم ان أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لان الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون *قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها الخ) قال أحمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والزمخشرى يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير انها هى التى أرادها الله فهى الاصل والعاقبة الاخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والاصل لم يكن من حقها ان يعبر عنها الا بتقييد يفهمها كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشرى تهالك على أن ينسب الى الله ارادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما انطق الله به السنة حملة الشريعة ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس فى مجيء ذلك على الاطلاق ما يعين انه الاصل باعتبار الارادة فعله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول ان المؤدى الى حمد العاقبة مأمور به والمؤدى الى سوئها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الاصل والله الموفق

الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

الحساب) المناقشة فيه وعن النخعى ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ * دخلت همزة الانكار على الفاء فى قوله (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى ان حال من علم (أنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لاولى الالباب والاول أوجه * وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أى يخشون وعيده (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله * وتجلدى للشامتين أريهم * ولالانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما ان جزعت ولا هلعـ * ـت ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل (مما رزقناهم) من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لانها التى أراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و(جنات عدن) بدل من عقبى الدار * وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل * وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول * وقرأ ابن أبى عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح علم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة * وآباؤهم جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (سلام عليكم) فى موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين * (فان قلت) بم

تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله *بما قد أرى فيها أوانس بدنا* وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق) أى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك * (فان قلت) كيف طابق قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل ان الله يضل من يشاء) (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان أنزلت كل آية (ويهدى اليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل الى الحق وحقيقته دخل فى نوبة الخير (الذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ و(طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أى تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك * والقراءة فى قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربى) الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم (ولو أن قرآنا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أنى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك من ارادة تعظيم ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام ان كنت نبيا كما تزعم فلست

بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى

بأهون على الله من داود أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشأم ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا (بل لله الامر جميعا) على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بأن اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) يعني مشيئة الالجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشئ عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في أيدي أولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك * الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبر المبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه) على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها منادٍ على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن

بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

*قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفي انهم ليسوا بشركاء وان الله لا يعلمهم كذلك لانهم ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله الا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع لا تكتنه بلاغته وبراعته ولو أتى الكلام على الاصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وماهم بشركاء فلم يكن بهذا الموقع التي اقتضته التلاوة * عاد كلامه (قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها الخ) قال أحمد هذه الخاتمة كلها حق أراد بها باطلا لانه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما أسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته لولا هذا التنبيه والايقاظ والله أعلم

مكرهم وصدوا عن
السبيل ومن يضلل
الله فماله من هاد لهم
عذاب في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق
ومالهم من الله من واق
مثل الجنة التي وعد
المتقون تجري من تحتها
الأنهار أكلها دائم وظلها
تلك عقبى الذين اتقوا
وعقبى الكافرين
النار والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما
أنزل اليك ومن الاحزاب
من ينكر بعضه قل انما
أمرت أن أعبد الله ولا
أشرك به اليه أدعوا واليه
مآب وكذلك أنزلناه
حكما عربيا ولئن اتبعت
أهواءهم بعد ما جاءك
من العلم مالك من الله
من ولي ولا واق ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول
أن يأتي بآية الا باذن
الله لكل أجل كتاب
يمحوا الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب
وان ما نرينك بعض
الذي نعدهم أو نتوفينك
فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب أولم
يروا أنا نأتي الارض
ننقصها من

الخالقين وقرئ أتنبؤنه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي اسحق وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي (فماله من هاد) فماله من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب في الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (ومالهم من الله من واق) ومالهم من حافظ من عذابه أو مالهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجري من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع * (فان قلت) كيف اتصل قوله (قل انما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب للمنكرين معناه قل انما أمرت فيما أنزل الي بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ * وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى أمرت ان أعبد الله غير مشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لا أدعو الى غيره (واليه) لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال * كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان * كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحوا الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه * وقرئ ويثبت (وان ما نرينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتي الارض) أرض الكفر (ننقصها من

اطرافها)

*قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (قال المراد والذي عنده علم القرآن الخ) قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم) ٤٩٩ قال أحمد فالكتاب على التأويل الاول مراده القرآن خاصة وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه (قال وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح

أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد

طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (فان قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمه (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر (كفى بالله شهيدا) لما أظهر من الادلة على رسالتي (ومن عنده علم الكتاب) والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) هو كتاب يعني السورة * وقرئ ليخرج الناس * والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (باذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله * الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا أنه

أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين

المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال أحمد وانما قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذي يستحق العبادة حذرا من عطف الصفة على الموصوف وعدولا الى أنه عطف احدى الصفتين على الاخرى تقديرا وانما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب الا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشري اخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

(القول في سورة ابراهيم عليه السلام) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
(قال أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضي لكن في هذا الخاتمة نظر لان فيما
اشعارا بأن اعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن اعجازه لو قدر منزلا بكل لسان حتى انه لو ينزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح الى حد يكاد ان يكون الجاء الى الايمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لان المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقيق والله أعلم والزمخشري يبني في كثير من كلامه على ان العلوم تتفاوت وتنقسم الى جلي وأجلى وهو من الحق بمعزل وانما ظن ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل * (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون ياويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر * وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال *أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم* والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (في ضلال بعيد) أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فان قلت) فما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا (الا بلسان قومه ليبين لهم) أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فان قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو اما أن ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان ولا

يلطف

* قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم (قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال أحمد وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وإنما كان كذلك لأن اقناطهم الرسل من الايمان قولا وفعلا بوضع اليد في الفم هو المناسب لحدهم في الكفر وتصدير العبارة بالحرف

بلطف الا بأهل اللطف (أن أخرج) بمعنى أي أخرج لأن الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز اليه بأن افعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فاهلاك القرون (لكل صبار شكور) يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الامم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (اذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام أو غير صلة اذا أردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها والا كان كلاما ويجوز أن يكون اذ بدلا من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال * (فان قلت) في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لانه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر * (فان قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو * (واذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذ أذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما أنعمت به عليكم (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم اليه محاويج والله غني عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وان لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (انا كفرنا بما أرسلتم به) أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا

أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك

المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب واعادة ذلك مبالغة في التأكيد وليس السياق بمناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتصميت الرسل كمناسبته لاقناطهم من القبول ألا ترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم الى المجادلة دل على أنهم لم يسكتوهم أولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم

مماتدعوننااليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك

لهم من التصديق ألا ترى الى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للانبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي أي ردوا نعم الانبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي اليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر (أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم أو يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال

دعوت لما نابني مسورا * فلبى فلبي يدي مسور

(فان قلت) ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم (قلت) ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لانه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم (الا باذن الله) أرادوا أن الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا أمر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين (فان قلت) كيف كرر الامر بالتوكل (قلت) الاول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى أنفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم * أو لتعودن) ليكونن أحد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك (فان قلت) كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضي اضمار القول أو اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وأن لفظه لفظ الغيبة

* عاد كلامه (قال وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد ومن تهالكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستعين حتى يحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد القدرية في تفضيل الملك على الرسول لانه يدعي ذلك أمرا مركوزا في الطباع معلوما ضرورة والله الموفق * قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ ونحوه (قال ان قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج عن وادي من قتل قتيلا فله سلبه والله أعلم

ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن * والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها
ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في
دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا
لله (ذلك) اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الامر حق (لمن خاف
مقامي) موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على اقحام المقام
وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا)
واستنصروا الله على أعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة
وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى اليهم وقرئ واستفتحوا
بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن أي أوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار
عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل
ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من
بين يديه قال عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين
يبعث ويوقف *(فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها
ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء
فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه)
دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من
رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه
وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام
رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله
يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل أن يكون أهل
مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد
أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم * هو مبتدأ محذوف
الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها اغرابة
(وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز
أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدا أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل
أعمالهم وكرماد الخبر * وقرئ الرياح (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة وأعمال الكفرة
المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله
والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم
(على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد)

لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض

* قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفى وقد تقدمت أمثاله * عاد كلامه (قال معناه وماذلك على الله بعزيز أى هين عليه لانه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع فى ابرازه وما أبشع قوله عن الله جل جلاله خلص له الداعى وانتفى الصارف وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب فى حق جلاله وقد تقدم ما فيه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا ٥٠٤ انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (قال الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال أحمد لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على ان الله تعالى مهما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وان هداية المشركين مما لم يشأه ولو شاءها لاهتدوا وانما تنشأ هذه الدلالة من ايراد هذا الكلام عن الكفار فى دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه انذار أمثالهم فى الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم فى الآخرة اذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد الى أنه كلام صحيح المعنى فلما فطن الزمخشرى لذلك شرع فى تقرير تخطئتهم فى هذا القول فى الآخرة كما خطأهم فى الدنيا ليتم له اعتقاد أن الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فان الله تعالى يشاءها فى الدنيا لكنها لم تكن وأنى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه فى الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدى الى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر الى هذه الحسرة اذ لا ينجع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق فى دار الحق وحيث لا ينفعه ايمانه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وانما سيق تحذيرا وانذارا اتفاقا والله الموفق

بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم

اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشئ وجنس ضده (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعى الى شئ وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطئهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وانما جئ به بلفظ الماضى لان ما أخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه * (فان قلت) لم كتب (الضعفواء) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمواء بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام * والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا * (فان قلت) أى فرق بين من فى (من عذاب الله) وبينه فى (من شئ) (قلت) الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله * (فان قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ واما أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله

طريق

* قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الخ (قال روى ان الشيطان يقوم خطيبا عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار فى الآية الاولى على ابطال الانتحال لانه لا يلائم ... معتقده واستشهد على ان الكذب

طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أولا تصبروا سواء عليكم وروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فان قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر والامر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا (ما لنا من محيص) أى منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد (لما قضى الامر) لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا فى الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصى وألجئكم اليها (الا أن دعوتكم) الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) حيث اغتررتم بى وأطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على أن الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (فان قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر انكاره على أنه لا طائل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام ألا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة * وقرئ بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهد والها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تافى * قالت له ما أنت بالمرضى

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات * ما فى (بما أشركتمونى) مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتمونى يعنى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل

حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن ان قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد فى الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وان كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأية سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقبين عنده بالمجبرة نقول ان الله تعالى انما أورد هذا الكلام غير راد له ولا مخطئ فيه الشيطان كما اقتص كلام الكفار فى الآية الاولى كذلك ونحن نعتقد ان الملامة انما تتوجه على المكلف

وأما الله تعالى فقدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك أن نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذى يجده من نفسه عند تجاذب طرفى الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وان سلبناه عن قدرة الخلق تأثيرها فى الفعل فلا تناقض اذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة الى المكلف والله الموفق

* قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (قال وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد * فان قلت ما الذى صرف الزمخشرى عن حمله على الالتفات من التكلم الى الغيبة والجاه الى تعليقه بما بعده وقد كانت له فى ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى الى قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال تنزيلا ممن خلق الارض ولم يقل تنزيلا منا * قلت لامر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو ان ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بان ادخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الاذن يشعر باضافة الدخول الى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندى أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

ان الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا

وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت أشركته فلان أى جعلنى له شريكا ونحو ما هذه ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله (ان الظالمين) قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وعلا ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لابد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا فى أنفسهم ذلك المقام الذى يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم * وقرئ فلا يلومونى بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول ابليس (باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (فان قلت) فبم يتعلق فى القراءة الاخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى (تحيتهم فيها سلام) باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم * قرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعنى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فان قلت) أى فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لان فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروى فمنعنى مكان عمر واستحييت فقال لى عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة وقوله فى السماء معناه فى جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أى صفتها كصفتها * وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الارض) فى مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (مالها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيامة

بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفروا وأحلوا قومهم دار البور جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم

القيامة (القول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا أنهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة واضلالهم فى الدنيا أنهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم وأصحابه (وأحلوا قومهم) ممن تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك * وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان * قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فان قلت) الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجىء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) ايذان بأنهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لانفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز * (فان قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى

* قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الاعرب نظر لان الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بأنه ان قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى يجل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما ذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما ان هذا النظم لم يرد الا لموصوف بالايمان الحق المنوه بايمانه عند الامر كهذه الآية وكقوله وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الثانى تكرر مجيئه للموصوفين بأنهم عباد الله المشرفون باضافتهم الى اسم الله وقد قالوا ان لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز الا مدحة للمؤمنين وخصوصا اذا انضاف اليه تعالى اضافة التشريف فالحاصل من ذلك ان المأمور فى هذه الآية من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق اما على العموم ان أريد أو على الغالب والله أعلم * عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب * والخلال المخالة (فان قلت) كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بأنه (لا بيع فيه ولا خلال) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهدايا هم أمثالها أو خيرا منها وأما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع (الله) مبتدأ و(الذى خلق) خبره و(من الثمرات) بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج و(رزقا) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق (بأمره) بقوله كن (دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (هذا البلد) يعنى البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله ابراهيم عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فان قلت) أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (قلت) قد سأل فى الاول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها ولا يخافون وفى الثانى أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى) وقرئ وأجنبنى وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد وأهل نجد جنبنى وأجنبنى والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها (وبنى) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى (أن نعبد الاصنام) انما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (انهن أضللن كثيرا من الناس) فأعوذ بك أن تعصمنى وبنى من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أى افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى) على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك (من ذريتى) بعض أولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير * وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يجتنب أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم هذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك

لا بيع فيه ولا خلال
الله الذى خلق السموات
والارض وأنزل من
السماء ماء فأخرج به
به من الثمرات رزقا لكم
وسخر لكم الفلك لتجرى
فى البحر بأمره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار
وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبنى
وبنى أن نعبد الاصنام
رب انهن أضللن كثيرا
من الناس فمن تبعنى
فانه منى ومن عصانى
فانك غفور رحيم ربنا
انى أسكنت من ذريتى
بواد غير ذى زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل

بالعكوف

بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك (أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ماروى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لولم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما ان يكون من القلب كقولك آدر في أدؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة اوجماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله * يهوى مخارمها هوى الاجدل * وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا مافيه شئ منها بأن تجلب اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عزوجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفي اى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله تعالى (انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لاتدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف (وما يخفى على الله من شئ) من كلام الله عزوجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شئ في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شئ ما * على في قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله

انى على ما ترين من كبرى * اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو في موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير وفي حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته (فان قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أولم يجبه (قلت) هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما أذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن (فان قلت) ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة

ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل

(قلت) اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار ابله وحذر أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله (ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله أن يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين (وتقبل دعاءي) أي عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله * في قراءة أبي ولأبوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم (يوم يقوم الحساب) أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا أو يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم * (فان قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلا) (قلت) ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه * وقرئ يؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان أو لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم * الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق أيضا قلبه هواء قال زهير

* من الظلمان جؤجؤه هواء * لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان

* فأنت مجوف نخب هواء * وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا الى أجل قريب) ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب كقوله لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق (أولم تكونوا أقسمتم) على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة

الجهل

الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و (مالكم) جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت * يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديه بفى كقولك قر فى الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوّأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الامثال) اى صفات مافعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلوا اما أن يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وان عظم مكرهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أى وان كان مكرهم مسوّى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها وقرأ على وعمر رضى الله عنهما وان كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه فى الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسوّيتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون (فان قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان

مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ

قال أحمد وفيما قاله نظر لان الفعل متى تقيد بمفعول انقطع اطلاقه فليس تقديم الوعد فى الآية دليلا على اطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل بائنا كالاجنبى من الاطلاق الاول ولا فرق فى المعنى الذى ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره ولا يفيد تقديم المفعول الثانى الا الايذان بالعناية فى مقصود المتكلم والامر بهذه المثابة فى الآية لانها وردت فى سياق الانذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم فى التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على ألسنة الرسل فذلك أمر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيبا كافيا والله أعلم

(القول فى سورة الحجر) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين (قال ان قلت ما معنى تقليل وداتهم الخ) قال أحمد لا شك ان العرب تعبر عن المعنى بما يؤدى عكس مقصوده كثيرا ومنه قوله *قد أترك القرن مصفرا أنامله* وانما يتمدح بالاكثار من ذلك وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم وقد تعلمون انى رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشرى آنفا من التنبيه بالادنى على الاعلى ومنهم من وجهه بان المقصود فى ذلك الايذان بان المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع الى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود الى عكسه وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله ٣ ولجدت حتى كدت تبخل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاد منه وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الايقاظ اليها والعمدة فى ذلك على سياق الكلام لانه اذا اقتضى مثلا تكثيرا فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بان المراد المبالغة على احدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم ٣ كذا بالاصل وليحرر اه

مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يودّ الذين كفروا

الامر فى غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين وقوله (فى الاصفاد) اما أن يتعلق بمقرنين أى يقرنون فى الاصفاد واما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وأنشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

* القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرآن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآنى المتناهى حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون فى النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى * أى يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزى الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات *والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان * قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف * (فان قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضى (قلت) لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ودّ (فان قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة (فان قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

منه كما من الكثير وكذلك المعنى فى الآية لوكانوا يودّون الاسلام مرّة واحدة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه فى كل ساعة و (لوكانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جىء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلنّ ولو قيل حلف بالله لأفعلنّ ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل (ذرهم) يعنى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وأن لا يلقوا فى العاقبة الا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الايذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجىء منهم الا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ فى تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما فى العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة فى الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدّى اليه طول الامل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ فى الدنيا من اخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لانه معلوم * قرأ الاعمش يا أيها الذى ألقى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء فى كتاب الله فى مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم انك لأنت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا فى كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدّعى أن الله نزل عليك الذكر * لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشئ لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتى الامم المكذبة برسلها * قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (الا بالحق) الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة فى أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحى أو العذاب و (اذا) جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) ردّ لانكارهم واستهزائهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذى بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه (فان قلت) فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (فى شيع الاوّلين) فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى

لوكانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاوّلين

*قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قال هذا رد لانكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد ويحتمل ان يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى فى آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

*قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه فى قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم اقامة الحجة على المكذبين بان الله تعالى سلك القرآن فى قلوبهم وأدخله فى سويدائها كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم مافهموا وجوه الاعجاز كما فهمها من آمن فاعلمهم الله تعالى من الآن وهم فى مهلة وامكان أنهم ما كفروا الا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبها الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أى هؤلاء فهموا القرآن وعلموا

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت

أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال * يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر (فى قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت باللئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الاولين) طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم * قرئ يعرجون بالضم والكسر و(سكرت) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شئ نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك * وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (من استرق) فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال

* ومختبط مما تطيح الطوائح *

يريد المطاوح جمع مطيحة * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه

وجوه اعجازه وولج ذلك فى قلوبهم ووقر ولكنهم قوم سجيتهم العناد وشيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وادعاها الى الايمان بضرورة المشاهدة وذلك بان يفتح لهم باب فى السماء ويعرج بهم اليه حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك الاشارة بقوله فظلوا لان الظلول انما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه الا خيالات لا حقائق تحتها فأسجل عليهم بذلك انهم لا عذر لهم فى التكذيب من عدم سماع ووعى ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لان ذلك كله حاصل لهم وانما بهم العناد واللدد والاصرار لا غير والله أعلم

خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم (ونحن الوارثون) أي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروى أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) أي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شئ * الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن * والحمأ الطين الاسود المتغير * والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا (من حمأ) صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحي) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه * واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا و(أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى * حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) في (ألا تكون مع الساجدين) بمعنى أي غرض لك في ابائك السجود وأي داع لك اليه * اللام في (لأسجد) لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها * والضمير في منها راجع الى الجنة أو السماء أو الى جملة الملائكة * وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه أبعد غاية يضرب بها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه * ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة * وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) المعنى أقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي أقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس اليهم ما يكون سبب

ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم

في الارض ولاغوينهم
أجمعين الاعبادك منهم
المخلصين قال هذا صراط
على مستقيم ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من
الغاوين وان جهنم
لموعدهم أجمعين لها
سبعة أبواب لكل باب
منهم جزء مقسوم ان
المتقين في جنات
وعيون ادخلوها بسلام
آمنين ونزعنا ما في
صدورهم من غل
اخوانا على سرر
متقابلين لا يمسهم فيها
نصب وما هم منها
بمخرجين نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم
وأن عذابي هو العذاب
الاليم ونبئهم عن ضيف
ابراهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا
منكم وجلون قالوا
لاتوجل انا نبشرك بغلام
عليم قال أبشرتموني
على أن مسني الكبر فبم
تبشرون قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن
يقنط من رحمة ربه الا
الضالون قال فما خطبكم
أيها المرسلون قالوا انا
أرسلنا الى قوم مجرمين

هلا كهم (في الارض) في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لاولاده في الارض أقدر أو أراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها أي لازينها في أعينهم ولاحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي * استثنى المخلصين لانه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه * أي (هذا) طريق حق (علي) أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين * وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف * المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (ادخلوها) على ارادة القول وقرأ الحسن أدخلوها (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة * الغل الحقد الكامن في القلب من أنغل في جوفه وتغلغل أي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن أخي أما والله اني لارجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب و (اخوانا) نصب على الحال و (على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين * لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادي) تقرير الما ذكر وتمكينا له في النفوس * وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الاليم (سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت * وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله اذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله * وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل * يعني (أبشرتموني) مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شئ تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشئ لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز أن لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة * وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر * وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد * وقرئ من القنطين من قنط يقنط * وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون * أراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب أو الا الكافرون

كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله * (فان قلت) قوله تعالى (الا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر أو السهم الى المرمي في أنه في معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى أن الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول (فان قلت) فقوله (انا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم * (فان قلت) فقوله (الا امرأته) مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شئ لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فأما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء * وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله (قدرنا انها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فان قلت) فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله بهم * وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير * والقطع

الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا

* قوله تعالى انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها من الغابرين (قال ان قلت هل الاستثناء الاول متصل الخ) قال أحمد وجعله الاول منقطعا أولى وأمكن وذلك ان في استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعدا من حيث ان موقع الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الاول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها الا في سياق نفي لانها حينئذ أعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن رأيت قوما الا زيدا وحسن ما رأيت أحدا الا زيدا والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين الخ) قال أحمد وهذه أيضا من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر واعتقاد أن الامر أنف لانهم لا يعتقدون ان الله تعالى مريد لاكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبد بمعنى انه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وارادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ثم استدل على ان التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم وأخواته فانظر الى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح فلقها وفي كلامه شاهد على رده فان التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الاصلي مضافا اليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا فالتقدير اذا كما أفاد العلم الطارئ يفيد الارادة أصلا ووضعا والله أعلم على ان من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة وهو الظاهر فان الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير الى أنفسهم الى تأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وانما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشري وان كان أصله لا يحتاج معه الى التأويل لانه اذا جعل قدرنا بمعنى علمنا انها لمن الغابرين فلا غرو في علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى اياهم به وانما يحتاج الى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم

حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب

في آخر الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما مضى شئ صالح من الليل *(فان قلت) مامعنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ماوراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

أوجعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لابد له في ذلك من أدنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون * وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الامر) بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم أحد (أهل المدينة) أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان من أسيء الى ضيفه أو جاره فقد أسيء اليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء (عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط (هؤلاء بناتي) اشارة الى النساء لان كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) شك في قبولهم لقوله كأنه قال ان فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (انهم لفي سكرتهم) أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أي معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه * والضمير في عاليها سافلها القرى قوم لوط (وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين (أصحاب الايكة) قوم شعيب (وانهما) يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمى به

*قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال ان قلت مامعنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما أعجلك عن قومك ياموسى والله أعلم * عاد كلامه (قال وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد شملت هذه الآية

الطريق ومطمر البناء واللوح الذى يكتب فيه لانهما يؤتم به (أصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشأم (المرسلين) يعنى بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبى صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد (الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم أو ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح وفى مصحف أبى وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هى آل حم أو سبع صحائف وهى الاسباع و (المثانى) من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها فى الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان أو للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان اذا أردت الاسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها * (فان قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على نفسه (قلت) اذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم * أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فان قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) أى لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون * وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء (وقل) لهم (انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم * (فان قلت) بم

أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين

---

 *قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم (قال ان قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحمد وهذا هو الصواب فى معنى

الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء ان تغنى اغا يبنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور وان فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور فى الحديث الصحيح فى الخيل وأما التى هى ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا وانما هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا وهو مصدر تغنى فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعا على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

تعلق قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل و بعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق و باطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى و يقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن مايقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم و بأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثانى أن يتعلق بقوله وقل انى أنا النذير المبين أى وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ماجرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثناعشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منافانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أومثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين * عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * وقيل هى فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه ولعن النبى صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء (لنسئلنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * ويجوز أن تكون ما مصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للمفعول * عن عروة بن الزبير فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف الحرث ابن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن (فسبح) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم * ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت أى مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

قوله الحرث بن قيس كتب عليه ما نصه اذا كان الطلاطلة لقب قيس والافليس من المعدودين قبل اه وعبارة أبى السعود فى اللف والحرث بن قيس بن الطلاطلة اه كتبه مصححه

{سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وتسمى سورة النعم وهى مائة وثمان وعشرون آية}

{بسم الله الرحمن الرحيم}

* كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) الذى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن اشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية (فان قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء * قرئ ينزل بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أى تتنزل (بالروح من أمره) بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد و (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم بأن انذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم انذروا أو تكون أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا اله الا أنا) اعلموا بأن الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولى لا اله الا أنا (فاتقون) * ثم دل على وحدانيته وأنه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فاذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثانى فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى أبى بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم (الانعام) الازواج الثمانية وأكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال (خلقها لكم) أى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان * والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هى نسلها ودرها وغير ذلك * (فان قلت) تقديم الظرف فى قوله (ومنها تأكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها * من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا (فان قلت) لم قدمت الاراحة على التسريح (قلت) لان الجمال فى الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت الى الحظائر حاضرة لاهلها * وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا يجزى والد * قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى معنى المشقة

(سورة النحل مكية وهى مائة وثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد

{القول فى سورة النحل}

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (قال ان قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الاكل منها هو الاصل الخ) قال أحمد ومدار هذا التقرير على ان تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وانما تأكلون منها

*قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلدلم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (قال ان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد و يحتمل ان يكون المراد تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها الان العادة ان المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الاوّل أعلى والله أعلم *قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال ان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ) قال أحمد يعنى فجازان ينتصب مجردا من لام التعليل لانه فعل فاعل الفعل الاول وبعينه اقتران الركوب باللام لانه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام وفى هذا الجواب نظر فان لقائل ان يقول كان من الممكن مجيئهما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا غرو فى ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه ان المقصود المعتبر الاصلى فى هذه الاصناف هو الركوب ٥٢٢ وأما التزين بها فامر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على انه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته أوقصوره عن الركوب والله أعلم *قوله تعالى

لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس انّ ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر

وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد * (فان قلت) مامعنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد أنفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة (فان قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه (قلت) طباقه من حيث ان معناه وتحمل أثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهنّ بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ماذكره فى الانعام* (فان قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فان قلت) فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أى وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا منها أى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال (ويخلق مالا تعلمون) يجوز أن يريد به مايخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمنّ علينا بذكره كما منّ بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق مالا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ماخلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه *المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال ومنها جائر *والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى* (فان قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم مايجوز اضافته اليه من السبيلين ومالا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا والجاء (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبر اله *والشراب مايشرب (شجر) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة الخ) قال أحمد أين يذهب به عن تتمة الآية وذلك قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الامر كما تزعم القدرية لكان الكلام وقد هداكم أجمعين وما كانهم يعنى الا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فكأنهم الا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الاسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بانه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لانفسهم وقد تقدم فى غير ماموضع ان كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له وبتأتيه له وتيسره عليه يضاف الى العبد وان تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له والحاصل انه ذكر فى كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة فى الآخر ليناسب ذلك اقامة الحجة البالغة والله الموفق للصواب

*عاد كلامه الى قوله لتأكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه الخ) قال أحمد فكان ذلك تعليم لاكله وارشادا الى انه لا ينبغي ان يتناول الا طريا والاطباء يقولون ان تناوله بعد ذهاب طراوته اضر شئ يكون والله أعلم *عاد كلامه الى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هى اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد ولله در مالك رضى الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل فانظر الى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى جعل حظ المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه فى لبسها لبسه كما يعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى فى الباب والله أعلم *قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال ان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام الخ) قال أحمد هو تحوم على ان العباد يخلقون أفعالهم وان المراد اظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الاصنام بطريق الاولى ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد انه يثبت خلق العبد لافعاله بتنزيله الآية على

فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله

يعنى الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض *وقرئ ينبت بالياء والنون *(فان قلت) لم قيل (ومن كل الثمرات) (قلت) لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته *والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع *قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وماذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه (فان قلت) ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق أن لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم *المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح *وابتغاء الفضل التجارة (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك *والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فان قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا *(فان قلت) من لا يخلق أريد به الاصنام فلم جئ بمن الذى هو لاولى العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون

المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا (فإن قلت) هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا يعد (إن الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول * نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (إلهكم إله واحد) يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها * فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لا يحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أي شيء (أنزل ربكم) أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى (أساطير الأولين) ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع (فإن قلت) هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل * القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا

لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم

هذا التأويل ويتمنى لو تم له ذلك و * ما كل ما يتمنى * المرء يدركه عاد كلامه (قال فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الإلزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالأنثى فجدد بها عهد

* قوله تعالى قال والذين أشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا الى قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعنى انهم أشركوا بالله وحرموا ٥٢٥ ما أحل الله الخ) قال أحمد قد تكرر

بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا * ومعنى اتيان الله اتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون * وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة (شركاءى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) هم الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة * قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم * خيرا) أنزل خيرا (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الاول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومى دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله (للذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافأة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و (جنات عدن) خبر مبتدا محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (تأتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعنى أن تأتيهم لقبض الارواح و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيآت أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة

من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ

منه مثل هذا الفصل فى اخت الآية المتقدمة فى سورة الانعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع ان شاء الله والذى زاده هنا يثبت معتقده على

مازعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به ان الله تعالى قسم العبادة الى قسمين مأمور به ومنهى منه والامر والنهى عند المصنف راجعان الى المشيئة بناء على زعم القدرية فى انكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الارادة فالحاصل حينئذ من هذه التتمة ان الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم ان يشركوا به وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه الى امة من الامم فخالفت التتمة مترجمة عن معنى صدر الآية مؤكدة لمقتضاها هذا

كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا

وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل الذين من قبلهم) أى أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) الا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه *ولقد أمد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أى لطف به لانه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتى منه خير (فسيروا فى الارض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالاشرار *ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت الضلالة وأنه (لا يهدى من يضل) أى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى أى لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبىّ فان الله لا هادى لمن يضل ولمن أضل وهى معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح *وقرأ النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا ايذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم *ووعدا لله مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له أحدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند ارادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا

هو الذى زاده المصنف ههنا وقد بينا ان مبناه على انكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما والعجب ان الله تعالى أوضح فى الآيتين جميعا ان الذى أنكره من القائلين لو شاء الله ما أشركنا انما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التى لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله فى آخر آية الانعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فتبين فيهما انه هو الذى شاء منهم الاشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا السياق صرف الانكار عليهم الى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذى قدمناه فى اقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع ان حجتهم فى ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

ففرّوا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردّوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضرّكم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف (في الله) في حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أي لنبوّأنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوّينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل لنبوّأنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير الى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله * قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على ألسنة الملائكة (فاسئلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا * (فان قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فاما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان أصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات واما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى أي نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل اليهم) يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وارادة أن يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات) أي المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوّفته وتخوّنته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيأ بعد شئ في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم * قرئ أولم يروا ويتفيؤ بالياء والتاء * وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤ ظلاله) * واليمين بمعنى الايمان و (سجدا) حال من الظلال (هم داخرون) حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشئ أي ترجع

في الله من بعد ما ظلموا لنبوّأنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم

الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسى فى الارض وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (فان قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قلت) فهلا جىء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جىء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجىء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير فى لا يستكبرون أى لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفى الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء *(فان قلت) انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله (الهين اثنين) (قلت) الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن أن يجىء ما قبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا أو وله الجزاء ثابتا دائما سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب (وما بكم من نعمة) وأى شىء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليـ * ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم * وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى

*قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة الآية (قال ان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولا ولم ير ذلك متناقضا فان السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد أريدا جميعا من الآية والزمخشرى ينكر ذلك فى مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرية وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لانه يأبى ذلك ولا يتم له هذا القصد فى الآية والله أعلم لان كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا الذى يكون ذكره سببا لفعله سنة معتادة فى عزائم السجود لا القدر الاعم المشترك والله أعلم *قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالا من الضمير الخ) قال أحمد هذا الثانى هو الوجه ليس الا واما الحال فيعطى انتقالا ويوهم تقييدا لعدم استكبارهم مع ان الواقع أن عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق *قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد (قال ان قلت ما فائدة قوله اثنين مع اغناء التثنية عن ذلك الخ) قال أحمد وهذا الفصل من حسناته التى لا يدافع عنها والله الموفق

قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودّا وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار قال أحمد ٣ وجاز أن يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والاصرار وانهم لو عرجوا نهارا في الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء الى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى (قال المراد بما يكرهونه البنات وشركاء في رياستهم واستخفاف برسلهم الخ) قال أحمد ونقيض هؤلاء من اذا أعجبه شيء من ماله جعله لله بل اذا أحب أمة له أعتقها واذا اشتهى طعاما قدم اليه تصدق به على حبه وانما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه

ومن تابعهم فيها ويجعلون لله ما يشتهون الهم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة * (فان قلت) فما معنى قوله (اذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر (لما لا يعلمون) أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الافك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب اليها * كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور و(ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدّ الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده * وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أي على الارض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن مسعود من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الىّ فيؤتى بالكسر والخرق

ان لم تنل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم فمن أحب قوما حشر معهم

٣ (قول المحشي وجاز أن يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد الخ) لعله انتقال نظر اذ لا يخفى انه مما يناسب الكلام في تفسير قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون الآية فالمناسب حينئذ اسقاطه من هنا وليحرر اه مصححه

وما لا يؤبه له أما تستحى من ذلك الموقف وقرأ هـذه الآية وعن مجاهد أن لهـم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسـنة (مفرطون) قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشـددا فالمفتوح بمعنى مقـدمون الى النار معجـلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشـدد من التفريط فى الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهـم اليوم) حكاية الحال الماضية التى كان يزين لهم الشـيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهـم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهـم اليوم حكاية للحال الآتيـة وهى حال كونهـم معذبين فى النار أى فهو ناصرهـم اليوم لا ناصر لهم غـيره نفيا للناصر لهـم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركى قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهـم فهو ولى هؤلاء لانهم منهـم ويجوز أن يكون عـلى حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محـل لتبين الا أنهـما انتصبا على أنهما مفعول لهما لانهـما فعلا الذى أنزل الكتاب * ودخـل اللام على لتبـين لانه فعـل المخاطب لا فعـل المـنزل وانما ينتصب مفـعولا له ما كان فعـل فاعل الفـعل المعلل * والذى اختلفوا فيـه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والانـكار والاقرار (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع * ذكر سيبويه الانعام فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجـع الضمير اليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز أن يقال فى الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كأجبال فى جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله

فى كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

واذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه فى معنى الجمـع * وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحـدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيـل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسـفله فرثا وأوسطه لبنا وأعـلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسـئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسـيغا بالتخفيف كهين ولين (فان قلت) أى فرق بين من الاولى والثانيـة (قلت) الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها كقولك أخـذت من مال زيد ثوبا والثانيـة لابتـداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسـقاء الذى منه يبتـدأ فهو صـلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليـه فيتعلق بمحذوف أى كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيـل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العـبرة فهو قمن بالتقديم وقـد احتج بعض من يرى أن المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا * (فان قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (قلت) بمحـذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منـه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسـقاء أو يتعلق بتتخذون ومنـه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محـذوف كقوله يكفى كان من أرمى البشر تقـديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسـنا لانهـم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فان قلت) فالام يرجـع الضمير فى منـه اذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) الى المضاف المحذوف الذى هو العصير

مفـــــرطون تالله
لقـــد أرسلنا الى أمم
من قبـلك فزين لهـم
الشيطان أعمـالهم فهو
وليهم اليوم ولهم عذاب
أليم وما أنزلنا عليـك
الـكتاب الا لتبين لهم
الذى اختلفوا فيه وهدى
ورحمـة لقوم يؤمنون
والله أنزل من السماء
ماء فأحـيى به الارض
بعـد موتها ان فى ذلك
لآية لقوم يسمعون وان
لكم فى الانعام لعـبرة
نسقيكم مما فى بطونه
من بين فرث ودم لبنا
خالصا سائغا للشاربين
ومن ثمـرات النخيـل
والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا ان فى
ذلك لآية لقوم يعقلون
وأوحى ربك الى النحل

كما رجع فى قوله تعالى أو هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم سكر علينا * فأجلى اليوم والسكران صاحى

وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى والثانى أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو على الجبائى قدس الله روحه غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج فى المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد * جعلت أعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه اذا ابترك فى أعراض الناس فكأنه تخمر بها * والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها فى صنعتها ولطفها فى تدبير أمرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولى العقول عقولهم * وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى (أن اتخذى) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول * قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تتعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس * (فان قلت) ما معنى من فى قوله أن اتخذى (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها (من كل الثمرات) احاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد أكلها أى ابنى البيوت ثم كلى من كل ثمرة تشتهينها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) أى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو فاسلكى ما أكلت فى سبل ربك أى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مآكلك أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنى أن اليعاسيب ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى أكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها وو طأها وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لانه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه أو لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة فى النسيان وأن يعلم شيأ ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيأ وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * أى

أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء

(قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها الخ) قال أحمد ويتزين هذا المعنى الذى نبه عليه الزمخشرى فى تبعيض من المتعلقة باتخاذ البيوت باطلاق الاكل كأنه تعالى وكل الاكل الى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وان حجر عليها فى البيوت وأمرت باتخاذها فى بعض المواضع دون بعض لان مصلحة الاكل حاصلة على الاطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها فى كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الامر بين الحجر عليها فى اتخاذ البيوت والاطلاق لها فى تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل اى شيء شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والاطلاق فسبحان اللطيف الخبير

قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الاول يكون قوله لله متعلقا بالامثال كأنه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثاني يكون متعلقا بالفعل الذى هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا لله الامثال فان ضرب المثل انما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفى عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شئ الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الامام مالك رضى الله عنه وفى هذه الآية له معتصم لان الله تعالى مثل بالمملوك

أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ

جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى أن تردّوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن أبى ذرّ أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوّون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى أنّ الموالى والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم فى رزقى سواء فلا تحسبنّ الموالى أنهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك رزقى أجريه اليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء (من أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حوّاء من ضلع آدم * والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهنّ وأسلمت * بأكفهنّ أزمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاوّل وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهنّ أولادا هم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الامرين (من الطيبات) يريد بعضها لانّ كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم ايمان الا به كأنه شئ معلوم مستيقن * ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذى لا يتصوّره العقول وقيل الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم * الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به (شيأ) كقوله أو اطعام يتيما على لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للا يملك أى لا يملك شيأ من الملك * ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا أو صفة ان كان اسما لما يرزق * والضمير فى (ولا يستطيعون) لما لانه فى معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولوا ألباب من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذى لا حس به (فان قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شئ واحد (قلت) ليس فى لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لانهم موات الا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الامثال) تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (انّ الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لان العقاب على مقدار الاثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذى جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون * ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فان قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شئ) وكل

عبد

لانه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو ان هذا المملوك ليس بمن اتفق ان ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الاصل المعهود فى المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا ومعهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شئ كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول انما احترز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فانه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة الا فى حال الكتابة لكانت ارادته حينئذ من اطلاق اللفظ كالالغاز الذى لا يعهد مثله فى بيان القرآن واستيلائه على صنوف

البلاغة ومثل هذا أنكره الامام أبو المعالى على من حمل قوله عليه السلام ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها على المكاتبة لبعد القصد اليها
على شذوذها واما الاحتراز به عن المأذون له فينبنى على القول بان المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وان لم يكن المأذون له مالكا
عند هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانها توجب أن يكون المراد بقوله لا يقدر على شئ لا يملك شيأ من
الرزق كما تقول فى الحر المفلس فلان لا يقدر على شئ أى لا يملك شيأ يقدر على التصرف فيه فتلخص من هذا البحث ان فى الآية مجالا لنصرة
مذهب مالك وان كان لقائل أن يقول هذه الصفة لازمة كالايضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كانه قيل وانما ضربنا المثل

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (قلت) أما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وأما لا يقدر على شئ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له (فان قلت) من فى قوله (ومن رزقناه) ما هى (قلت) الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة (فان قلت) لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوى الاحرار والعبيد * الابكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن) هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التى هى أموات لا تضر ولا تنفع * وقرئ أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (الا كلمح البصر أو هو أقرب) أى هو عند الله وان تراخى كما تقولون أنتم فى الشئ الذى تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب اذا بالغتم فى استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون فى أقرب وقت وأوحاه (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده * قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة فى أمات كما زيدت فى أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها فى الواحدة قال * أمهتى خندف والياس أبى * (لا تعلمون شيأ) فى موضع الحال ومعناه غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم * والافئدة فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد فى السماع غيرها كما جاء شسوع فى جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى * قرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك * والجو الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو والسكاك أبعد منه واللوح مثله (ما يمسكهن) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته (من بيوتكم) التى تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها * والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (بيوتا) هى القباب والابنية من الادم والانطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض

بالمملوك لان صفته اللازمة له وسمته المعروفة به انه لا يقدر على شئ أى لا يصح منه ملك وكثيرا ما يجئ الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص ولكن ايضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فقوله لا برهان له به لا يقصد به تمييز اله سوى الله من اله لان كل مدعو الها غير الله تعالى لا برهان به وانما أريد ان عدم البرهان من لوازم دعاء اله غير الله تعالى فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا ان نقول فى دفعه ان الاصل فى الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد وأما الوارد من ذلك لازما فنادر على خلاف الاصل والله الموفق

*قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم (قال المراد يخف عليكم حملها ونقلها الخ) قال أحمد والتفسير الاول أولى لان ظهور المنة في خفتها انما يتحقق في حال السفر وأما المستوطن فغير متنقل وما أحسن قول الزمخشري في يوم اقامتكم ان المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم *قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هي القمصان والثياب من الصوف والكتان ٥٣٤ وغيرها الخ) قال أحمد يعني عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الاصل في هذا الخطاب

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

والنقل (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) أي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أوهي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) الى أن تقضوا منه أوطاركم أوالى أن يبلى ويفنى أوالى أن تموتوا *وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها (وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة * وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه * وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية *ان أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى (شركاؤنا) آلهتنا التي دعوناها شركاء وان أرادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي و(ندعوا) بمعنى نعبد *(فان قلت) لم قالوا (انكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما أشركتمون من قبل (وألقوا) يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من ان لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين

*عاد كلامه (قال وقيل ان ما يقي الحر يقي البرد فدل ذكره عليه) قال أحمد والاول أظهر ألا ترى الى تقدم المنة بالظلال
كذبوهم
التي تقي من الضحاء في قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على ان الاهم عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم باعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل ان ما يقي الحر يقي البرد مشهود عليه بالعرف فان الذي يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو لبس الانسان في كل واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر يعد من الثقلاء

*قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال العدل الواجب والاحسان الندب) قال أحمد وفي جمعهما تحت الامر ما يدل لمن قال ان صيغة الامر أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة افعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضوعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم * عاد كلامه (قال وانما كان الواجب عدلا لان الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه وليجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لانه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة ان كل قضاء الله عدل وان تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين ان كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد لا شريك له في ملكه وكيف يكون شريكه عبدا مسخرا في قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض واذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لا يطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلق له من التأتي والتيسر في الافعال الاختيارية التي هي محال التكاليف والله الموفق * عاد كلامه (قال

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم * وحملوا غيرهم على الكفر * يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله (شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا لكل شئ (قلت) المعنى أنه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ * العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم (والاحسان) الندب وانما علق أمره بهما جميعا لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا وانما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل * والفواحش ما جاوز حدود الله (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعادى من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون * عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا) أيمان البيعة (بعد توكيدها) أي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

وانما قرنهما في الامر لان الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لاجله انما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم * عاد كلامه (قال والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضا لفتة الى الاعتزال ولو قال والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق * عاد كلامه (قال والبغي طلب التطاول بالظلم) قال أحمد واصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا * عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها وبين الحديث الوارد في ان المناصب لعلي باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي تقتلك الفئة الباغية والله أعلم فقتل مع علي يوم صفين

*قوله تعالى ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة (قال معناه على طريقة الالجاء والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعتزالي قد قدم أمثاله في اخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على ان مشيئة الله تعالى لايمان الخلق كلهم ماوقعت وانه انما شاء منهم الافتراق والاختلاف فايمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولوشاء شمولهم بالايمان لوقع فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فاذا قيل له فعلام تحمل المشيئة في الآية قال على مشيئة ايمانهم قسرا لا اختيارا وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا*عاد كلامه (قال ومما يدل على أن الله لم يبن الامر على الاجبار وانما بناه على الاختيار قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما اثبت لهم ما يسئلون عنه) قال أحمد أما أهل السنة الذي

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكونوا أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا

عليه (ولا تكونوا) في نقض الايمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجوار يها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تتخذون) حال و (دخلا) أحد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أي مفسدة ودغلا (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أربى من أمة) هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (انما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لانه في معنى المصدر أي انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبينن لكم) انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضل (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدي من يشاء) وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الايمان يعني أنه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شئ من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه *ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها (وتذوقوا السوء) في الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لانهم لونقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة* كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا (انما عند الله) من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم* ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد* وقرئ لنجزين بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة* (فان قلت) (من) متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا أنه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر أو أنثى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا (حياة طيبة) يعني في الدنيا

يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

وهو

يسميهم المصنف مجبرة فهم من الاجبار بمعزل لانهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وافعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزا بين الاختياري والقسري وتقوم بها حجة الله على عبده والله الموفق*قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال ان قلت لم وحد القدم ونكرها الخ) قال أحمد ومن جنس افادة التنكير ههنا التقليل افادته له في قوله تعالى وتعيها اذن واعية وفي قوله عز وجل اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فنكر الاذن والنفس تقليلا للواعي من الناس لما يقضي بسداده وللناظر من الخلق في أمر معاده والله الموفق

ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه

وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في أمره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه * لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ايذانا بأن الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا أكلت فسم الله (فان قلت) لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوى وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له سلطان) أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (انما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به مشركون) الضمير يرجع الى ربهم ويجوز أن يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته * تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة * والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فان قلت) هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس (قلت) فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها * في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيأ فشيأ على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة و(روح القدس) جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) في موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف * أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي * واللسان اللغة * ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان

(أعجمي) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربي مبين) ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم * وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان (فان قلت) الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لانهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب (انما يفتري الكذب) رد لقولهم انما أنت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه (وأولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) أي أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لا يؤمنون أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر (من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه * واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدا الذي هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الاسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (فان قلت) أي الامرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها (ثم ان ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتي) منصوب برحيم أو باضمار اذكر * (فان قلت) ما معنى النفس المضافة الى النفس (قلت) يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها

أعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا * والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها أيام طعم ونعم فلا تصوموا * (فان قلت) الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه (قلت) أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الامن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة * وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع * لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال (ان كنتم اياه تعبدون) يعني تطيعون أو ان صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه * وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله أو الى قياس مستند اليه * واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

---

*قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال ان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة ايقاع الاذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان ان يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد نظر اليهما جميعا في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا للحقيقة الاصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فانه مجرد عن الاستعارة اذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر الى المستعار في بابه كترشيح المجاز في بابه ومنه اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام فجعل الشيطان في قفاها قاصعاء ثم نافقاء جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره وانشوط في هذا الفن البديع فطين والله الموفق

(قال وفي ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ)

لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم

لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فان قلت) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني * واللام في (لتفتروا) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعني في سورة الانعام (بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير * والقانت القائم بما أمره الله * والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه * ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم ابراهيم (شاكرا لانعمه) روي أنه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (حسنة) عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك) في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله ابراهيم من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلا

قال أحمد وانما تفيد ذلك ثم لانها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف عليه فكأنه بعد ان عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدرا وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبي الامي الذي هو سيد البشر متبع لملة ابراهيم مأمور باتباعه بالوحي متلو أمره بذلك في القرآن العظيم ففي ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه والله الموفق للصواب وغير

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿سورة الاسراء مكية وهى مائة وعشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذى أسرى

وغير ماذكروه والانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين بأوامره والخالعين ربقة طاعته * (فان قلت) مامعنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه * ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا أنزلنا السبت (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف (ان ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه فى حديد بارد * سمى الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه * وقرئ وان عقبتم فعقبوا أى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور * اما أن يرجع الضمير فى (لهو) الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما أن يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون (ولا تك فى ضيق) وقرئ ولا تكن فى ضيق أى ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (ان الله مع الذين اتقوا) أى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصى (و) ولى (الذين هم محسنون) فى أعمالهم وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لى وأوصيكم بخواتم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها أو ليلته كان له من الاجر كالذى مات وأحسن الوصية

﴿سورة الاسراء مكية وهى مائة وعشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه أعداء الله

﴿القول في سورة الاسرا﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال ان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل ٥٤٢ فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحمد وقد قرن الاسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل وكقوله تعالى فأسر بعبادى ليلا فالظاهر والله أعلم ان الغرض من ذكر الليل وان كان الاسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكان الاسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلا أريد افراد أحدهما بالذكر تثبيتا في نفس المخاطب وتنبيها على انه مقصود بالذكر ونظيره في افراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموما لغيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فاريد التنبيه لان أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أريد الايقاظ لان الوحدانية هي المقصودة في قوله انما هو اله واحد ولو اقتصر على قوله انما هو اله لاوهم أن المهم اثبات الالهية له والغرض من الكلام ليس الا الاثبات للوحدانية والله أعلم

و(أسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فان قلت) الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعنى الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذى أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب * والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقى الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الاقاويل بخلاف ذلك *والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة * وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (انه هو السميع) لاقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (ألا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ ألا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا أى لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه أنه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق (أنه) ان نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا احتذى قال الحمد لله

بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

لله الذى حذانى ولوشاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولوشاء حبسه وروى أنه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به (فان قلت) قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا الى بنى اسرائيل) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون أى يتعظمون ويبغون (فى الكتاب) فى التوراة و(لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فان قلت) كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعى وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم * وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا خلال الديار (فان قلت) ما معنى (وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعنى وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هى قتل داود جالوت (أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز * أى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفى قراءة على لنسوأن وليسوأن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة * واللام فى (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب اذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم فى عذاب الى يوم القيامة (حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه * وقرئ ويبشر بالتخفيف * (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فان قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على ان لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون * أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله

وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير .

---

* قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال ان قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال انما يتوجه على قدرى يوجب على الله تعالى بزعمه

رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة وأما السني اذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق * قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه

معناه وما صح وما استقام منا صحة تدعوا اليه الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسول الخ)

للناس الشر استعجالهم بالخير (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لاني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا * فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شئ كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر فيه الاشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين) (و) جنس (الحساب) وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور (وكل شئ) مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني ألزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك * وقرئ في عنقه بسكون النون * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر أي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال * وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه * وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما أهمه (فان قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب أن هذه الامور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك * أي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة أن نعذب قوما الا بعد أن (نبعث) اليهم (رسولا) فتلزمهم الحجة (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين

وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

قال أحمد وهذا السؤال أيضا انما يتوجه على قدري يزعم ان العقل يرشد الى وجوب النظر والى كثير من أحكام الله تعالى وان لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب اذ العقل كاف عندهم في ايجاب المعرفة بل في جميع الاحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأما السني فلا يتوجه عليه هذا السؤال فان العقل عنده شرط في وجوب عموم الاحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الانبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة كما أبان عنه هذه الآية التي يروم الزمخشري تحريفها فتتقاص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه لانه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة في حصول المعرفة لا في وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق

فلولا

*قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (قال حقيقة أمرهم أن يقال لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقي أن يكون مجازا الخ) قال أحمد نص حسن الاقول انهم خولوا النعم ليشكروا فانه فرعه على قاعدة وجوب

فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل (واذا أردنا) واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل أمرناهم (ففسقوا) أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لان ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقصد والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الأمر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن اليك ولو شاء لأساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة أنه من أهل الاحسان أو من أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر * وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وأمرنا بمعنى أمرنا أو من أمر امارة وأمره الله أي جعلناهم أمراء وسلطناهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها * من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا أو لم يؤت فان أوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة * وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة

ارادة الله تعالى للطاعة والحق انهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الامر والامر غير الارادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق *قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها

واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (قال أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الاخرى وهي قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب فادخل من المبعضة على حرث الدنيا وجعل الطالب حرث الآخرة مراده وزاده عليه

يتزوجها فهي بمرتبة الى ما هاجر اليه (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفاءها من
الاعمال الصالحة * اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى
عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن
معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * وشكر الله الثواب على
الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا
ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء
ربك) وفضله (محظورا) أي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم
متفاوتين في التفضل * وفي الآخرة التفاوت أكبر لانها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى أن
قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي
سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا
باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ
وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس
الآخرة وهي أكبر وأفضل (فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني
فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له
(وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين
احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا * وقرئ وأوصى وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين
بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته (اما) هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت
النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه
و(أحدهما) فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين و(كلاهما) عطف
على أحدهما فاعلا وبدلا (فان قلت) لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت أنه
بدل (قلت) لانه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله
(فان قلت) ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت)
لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا
مثل الاول (أف) صوت يدل على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل
البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ * (فان قلت) ما معنى عندك (قلت) هو أن
يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا
وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور بان يستعمل معهما وطأة الخلق ولين
الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد
عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك
القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر
ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجر عما
يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا
كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه كما قال ابراهيم لابيه يا أبت
مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه
كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا * وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فان قلت)
ما معنى قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال

مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك
كان سعيهم مشكورا كلا
نمد هؤلاء وهؤلاء من
عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا انظر
كيف فضلنا بعضهم
على بعض وللآخرة
أكبر درجات وأكبر
تفضيلا لا تجعل مع الله
الها آخر فتقعد مذموما
مخذولا وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك
الكبر أحدهما
أو كلاهما فلا تقل لهما
أف ولا تنهرهما وقل
لهما قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل

واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالأمس * ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك (فان قلت) الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين (قلت) واذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الايمان وأن يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شئ أنفع له من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لأمركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيأ من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول

انى لها مطية لا تذعر * اذا الركاب نفرت لا تنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر * الله ربي ذو الجلال الاكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن أبي يوسف اذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه (بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الاسلام هنة تؤدي الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور (للأوابين) للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين

من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه

فحسب وان كانوا مياسير أولم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعنى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذى القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم * التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير وعن عبد الله بن عمر ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أوهم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف أوهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان * وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا) فلا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء * وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم واما أن يتعلق بالشرط أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من أبى أن يعطى أعرض بوجهه * يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر * هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان جدى فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل فنزلت * ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض انما هما من أمر الله الذى الخزائن فى يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا بسط لعباده أو قبض فانه يراعى أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم * وقرئ خشية بكسر الخاء * وقرئ خطأ

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان

وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن أبي رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله (الا بالحق) الا باحدى ثلاث الا بأن تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزني بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم وفي قراءة أبي فلا تسرفوا ورده على ولا تقتلوا (انه كان منصورا) الضمير اما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف (بالتي هي أحسن) بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتثميره (ان العهد كان مسئولا) أي مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا * قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنها الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وأنشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أي التقاذف وقال الكميت

ولا أرمي البريء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك) اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * و(عنه) في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه * وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من

فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك

---

* قوله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (قال أي يطلب من المعاهد أن يفي به ولا ينكثه الخ) قال أحمد كلام حسن الا لفظة التخييل فقد تقدم انكارها عليه وينبغي أن يعوض بالتمثيل والظاهر التأويل الاول ويكون المجرور الذي هو عنه حذف تخفيفا وقد ذكر في بقية الآي كل أولئك كان عنه مسئولا والله أعلم وبعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها فمن وصلها وقطعها وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح والله الموفق

*قوله عزوجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه لن تجعل فيها خرقا الخ) قال أحمد وفى هذا التهكم والتقريع لمن يعتاده هذه المشية كفاية فى الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها اقراؤنا وفقهاؤنا بينا أحدهم قد عرف مسئلتين أو اجلس بين يديه طالبين أو شدا طرفا من رياسة الدنيا اذا هو يتبختر فى مشيه ويتراجع ولا يرى انه يطاول الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه وقلبه عن تدبره على مراحل والله ولى ٥٥٠ التوفيق *قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول فما يصنع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز وعلى عن جهلهم وكفرهم واشراكهم وانما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر ان المخاطب المؤمنون وأما عدم فقههم للتسبيح الصادر من الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فان الانسان لو تيقظ حق التيقظ الى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام والافعال والعاكف على الغيبة التى هى فاكهتنا فى زماننا هذا لو استشعر حال افاضته فيها ان كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذى يلقلقه

لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده

التأكيد (لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال * قرئ سيئة وسيئه على اضافة سئ الى ضمير كل وسيأ فى بعض المصاحف وسيآت وفى قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فان قلت) كيف قيل سيئة مع قوله مكروها (قلت) السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيأ ألا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث (فان قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية * وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة * ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم (أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردأها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشددا ومخففا أى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا * قرئ كما تقولون بالتاء والياء و(اذا) دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (علوا) فى معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة * ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به * والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع

وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها
* (فان قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح
ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق * (فان قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد
عطفوا على السموات والارض فما وجهه (قلت) التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه
والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (انه كان حليما غفورا) حين
لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم
سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد انه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو
مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في
أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم
(أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أو لان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل
ومنعناهم أن يفقهوه * يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة و(وحده) من باب رجع عوده
على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر سادّ مسدّ الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده * والنفور
مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من
عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول
يستمعون بالهزؤ أي هازئين و(اذ يستمعون) نصب باعلم أي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى)
وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى (اذ يقول) بدل من اذ هم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة
أي هو بشر مثلكم (ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) في جميع ذلك ضلال من
يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع * لما قالوا أئذا كنا عظاما
قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا
عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة
الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه
سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي
ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان
قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة
ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض
(فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء * والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم
فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم
للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل
عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب
عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا

فالحمد لله الذي كان حليما غفورا * عاد كلامه (قال ان قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال أحمد وقد تقدم نقلي عنه انه
يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة في النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد
وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون أراد ثم المجاز والله الموفق

الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى أحسن وفسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أوان يشأ يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم و يهيجهم على الشر وقوله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى ربا موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله * وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون * هو رد على أهل مكة فى انكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبى طالب نبيا وأن تكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك فى بعض أكابرهم وصناديدهم يعنى وربك أعلم بمن فى السموات والارض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا * هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر أو يبدلوه و (أولئك) مبتدأ و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره يعنى ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله تعالى و (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ * استعير المنع لترك ارسال الآيات من أجل صارف الحكمة * وأن الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله فى الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة * ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها

وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أوان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات

الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى ومانرسل ماترسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة (واذقلنالك ان ربك أحاط بالناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قدكان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته فى اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبى صلى الله عليه وسلم فى العريش مع أبى بكر رضى الله عنه كان يدعو ويقول اللهم انى أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر * فما كان ما (أريناك) منه فى منامك بعد الوحى اليك (الا فتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أى نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى ذق انك أنت العزيز الكريم وقيل هى رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى فى المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة * (فان قلت) أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه وضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هى الكشوث التى تتلوى بالشجر يجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل أبو جهل * وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين أو من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا (أرأيتك) الكاف للخطاب و (هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرمته) (على) أى فضلته لم كرمته على وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) واللام موطئة للقسم المحذوف (لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ماذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أى آكلهما (فان قلت) من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) اما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم فى مخايله أنه خلق شهوانى وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته فى آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجىء انما معناه

الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب

---

* قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة انهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعهدة فى ذلك ان النار لا تؤثر احراقا فى شئ ولكن الله تعالى أجرى العادة انه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الاجسام فاذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فلله تعالى أن لا يفعل الحرق فى الشجرة التى فى أصل الجحيم

فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح

امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره فى قوله (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامرى فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس (فان قلت) أما كان من حق الضمير فى الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما فى فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو باضمار تجازون أو على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة * استفزه استخفه والفز الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهى الصياح * والخيل الخيالة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى * والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب * وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك (فان قلت) ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال * وأما المشاركة فى الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل (ان عبادى) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أى لا تقدر ان تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله ابليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم (يزجى) يجرى ويسير * والضر خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه فى ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على اغاثتكم أو لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض * (فان قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض * وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر أى يقلبه وانتم عليه (فان قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجوانب والجهات كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر فى البر على نحو ما يقدر عليه فى البحر فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق فى البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهى الريح

* قوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا الآية (قال المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجرى المصنف على السنة ومتبعيها فانه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وان لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بانها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق

عليها بين أهل السنة والجماعة التي وعد بها الصادق المصدوق وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة وامانيه الماحلة اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا في زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الى قوله ممن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ماسوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بلغ الى حد من السفه يوجب الحد واسنا انما جلته الا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذي تختص به هذه الآية ان حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى انه ورد حمل القليل على العدم والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون واشباهه كثير وقد لمح الشاعر بذلك في قوله * قليل بها الاصوات الا بغامها * ٥٥٥ أي لا اصوات بها ولنا ان نبقيه على ماهو عليه ونقول ان المخلوق قسمان بنو آدم احدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولاشك ان غيرهم أكثر منهم وان لم يكونوا أكثر منهم كثيرا فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أي على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الاغيار كثير بلامراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا فظاهر الآية اذا مع الاشعرية الذين سماهم مجبرة وتشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله ولي التوفيق والتسديد * قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بامامهم معناه بمن ائتموا به من نبي أو كتاب أو دين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فان جمع الام المعروف أمهات واما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه فيستدعي ان خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه وذلك عكس الحقيقة فان خلقه من غير أب كان له آية له وشرفا في حقه والله أعلم

فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم

التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون * التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مصيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم * قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ماسوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم * قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو * والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز أن يقال انها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة (بامامهم) بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لان من أوتي في معنى الجمع (فان قلت) لم خص

*عاد كلامه (قال وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل الخ) قال أحمد أى لانه من عمى القلب لا عمى البصر فجاز ان يبنى منه افعل

*عاد كلامه (قال ومن ثم امال أبو عمرو الاولى وفخم الثانية الخ) قال أحمد ويحتمل ان تكون هذه الاية قسمة الاولى أى فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذى يبصر ويقرؤه ومن كان فى الدنيا أعمى غير مبصر فى نفسه ولا ناظر فى معاده فهو فى الآخرة كذلك غير مبصر فى كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان فى الدنيا على اختلاف التأويلين والله أعلم *قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحمد اما تقليل الكيدودة فالذى ينبغى ان

 فى علم الله تعالى لان الله عزوجل يعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن الركون الذى كاد

يحمل عليه كونه الواقع يحصل منه عليه السلام وان كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع فى علمه تقديرا فلا يليق أن يحمل على المبالغة

أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن اذا اطلعوا على ما فى كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لاجرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ كقوله ولا يظلمون شيأ فلا يخاف ظلما ولا هضما *معناه ومن كان فى الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى والاعمى مستعار من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة *روى أن ثقيفا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروى أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله مالم ينزله عليه (واذا لاتخذوك) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

والتنبيه فان ذلك لا يكون فى الاخبار ألا ترى انه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان تقليله خلفا فى الخبر ولا ينكر ان الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد حسنات الابرار سيآت المقربين واما نقل الزمخشرى عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح الى الله عزوجل فلقد استعظموا عظيما

يوصف

حق على كل مسلم أن يستفظعه ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفا ذاتيا للقبيح فلزمهم على ذلك ان كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى وهم غالطون فى ذلك فمعنى كون الفعل قبيحا ان الله تعالى نهى عنه عبده وان كان لله تعالى ان يفعله وهو حسن بالنسبة اليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسى الملك وينهاه عن ذلك ولا يستقبح ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الاشراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وايمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسنا والله الموفق

يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين (وان كادوا) وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (واذا لا يلبثون) لا يبقون بعد اخراجك (الا) زمانا (قليلا) فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشأم لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشأم لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع * وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على اعمال اذا (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك * وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة * دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر * والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى

وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقام يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلنى فأدخل مدخل صدق أى أدخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيآت وأخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير * كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال أى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فأوحى الله الى البيت انى سأحدث لك توبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحى اليه تمثيل وتخييل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت * والحق الاسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت فى كل وقت (وننزل) قرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الاوثان أو للتبعيض أى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فوقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله * ولا يزداد به الكافرون (الا خسارا) أى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين (واذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو

سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر

نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل) أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أسد مذهبا وطريقة * الاكثر على أنه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن ابن أبى بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و (من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط * واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مستورا (الا رحمة من ربك) الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب (لا يأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذى لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرّفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه * والكفور

كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

*قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز الخ) قال أحمد ومما يدلك على حيد المصنف عن سنن المنصف انه تدلس على الضعفة فى مثل هذه المسئلة التى طبقت طبق الارض ظهورا وشيوعا ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك ان عقيدة أهل السنة ان مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وان المعجز عندهم الدليل لا المدلول لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين أحدهما انه اطلاق موهم والثانى ان السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية ايهام غيره مما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

فأبى أكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا

الجحود (فان قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس الا كفورا) ولم يجز ضربت الا زيدا (قلت) لان أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الارض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء * قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله * كنت منه ووالدي بريا * فاني وقيار بها لغريب * أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (في السماء) في معارج السماء فحذف المضاف * يقال رقي في السلم وفي الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل (قل سبحان ربي) وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي * أن الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له و(الهدى) الوحي أي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في (أبعث الله) للانكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى أمثاله أو الى الانبياء ثم قرر ذلك بأنه (لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) ساكنين في الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا (قلت) وجه حسن والمعنى له أجوب (شهيدا بيني وبينكم) على اني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال (ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتدي) لانه لا يلطف الا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجد لهم أولياء) أنصارا (على وجوههم) كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤن ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة

مستعرة

*قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال معناه لو كانوا يمشون مشي الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل ان مجرد وجود الملائكة في الارض يناسب ارسال الملك اليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) الى قوله (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)* (فان قلت) علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله (أولم يروا) لان المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس لانهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل الا جحودا *لو حقها أن تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في (لو أنتم تملكون) وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم * لو ذات سوار لطمتني * وقول المتلمس * ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي * وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر * ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها (قتورا) ضيقا بخيلا (فان قلت) هل يقدر لامسكتم مفعول (قلت) لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك *عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله الى موسى أن قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت (فاسأل بني اسرائيل) فقلنا له سل بني اسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني اسرائيل أو سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي (فان قلت) بم تعلق (اذ جاءهم) (قلت) أما على الوجه الاول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الاخير فبآتينا أو باضمار اذكر أو يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم (مسحورا) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات الا الله عز وجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الامر * وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والارض * ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال ان ظننتني مسحورا فأنا أظنك (مثبورا) هالكا وظني أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرأ أبي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة (فأراد)

ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل

فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر و يخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل
والاستئصال * فحاق به مكره بأن استفزه الله باغراقه مع قبطه (اسكنوا الارض) التي أراد فرعون أن يستفزكم
منها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني قيام الساعة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز
بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (و بالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن
الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من
السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما
أرسلناك) الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شئ من اكراه على الدين أو نحو ذلك
(وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن
عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن
فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا)
على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن
لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية
وشرك * فان خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به
وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره
ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد
في قوله (ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويزيدهم خشوعا) أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فان
قلت) ان الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا وأن
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان
الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم * (فان قلت) ما معنى الخرور
للذقن (قلت) السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد أول ما يلقى به الارض من
وجهه الذقن (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر
لذقنه ولوجهه قال * فخر صريعا لليدين وللفم * (قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان
اللام للاختصاص (فان قلت) لم كرر يخرون للاذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال
كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين * عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول
يا ألله يا رحمن فقال انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر
الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى
مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم
لا المسمى وأو للتخيير فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا اما هذا واما هذا
* والتنوين في (أيا) عوض من المضاف اليه و(ما) صلة للابهام المؤكد لما في أي أي أي هذين الاسمين سميتم
وذكرتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير في فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى
مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله
الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء
أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم (بصلوتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس
من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر
حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروى
أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته و يقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي

الله

اسكنوا الارض فاذا جاء
وعد الآخرة جئنا بكم
لفيفا وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل وما أرسلناك
الا مبشرا ونذيرا وقرآنا
فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا قل آمنوا
به أولا تؤمنوا ان الذين
أوتوا العلم من قبله اذا
يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا
لمفعولا ويخرون
للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا قل
ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى ولا
تجهر بصلوتك ولا
تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك
ولم يكن له

*قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل (قال ان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشرى ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بان هذه الجملة لا يليق اقترانها ٥٦٣ بكلمة التحميد ولا تناسبها فانك لو قلت ابتداء الحمد لله الذى الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله أعلم

ولى من الذل وكبره تكبيرا

(سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة (ولى من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته * (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لان من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضله العميم واحسانه الجسيم

(سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه * (فان قلت) بم انتصب (قيما) (قلت) الاحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل فى حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فان قلت) ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما * أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار فى قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره * والاجر الحسن الجنة (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فان قلت) اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به * قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة و(تخرج من أفواههم) صفة

(القول فى سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم (قال فيه ان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له فى قوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ان ذلك وارد على سبيل التهكم والا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره * ولا يرى الضب بها ينجحر * وقد قدمت حينئذ ان الكلام وارد على سبيل الحقيقة والاصل وان نفى انزال السلطان تارة يكون لاستحالة انزاله ووجوده وتارة يكون لانه لم يقع وان كان ممكنا والله أعلم

للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر * وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة (فان قلت) الام يرجع الضمير في كبرت (قلت) الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها * شبههم وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم * وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة أي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أي لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الارض) يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة * والكهف الغار الواسع في الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد واذا كثر احتاج الى أن يعد *أي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه * وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم و(أحصى) فعل ماض أي أيهم ضبط (أمدا) لاوقات لبثهم (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت أني أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره (فان قلت)

قال أحمد وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وانما هو تعويض همزة بهمزة

بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم

*عاد كلامه (قال وأيضا فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمدا اما بأفعل الخ) قال أحمد ولقائل أن ينصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا في قوله تعالى وأحصى كل شئ عددا ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الاحزاب في مقدار اللبث وذلك في قوله تعالى اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فأمثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

كيف

كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم (قلت) الله عزوجل لم يزل عالما بذلك وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا او يكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والارض * شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه أشط فى السوم وفى غيره (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان و (اتخذوا) خبر وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لابد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روى أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أى ينتفع اما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) أى تمايل أصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلاهما من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم فى فجوة منه) وهم فى متسع من الكهف والمعنى أنهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل فى متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى أن ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى أصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والايقاظ جمع يقظ كانكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء * وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم * وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته اذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية * والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

* وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء و (رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم

وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا
فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا
شططا هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه آلهة لولا يأتون
عليهم بسلطان بين فمن
أظلم ممن افترى على الله
كذبا واذ اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله فأووا
الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا وترى
الشمس اذا طلعت تزاور
عن كهفهم ذات اليمين
واذا غربت تقرضهم
ذات الشمال وهم فى
فجوة منه ذلك من آيات
الله من يهد الله فهو
المهتد ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا
وتحسبهم أيقاظا وهم
رقود ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا ولملئت منهم
رعبا

أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا * ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وان جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) انكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة أو بالهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك * (فان قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم * والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب * وقرئ بورقكم بسكون الراء وبالواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده * وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه همیانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين الى أن يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (أيها) أي أهلها فحذف الاهل كما في قوله واسئل القرية (أزكى طعاما) أحل وأطيب وأكثر وأرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه * الضمير في (انهم) راجع الى الاهل المقدر في أيها (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (في ملتهم) بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل (ولن تفلحوا اذا أبدا) ان دخلتم في دينهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم * ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله حق) وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و(اذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق

وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا

اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا * ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم * قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فان قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى الى قول زهير * وما هو عنها بالحديث المرجم * أي المظنون * وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين (قلت) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن

أمر لا يستقر لمثبته قدم ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فانه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لان أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب ان في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بان الواو انما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الاولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ونوادرهما كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وأبكارا لانه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فان هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات أبكارا لم يستقم الكلام فقد وضح ان الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن (ولا تستفت) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشئ) ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشئ (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله) متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا أن يشاء الله كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول الا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بأن يشاء الله أي الا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) أي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و(هذا) اشارة الى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى اذا نسيت شيأ فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه

فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لاقرب من هذا

قوله تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله (قال كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال أحمد ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر ببادي الرأي ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وانما الغرض النهي عن هذا القول الا مقرونا بقول المشيئة وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية كان المعنى الا أن تعترض المشيئة دونه معتقدا ان مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد فكم شاء من الافعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول القائل لا أفعل كذا الا أن يشاء الله ان أفعله كذب وخلف يتقدر فعله اذا كان من قبيل المباح لان الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك اذا نسيت أي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث الى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد أما ظاهر الآية فمقتضاه الامر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها اليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم

(قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى أول القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وانكار عده من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل في الآية والله أعلم

*قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشمر للهرب من الحق وهو أن المراد خلقناه وجديربه أن يشمر في اتباع هواه فان حمل أغفل على بابه صرفه الى الخذلان والا أخرجه بالكلية عن بابه الى باب أفعل للمصادفة ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله الى ذاته بالمصادفة الى

تفهيم وجدان الشئ بغتة عن جهل سابق وعدم علم *عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل ابله اذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما قدمناه لانه وان أبى خلق الله للغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الايمان وانما غرضنا التنبيه على ان مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة والتأويل انما يصار اليه

رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة *تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعا بالفتح *ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به *وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك ألطف الاشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من ولي) من متول لامورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي *كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي اليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك *قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت (واصبر نفسك) واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لان غدوة علم في أكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم *يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله *فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته اذا وجدته كذلك أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) *وقرئ أغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى

اذا اعتاص الظاهر وهو عند نا متمكن فوجب الاعتصام به والله الموفق *عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم في غير ما موضع ان أهل السنة يضيفون فعل العبد الى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له والى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافي بين الاضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه فلا محيص له عنها بوجه

حسبناقلبه غافلين من أغفلته اذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذا له وراءظهره من قولهم
فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبرمبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم
يبق الااختياركم لانفسكم ماشئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير
لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين * شبه مايحيط بهم من النار
بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذوسرادق وقيل هودخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم (يغاثوا بماء كالمهل) كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ماأذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من
حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب)
ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والافلا ارتفاق
لاهل النار ولا اتكاء الا أن يكون من قوله

اني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبر ان وانا لانضيع اعتراض ولك أن تجعل انا لانضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك
كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم (فان قلت) اذا جعلت انا لانضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه الى المبتدا
(قلت) من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام
الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم * من الاولى للابتداء والثانية
للتبيين * وتنكير أساور لابهام أمرها في الحسن * وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق
وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين * وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم (واضرب لهم مثلا
رجلين) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني اسرائيل أحدهما كافر
اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم
اني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن
اللهم ان أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا
بألف فقال اللهم اني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم اني
جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين
بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج
أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد (جنتين من أعناب) بستانين من
كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها
مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا أطافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول
واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن
والترتيب الانيق * ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص * ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب
فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها * والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص
وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز * وقرئ وفجرنا على التخفيف * وقرأ
عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) أي أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن
مجاهد الذهب والفضة أي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان
وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء (وأعز نفرا) يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا
ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث * يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما أحار كلمة

وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته

يعني

* يعني قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين و يريه ما فيهما و يعجبه منهما و يفاخره بما ملك من المال دونه * (فان قلت) فلم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم * اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت الى ربي) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا * وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له (سوّاك) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال * جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا (لكنّ هو الله ربي) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكنّ اياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشان والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي ابن كعب لكن أنا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا اله الا هو ربي (فان قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر (ما شاء الله) يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شئ شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت (لا قوة الا بالله) اقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها انما هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج * من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى ان ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة (خيرا من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك * والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق (صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا و(غورا) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدوّ لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليا عليهم * وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي أنفق في عمارتها (وهي خاوية على

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على

 (قال قرئ بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الانكار عليه في مثل هذا القول فانه يوهم أن القراآت موكولة الى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء فيتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق انه لا يجوز لاحد أن يقرأ الا بما سمعه فوعاه متصلا بفلق اليه صلى الله عليه وسلم منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وانما هو ناقل كغيره ولكن الزمخشري لا يفوت الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فان عمرو بن عبيد أول مصمم على انكار القدر وهلم جرا الى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أثنى عليه

عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر

عروشها) يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها (ياليتني) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان *وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فان قلت) ما معنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ اليها فقالها جزعا مما دهاها من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) أي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم *وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم *وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه *والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة *وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) *الباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثوابا) أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة *قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا *وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف *وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل *وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى *(فان قلت) لم جئ بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الاعمال (ياويلتنا) ينادون هلكتهم التي

هلكوها

هلكوها خاصة من بين المهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعنى لا يترك شيأ من المعاصي الا أحصاه أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز أن يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (الا أحصاها) الا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لانه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال *فواسقا عن قصدها جوائرا* أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة للانكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) يعني وما كنت متخذهم (عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون *واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن *والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا وو بق يوبق وبقا اذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفا) معدلا قال *أزهير هل عن شيبة من مصرف* (أكثر شئ جدلا) أكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الانسان أكثر من جدل كل شئ ونحوه فاذا هو خصيم مبين * أن الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الايمان والاستغفار (الا) انتظار (أن تأتيهم سنة الاولين) وهي الاهلاك (أو) انتظار أن (يأتيهم العذاب) يعني عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها

صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي

(قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد والحق ان قوله تعمده الله تعالى لفظة لا تروق ولا تليق فان التعمد انما يوصف به عرفا من يفعل في بعض الاحيان خطأ وفي بعضها تعمدا فاجتنابها معه في هذا الفصل غير

عن موطئها (وما أنذروا) يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه من العذاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم * وقرئ هزأ بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء * وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع إليها الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي) عاقبة (ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبدا) مدة التكليف كلها * وإذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ * يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه (وتلك القرى) يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت والموعد وقت أو مصدر (لفتاه) لعبده وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع ابن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم * (فإن قلت) (لا أبرح) إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل إفريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (أو أمضي حقبا) أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في

وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

في حق الله تعالى واجب
والله الموفق

*قوله تعالى قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت (قال إن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد في الحديث أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به ما دام على تلك الحالة ووقع الإيقاظ إنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله أعلم وإن كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذا قص عليهم القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به

مكتل فغيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة (فإن قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرني (فإن قلت) ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت و (إذ أوينا) و (فإني نسيت الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت و (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه و (عجبا) ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام *قرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا في أدراجهما (قصصا) يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب (رشدا) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني (فإن قلت) أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم

المرجوع اليه في أبواب الدين (قلت) لاغضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار و(خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أولان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا أعصي) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أولا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شئ لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه العلم منه برئ من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم * قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيأ وقد علمت انه صحيح الا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها) وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع (جئت شيأ امرا) أتيت شيأ عظيما من أمر الامر اذا عظم قال داهية دهياء ادّا امرا (بما نسيت) بالذي نسيته أو بشئ نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه أختي واني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة * يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني (عسرا) من أمري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين (فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين (فان قلت) لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام * وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه * (فان قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة أو المسألة (فلا تصاحبني) فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك (من لدني عذرا) قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب

الاعاجيب

خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا

* قوله تعالى قال انك لن تستطيع معي صبرا (قال نفي الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال أحمد ومما يدل على أن موسى عليه السلام انما حمله على المبادرة بالانكار الالتهاب والحمية للحق انه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه

*قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (قال ان قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكانه جعل السبب فى اعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للسبب بذكر عادة الملك فى غصب السفن وهذا هو حد الترتيب فى التعليل ان يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج الى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآى والمخالفة بينها فى الاسلوب عجبا ألا تراه فى الاولى أسند الفعل الى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده فى الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه فى قوله فأردنا ان يبدلهما ربهما وخشينا أن يرهقهما ولعل اسناد الاول الى نفسه خاصة من باب الادب مع الله تعالى لان المراد ثم عيبت فتأدب بان نسب الاعابة الى نفسه وأما اسناد الثانى الى الضمير المذكور فالظاهر انه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أودبرنا كذا وانما يعنون أمر الملك ودبر و يدل على ذلك قوله فى الثالثة أراد ربك ان يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الاساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع و ينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

الاعاجيب (اهل قرية) هى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد أرض الله من السماء (ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد ان ينقض) استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعى

فى مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤس اذا اردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر ابى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال

اذا قالت الانساع للبطن الحق

تقول سنى للنواة طنى

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا الى بعبرة وتحمحم

فان يك ظنى صادقا وهو صادق

ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الابلق

وبعضهم

يأبى على اجفانه اغفاؤه

هم اذا انقاد الهموم تمردا

ابت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا

قالتا اتينا طائعين ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل فى الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو ينفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار فى السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا) وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ *(فان قلت) (هذا) اشارة الى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرأ به ابن أبى عبلة فأضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر (وراءهم) أمامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى *(فان قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده

اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين

ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم * وقيل في قراءة أبيّ وعبد الله كل سفينة صالحة
*وقرأ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا
أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء
أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله
فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على
سر أمره وأمره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبيّ فخاف ربك والمعنى فكره ربك
كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا
كقوله لاهب لك * وقرئ يبدلهما بالتشديد *والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب *والرحم الرحمة والعطف
وروى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما * قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف
في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان أبوهما صالحا) اعتداد بصلاح أبيهما
وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء
وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين
قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر
منصوب بأراد ربك لانه في معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمري) عن اجتهادي ورأيي
وانما فعلته بأمر الله * ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه
العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا
ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب
ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك
أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله
فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه
فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها
وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك
الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على
رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح أقرانه وكان من الروم
ولد عجوز ليس لها ولد غيره * والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه
والخطاب في (عليكم) لاحد الفريقين (من كل شئ) أي من أسباب كل شئ أراده من أغراضه ومقاصده في
ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة *فأراد بلوغ المغرب
(فأتبع سببا) يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ
فاتبع *قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صار فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله

نخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا

أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

أى فى عين ماء ذى طين وحمأ أسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا * كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم * فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (وأما من آمن وعمل) ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين *وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر * والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * كأن مجر الرامسات ذيولها * يريد كأن آثار مجر الرامسات (على قوم) قيل هم الزنج * والستر الابنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر * قرئ خرجا

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال

ما مكني فيه ربي خير
فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردما آتوني
زبر الحديد حتى إذا
ساوى بين الصدفين
قال انفخوا حتى إذا
جعله نارا قال
آتوني أفرغ عليه
قطرا فما اسطاعوا أن
يظهروه وما استطاعوا
له نقبا قال هذا رحمة
من ربي فإذا جاء وعد
ربي جعله دكا وكان
وعد ربي حقا وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في
بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت
أعينهم في غطاء عن ذكري
وكانوا لا يستطيعون
سمعا أفحسب الذين
كفروا أن يتخذوا عبادي
من دوني أولياء إنا
أعتدنا جهنم للكافرين
نزلا قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون
صنعا أولئك الذين
كفروا بآيات ربهم
ولقائه فحبطت أعمالهم
فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا ذلك جزاؤهم جهنم
بما كفروا واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا

وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال * وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم (ما مكني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالإدغام وبفكه (فأعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع * قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ * وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة * والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر و(قطرا) منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه * وقرئ قال ائتوني أي جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهروه) أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته (هذا) إشارة إلى السد أي هذا السد نعمة من الله و (رحمة) على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته (فإذا جاء وعد ربي) يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي * جعل السد (دكا) أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر حكاية قول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يموج في بعض) أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكري) عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعني وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادي من دوني أولياء) هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم * وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة * النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيآت من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فإن قلت) الذين ضل سعيهم في أي محل هو (قلت) الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم * الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا

يعنى لامزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود * المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولو جئنا) بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة و(مددا) تمييز كقولك لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضى الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب به * وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهى عن الاشراك بالعبادة أن لا يرائى بعمله وأن لا يبتغى به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت فى جندب بن زهير قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله سورة مريم﴾

135619

﴿فهرست الجزء الاول من الكشاف﴾

صحيفة

﴿تمت﴾

